رضا سليمان

رواية

ماريونت



المجموعة الدولية
للنشر والتوزيع

ماريونت

رواية

بقلم

رضا سُليمان



إهـــداء

إلى كل روح طاهرة تركت أرض الكنانة صاعدة إلى ربها من أجـل أن ينـال هذا الوطـن حريته الكاملة ومن أجل أن يشـعر أولاده بآدميتهم ويمتلكوا كرامتهم.

إلى هؤلاء فقط أهدي عملي.

أمـا مـن اسـتغل هـؤلاء أسـوأ اسـتغلال من أجـل تـحقيق مصالح شـخصية فأنـا أهدي إلى العالم أجمـع هذه الرواية التي تكشفهم وتعريهم وتفضح أطماعهم..

رضا سُليمان

كلمة

أحيانًا أقرأ في مقدمات بعض الأعمال عبارات تقول:

- أي تشابه بين شخصيات أو أحداث هذا العمل وبين الواقع هو محض صدفة وإنما العمل كاملا خيال لمؤلفه.

أقرأ ذلك وأتعجب، فمن أين يأتي الكاتب بمؤلفه؟!

إنه بطبيعة الحال يكون نقلًا من أرض الواقع أو محاكاة لما عليها من أحداث، الكاتب هو مرآة تعكس بصورة أو بأخرى حقائق موجودة بالفعل، كل ما في الأمر أن الكاتب يمتلك عينًا خاصة حادة الرؤية تغوص إلى القلب راصدة، محللة ناقدة، متسائلة، مندهشة، كاشفة لغموض الكثير من الأمور، خاصة الإنسانية منها.

إلا أنني وجدت نفسي بعد أن أبحرت كثيرًا داخل هذا العمل وزادت سخونة الأحداث أعود إلى لحظة البدء لأكتب هذه الكلمات وأقول:

- بالرغم مما ذكرته من أن الكاتب هو مرآة تعكس واقعًا نعيشه، إلا أن أي تشابه بين أحداث أو شخصيات تلك الرواية مع أحداث وشخصيات حقيقية هو محض صدفة والرواية كاملة من بين ثنايا خيالي الأدبي.

R. S.

التعويذة

اليوم الأول من الشهر الثاني من فصل الفيضان..

السنة السادسة من حكم الفرعون أمنمحات الأول.

غرفة قدس الأقداس داخل معبد آمون رع.. تتصاعد أدخنة المباخر صانعة سحابة فوق الجسد المُمدد فوق المذبح الفرعوني، عدد قليل من الكهنة ينهون عملية تحنيط استغرقت أربعين يوما، يتلو الكاهن الأكبر عددًا من التعاويذ مكتوبة بالمداد الأحمر والأسود على ورقة بردي، ينتهي بتعويذة يقول فيها:

يا رع.. يا رب الأبدية..

إن ما يخافه «سِنى توت أوزير» الراحل، هو أن تُحضر الأرض بالدم.

إن صفات المتوفي هي صفات حور، بِكر أولادك يا رع، إن قلبه هو صنيعتك..

يا رع.. يا إله الكون.. ليت حراس البوابات يتركون هذا الرجل يمر.

ليت الثعبان العظيم يدعه يمر في سلام، ليت التمساح الشرس برأسيَ الحمار والثعبان يدعه يمر.

إن هذا الرجل لم يضمر الشر أبدًا لأرض كِمِت «مصر» إنـه ابنك إلى أبـد الآبدين. فاقبله فـي نعيمك الأبدي. واجعله نجما يضئ ليلا في سماءك يا رع.

يلـف ورقـة البـردي على شـكل اسـطوانة، يضعها فـوق صدر المتوفـي الممسـك بمفتاح الحيـاة ضاما يديه على صـدره، بهدوء شـديد يمد يـده بتعويذة، قطعة معدنية، يضعهـا فوق قلب المتوفي مباشـرة، على أحـد وجهيها صورة الإلـه أوزير إلـه الخير والوجه الآخر منقوش عليه صورة الإله ست إله الشر.

يشير بيده علامة البدء، يتعاون أكثر مـن كاهن وخادم، يتم نقل المتوفي إلى محفة يحملها أربعة من الرجال الأشداء العراة إلا من قطع توارى سـوءاتهم، يتحرك الموكب على لحن ترانيم كهنوتية، يتبعه كهنة معطرون وآخرون يحملون المباخر، رحلة إلى الشاطئ الآخر حيـث يبدأ الحيـاة الثانية هنـاك في مقبرته المعـدة من قبل، حيث ينتظـره تابوت مـزدوج وتماثيله المجيبة «الأوشـابتى» وفي كل مـكان من المقبرة رسـوم ونقوش ملونة تصور مراحل حسـابه وتفاصيل كثيرة مـن الحياة التي تنتظره، تميمـة ذهبية على صدره، صك يقربه من أوزير ويقيه شرور ست وأتباعه.

الكلمات الأخيرة التي قالها الكاهن هي تعويذة فرعونية حول شعيرة مقدسة كانت متبعة خلال عيد يسمى «عيد حفر الأرض بالدم» يحتفل به في بلدة «بوصير».

كانت الأرض تحفر وتحرث بعد أن تروى بدم الأعداء المذبوحين كي تصير خصبة، لم يكن يقتل ويُروى بدمه أرض مصر غير الأعداء وست إله الشر وأتباعه الذين تحولوا إلى ماعز وكباش في بلدة بوصير ثم ذبحوا أمام مجلس القضاء وبعد ذلك أخذت دماؤهم وأعطيت للسكان ليسمدوا بها أرضهم.. أرض مصر.

يحمل المتوفي تلك التعويذة معه لتنقذه من العذاب الشديد في عالم الآخرة، إنها تؤكد أن حاملها ليس ممن تُروى الأرض بدمائهم لأنه لم يضمر لمصر وأهلها أي شر وبذلك يضمن الوصول إلى النعيم الأبدي في عالم الآخرة.. ويكون من المنعمين، يتقبله رع ويحوله إلى نجم ساطع يضيء في سماء رع ليلا..

تلك كانت كلمات الكهنة، أيادي الآلهة في الأرض، كلماتهم مقدسة، لكل شأن تعوذية، صك مرور إلى حياة النعيم أو أرض الهلاك في عالم الآخرة، بيدهم قياد قطيع طائع خانع يستجدي رحمة الآلهة بإرضاء كهنتهم، ولن يرضيهم غير ما يحقق صالحهم ويضمن لهم سطوة لا حدود لها.

■■■

(1)

الوعد الأول

1 نوفمبر 1917

يهبط الظلام ثقيلا على ذلك الحي الهادئ الملفوف بصمت رهيب، صمت الموتى، مداخن وقباب فوق قصور الحي تبدو من بعيد كشواهد مقابر، أشجار مرتفعة قاتم لونها كأشباح أسطورية تضفي على ذلك الحي رهبة مقيتة، تأتي من بعيد سيارة موديل نفس العام، سوداء لامعة تعكس ظلام الليل، تتوقف لحظة أمام بوابة عتيقة، ينعق سائقها نفيرها كبوم مستقرة على أغصان أشجار الصمت المتحجرة التي تملأ الحي، سريعا يظهر حارس، يفتح البوابة العتيقة، تسرع السيارة تاركة خلفها عادمها الأبيض راسمًا أشباحًا مرتعشة من برودة ليل المدينة.

أمام باب القصر تقف السيارة، يخرج سائقها مسرعًا ليفتح الباب الخلفي منتظرا هبوط سيده.. تمر لحظات ولا ينزل الرجل،

شاردا كان، ممسكا في يده بعملة معدنية أثرية، يقلبها في كفه الأيمن في هدوء ناظرا إلى لا شيء، لن يتحدث السائق أمام هذا الشرود، يقف منتظرا ولو أشرقت عليه شمس الغد.

القاطن داخل معطفه الأسود الثقيل في مقعد السيارة الفارهة رجل يتمتع بحالة صحية لا تتواجد عند الكثير من أقرانه، يقترب من نهاية العام التاسع والستين من عمره، لا يمنعه عن تحقيق أي رغبة من رغباته مانع، يبدو الإصرار مسيطرا على ملامح وجهه مخلوطا بمكر ودهاء يظهران في عينين غائرتين وشعر فضي يسحبه على الجانب الأيمن في عناية، وجه مسحوب باستطالة لأسفل حتى ينتهي بدقن حليقة مدببة أسفل شارب هرمي.

على وجهه علامات سعادة مضطربة، عائد من يوم عمل شاق وأمر غاية في التعقيد، رغم حصوله على الموافقة من الجهات المسئولة عليه إلا أنه يستشعر الرهبة، رهبة طالب متفوق قبل دخوله الامتحان، رهبة عاشقين لا يصدقان أنهما في حفل الزفاف وينتظران لحظة اللقاء التي قد لا تمنحها لهم يد القدر.

موافقة اليوم على مشروعه انتصار يضاف لانتصاراته، ودلو كانت تشاركه محبوبته، صاحبة فكرة مشروعه، اللحظة..

يشاهد وجهها الذي لم يتغير رغم مرور ما يقرب من نصف قرن من الزمان، سنوات طويلة مضت على اللقاء الأخير.

شاب ابن العشرينيات مرتديا القميص الأبيض وقد شمر ذراعيه حتى مرفقيه، على يسارة تسير فتاة شقراء نحيفة القد، شعرها الأصفر الناعم يتهادي على كتفيها، عيون بلون السماء، أنف دقيق مرسوم بريشة فنان عالمي على خلفية قماشية بيضاء، شفتان رقيقتان ترتجفان باستمرار رغبةً ودلالًا رغم تدينها وحرصها الدائم على الصلاة الأسبوعية في المعبد. إنها الشقراء الشهيرة بابنة الحاخام.

تعرف عليها عندما أتى إلى والدها طالبًا دروسًا وشروحًا، يمتدحه الأب أمامها كثيرًا، مضفيًا على وسامته وقارًا، تحبه وتتمناه..

يتواعدان.. يذوبان عشقًا.. تبثه أحلامًا بين آهات عشق تخرج من الروح والجسد قائلة:

- أراني أرتمي على كتفيك، أسقيك كئوس العشق والهوى هناك.. في أرض الميعاد..

حلم تربت عليه منذ أن رأت أول ضوء على هذه الأرض، يلتقط حلمها.. ينسج تلك الحياة الهادئة الرغدة المحاطة بالعناية الإلهية في تلك الأرض التي تتوسط العالم..

يتمنى أن يحقق لمحبوبته أملها وأمل أسرتها، عشقهم لأرض الميعاد..

سنوات من الحب المطعم بالآهات والقبلات والأحضان وشوق لا ينتهي إلا بأمرين كلاهما مُر، الزواج أو الوفاة.

إثر حادث أليم توفيت الفتاة، تركت العشيق الولهان في حسرة وصمت كادا أن يوديا بحياته، يستفيق بعد أيام، تأتيه فتاته في أحلامه تحثه على العودة، أن يحيا من أجلها وعلى وقود دفء حب لا ينتهي عليه أن يحقق لها حلما. أمنية يؤكدها عليه والدها الحاخام اليهودي.

يجتهد في دراسته الأولية التي درس فيها على يد والد محبوبته «العهد القديم» وهو الجزء الأكبر من الكتاب المقدس ويحتوى على جميع كتب اليهود بما فيها التوراة.

يترك مسقط رأسه ويتجه «لوثيان» في اسكتلندا ليكمل دراساته العليا بجامعة كامبريدج بانجلترا.

لكل فرد حلم وطموح، يجتهد قدر طاقته لتحقيقه..

كان حلمه هو حلمها.. أرض الميعاد..

لم يكمل عامه السادس والعشرين ويتم انتخابه عضوا في البرلمان ومع نهاية عقده الرابع يعين وزيرا لاسكتلندا.

بخبرة وحنكة ممزوجة بدهاء رجل لم يتزوج، رجل يتفاني في إرضاء محبوبته التي يشعر بها تراقبه في كل لحظة، يود لو يملك العالم كي يسعدها، يتفاني في رسم ابتسامة على شفتين لم ينس مذاقهما مهما مرت عليه السنون.

وفي عامه الرابع والخمسين من تلك الفترة التي يحياها على الأرض يتم تعيينه رئيسا لوزراء بريطانيا.

أي مجد يسعى إليه ذلك الرجل..

عن Arthur James Balfour آرثر جيمس بلفور نتحدث، وبالتحديد في اليوم الأول من شهر نوفمبر عام 1917 م.

لم يمض أيام على تغير الأوضاع العالمية بعد ثورة البلاشفة في روسيا، منذ أسبوع واحد فقط قاد البلاشفة قواتهم إلى الانتفاضة في العاصمة الروسية سانت بطرسبرج، لم تقاوم الحكومة الهزيلة تلك الانتفاضة الآتية بعد أحداث جسام، بهدوء تمكن البلاشفة من الاستيلاء على المرافق الرئيسية وفي الخامس والعشرين والسادس والعشرين من أكتوبر من نفس العام تم الهجوم على القصر الشتوى للقيصر الذي كان يحرسه القوازق وكتيبة من النساء، لم تبد الحراسة مقاومة وتمت السيطرة على قصر القيصر، يشكل البلاشفة حكومة جديدة تعلن خروج روسيا من الحرب العالمية الدائرة رحاها تحصد البشر والتي فقدت فيها روسيا قرابة مليونا مواطن وثلاثة ملايين بين جرحى وأسرى، يضاف إلى ذلك فقر وخراب وانهيار اقتصادي رهيب يعم البلاد.

تخرج روسيا من الحرب، يصادر البلاشفة أراضي كبار الإقطاعيين ومصانع الرأسماليين بالإضافة إلى إعلان حق شعوب الإمبراطورية الروسية بالانفصال عنها.

خروج روسيا من الحرب العالمية في هذه الظروف الصعبة، وصعود الألمان بشكل يهدد مصالح بريطانيا العظمى، يشكل

خطرا حقيقيا وقد بات القضاء على الألمان وشيكًا خصوصًا بعد تلك المشاركة الركيكة والمتأخرة من الولايات المتحدة الأمريكية ضد الألمان.

صحيح استطاع الزعيم الصهيوني حاييم وايزمان، صديق أرثر، إقناع الرئيس الأمريكي ويلسون بالمشاركة في الحرب، إلى جانب بريطانيا العظمى، لكن الأمر بعد خروج الروس يتطلب مشاركة أكثر حيوية وقوة وتأثيرا.

عامل آخر كان كثيرًا ما يقلق أرثر وزير خارجية بريطانيا في تلك الفترة وهو تلك الهجرة الجماعية لليهود من شرق أوروبا إلى تلك الامبراطورية العظمى وشيكة الانتصار في الحرب.. بريطانيا..

يتذكر الحوار الذي لا يزال صداه يتردد في أعماقه، حوار من لحظات في مجلس الوزراء:

- اليهود أكثر تأثيرا في العلاقات الدولية.. اليهود أكثر إفادة لبريطانيا العظمى وهم خارجها.. اليهود يحلمون ليل نهار بأرض الميعاد..

- عدد اليهود في فلسطين لا يتعدِ الخمسة بالمائة من السكان..

- لو توجهت تلك الهجرات اليهودية إلى فلسطين، سلمت منهم بريطانيا العظمى، تَحَقَق حلمهم (حلم معشوقته الأبدية) أصبحوا يدًا تستخدم في قلب العالم.. يُستفاد من أثرياءهم

ورجالهم في أمريكا وبعض مناطق العالم في دعم بريطانيا في الحرب للانتصار والحفاظ على المستعمرات المنتشرة في الكرة الأرضية، التواجد البريطاني في مصر غير آمن ولن يطول.. القوى الوطنية هناك تصارعنا.. يجب نقل حلبة الصراع إلى مكان آخر كي تهدأ مصر..

عندما ذكر اسم مصر كانت يده في جيب معطفه تعبث بقطعة معدنية مستجديا منها الشعور بالأمان، قطعة منقوش على وجهيها صور فرعونية لأوزير وست، يستمر في نسج شباكه وهو يكمل حديثه قائلًا:

- يجب أن نصنع وطنا.. ماذا لو باركنا إقامة وطن لليهود في فلسطين؟

- فلسطين ليست أرضا تابعة لبريطانيا حتى نعد بها اليهود؟

أوف.. يزفر بشدة.. معادلة صعبة.. يفكر لحظات.. يمط شفتيه.. يعتصر عملته المعدنية في جيبه، يجيب:

- أرض فلسطين ليست ملكا لنا، لكن مباركتنا لاقامة وطن لليهود فيها ودعمنا لهم يضع حلولا عبقرية لتلك المعادلة..

الحرب الدائرة سوط يلهب ظهر المستعمر.. !!

بعد نقاش طويل يُظهر فيه آرثر براعة ومكرا، يستطيع الحصول على موافقة مجلس الوزراء.

وكأنه يصحو من حلم هادئ، ينظر إلى السائق الواقف كتمثال شمعي بجوار باب السيارة، يهبط أرثر، يخطو في ثقة وهدوء، يلتفت شاخصا ببصره إلى السماء، عدد قليل من النجوم يصارع من أجل البقاء في هذا الليل، يختار أكثرهن لمعانا، يركز ناظريه لحظات، تنسحب روحة إليها، يبتسم، تلمع تلك النجمة أكثر، يستشعرها تبادلة السعادة.

يدلف إلى منزله القابع ككائن أسطورى أسود تبدو معالمه في الظلام، محاط بحدائق تفصله عن العالم من حوله، يجلس في حجرة مكتبه، سكون الليل يسيطر على المكان، يتحرك بين مكتبه وفوتيه في جانب الحجرة مفكرا بعمق.

ينظر إلى الساعة ذات البندول الطويل الذي لا يكل الحركة باحثا عن حريته يمينا ويسارا، تخطت الثانية عشرة ليلا بقليل.. تنقر النوافذ قطرات المطر الثقيلة المصحوبة برياح تصفر كأطفال يتامى يئنون فقد الأب والجوع..

يجلس خلف مكتبه، أسفل صورة زيتية لفارس يستعد لركوب جواده الأسمر وسيفه معلق في غمده وخلفيتها أشجار ضخمة وأعشاب خضراء متناثرة وقد تفتحت بعض زهورها الحمراء والبيضاء، يسحب ورقة بيضاء وقلما يُلقى بحبره الأسود عليها، يبدأ في كتابة تلك الكلمات:

وزارة الخارجية

في الثاني من نوفمبر/ تشرين الثاني سنة 1917

عزيزي اللورد روتشيلد

يسرني جدًّا أن أبلغكم بالنيابة عن حكومة جلالته، التصريح التالي الذي ينطوي على العطف على أماني اليهود والصهيونية، وقد عرض على الوزارة وأقرته:

«إن حكومة صاحب الجلالة تنظر بعين العطف إلى إقامة مقام قومي في فلسطين للشعب اليهودي، وستبذل غاية جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية، على أن يفهم جليًا أنه لن يؤتى بعمل من شأنه أن ينتقص من الحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة في فلسطين، ولا الحقوق أو الوضع السياسي الذي يتمتع به اليهود في أي بلد آخر».

وسأكون ممتنًا إذا ما أحطتم الاتحاد الصهيوني علمًا بهذا التصريح.

المخلص

آرثر جيمس بلفور



عام 1925

أول زيارة لآرثر جيمس بلفور إلى فلسطين ليشارك في افتتاح الجامعة العبرية، يذهب أولا إلى الإسكندرية بعد ظهر الإثنين 23 مارس من نفس العام، في استقباله وفدٌ من المنظمات الصهيونية في مصر وطلاب المدارس اليهودية، يرأسهم حاخام، بين الجموع شاب في التاسعة عشرة من عمره، مسوقا بدواعى خفية لرؤية الوافد العاشق الذي يغير خريطة العالم تحقيقا لحلم محبوبته، لحظات يختفي الشاب وهناك أعين تراقبه وستظل تراقبه ثلاثة أعوام قبل أن يظهر مرة أخرى.

على متن السفينة أسبريا، الساعة 4 عصرًا، يصعد الحاخام إلى السفينة للترحيب بآرثر، بعد استقبال دام ساعتين لم يحضره سوى المنظمات الصهيونية، يسافر بلفور في عربة قطار مجهزة خصيصًا له إلى القاهرة.

في القاهرة ينزل آرثر ضيفًا على اللورد اللنبي وزوجته، في القاهرة قامت مظاهرات عارمة منددة بوصوله، أكبرها في حديقة الأزبكية.

مدير شرطة الأزبكية أمر ضباطه بسحل عدد من المتظاهرين في الشوارع، جروهم إلى القسم في هذا الوضع المهين، والنساء يتابعن بدموع الدهر التي صنعت نيلا يجرى، في قسم الشرطة، رفض مأمور القسم أن يكتب محضرًا ويطلق سراحهم، لم يوافق حتى بدفع كفالة. وبدلًا من ذلك صادر أوراقهم الشخصية

واحتجزهم في زنزانة الحجز حتى اليوم التالي، بينما بلفور ينعم بتكريم رائع في ذلك القصر الفاخر الذي يسكنه اللورد اللبني.

يغادر قطار بلفور متجهًا إلى فلسطين، تنهال رسائل وتلغرافات الاحتجاجات على مكاتب الأهرام. كانت إحداها مرسلة باسم الجالية السورية في مصر، تخاطب بلفور:

- نحن ندين إعلانك الجائر، ولن نتخلى عن حقوقنا السليبة وسنواصل نضالنا للنهاية على أمل تحقيق طموحاتنا القومية.

كان التلغراف موقعًا من أكثر من 20 شخصًا، بينهم شكري القوتلي، الذي سيصبح لاحقًا رئيس جمهورية سوريا.

تلغراف آخر أرسلته الجالية الأردنية في مصر، تخبر بلفور بأنه في طريقه إلى «البلد الذي دمر وعده المستهجن حريته»، مضيفًا أن وصول بلفور «سيزيد من تمسك الفلسطينيين ببلدهم».

الحقيقة.. لم تكن الاحتجاجات لتثني بلفور عن طريقه المختار، أولى زيارات بلفور الرسمية للمستوطنة الصهيونية «قارا Qara»، حيث أُستقبل بحفاوة. بعد أن تناول طعام الغذاء يذهب بلفور وحاشيته إلى تل أبيب، المدينة اليهودية العصرية المبنية بالقرب من يافا.

لدي وصول الزائر الكبير يجد كل البيوت والمعاهد مزينة بالأعلام البريطانية والصهيونية، حشود من الناس، رجالٌ ونساءٌ وطلاب، هرعوا لتحيته حاملين لافتات، عليها صورته، على

أعناقهم. تتطوع قوة من 150 شابًا يهوديًا لمساعدة الجيش والشرطة لحفظ النظام.

تعلن المدارس في غزة وطولكرم وكلية المعلمين في القدس ومعاهد فلسطينية أخرى الإضراب احتجاجًا على زيارة بلفور، تبعهم في ذلك الناس في جميع أرجاء البلد.

حكومة الانتداب البريطاني في فلسطين بالطبع مستعدة للاضطرابات المحتملة، يعلن وزير الحربية البريطاني في مجلس العموم أن فوج فرسان مدرع أرسل من مصر إلى فلسطين لإخماد أي اضطرابات.

الخبر الذي أفزع الكثير والذي أوردته جريدة الأهرام أن الحكومة المصرية تنوي إرسال أحمد لطفي السيد، مدير الجامعة المصرية، إلى فلسطين لحضور حفل افتتاح الجامعة العبرية. يفاجئ العديد، بالرغم من صيحات الفلسطينيين في مصر، أن البروفسور لطفي السيد وافق على الذهاب للمشاركة في حفل افتتاح الجامعة العبرية. يحتج الشباب العربي بفلسطين على قبول أحمد لطفي السيد للدعوة لكونها طعنة في ظهر فلسطين العربية وناشدوا الحكومة المصرية أن تغير قرارها.

بشكل مماثل يعرب الطلاب الفلسطينيون في جامعة الأزهر عن حزنهم لقرار الجامعة إرسال وفد إلى الافتتاح لأنه «سوف يمكن الصهاينة من استخدام اسم مصر لصالحهم»، ومرة أخرى، سقطت

الاحتجاجات الفلسطينية على آذان صماء، إذ ذهب مدير الجامعة المصرية إلى فلسطين لحضور افتتاح الجامعة العبرية في القدس. وماذا يجدي نفعا، ندم لاحق أبداه لطفي السيد على تلك المشاركة.

يذهب بلفور إلى مستوطنة يهودية أخرى، نافيا أن يكون إنشاء وطن لليهود في فلسطين رغبه شخصية إنما هو تجسيد لرأي هيئة أكبر الدول التي وقعت على معاهدة فرساي.

يقضى بلفور أسبوعين في فلسطين وسط إضرابات عامة واحتجاجات من قبل الفلسطينين وابتهاج من الصهاينة الذين شرعوا في تسمية الشارع الذي مرت منه سيارته باسمه.

المرحلة التالية من جولة بلفور أخذته إلى سوريا، حيث سيقابل موقفًا مختلفًا تمامًا. فسوريا لم تكن خاضعة لحكم الانتداب البريطاني المستعد دومًا لقمع مظاهرات الفلسطينيين، وسيتعرض للطرد، ففي ذلك العام كانت سوريا تستعد للثورة السورية الكبرى التي بدأت في وقت لاحق من نفس العام.

في صباح 8 إبريل تم تعيين حراسة مشددة على القطار الذي سينقل بلفور والوفد المرافق له من حيفا إلى دمشق واصطحب بلفور معه مسئولين حكوميين وعملاء بريطانيين أرسلوا لضمان سلامته رغم أن الحكومة البريطانية ركزت الشرطة في المحطة لكن هذا لم يمنع القرويين من أن يحتجوا ويرفعوا لوحات سوداء أثناء مرور القطار.

عندما يصل القطار إلى درعا، كان المسئولون الفرنسيون مصطفين لاستقبال بلفور ودعوته وحاشيته إلى وجبة في مطعم المحطة، التي منع قومندان الشرطة دخول الناس إليها، وبعدها عاد بلفور للقطار في طريقه إلى دمشق .

بعدما عمت الاضطرابات في العاصمة السورية بسبب قرب زيارة بلفور رتب المسؤلون الفرنسيون نزول بلفور على مشارف العاصمة السورية وكان في استقباله القنصل البريطاني وغيره من القناصل الآخرين.

في اليوم التالي حدث مزيد من الاضطرابات. بعد صلاة الظهر تهرع حشود تجاه فندق فيكتوريا، حطمت حواجز الشرطة ووصلت الحشود حتى أبواب الفندق، المسؤلون حاولوا منعهم ففشلوا، في النهاية اضطروا إلى إطلاق أعيرة نارية في الهواء.

في الثانية مساء، أرسلت ثماني عربات مدرعة لاستعادة النظام، أصيب حوالي 50 متظاهرًا، وثلاثة في حالة حرجة كما أصيب اثنان من رجال الشرطة في حين عانى العديد من رضوض وكدمات.

جاء المتظاهرون في اليوم التالي والطائرات تحلق فوق المدينة على ارتفاع 150 مترًا في حين تم جلب عشرات من المدرعات والدبابات ولم يستطع بلفور الخروج من الفندق بسبب الحصار والاشتباكات، في لقاء مع اللورد بلفور والقنصل البريطاني في دمشق يقنعه القائد الفرنسي العام بمغادرة دمشق.

مـن أجل خـروج بلفور ومن معه بأقل الخسـائر، يضع الجنرال الفرنسـي حيلة ذكية، فيجعل الطائرات تحلق وتلفت وتشتت انتباه الناس.

يفر بلفور هاربا من باب الخدم في أحد الفنادق الشهيرة..

يغادر المنطقة العربية طريدا متبوعا بلعنات أرضها..

يعود إلـى بريطانيا.. أمـام كاميرات الصحافـة يتحدث بثقة عن رحلتـه الناجحة وكيف كان استقباله هنـاك استقبالًا حـافلًا يليق بالحـدث الضخـم، يؤكـد بابتسـامة باهتـة أن ما حـدث هناك هي مشـكلات صغيرة أثارها ضده بعض المنافسـين ممـن لهم أطماع استعمارية بشـعة في تلك المنطقة، يرفع كأسـه أمـام الكاميرات، يتوجـه إلـى جمع مـن الرجـال، أصحاب بشـرة صفراء وسـيدات أنصـاف صدورهـن مكشـوفة تحمل بصمـات مئـات الرجال مثل كوب سبيل معدني، يرفعون أيديهم بكئوسهم:

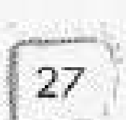
- فلنشرب جميعًا نخب بناء الوطن.

أطلقها آرثر، تبعه الآخرون في سعادة..

غالبية الحضور.. رجال الصحافة الموجودون.. يهود..

تعلـو ابتسـامة وجـه آرثر.. فقد توغلت رأسـه واحتلـت كيانه، فكرة آتية من أعماق الجحيم..

■■■



1928

غرفة صغيرة غارقة في ظلام دامس، يتحسس الفتى خطواته وهو يدلف إليها، شاب في الثانية والعشرين من عمره، جسد قوي البنية، ملامح نافرة، أعين يمتزج فيها الطموح بالمكر، يميل إلى السمرة المخلوطة بحمرة لامعة، حديثه مزكوم باستمرار، شعيرات لحيته متناثرة، يرتدي الطربوش وبذلة سوداء كالحة ،عود ثقاب يشتعل، تتحرك كتلة ضوء بهدوء نحو شمعة تلتقط منه الحياة، تلفظها مع الوقت.

مع تمايل الاضاءة الخافتة يظهر شبح رجل يجلس مغطى بأكمله برداء أبيض به ثقوب أمام العينين والفم.. يشير نحو مقعد في جانب الحجرة، يجلس الفتى، رغم استماتته في خنق توترة وقتله في مهده إلا أن ارتباكه ظهر مع حبيبات عرق تناثرت فوق جبينه العريض.

صوت عريض، يتردد في المكان ألف مرة، يستقر طبقات في تكوين الفتى الذي يحاول تفهم جزئيات غامضة، لم يجزع من فظاعة تلك الفكرة الآتية من أعماق الجحيم، تستقر في أعماقه بلا تعليم أو تدريب، يبدو أن ذلك الشيطان الذي هبط من الجحيم بفكرته، قد اختص بها أكثر من فرد.

لم يعلم الفتى عن محدثه شيئًا، فقط رسالة شفهية في مكان مزدحم تهمس في أذنه لتخبره بالمكان والزمان، قبل أن يرحل صاحب الصوت يهمس بصوت فحيحي:

– هناك.. يتحقق ما تحلم به.

قبل أن يستفيق من ذهوله يكون صاحب الفحيح قد ذاب بين خلايا البشر.

تمر ساعة، تقاتل الشمعة اللهب الذي يأتي على آخر لحمها، يتلاشى الضوء تدريجيا، يتلاشى الصوت تدريجيا، يتحسس الفتى خطواته إلى الخارج شاردا تتنازعة الرغبة والسعادة والخوف، حصل على وعد قاطع لتحقيق حلمه.

هناك طموح رهيب قد يذهب بالعقول، أو يخلقها من جديد..

يخرج الفتى مع الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الليل، يتنفس.. تذكر أنه يتنفس بالفعل، ملأ صدره، زفر بهدوء، يتحرك كالمسحور، تتملكه سعادة لم يشعر ببعضها من قبل.

آخر ما تحدث به الصوت العريض قبل أن يتلاشى الضوء والصوت:

- يوم أن يخرج ذلك السر منك.. هو يوم وفاتك.

لم يجد الفرصة ليسأل، هل خروج سره سيؤدي إلى وضع نهاية لحياته بالقتل، أم يجب أن يبوح بالسر يوم أن تأتيه المنيه، ظلت تلك الجزئية في عقله لا تجد إجابة طيلة حياته التي استمرت حتى قتل في الثاني عشر من فبراير من عام 1949م.

بين فلول الظلام المهزومة أمام جنود النهار، يخرج الفتى يده من جيبه، لحظة يسترقها من العالم، ينظر إلى تلك القطعة المعدنية التي أعطاها له محدثه المجهول من دقائق، قطعة معدنية يحمل وجهاها صورًا فرعونية.



(2)

لمياء سعيد

يناير 2011

لا تلتفت لمياء سعيد نحو ذلك الشاب الذي يعترض طريقها، تميل في خفة وتنطلق في طريقها على رصيف ش 26 يوليو، المزدحم في هذا التوقيت من اليوم بالباعة، تلاحظ لمياء أن شابا آخر ينظر نحوها بإعجاب فتظهر على وجهه تموجات البهجة، يقف متسمرا في مكانة ويقول هامسا: ما شاء الله. تبتسم لمياء ولم تعقب، تضم يديها إلى جناحيها داخل جيوب سترتها الشتوية، تحتضن ذاتها.

خُلقت لمياء سعيد من ذلك النموذج الأنثوى الجميل، نوع من النساء يصعب أن تجتمع فيه كل هذه اللمسات الفنية الرائعة مع الكثير من الصفات، قبول غير عادي تتمتع به، لا تحمل أبدًا ضغينة، تحب كل الناس، تراهم بلا استثناء سواسية، تتعامل بنفس الأسلوب مع الجميع، لا تميز واحدا عن آخر مهما كانت وظيفته، دائمًا ما تقول بأن تعاملها يتوقف على لمياء، وليس على من تتعامل معه.

أكثر ما كان يغضبها هو أن تشاهد الظلم، أن تشاهد الاستغلال، خاصة استغلال القوة يجعلها تخرج عن شعورها وتصل إلى مرحلة من الغضب لا حد لها.

لها أحلام وطموحات، سوف تحققها يوم ما..

تتذكر يوم أن شاهدت أمًّا تعنف طفلها في الشارع، أخطأ الطفل حالما ترك يد أمه وعبر الطريق فجأة، عادت الأم من شرودها على صراخ إطارات السيارة عند احتكاكها في أسفلت الطريق، شاهدت طفلها أمام السيارة يلتقطه بعض السيارة، يشاهدون الفزع مرتسما لوحات متراكمة عل وجه سيدة التصقت قدماها بأرض الرصيف لا تستطيع منه فكاكا، تحتضن طفلها لحظة، تعنفه لحظات، تُخرج ما بداخلها من رعب الفقد، تترجمه يداها إلى ضرب، ولسانها إلى سباب ولعن، يئن طفلها، متسارعة دموعة تنهمر، تتذكر لمياء لوحة الطفل الباكي «the crying boy» للفنان الإيطالي برونو أماديو، ارتجافة غضب تسرى مع دفقات الدماء صاعدة إلى رأس لمياء، تقترب من الأم لتهدأ من روعها، تحتضن الطفل بيمناها وبيدها اليسرى تمسك يد الأم المنهارة، تجذبهما إلى مقعد أمام أحد المحلات، تطلب كوب ماء، تجلس الأم محتضنة طفلها مقبلة إياها ولا تزال توبخه بالكلمات، ترتشف الماء جرعات لترتوى فقد جف حلقها، تبتسم آسفة نحو لمياء ثم تحمل طفلها على صدرها وترحل.

شعور غريب يلف لمياء، لا يجب أبدًا أن تترك هذا أو ذاك ينام مظلوما، تحمل على كاهلها مآسى البشر وفي قلبها الحُرِّ حملت هموم وأوجاع البسطاء.

البسطاء.. كلمة كثيرًا ما كانت تؤلمها، هناك من يتعرض لظلم أو قهر أو ضغط ولكنه يمتلك مقومات الدفاع عن النفس واستعادة حقوقه المنهوبة، أما الذين لا يملكون إلا القليل الذي يجعلهم بالكاد يستطيعون العيش، العيش وفقط، هؤلاء هم البسطاء، من يستحقون المساعدة، هؤلاء هم أصحاب هذه البلد وخيراتها يجب أن توزع عليهم مع سادتها بالعدل.

الشارع مزدحم، عربات، بشر، بضاعة متراصة تارة، متداخلة تارة أخرى، ألوان زاهية مختلطة بالوجوه، ابتسامات وآهات ورغبات مكبوتة وغير مكبوتة، خليط متداخل من المشاعر وظلالها، تترامى أشعة الشمس على الوجوه لتظهر اختلاجات وغضبات معبرة عن هموم لا حدود لها..

تجتاز لمياء الناصية الثالثة لتنحدر من ممر ضيق بين بنايتين، رائحة عطن تنبعث من الجدران التي يعتليها فطر أخضر رطب، ماء يمر في مجرى ضيق ليصب في بالوعة صرف، تحاول التعرف على منبع الماء فلا تجد.

تصل إلى مقهي زهرة البستان، الوجوه صامتة شاردة، ثلاث ترابيزات يجلس إليها أفراد يعانون شيخوخة ثقيلة ووحدة قاتلة، الترابيزة الرابعة لاثنين من الشباب يتناولون سندوتشات الفول والطعمية مع قطع الجزر المخلل، في الركن الجنوبي للمقهي البعيد عن النوافذ يجلس شاب مصري مع فتاة إنجليزية ترتدي الجينز المهترئ.

تجذب لمياء مقعدًا خشبيًا وتجلس في تلك الناحية الجنوبية من المقهي، تُخرج من حقيبة يدها علبة سجائرها الطويلة، سيجارة بيضاء دقيقة، يأتيها عامل فتشير بيدها علامة الانتظار.

تظل فترة تتأمل الوجوه، ذلك الرجل المسن المختفي داخل كومة من الملابس، ثابتة عيناه على شيء ما، تلاحظه لمياء، إنه شارد الذهن، يغوص في أعماق بحار العمر يلتقط من الذكريات ما تسعفه به الذاكرة، قد يكون الآن ناظرا نحو محبوبته الأولى، فها هو يبتسم ابتسامة طفولية تختفي رويدا رويدا خلف أخاديد وفجوات تركتها السنون على وجهه.

تشير لمياء نحو عامل المقهي، تخبره بما تريد، تتابع الشاب المصري المتمسح في الفتاة الإنجليزية، يحدثها بالانجليزية الثقيلة مضفيا عليها بعضا من المد والتدليل ليحاكي بها اللغة الأم فيظهر كفتاة أتت لتوها من الريف وترتدي فستان السهرة وتتثنى مع الحذاء مرتفع الكعب، تفهم مما يصلها من كلمات أنه يتحدث إليها عن مواقف تظهر غباء المواطن المصري، حتى لقد وصفه في إحدى الجمل بالعبيط، نعم استخدم كلمة crazy ولا معنى لها غير كلمة مجنون أو عبيط، ودت لمياء لو وقفت وذهبت نحوه لتصفعه، كيف يتفاخر بسبب قومه، كيف يتندر بطيبة أهله أمام آخر حاقد؟

تفرغ شحنات غضبها في تحريك أصابعها بشدة على سطح مائدتها في متتالية صوتية كطرقات ماكينة لا تكل العمل لعله ينظر نحوها فتوبخه بنظراتها، لكنه يظل مستغرقا في حالته أمام الأجنبية صاحبة الجينز المهترئ. تقرر بداخلها أنه لا يستحق حتى

هناء التوجيه أو التوبيخ، هناك سفهاء التحدث إليهم ولو توبيخًا يشعرهم بلذة ويزيدهم عنادًا. تصل إلى تلك النتيجة فتنسى أمره تمامًا وتعود إلى حالتها الانبساطية الأولى.

تحتسي لمياء زجاجة البيرة وتنفث دخان الشيشة تفاح الكثيف بشدة لتخلق سحابة رمادية، تعشقها، ترتدي لمياء الجينز الذي يبرز مفاتنها، يتهادي شعرها على كتفيها، باستمرار تزيح خصلات بيدها اليسرى من فوق جبهتها وعينها اليسرى، شعرها الناعم الفحمي المتنافر مع بشرتها البيضاء من أكثر ما يلفت الأنظار، كثيرًا ما ارتاحت لوصف حسن عبد الحميد، أحد أقارب زوجة خالها في قريتهم الأم عندما شبهها بفرسة بيضاء جميلة تركض بخفة وحرية تامة بين الحقول الخضراء.

ينتهي الشابين من تناول طعامهما، المواجه يحدق بعيون متساءلة تارة ومداعبة تارة أخرى، لا توليه عناية. تعودت على تكرار ذلك، يقف مكانه، يزيح مقعده إلى الخلف، لا يحرك ناظريه، يقترب من لمياء في طريقة إلى حمام في جانب المقهي، يضع يده على الترابيزة ويتوقف لحظة ملتهما لمياء بعينيه، تنظر نحوه بهدوء وثقة، تشيح بوجهها نحو الجهة الأخرى، يشعر الشاب بسهام نظرات رواد المقهي تتخلل جسده في أكثر من مكان، بجرأة غير عادية يجذب مقعد وقد سلط نظراته نحو عينيها مباشرة، بجدية ظاهرية معبرة عن اضطراب داخلي، يسألها:

- ممكن أقعد؟



تضع لمياء يدها على حقيبة يدها وهي تفكر في أكثر من أمر، حاول الشاب أن يتوقع رد فعلها تجاه طلبه، هل ستوافق على جلوسه معها على طاولتها؟ هل تنسجم معه وتنشأ بينهما صداقة قد تتطور إلى مراحل أخرى أكثر روعة؟ أم هل تقبل جلوسه وتعامله بفتور وجفاف حتى يتركها ويرحل؟ هل تطلب منه الانصراف الآن وأن يلتقيا في وقت ومكان آخرين؟

لم تتركه لمياء يبحث عن رد فعلها كثيرًا، قبضت بيدها اليمنى على حقيبتها من طرفها بشدة ثم طوحتها في الهواء كأنها تلقي بها في وجهه. يرتد بالجزء الأعلى من جسده إلى الخلف بحركة لا إرادية. للوهلة الأولى لم يدرك ما يحدث، لكنه في لحظة الصمت التالية أدرك تمامًا.. فقد أعادت لمياء حقيبتها إلى مكانها فوق الطاولة وهي تبتسم موقنة أن رسالتها قد وصلت.

يتراجع وقد علت وجهه علامات الدهشة من قوة هذه الفتاة وشراستها. لحظة واحدة وسنتيمتر واحد فقط وكانت حقيبة يدها قد ارتطمت بوجهه وجعلته أضحوكة كل من في المقهي، توقع ردود الأفعال كلها إلا هذا، يسرع في اتجاه الحمام هربا، تبتسم في ثقة لمياء، إنها تتصرف بكل ما تريد في أي مكان وبأي طريقة..

من باب المقهي تأتي ضحكات وحوار بين أكثر من شخص، تنظر لمياء فإذا بها تشاهد إيمان سمير صديقتها ومعها شابان، لأول مرة تشاهدهما.

■■■

(3)

إبراهيم السويفي

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ (النازعات: 15-26).

الله أكبر....

سمع الله لمن حمده..

خمس دقائق تمر حتى ينتهي الشيخ إبراهيم السويفي من صلاة المغرب، يلتفت في هدوء وسكينة ولسانه يلهج بذكر الله، يلحظ صفوف المصلين خلفه، ما شاء الله، يقولها في داخله، مريدوه يتزايدون يوما بعد يوم.

الدرس الشهري بعد صلاة مغرب الثلاثاء الأول من الشهر في مسجد الرحمة في مدينة المنصورة، يأتي المريدون والأنصار من المدينة وكل القرى المجاورة، التوافد على هذا اللقاء يبدو عشوائيًا.

كل قرية من القرى المحيطة على بُعد عشرات الكيلومترات من المدينة من كل اتجاه، بها عدد من أتباع جماعة الاخوان المسلمين، عدد الأعضاء المعترف بهم داخل كل قرية لا يتعدي عدد أصابع اليد الواحدة، يتبع كل منهم على أقل تقدير خمس أفراد، تخرج المجموعة من كل قرية قرابة العشرين، يتواعدون على اللقاء بعد صلاة عصر هذا اليوم، يتسامرون قليلًا، يرتدي كل منهم الجلباب الأبيض القصير قصرًا غير ملحوظ، متعطرا بالمسك، تلهج ألسنتهم بذكر الله، يعيشون لحظات إيمانية في رحاب سعيهم إلى درس العلامة إبراهيم السويفي، منذ لحظة اللقاء في قراهم وركوبهم لسيارات الميكروباص حتى العودة في نهاية اليوم هي رحلة شهرية إيمانية يتفانون فيها، يظهر الإيثار في أبهي صوره لكن لا يُستغل مطلقا، عند محاسبة سائق الميكروباص يعرض كل منهم على الأخر أن يدفع له ويستمر العرض والرفض المذيل بعبارة «جزاك الله خيرًا يا أخي» وفي النهاية يحاسب كل منهم لنفسه، يشترون المسليات أو المشروبات، يعرض كل منهم على الأخر أن يدفع هو والرد الجاهز «جزاك الله خيرًا يا أخي» ويدفع كل منهم لنفسه مقابل ما اشتراه.. يحدث هذا في كل

الأمور ويحدث في كل لقاء بلا كلل أو ملل وبنفس الروح ونفس الابتسامة التي تعلموا منذ اليوم الأول أن تعلو وجوههم، فكانت من تعاليم مؤسس جماعتهم:

- ابتسم في وجه أخيك، أو من هو في طريقه إلى الأخوة، أو من لك معه مصلحة، أو مَن للجماعة معه مصلحة ما.

هكذا كانت العبارة تنتقل من عضو إلى عضو ومن جيل إلى جيل..

تلفظ كل قرية قرابة العشرين منتميا إلى جماعة الاخوان لحضور درس الشيخ إبراهيم، لو ضربنا هذا العدد في عشرين قرية على الأقل يكون الناتج أربعمائة فرد، يتواجدون في المسجد يضاف إليهم أهل المنطقة، فكيف يأتي الغرباء كل هذه المسافة للاستفادة ونحن أهل المنطقة لا نستغل الأمر ونستفيد، فحرصوا على التواجد بغريزة القطيع فيتزايد العدد ليزيد عن الألف فرد.

بدا أن أهل القرى إنما أتوا بشكل ارتجالى، حقيقة الأمر أن ذلك كان أمرًا انزلق من أعلى سلم الجماعة حتى أسفله، تعليمة تأتيهم كأمر يجب أن يُنفذ بتلقائية غير عادية، تلك التعليمة تقضى بأن يأتي المسئول في كل قرية بعضو جديد على الأقل في كل لقاء زيادة على الأعضاء السابقين، يتم جذبه بأي شكل، أمر مثل هذا يُبذل في سبيل تحقيقه الكثير خلال أيام الشهر. حيث يلتقى قائد مجموعة القرية مع أتباعة، يتم التشاور بشأن العضو الجديد، كل

منهم يحدد ثلاثة أو أربعة، يتناقشون حولهم، يختارون أفضلهم، بعد دراسة وافية يحددون طريق الدخول إليه.

استغلال تعارف أهالي القرية وكونهم أُسرًا بينهم صلة قرابة أو مصاهرة أو زمالة عمل أو جيرة، تلك الروابط تستغلها الجماعة وتعتمد عليها اعتمادا أساسيا، يضعون جدولًا يوميا للزيارات، زيارة مريض، حضور عزاء، توصيل صدقات، تلك كانت تحركاتهم ومن خلالها يتم النفوذ إلى العضو الجديد، زيارة له أو لأحد أقاربه ليصلوا منه إليه، يتحدثون أمامه عن الشيخ إبراهيم السويفي ودرسه الشهري الذي من الله على المنطقة به، إنهم سوف يستأجرون سيارة لحضور هذا الدرس ومن أراد الله الخير له فقهه في دينه ولا توجد فرصة مثل تلك المتاحة خلال درس الشيخ إبراهيم.

تنفذ تلك الخطة بلا ملل أو كلل بنفس المثابرة والاصرار، يسقط في الشباك صيد أو أكثر شهريا، يتوافدون، يمتلئ مسجد الرحمة عن أخره.

أمام المسجد عدد من أصحاب اللحى الطويلة والجلابيب القصيرة والبشرة اللزجة على أجساد ضخمة وجبهات عريضة في منتصفها علامة السجود مفترشة، الجزء المتبقى من الوجوه بلا شعر، أسمر لامع، واحد فقط منهم أبيض أبرص حمرة بشرته تنتقل إلى لحيته الحمراء، أبصارهم لا تستقر على حال تتفحص الجميع، سيما الأخوات اللائى يدلفن من باب علي جانبه لافتة

صغيرة سوداء مكتوب عليها «مصلى السيدات» يتابع الأبرص بعينين تعلبيتين فتاة في عقدها الثالث يترامى على جسدها إسدال أحمر قان وخطوط عريضة سوداء اللون طولية وعرضية، يتماوج الاسدال مع تعاريج جسدها لثقل نوع القماش الأملس المصنوع منه، عيناها واسعتان لامعتان مع شفاة مكتنزة تقاطر أنوثة ودلال و.. ويجذبه من غياهب جب الرذيلة شاب يطلب منه سواكا.

في هذا المكان يبيعون السواك والمسك وبعض الأعشاب وكتيبات صيغت من خطب الشيخ إبراهيم السويفي وغيره، تتداخل أصواتهم ينادون على بضاعتهم:

- السواك السعودي.. هدايا مسجد الرسول.. قال ﷺ لولا أن اشق على أمتي لأمرتهم بالسواك مع كل صلاة.. تسوك يا مسلم.. فعن السيدة عائشة رضى الله عنها أن النبي ﷺ كان إذا دخل بيته بدأ بالسواك.. سواك الرسول النهارده بسعر رمزي.. بخمســــ..

- قرب يا مسلم.. معايا الأعشاب الطبية، الطب النبوى.. كان الرسول ﷺ يستخدم الأعشاب للتداوى، استخدم الأعشاب للتداوى يا مسلم كما كان يفعل رسولنا الكريم.. حبة البركة.. بردقوش ناعم.. تركيبة مجربة لطرد الجن، عشب المريمية.. معايا كمان تمر المدينة، طعام الرسول يا مسلم.. يهمس لمن يقف إلى جوارة يقلب في البضاعة: معايا تركيبة شديدة، لحسنة صغيرة تطول المدة وتطول العضو.

- مجموعة خطب الشيخ إبراهيم السويفي ومشايخ الاسلام، الحويني، أبو إسلام، يعقوب، فضيلة الشيخ محمد حسان.. خطب عذاب القبر، أبواب السعير، خروج الروح، كيف تصلى، كيف تصوم، طعام الرسول..

- الجلباب الأبيض والسروال، شال مكة المكرمة، أقل الأسعار، روايح الحرم الشريف والمسجد النبوى..

- المسك.. تطيب يا مسلم، أجود أنواع المسك.. فل.. ياسمين.. الزهور البرية.. زعفران.. كان رسول الله ﷺ يتطيب، فتطيب يا مسلم.. معايا مسك.. فل ياسمين...

معظمها وارد الصين وبقيتها لا تمت لمكة أو المدينة أو الرسول ﷺ بأي صلة، كان ارفاقها باسم الرسول ومكان بيعها والروح المسيطرة على المكان يعطيها أبعادا أخرى، نسبة الاقبال على الشراء تتزايد في هذه الأجواء، لا مجال للفصال، نسبة الأرباح المرتفعة التي يضيفونها هي رزق مَن الله عليهم به لحملهم عبء الدعوة إلى الله ورسوله، فهم في ركاب قافلة على رأسها المشايخ الأفاضل يسيرون.

يختتم الشيخ إبراهيم صلاته، يتوجة إلى الكرسى الأبانوس بجانب المحراب، يمد يده يعدل الوسادة القطنية ذات القماش المتسخ قليلًا، يعود بالكرسى قليلًا ليترك حرية لكرشه المتدلى، يرتكز بمرفقيه على حافة ترابيزة عليها ميكرفون وزجاجة مياه معدنية

وكوب فارغ، يلتقط الزجاجة، ينزع عنها غلاف الغطاء، يصب الماء في الكوب، يرفع الكوب إلى فيه ثلاثا، تتبعه الأنظار وشفتاه تبسمل وتحوقل، لحظات وينتهي الجمع من صلاة ركعتي السنة ويصطفون في أنصاف دوائر حول الشيخ تتسع تدريجيا حتى نهاية المسجد، أمام المسجد عدد غير قليل لا مكان لهم في الداخل، بالاضافة إلى الحلقات حول الباعة، السيارات المنتظرة وأنواعها المتباينة تسبب زحاما في المكان يضفي على الخطيب هيبة ورفعة شأن.

يبدأ الشيخ حديثه هادئا، عامل المسجد المرتكن بظهره إلى المنبر يرفع زر الهرمونيزر في ميكسر الصوت، يتردد صوت الشيخ إبراهيم تباعا مجلجلا في الجامع والمنطقة كلها، الكلمات والجمل تتابع أمواجا فلا تترك الذهن يشرد لحظة.

- إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أعمالنا، فمن يهده الله فلا مضل له، أما بعد، أيها الأخوة إني والله أحبكم في الله، فمن منكم يبادلني الحب في الله، من يحبني في الله كما أحبه فليرفع يده..

تتصارع الأيادي في الارتفاع مصحوبة بصيحات متداخلة «نحبك في الله.. والله نحبك يا شيخنا.. الله أكبر ولله الحمد»..

حالة من النشاط الذهني تنتاب الحضور، إنها بداية موفقة إذن للشيخ إبراهيم، في لحظة يهدم الجدار بينه وبين جمهوره، أقسموا جميعا على حبهم له، فما يقوله سينزل منهم منزلة كبرى.

يكمل الشيخ إبراهيم وعلى وجهه ابتسامة كبرى:

- أيها الأحبة في الله، والله ثم والله أختمها بقسم مغلظ بالله عز وجل الذي تهتز لاسمه السموات السبع والأرضيين السبع أنى ما أتيت إليكم مئات الكيلوميترات وكلى شوق إليكم إلا لنتدارس معا أيات المولى عز وجل التي أنزلها على خير الأنام فما أنا بخير من أحد فيكم وكلكم أفضل مني..

هنا تخرج الصيحات التي تبجل الشيخ وتجله وترفع من شأنه، فمن هم بجواره وهو العلامة الفقيه الخطيب المفوه الذي اختصه الله عز وجل بأن ألقى محبته في قلوب الناس، يعلو صوته فيزداد صدي صوته درجات تهز الأركان بعدما هزت القلوب:

- أيها الأحبة استمعنا معا إلى قول المولى عز وجل «الجيم معطشة باستمرار» حينما أخبر نبينا عليه أفضل الصلوات وأسمى التسليمات عن حديث سيدنا موسى، فقد طلب منه سبحانه وتعالى أن: اذهب يا موسى. عليه وعلى نبينا الصلوات والتسليمات، أن اذهب إلى فرعون، وفرعون أيها الأحبة هو لقب يطلق على حاكم البلاد، كما نقول الرئيس أو السلطان أو الملك، ولا ملك غير الحي القيوم سبحانه وتعالى.

يلقى الجملة الأخيرة بصوت جهوري يطيل فيه بقدر الامكان فترتج جنبات المسجد بالتسبيح، ثم يكمل قائلاً:



- السؤال أيها الأحبة: لماذا أمر الله عز وجل نبيه موسى أن يذهب إلى فرعون، إلى حاكم البلاد؟ أمره بالذهاب بعد أن تجبر الفرعون في البلاد وزاد طغيانه، وهي رسالة من الله سبحانه إلى خلقه بأن على الناس أن يطلبوا من الحاكم الاعتدال والعودة إلى طريق الهداية وترك الطغيان، فإذا رفض الفرعون أو الحاكم وكذب بآيات ربنا، فإن الله سيأخذه أخذ عزيز مقتدر ليكون عبرة لمن يخشى، وهذا وعد الله الذي وعدنا إياه، ولا يذهب فكر أحدكم بأن الحاكم يمتلك القوة والسلطان ونحن ضعفاء، فنبى الله موسى ذهب إلى الفرعون هو وأخوه ولم يكن معهم قوة أو جاه أو سلطان ولكن كان معهم الله..

قالها بشدة تصل إلى الصراخ وأطال فيها أيضًا، التهبت المشاعر وحُبست الأنفاس، ما أن ينهي الشيخ عبارته الأخيرة حتى تعالت صيحات التوحيد:

- لا إله إلا الله..

خرجت العبارات بانفعال معبرة عن حالة من السخط والكره للنظام الحاكم.

بسرعة يستغل الشيخ إبراهيم تلك الحالة التي وصل إليها الجمع ويكمل:

- إن نبي الله موسى فعل ما فعله ومعه الله عز وجل، ومعنا الله سبحانه أيها الأخوة الكرام، ووالله ثم والله ثم والله لن يضيع أبدًا من كان في معية الله عز وجل.

يستمر الشيخ إبراهيم في خطبته حتى يتم رفع أذان العشاء ويكمل في الدقائق الأخيرة بث المعلومات التي يهدف إلى توصيلها للجماهير، حالة من السخط العام على النظام القائم وتهوين من قدره وتقليل من شأنه، حالة امتهان وصلت إلى السخرية من الآلة المملوكة للدولة وهي الشرطة وذلك عندما أراد أن يظلل اللقاء بروح الدعابة فقال:

- وأنا في طريقي إليكم شاهدت سيارتان الأولى عليها لوحات معدنية مكتوب عليها «حكومة» والثانية «شرطة»..

قالهما الشيخ إبراهيم بالضبط: ح كَومه.. من التكويم وهي كناية عن الضرب وافقاد الأخر قوته وجعله مثل كومة، والثانية قالها: شرطه.. بفتح حرف الشين مع تشديد حرف الراء، فأصبحت كلمة مأخوذة من التشريط ومعروف أن التشريط قرين التشريح والتقطيع.

فأصبحت كلمة «حكومة» و«شرطة» لهما دلائل أخرى لدي القوم، دالة على بطش وجبروت النظام الحاكم وحكومته وشرطته.

يضحك الحضور من ملاحظات الشيخ وقفشاته، بينما يستمر هو في زراعة كل ما يريد من أفكار، وفي جملة رشيقة يلقيها سريعا:

- لابد أن تؤمنوا جميعا بأن نصر الله آت لا محال، وعن قريب يسقط النظام الجائر الباطش، وسينصرنا الله عز وجل وينتقم من كل ظالـم كما انتقـم من فرعون وجنوده، وقتهـا أيها الأحبة يحكم في أرض الله رجال يصطفيهم المولى عز وجل وإني ورب الكعبه أراكـم هؤلاء الرجـال الذين يصطفيهـم المولـى للحكم في أرضه. قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله.

بعد صلاة العشـاء تخرج الجمـوع وكلها أمل وترقب، تغمرهم سعادة وأمـل جديد، يتذكرون نوادر وقفشـات الشـيخ.. تحملهم السيارات، إلى قراهم يعودون.

داخل المسجد يقف الشيخ وحوله دائرة، عشرون رجلا تقريبًا، ينعمون بالتجاور والمصافحة، أحاديث لا معنى لها، أحدهم صاحب مجموعة مصانع إعادة تصنيع الخردة، يصافح الشيخ ويطلب منه أن يشرفه بزيارة مصانعه كي تحل البركة، يعده الشيخ بأن يفعل ذلك الشهر القادم لانشغاله اليوم، يقترب آخر صاحب مجموعة مزارع النور للدواجن ومصانع الأمل لأعلاف الدواجن الشهيره، يهمس في أذن الشيخ بكلمات، يوارى الرجل ابتسامة حاولت احتلال وجهه، يجيبه بصوت مرتفع ليسمعه الجميع:

- إن شاء المولى نزور المزارع الشهر القادم أيضًا، آجى بدرى ونزوركم قبل الدرس.

كان لهذه الزيارات أهمية خاصة يعود منها محملا بالكثير من أموال الزكاة والصدقات ليتصرف فيها في أماكنها الصحيحة، فهو أعلم منهم بها، وفي المقابل يتباركون بوجوده عندهم فيرتفع شأنهم بين أقرانهم.

يدنو شاب طويل ممشوق القوام، بجلبابه الأبيض القصير، حليق شعر الرأس، تتدلى لحيته لتداري رقبته، يخترق الحلقة حول الشيخ، بصوت خفيض يتحدث وعينه ترتفع إلى أعلى، نحو طابق السيدات المعزول عن صحن المسجد بشبكة خشبية بنية اللون:

- فيه أخوات عاوزين يسألوك في مسائل شرعية يا شيخنا..

- كدا هاتأخر..

- شوفهم يا شيخنا ربنا يكرمك، خمس دقايق كفاية..

نطق بها صاحب مزارع الدواجن، يتحرك الشيخ موافقا بإيماءه ولا يزال يبادل الحضور تلك الجمل الجوفاء التي تظللها ابتسامات خرقاء، كل منهم يود الحصول على أي كلمات ليتحدث بها بين من يجالسهم ويبدأ عباراته بقوله: كنت مع الشيخ إبراهيم السويفي وقالي... ثم يكمل بما يريد.. وضع اسم الشيخ في الحوار هو صك مرور للمصداقية.

يخرج الجمع أمام المسجد، الباعة يحزمون بضائعم، يهرولون لمصافحة الشيخ وتقبيل يده، ينحرف الشاب الممشوق القوام يمينا ناحية باب الدخول إلى مصلى السيدات مشيرا إليه بيد ترتفع

بلا إرادة، يسير الشيخ في اتجاه الباب، يقف الشاب حتى يدلف شيخه، ثم يتبعه في سكون.

خمس سيدات، يتبادلن أحاديث محورها درس اليوم وقدرة الشيخ الفائقة وعلمه الذي لا يقارن، وقبوله، تتحدث سحر عبدالكريم، الفتاة المرتدية الإسدال الأحمر القانى بخطوطه العريضة طوليا وعرضيا، صاحبة العيون الواسعة السوداء اللامعة والشفاة المكتنزة، تقول:

- القبول منحه من ربنا، مش بتشوفوا حد ما ترتاحوش له؟

- كتير..

يضحكن على تعليق إحداهن، يتمايلن على إثر اهتزاز أجسادهن اللدنه، تكمل سحر:

- أهو الكتير دا محروم من نعمة القبول الربانى اللي عند الناس المبروكة زي الشيخ إبراهيم.

يأتيهن صوت الشيخ إبراهيم الذي يظهر من باب الدخول وخلفه الشاب الضخم البنية صاغرًا مطيعًا، فيكتسب الشيخ من خنوعه قوة وهو يقول:

- لا مبروك ولا حاجة يا أختى.. السلام عليكم الأول..

- وعليك السلام ورحمة الله وبركاته..

رد السلام خرج من خمس أفواه، تداخلت كلماتها، تاهت تفاصيلها، خلقت همهمات لم يسمع منها الشيخ غير صوت الفتاة التي تحدثت بالجملة الأخيرة قبل دخولة، نبرة صوتها فيها غنج يعلمه الشيخ إبراهيم جيدًا.

انقطع الخيط الذي كان يضم السيدات الخمس كي يترك للشيخ مكان صدارة العقد، يأتي تابعه بمقعد بلاستيكي كان موضوعا في جانب للعاجزات عن السجود، يجلس الشيخ، يتربعن حوله على أرض المسجد وقد غرقن في ثيابهن، يفحصهن جيدًا، ينسحب تابعه إلى الخارج ليترك للسيدات الحرية في سؤال الشيخ.

تبدأ سيده في الأربيعنات تعلو وجهها فجأة علامات أسى:

- مرض زوجي يا فضيلة الشيخ بالكبد.. وما عادشي قادر على الشغل ومش قادره على المعيشة والأولاد مصاريفهم كتير.. مش عارفه أعمل أيه..

- لا حول ولا قوة إلا بالله.. إن شاء الله نعمل لكم مرتب شهري وكمان جوزك يتعالج عند حد من معارفنا.

تقف السيده في حركة مباغتة مرتمية على يد الشيخ لتقبلها، يسحب يده سريعا، ثم يرفعها مربتا على كتفها الأيمن مهدئا من روعها، تنهمر دموعها، يستدعى الشيخ تابعه، الذي يأتي مسرعا ناظرا إلى الأرض ويقف في أدب جم، يهمس الشيخ في أذنه فيتحرك طالبا من السيده أن تتبعه.

ينظر الشيخ نحو الأربعة، يحثهم على الحديث، ينظرن إلى بعضهن، تتشجع سيده تخطت العشرين بقليل، ترتدي ثوبًا أسود فضفاضًا «عباية» تتماسك لحظة تستجمع ذاتها، تقول:

- جوزي مش مواظب على الصلا، وأنا مستحرمة حياتى معاه «تسكن لحظة» ساكتة عشان العيال..

- درأ المفسدة خير من جلب المنفعة، لو تم الطلاق هايضيع مستقبل الأولاد ويكون الفساد في الأسرة أكبر، اصبرى ودائمًا فكريه بالصلاة، قولى له إن الأولاد لازم يتعلموا منه لأنه هو القدوة.. واصبرى يا أختى وادعى له بالهداية..

تقف السيدة وقد تغيرت ملامح وجهها وهدأت، زال الشعور بالذنب لمعاشرتها زوجها، الآن تدعو له بالهداية وتعيش حياتها. تنصرف تاركة المكان بسرعة وكأنها في حاجة ملحة لأن تنفذ ما سمعته الآن.

تتحدث الثالثة بهدوء شديد، تخطت الخامسة والثلاثين تقريبًا إن لم تكن قد وصلت الأربعين بالفعل، بقايا جمال يدلل على فتاة جميلة مرت عليها أكثر من عشرين عاما ولا تزال تبكي سنوات مرت دون أن تحظى منها بأحد أعشار ما تمنته في شبابها، أحلام بحياة ثرية انتهت مع زوج يعمل في ورشة، همست بصوت مبحوح:

- جوزي يا شيخنا بيحب ينام معايا كتير، أنا باتعب وأيام كتير بابقى مش عاوزة.. بارفض.. لو سمعت كلامه مش هاقدر..

- حق الطاعة واجب عليكي لزوجك ولو أرادك كل يوم، وإلا فمن حقه الزواج عليكي، ما تزعليش مني، لكن دا شرع ربنا.. وبعدين ما فيش راجل هايقدر على حكاية كل يوم دي.. كام يوم وهو من نفسه هاينظم العملية.. يا ريت تحسسيه إنك عاوزاه.. الرجاله بيحبوا كدا.. حياتكم هاتتغير للأحسن إن شاء المولى عز وجل..

تخرج السيده وهي تحاول تدبر أمرها، كيف تستطيع موافقة زوجها بل وكيف تشعره بأنها ترغبه.. معادلة صعبة جداً خاصة عند سيدة لا ترى في زوجها سوى مصدر للمعيشة فقط.

تمنى الشيخ أن تتحدث صاحبة الصوت الرخيم الفاتن، فتاة الإسدال الأحمر القانى المخطوط بخطوط سوداء طولية وعرضية، لكنها لم تتحدث، تركت المجال للسيدة الأخرى بأن تتحدث.

شرحت السيدة مشكلتها ببساطة:

- أنا أرملة يا شيخنا، أولادي صغيرين، الفلوس اللي سابها المرحوم جوزي في البنك وبنصرف من أرباحها، فيه حد قالي إن دا ربا..

- هي في بنك إسلامي؟

- لأه.. بنك عادي..

- تسحبيها من البنك دا وتودعيها في بنك إسلامى، وهناك الفايده حقك وحق أولادك..

تخرج السيدة سعيدة ببساطة الحل، عاقدة العزم على أن تنفذ ما أمر به الشيخ في الغد.

ينظر الشيخ إلى المتبقية، كتلة من الأنوثة المؤطرة بذلك الثوب الأحمر القانى اللامع المنسدل على جسدها في تمويجات رائعة، من أسفل أذنها اليمنى هربت خصلة شعر أسود فاحم ناعم سميك، بريق عينيها يأسره، تراقص ابتسامات الدهر على وجهها لم يوارى لحظة ارتباك هربت من أعماقها الفولاذية.

خبرة ثمانية وخمسين عامًا عاشها الشيخ إبراهيم على هذه الأرض ارتبكت أمام تلك السهام المشتهية المفترسة المصوبة نحوه، لحظة تناسى صلعته الخفيفة وكرشه النامى رغم محاولاته المستمرة لاخفاءه، تناسى كل شيء وشاهد فورة شبابة الأولى وفتوته بين أقرانه وهم يتبارون في الإيقاع بسيدة سافر زوجها للعمل في العراق ولم يعد بعد زواجه من عراقية صاحبة مسكن دعارة، أوقعها في حباله بعدما أوهمها لأيام أنه عائد من العراق، حكي لها من خيال خصب حكايات عن زوجها وكونه لا يستحقها، قدمته للجيران والأقارب على أنه صديق زوجها.

استفاق على صوت الجالسة أمامه:

- شيخ إبراهيم.. شيخ إبراهيم..

- هه..

- قُلت أيه؟

- في أيه؟

- شكلك مش موافق؟

- مش موافق؟!! على أيه؟ اعذريني.. سرحت لحظة.. يا ريت تقولى تاني.

- أنا اسمى سحر عبدالكريم، مطلقة..

فـي قلبـة تراقصت عبـارة «مين ابـن العبيطة اللـي يطلق واحده زيك» لكنها لم تمهله الكثير، أكملت:

- أنا اللي طلبت الطلاق.. طلع مش أد كدا..

- مش أد كدا إزاي يعني؟

تمنـى أن تجيبه بما يقابل هوى في نفسـه، لكنهـا كانت حازمة، فأجابته بشكل قاطع:

- دا موضوع ما أحبش أتكلم فيه يا شيخنا..

- أمال تحبى أيه؟

- أحبك أنت.. وعاوزة أتجوزك..

- هه..

- أتجوزك إنت يا شيخ إبراهيم.. عارفه إن على ذمتك اتنين.. والشرع بيديك الحق في أربعة..

فبهت الذي يجلس أمامها، لحظة صمت مرت استطاع فيها أن يستعيد رباطة جأشة، زفر بشده نافضا غبار السنين، تماسك، مؤكد إنها منحة ربانية لعبد من عباده الصالحين، اتخذ قراره، سينفذ أمرا أمر به.

تأملته لحظة صمته، للمرة الأولى التي تشاهده وجها لوجه ولا ثالث لهما، لحيته المختلط سوادها ببياضها ووجهه الأبيض المائل إلى الاحمرار، شاهدت فيها فتوة الشباب ووقار الرجال وهيبة العلماء وسبيلا تتقرب من خلاله إلى الله، فالمرء مع من أحب والمرء على دين خليله، زواجها من الشيخ إبراهيم وإن كانت الثالثة وإن كان بينهما عقود زمنية إلا أنه طريقها إلى الجنة، هكذا اعتقدت، وعليه نفذت. إنها الرفقة مع ولي من أولياء الله الصالحين، يأخذ بيدها في الحياة الدنيا والأخرة، المشايخ يتحدثون عن قيمة المرأة وتكريم الاسلام لها، خطبهم تشعر المرأة بأنهم أهل العدل في الأرض ومعهم لن تضام إمرأة.

رفع الشيخ يده ليعدل من وضعية الشال الأبيض المدلى من أعلى رأسه على جانبيه يسحبة بالسبابة والابهام من وسطه في منتصف الرأس صانعا قمة هرم يتناسب مع وجهه الممتلىء، حليق الشارب فتظهر إرتجافة شفته العليا تتمنى من يمتصها بعشق، مدت سحر يدها وضعتها على ظهر يده اليمنى الموضوعة فوق ركبته:

- ها.. قولت أيه؟

كالمسحور الشارد أجابها:

- موافق إن شاء الله.. رتبي موعدًا مع أهلك وأنا..

- لأ.. أنا ثيب.. عصمتي في يدي.. أتزوجك دلوقتي وأروح معك إلى أي مكان.

- توكلنا على الله.

■■■

(4)

مجدي سرور

يهبط الأسانسير من الطابق الخامس في عمارة رقم 118 التي تحتل ناصية شارع محمد كريّم في جاردن سيتى، يتوقف في الطابق الثالث، يُفتح بابه برتابة معلنا عن سنوات من الشقاء، يظهر بداخله مجدي سرور الذي يتأمل ملامحه في مرآة المصعد يعدل من وضع خصلة شعر يسحبها بهدوء إلى الجاب الأيمن.

مجدي سرور رجل في الخمسينيات من عمره، ربعه، أشقر، جبهة عريضة، أنف يقترب من الخروج عن المألوف لولا نظارة ذهبية الشنبر تواريه، يرتدي، كعادته، بذلة كاملة، يميل إلى الألوان الغامقة وخاصة اللون الأزرق بدرجاته مع أقمصة حريرية بيضاء أو سماوية مع كرافت مطعم باللون الأزرق، أحيانًا تكون أرضية الكرافت حمراء حيث سهرات خاصة يظهر فيها مجدي سرور بمظهر آخر تمامًا غير ما يشاهده عليه أقرانه.

يشاهد مجدي في المرآة السيدة آمال عز الدين تدلف بحركة حاولت أن تظهرها وقارا لكن حقيقة الأمر كانت توارى أمراضًا عدة، على رأسها خشونة المفاصل. سيدة تقترب من العام السبعين، تحتفظ بحطام سنوات العمر، في هذا المكان عينان غائرتان غرقتا في بحار من الأدوية على مر السنين لكنهما كانتا في زمن ما ساحرتين تلهبان المشاعر، وفي هذا المكان شفتان ذابا ولم يتبق منهما غير قوسين رقيقين يشيران إلى أن هذا المكان كان فيما مضى محتل من شفتان مكتنزتان السفلى منهما أكبر قليلًا، بقاياهم تحمل بصمات شفاة رجال يفوق عددهم عدد أعضاء حزب «المستقبل المشرق» الذي يرأسه مجدي سرور.

يشاهدها في المرآة فيلتفت مرحبًا بها بابتسامة عريضة، حاول أكثر من مرة أن يضمها لحزبه، كانت ترفض بلباقة تعودت عليها في النصف قرن الأخير من عمرها.

الكثير لا يتذكر آمال عز الدين تلك الفنانة التي ظهرت مع الفنان عبد الحليم حافظ في أحد أفلامة وفي فيليمن آخرين مع الفنان أحمد رمزي والفنان رشدي أباظة. قبل هذه المجموعة من الأفلام ظهرت في عدد لا بأس به ضمن الجموع أو صديقات البطلة، بعد اقترابها من احتلال دور البطولة في الأعمال السينمائية تحولت حياتها وتبدلت الأحوال فجأة، اتصال تليفوني من إحدى الصديقات تدعوها لحفل عيد ميلاد، في الحفل تلاحظ نظرات

جابر فكري الكاتب الصحفي والمقرب بشكل ملحوظ من الرئيس جمال عبد الناصر.

في هذا العام بالتحديد عام 1965 وكانت في الثالثة والعشرين من عمرها، فتاة تجمعت فيها آيات الفن راسمة لوحة تبهر العقول، في طريقها إلى نجومية غير عادية، بدأت الصحف تنشر صورها مع آخر أخبارها، تقرب منها جابر فكري فلم تمانع، ليتها امتنعت، لكننا أحيانًا نصارع ونقاتل من أجل أمر يكون فيه هلاكنا..

جابر فكري صحفي مرموق ذائع الصيت قريب من صناع القرار في مصر، مؤكد سيمنحها الكثير، يتيح لها مساحات في الصفحات الفنية، علاقاته مع مؤسسات الانتاج الفني ذائعة الصيت.

قد تكون الطائرة التي تسارع وتبذل المستحيل كي لا تفوتك، هي الوسيلة التي تحملك إلى نهايتك. جابر فكري كان بمثابة الطائرة التي أقلت أمال عز الدين. زواج.. متعة.. شهور تتوارى خلالها تلك الزهرة.

جابر فكري خلف الأبواب غير جابر فكري خارجها، لم يكن أبدًا ذلك الرجل صاحب الأفكار التنويرية المتحررة التي يزين بها مقالاته، متسلطا كان، غيورًا لأقصى درجة، يحاسبها على نظرات الاعجاب في عين شاب يمر بجوار سيارتهما في إشارة المرور، تحول العش الذهبى المنتظر إلى سجن يحرسه سجان عنيف الملامح، حاولت الهروب من سجنه، طلبت الطلاق، فشلت،

كان أقوى منها بمعارفه واتصالاته، استكانت كي تدبر أمرها. تمر الشهور لتصنع سنوات والحال لم يتغير، كان أكثر ما يؤرقها ويزيد من استكانتها في نفس الوقت إعراض المنتجين والمخرجين عنها، في البداية كانت تعتقد أنهم تركوها لتمضي شهر العسل، مرت مدة ولم يتصل أحد، بدافع النجومية رفضت أن تبدأ هي الاتصال بهم، لكن عندما زادت المدة عن المعقول أجرت هي عدة اتصالات، تلقت إجابة واحدة المضمون، مختلفة الشكل:

– ربنا يسهل يا فنانة، إحنا في الانتظار، السوق واقف والحالة صعبة.

في البداية تلقت مثل هذه الردود بهدوء، لكن كم الانتاج والأفلام التي تُعرض يؤكدان أن ما تسمعه يناقض الحقيقة، الأكثر مرارة في الأمر ظهور نجمات شابات تعرف بعضهن، ظهرن سريعا وعلمت عن طريق الصحف الصفراء أو صديقات النميمة أنهن يقدمن أجسادهن ثمنا.

سنوات عجاف تمر على آمال عز الدين تفقد فيها البريق واللمعان، تكاد تنزوي، حتى يأتي ذلك اليوم الذي لم تنسه ولن تنساه مابقى لها من عمرها وهو قليل، في ذلك اليوم، عن طريق الصدفة، تسمع زوجها جابر فكري يجيب على التليفون بعبارة مقتضبة:

– الفنانة اعتزلت خلاص.. يا ريت ما تتصلشي هنا تاني.. آه.. لو سمحت بلغ كل معارفك بكدا.. أنا مين؟.. أنا جوزها جابر فكري..

مجرد ذكر اسم زوجها مع خبر كهذا يجعله كامل المصداقية ولا يحتمل الشك، تنهار آمال عز الدين وتصرخ طالبة الطلاق وإلا ستقتل نفسها، رغبة في الإذلال والانتقام، الذي لا نعرف سببه في تكوين شخصية جابر فكري، لا يحقق رغبتها إلا بعد عدة شهور لازمت فيها الفراش وامتنعت تقريبًا عن الطعام، اقتربت فيها من النهاية، جفت وذوت، برزت عظام وجهها، جسدها الطرى اللدن أصبح جلدًا فوق عظم تنفر عروقه الزرقاء في كل مكان، هنا فقط تأكد لجابر فكري أنه لن يجنى منها بعد اليوم غير الشقاء، بعد اتصال سريع تم نقل المريضة إلى قسم الأعصاب بمستشفي قصر العينى. فقط يريد جابر فكري مثل هذا الخبر كي يتخذه سببا في طلاقها، لم يودعها مشفي الأمراض النفسية حفاظا على كرامته. مرض الأعصاب أشيك مجتمعيا من المرض النفسى. في أكثر من مكان تحدث جابر فكري عن أن أعصاب آمال تعبت بعد إعراض المخرجين عنها، كان يجب عليها أن تفهم من البداية أن سوق الفن مثل أي سوق تأتي فيه البضاعة الجديدة لتطغى على البضاعة القديمة.

شهور قليلة تسترد فيها آمال صحتها، تعود إليها تلك النضارة وإن كانت منكسرة بعض الشيء مع اختفاء ملحوظ لذلك اللمعان الذي كان فيما سبق يميز عيناها. تبذل جهودًا مضنية كي تعود إلى الوسط الفنى. لم تستطع تكذيب خبر اعتزالها كي لا تدع أحدا يتساءل عن الأسباب الحقيقية، إنها أسباب قهر وإذلال تقلل من شأنها لا ترفعه.

بالكاد عادت في عدة أدوار لفتاة ليل رخيصة، سكيرة في ملهى، عشيقة لعوب، قطعة حلوى يعلوها الذباب، جيفة تحوطها الضباع، وغيرها من الأدوار التي لا تقبلها النجمات بسهولة فهي أدوار قليلة المشاهد، قليلة الأجر، تترك انطباعا سيئا لدي الجماهير.

هناك من يسعد بلقب أنه زوج الفنانة أو النجمة أو المذيعة.. عدد غير قليل مجنون بمثل ذلك اللقب، طبيب شاب يتقرب منها، ثرى عاشق لجسدها ومركزها الفنى، تجد أخيرًا الاستقرار، أيام وتسافر مع زوجها الطبيب إلى لندن، تمارس حياتها بشكل طبيعي. بعد سنوات طويلة يعودان إلى القاهرة، يستقران في هذه الشقة في جاردن سيتى يتركها راحلا عن الحياة بلا ولد أو سند، رصيد في البنك تعيش من ريعه، حركتها في الحياة بسيطة كسلحفاء.

بعد سنوات يعيدها صحفي إلى الساحة الفنية من خلال حوار في الصفحة الفنية في جريدة الأخبار، رفضت قبول أي دور فنى، لم تعد تمتلك القدرة على التنافس، مؤكد ستسقط، عودتها اقتصرت على بعض اللقاءات التليفزيونية والإذاعية تتحدث عن أحد الفنانين في ذكراهم وعن الحركة الفنية بوجه عام في تلك الفترة التي تألقت فيها، تتذكر تلك الأيام بسعادة، تضيف على حديثها نوعا من القوة والأهمية، بعض التفاصيل الصغيرة والمواقف الطريفة تلقى بظلالها على اللقاء.

تلك العودة للساحة هي التي جعلت مجدي سرور يسعى لضمها إلى الحزب، وتلك العودة أيضا هي التي ستجعل مما تعرضت له في المستقبل، من أحداث مؤسفة، قضية تثير الرأي العام.

يرحب مجدي سرور بالسيدة أمال عز الدين بابتسامته العريضة التي لا تفارقه يبدو أنها طُبعت على وجهه، تبتسم له أمال ومدت يدها إلى زر الغلق فلم يعد الأسانسير يغلق بابه أتوماتيكيا، تسبقها يد مجدي من باب الإتيكيت، ضاغطا على الزر قائلا بعد عبارات الترحيب:

- فيه تغييرات كتير هاتحصل في البلد في الفترة الجاية..

- مصر لها طبيعتها يا أستاذ مجدي ومش من السهل تتغير..

- الشواهد كلها بتقول التغيير قادم..

- ربنا يقدم الخير..

- مش ناوية تنضمى للحزب.. مش هاخد من وقتك غير ساعة زمن توقعى الاستمارة وتحضرى مؤتمر واحد وخلاص.

غمرته بنظرتها، شعر لحظتها بتضاءل رهيب، كأن عصى سحرية من أفلام هارى بوتر الخيالية لمسته فذهب عبر دهليز طويل، تذكر قصة عقلة الاصبع التي كانت تدرس على التلامذة في رابعه ابتدائى، لم تتركه كثيرًا ليتوه في زحام أفكاره، تقول في هدوء:

- الحزب الوطني حاول معايا كتير وفشل يا أستاذ مجدي، أنا عاوزة أعيش الأيام الباقية في هدوء.

حاول أن يتحدث لكنها رفعت يدها لتنهي الحوار وأنزلتها في رفق نحو زر الفتح، فقد وصل الأسانسير إلى الأرضى في تلك اللحظة، انتظرها حتى خرجت وتبعها لحظة ود فيها لو يحدثها عن أن حزبه بالفعل له مستقبل مشرق وكثير يتمنى الانضمام إليه، لكن

توقفها لحظة وإشارتها إلى شندي البواب تستدعيه جعلته يلغى فكرة استكمال الحوار، ينصرف مترددا، يقابل الشارع بابتسامة عريضة.

مقر الحزب على مسافة قريبة، في أحيان كثيرة يذهب إليه مترجلًا، نوع من الرياضة كما يقول لزوجته هناء التوني الصحفية الشهيرة، الحقيقة أن مجدي سرور كان يسعد بتلك الاشارات والغمزات من بعض الناس نحوه، تسعده أيما سعادة تلك العبارة «مجدي سرور هناك أهوه» وغيرها من عبارات تؤكد نجوميته، لم تقدم له مهنة المحاماة التي ورثها عن أبيه أي شهرة قدر ما أعطته السياسة، بمجرد أن أعلن تكوين الحزب وأصبح هو رئيسه توالت اللقاءات التليفزيونية والحوارات الصحفية التي ساهمت فيها زوجته هناء التوني بقدر عظيم. ظهور القنوات الفضائية الخاصة بشكل غير عادي في السنوات الأخيرة ساهم في صنع مجدي سرور وأمثاله. قنوات مطلوب لها أن تجد مادة تعيش عليها 24 ساعة في اليوم، قنوات في حاجة مستمرة إلى خلق حالة من اللغط والخلاف والسب والإهانة وأي بهارات أو تحابيش من اجل جذب الجماهير وبالتالي جذب الاعلانات. خبر يكاد لا يتعدي السطر الواحد في أي صحيفة قد يُقام حوله حلقات توك شو. علم الافتراض ونظريات المؤامرة وجهابزة التحليل الدراماكوميدي يخلقون من مثل هذا الخبر الصغير قضية تكون قضية الساعة وفي هذه اللحظة هم في حاجة إلى من يدلي بدلوه من رجال فكر ودين وسياسة وفن واقتصاد ورياضة إن لزم الأمر، كل الضيوف على هذه

القنوات يتلقـون لحظـة خروجهم من القنـاة مظروفـا مغلقا تحدده القنـاة وفقـا لقيمـة الضيـف، ظهـرت تسـعيرات في سـوق ضيوف الفضائيات. المتأمل والمتابع لبعض الضيوف سيلاحظ ظهور نعمة القنوات على وجوههم، والمتابع أكثر سيجد أن بعضهم أصبح له رصيـد في البنك أو شـارك في مشـروع، يضاف إلـى كل ذلك أنهم دخلوا بسهولة ويسر إلى تلك اللستة المسماة بالنخبة.

شيء آخـر جعل مـن نجوميـة مجدي سـرور تفـوق أقرانه من ضيوف الفضائيات وجعلت تسعيرته تحتل القمة، نزوله انتخابات الرئاسـة، الشـعب بأكمله كان يعلم أن انتخابات الرئاسة ما هي إلا تمثيليـة ويقوم على إخراجها جهبذ سياسـي قديـر، والكل يعلم أن المرشحين أمام الرئيس ما هم إلا هياكل ورقية تم صناعتها لتمثيل هذا الدور وفقط.

مجدي سـرور الوحيد الذي تخطى فكره حـد المنطق في تلك اللحظـة وحلم ذات يوم أن الشـعب قد يختاره رئيسـا، حلم بذلك ولم ينطق به لأحد، ما لـم يدركه وقتها أن هناك شخصيات تستطيع قراءة الأحلام، فما أن انتهت تلك الحلقة المعروفة النهاية إلا وتم القبض على مجدي سـرور بسبب قضية مثل آلاف القضايا التي لم تعد تلفت حتى الأنظار لشيوعها، يدخل على إثرها السجن.

غبـاء البعض منحة للبعض الأخر، سـجن مجدي سـرور خلق منـه بطلا، أصبح محورا لحلقات التوك شـو، أضفـوا عليه أخلاق وصفات وبطولات، زوجته هناء التونى أخذت مكانه كضيفه تروى

صفاته العظيمة. ولصناعة حلقات أكثر سخونة ومن خلال خبرتها الصحفيـة أضافـت الكثير من البهارات للطبخـة، فتؤكد أنها تلقت اتصالات من مجهوليـن يطلبون منها عدم الظهور في الفضائيات، إن تحدثت عن أسرار زوجها لن يخرج من السجن أبدًا، تهديدات مـن بلطجية برش ماء النار على وجههـا الجميل، أمور تخلق حالة من الحراك في الشـارع حول شـخصية مجدي سرور الذي تحول إلـى المخلـص الحقيقـى الـذي استطاع أن يتحدي ذلـك النظام الديكتاتـورى الحديدي، خرج من السـجن محمولا على الأعناق في مظاهرة جابت شوارع القاهرة.

المتعمـق والمتأمـل يجـد أن عبقريـة مجدي سـرور كانت في كسـره للهيكل الورقى الذي صُنف فيه، لم يعد مرشحا لاستكمال الصورة وإنما مرشـح سـعى بين النـاس ليكتسـب أصواتًا وشـعبية حقيقـة رغم معرفته المسـبقة باسـتحالة نجاحه، تلـك هي الجزئية الوحيدة التي حولت مجرى سير حياته، لم يكن يمتلك غير الجرأة والطموح ومعرفة بالقانون تحميـه عند اللزوم، يفتقد الفكر اللازم لمثل ذلك المنصب أو حتى منصب رئيس حزب.

ينحرف مجدي يسـارًا، يدلف لمدخل العمـارة التي يحتل مقر حزب المستقبل المشـرق طابقهـا الثاني، هناك كانـت في انتظاره زوجتـه هناء التونى وقد تغيرت ملامحها وتعلوها علامات غضب شـديدة، وقف مشـدوها، لِمَ تركـت الجريدة؟ ولم أتـت على مقر الحزب؟ ولماذا لم تحادثه على الموبايل؟





(5)

توفيق عبدالستار

ينطلـق توفيق عبد السـتار خارجًا من مقهي نجمـة التحرير وقد قابلتـه نسـمة هـواء بارده جعلتـه يضم جانبى سـترته بإحـدي يديه ويرفع ياقتها بيده الثانية.

يصدمه رجل فـي كتفه.. يتوقف توفيق، يتابعه لحظة، لم يتلتف الرجل ولم يُظهر أي رد فعل يتحرك كأنه يسـير تحت تأثير مخدر، يكمل توفيق انطلاقه في أحد الشوارع المؤدية إلى باب اللوق، فقد اتصلـت به إيمان سـمير، أخبرته أنهـا في طريقها إلـى مقهي زهرة البستان في الركن الذي يجمعهم سويا منذ عدة أشهر.

كان اتصال إيمان مفاجئًا لتوفيق الذي تركها منذ سـاعتين تقريبًا على موعـد اللقاء في الغد في نـدوة نقابة الصحفييـن حول الدور المهنى للصحفي في ظل سيطرة الأنظمة الديكتاتورية.

اتصلت به هامسة وطلبت مقابلته بسرعة، سألها عن التفاصيل أجابته بأنه سيعرف كل شيء عندما يصل إلى زهرة البستان.

السيارات تزحف ببطء كجسد واحد يغطي أرض الشارع، على جانبيه حيث الأرصفة وجزء من الطريق تتداخل الأجساد البشرية في الاتجاهين، يعترضهم باستمرار الباعة يفترشون مساحات متتابعة يعرضون فيها مختلف البضائع من ملابس، أدوات كهربائية، أطعمة مجمدة، أحذية، قطع غيار واكسسوارات سيارات، مستلزمات كمبيوترات وهواتف محمولة، ماكينات حلاقة وغير ذلك الكثير وكلها وارد الصين، هناك أيضًا خطوط تليفون عليها هدايا ودقائق مجانية وهمية. تلك الصورة التي تتكرر في مختلف الشوارع والميادين في مدينة القاهرة، يسيطر عليها رجال لا يظهرون أبدًا، يبيعون حقوق استغلال الأرصفة وحارات من الطرق وأجزاء من الميادين.

وجود أماكن عامة للباعة وفرض قيود على استخدام الشوارع أحد سمات الدول التي تحترم المواطن، الزحام والعرقلة ونشر الصعاب في مختلف الأماكن إحدى طرق الدول الضعيفة، فلا يكاد المواطن ينجو منها ليل نهار كيلا يبحث عن حقوقه، مثل هذه الأفكار تتعارك داخل رأس توفيق الذي كاد أن يتلاشى بين الجموع.

في حالة من الذوبان تنطلق هذه الأجساد، كل منها يسير بشكل لا إرادي متفاديا التصادم قدر المستطاع، رغم مشاهدتهم لكل

تفاصيل المكان إلا أن أكثرهم كان غارقا في أفكاره باحثا عن حلول لمشاكله التي تثقل كاهله. ففي شوارعنا المزدحمة أناس تعودوا على السير والتوقف والانطلاق ذهابا وإيابا والنظر في أكثر من اتجاه والشرود واليقظة والدهشة والابتسام والغضب والحسرة في آن واحد...

يدرك توفيق مثل هذه الحالة من الغرق والتوهان في تلك الدوامة التي يعيشون فيها ليل نهار بحثا عن أي نوع من الاستقرار، فدائمًا ما تلهب سياط المعيشة ظهورهم وترهقهم بمتطلباتها التي لا نهاية لها، يغلب على كل هذه الجموع ملامح واحدة ومستوى معيشي واحد، تحولت الغالبية العظمى إلى طبقة واحدة لها رأس وذيل. أما الطبقة الثانية في المجتمع فهي الطبقة التي سيطرت على السلطة بشقيها السياسي ورأس المال، كثيرًا ما كان يشبه هذه الطبقة بأفعى برأسين، الأفعى ذات الرأسين شاهد رسومها في بعض اللوحات الفنية الخيالية.

اقترب من مقهى زهرة البستان ومن بعيد لمح إيمان تجلس في المواجهه وعينيها على الطريق المؤدي إلى المقهي وما أن التقت الأعين حتى رفعت يدها مشيرة إليه فرفع يده هو الآخر في علامه داله على أنها شاهدها..

لم يكن توفيق يعرف أحدا من الثلاثة الذين يجلسون مع إيمان سمير، بدأت إيمان عملية التعارف بصوت تعتريه بحة الاضطراب:

– توفيق عبد الستار.. كلمتكم عنه..

ثم تشير إليهم بالترتيب من اليسار إلى اليمين:

– الأستاذ هاني فؤاد.. مدرس لغة انجليزية.. لا يعمل.. الأنسة لمياء سعيد بكالوريوس علوم..

تضحك لمياء وهي تكمل بدلا من إيمان وتقول:

– طبيعة نووية.. ولا تعمل أيضًا..

يضحكون بخفة ورشاقة بينما يعقب الثالث:

– أما أنا فاسمي أحمد عبد الهادي حاصل على بكالوريوس خدمة اجتماعية وبالكاد قدرت ألاقي عقد في التربية والتعليم كإخصائي مكتبة.. مع إن المدرسة لا يوجد بها مكتبة.

جلسوا جميعًا يتبادلون كلمات رقيقة وعبارات ترحاب تستخدم في مثل هذه اللحظات الأولى من التعارف إلى أن علت وجه إيمان علامات الجدية، انحنت على الترابيزة وكأن هذه الانحناءة إشارة بدء الاجتماع، زحفت علامات الجدية من إيمان لتعتلي وجوههم، اقتربوا بصدورهم حتى حافة الترابيزة ورؤوسهم تكاد تتصادم، لاحظ توفيق لمياء وهي تحاول الاقتراب فيصد حرف الترابيزة نهديها فمدت يدها ورفعتهم قليلًا فاستقرا فوقها حافتها، لم تبالي لمياء بنظرة توفيق إنما ابتسمت له في رقه وعلقت بابتسامه شاهد فيها عذوبة لا تنتهي:

– كدا أفضل؟



فأجابها بابتســامة وهو يتفحص ذلك النهير الأبيض الذي يرمى أحد شاطئيه بظلاله المثيرة، ثم يقول:

- بالطبع أفضل..

توجهت إليهم أعين الثلاثة مستفسرة، لكن لمياء قطعت عليهم تساؤلاتهم بإيماءة بسيطة وهي تشير إلى إيمان:

- كملي يا إيمان..

نظـرت إيمان يسـارا ثم يمينا فشـاهدت العامـل ينظر نحوهم.. فاعتدلت ثم أشارت إليه فاقترب مسرعا وطلبت منه خمس أكواب شاي فتله سكر بره مع زجاجة مياه معدنيه حجم كبير.

انطلـق العامل يعـد المطلوب. تأكـدت إيمـان أن الوضع متاح الآن، تحدثـت بصـوت لا يسـمعه إلا هـم عـن أن هنـاك دعـوات مستمرة على صفحات الفيس بوك للخروج يوم عيد الشرطة القادم لتوصيل رسـالة إليهم في عيدهم في 25 يناير، هذه الرسالة مؤداها بأن ما تفعله الشـرطة مع الشـعب يخرج عن رسـالتها الحقيقية، أو بالأدق عكـس هذه الرسـالة تمامًا.. وظيفة الشـرطة فـي كل دول العالم هي حماية الشعب، أما هنا فهي المتسلطة على هذا الشعب، أصبح المواطن لا يخشى اللصوص أو قطاع الطرق قدر ما يخشى أن يستوقفه رجل الشرطه.

يمط توفيق شفتيه بازدراء وهو يقول:



- ما فيش واحد في وزارة الداخلية التحق بها لتحقيق الدور المطلوب منه في الحماية وتحقيق الأمن إنما دخلوها لاستخدامها كسلطة لتحقيق مآرب شخصية والحصول على مركز مرموق يستغلوه في فرض سطوتهم وجبروتهم خصوصا على البسطاء.

تتنهد لمياء سعيد وتزفر بشدة وترتد إلى الخلف ثم تقترب منهم مرة أخرى وهي ترفع خصلات شعرها الأسود الفاحم إلى الخلف ومع حركة يديها اليمنى في الهواء تقول:

- كل ما افتكر المشهد اللي بيأمر فيه واحد من الشرطة البنت ويطلب منها تخلع هدومها، يضربها بمنتهي القسوة وزميله بيصور بكاميرا الموبايل وهو بيضحك بمنتهي السخرية.. والبنت يا عيني بتبكي وتئن من الألم ومن الفضيحة وهو مصمم على إنها تخلع ملابسها أدامهم وأدام الكاميرا.. كل ما أفتكر المشهد دا، دمي بيفور في عروقي وراسي بتسخن.. حتى لو كانت البنت دي فتاة ليل ومومس فأنا شايفه إن دا إذلال وقهر..

تظهر علامات الاستياء على وجه أحمد عبد الهادي ويتحدث:

- فتاة ليل أو فتاة محترمة.. دا ما يهمش الشرطي اللي بيضربها ويطلب منها تخلع ملابسها قطعة قطعة أدام الكاميرا.. كان هايعمل كدا مع أي واحده تقع أدامه، الأمر يتوقف على نظرته هو لها.. هل شاف فيها الأنثى وتمنى الممارسة معها أم..

يتوقف عن الكلام، فما يريد أن يقوله يعلمونه جيدًا. تتحدث إيمان مرة أخرى وقد شبكت بين أصابع يديها:

- تعرفوا إن أكتر من تسعين في الميه من ضبطيات الشرطة من مخدرات وسلاح ومسروقات بتروح لأفراد الشرطة، بيتقاسموها!!

تلتقط إيمان طرف الحديث وتقول:

- الكثير من انتهاكات الشرطة اتسربت عن طريق ناس منهم.. اتسربت من قبيل الاستهتار والسخرية، مش من قبيل الرفض والاستنكار.. لكن أنا جمعتكم النهارده عشان حاجة تانية، معلومات لازم تعرفوها..

يتساءل توفيق في دهشة:

- معلومات أيه وأنا لسه سايبك يا إيمان؟

هدأت إيمان لحظة واستجمعت قواها، يبدو أنها كانت تغلق صندوقها على سر كبير، كيف لا وهي كانت على علاقة بهم جميعا وكل فرد فيهم يعتقد أنه الصديق الأوحد لها ولا يعلم أن لها صديق آخر غيره.. لم تتحدث إلى أحدهم يوما بعلاقتها بالآخرين، اليوم فقط تجمعهم كي تُلقي إليهم بهذا السر الذي احتفظت به فترة من الزمن.. قالت في هدوء وسكينة:

- أنتم الأربعة أعز أصدقائي ولأول مرة تتقابلوا.. ولأول مرة يعرف أي واحد منكم إن ليّا صديق عزيز على نفسي غيره.. ودا

كان بناء على توصية مباشرة من رئيس المنظمة اللي أنا بانتمي ليها..

صمتت لحظة تابعت فيها ردود الأفعال، تعتلي وجوههم دهشة، أي منظمة تنتمي إليها إيمان سمير؟!

إنهم أصدقاء يجمعهم حنقهم ورفضهم للأوضاع. أصدقاء يتقابلون في مقاهي القاهرة حتى اقتراب الفجر يتسامرون، لا حديث لهم غير أمنيات بمستقبل مشرق للبلاد وتحسين أوضاع الطبقات العاملة والمعدومين، حالة من خلق الدور للنفس والشعور بأن هناك رسالة يجب تحقيقها بعدما تجاهلهم المجتمع وتعامل معهم بطريقة أوحت إليهم بأنهم نكره لا فائدة ترجى منهم وأنهم جيل صامت لا يتحدث كثيرًا لضحالة فكره وغرقه بالساعات أمام أجهزة الكمبيوتر في عمليات تكنولوجية جديدة على الأجيال السابقة.

الحقيقة أنك تراهم يتحدثون بعبقرية عن البناء والمستقبل، عما يجب أن يتم عمله في هذا الشأن أو غيره، تنظير مستمر. إنها تلك الحالة التي يمكن أن نطلق عليها زعامة وهمية، فما أن يتم وضع صاحب مثل هذا الحديث العذب في أحد المناصب إلا وتراه غارقا في آبار ملأى بالمشاكل لا تنتهي، لا يقوى مطلقا على تحقيق أي من آماله على أرض الواقع.



التجاهل ،عدم إتاحة فرص العمل، تحطيم آمال ملايين الشباب في الحصول على دور في المجتمع، خلق صورة جماعية سادت ألوانها القاتمة، حتى من استطاع منهم الحصول على فرصة عمل، يجد نفسه غريبا بين أناس يأمرون لا يتشاورون، أناس يحققون أطماعًا وطموحات خاصة وهم الجهلة، هكذا يراهم الشباب، ذلك الجيل الذي خُلق على الحوار والمناقشة والجدال في شتى المجالات، صُدم بأنه يجب عليه أن يتحول إلى ترس بلا هويه في آلة لا يظهر فيها غير الكبار، فانعزل وتقوقع، حتى عن أقرب الناس إليه، والديه.

تطفو قضية الفجوة بين الأجيال على السطح، علكها رجال الإعلام أياما ثم توارت، أدار دفتها وحمل رايتها الكبار ذاتهم صبوا جام غضبهم على الشباب واتهموهم بالسلبية والسطحية، فزادت الفجوة وتعمقت الكراهية وإن لم يُعلن عنها الشباب في اللقاءات التي تجمع بينهم ويتخللها أحيانًا أحاديث حب وهوى وعشق. فلم يكن حديثهم يخلو يوما من تفاصيل عن لقاءات اللذة والتقاء الأجساد المأمول أو الوهمي وشرب السجائر المحشوة بالبانجو، وفي المقهي ينفثون دخان الشيشة تفاح فيصنعوا فوق رؤوسهم سحابات من دخان أبيض مع رشفات من زجاجات البيرة الباردة.

كل هذا كان يدور بشكل عفوى بدون ترتيب، يتم هربا من الواقع، شباب أعضاء في طابور طويل للبطالة، حياة مملوءة

بفوضى منظمة. ومن يعمل منهم في أي وظيفة، لا ينال ذلك المقابل المادي الذي يتناسب مع متطلبات حياته، ناهيك عن المعنوي. كثير منهم لا يزال يعتمد على والديه في مواجهة مصروفات المعيشة، لم يتزوج أحدهم زهدا في حياة الاستقرار ظاهرا وعدم قدرة باطنا، على هذه الشاكلة تسير تفاصيل حياتهم.

لم يتخيل أحدهم يوما أنه يتحرك داخل إطار منظم ممنهج وأن هناك جدولا زمنيًا يتحركون به، لذا كان لوقع كلمات إيمان سمير الكثير من التأثير عليهم ففغر بعضهم فاهه وصمت الآخر في انتظارها كي تكمل حديثها.. بعد فترة الصمت هذه حثها توفيق بإشارة من يده لتستمر في الحديث.. استجمعت إيمان قوتها في شجاعة وثقة تدربت عليها كثيرًا وقالت:

- منظمة مجتمع مدني تعمل في مجال حقوق الانسان.. حضرت أكثر من ندوة هناك وقابلت مدير المنظمة مستر ناجي عبداللطيف الناشط والمفكر السياسي.

تصمت إيمان لحظات عندما تلاحظ اقتراب عامل المقهى حاملا صينية عليها الشاي والماء، وضع المطلوب وتحرك مبتعدا في خفة ورشاقة لا تتناسب مع حذاءه الأسمر المترب المرقع في أكثر من مكان وقد فشلت محاولات إخفاء أثر خيوط الترقيع باستعمال الورنيش الأسود، تُكمل إيمان حديثها فتقول:

- كان الأمر في البداية مجرد نقاش في العديد من وجهات النظر بخصوص القضايا المثارة على الساحة، لغاية ما شاركت في

ندوة لتقييم الأوضاع المعيشية الراهنة للمواطن المصري، وقتها طلب مستر ناجي مقابلتي وبعد مناقشة طويلة بينا، قالي أن فيه دور مهم يقع على أكتاف كل المثقفين في البلد وخصوصا الشباب.

ترتشف من كوب الشاي رشفة صغيرة تلوكها في فمها قليلًا، هدوء تشعل به داخلهم شوقا لمعرفة ما تخبئه من معلومات، تضع كوب الشاي فوق المنضدة المستديرة بينهم، ثم تتحدث طويلًا بأن الشباب هم من يجب أن يحملوا مشعل التنوير وراية حرية الفرد، الحرية التي خلقنا الله عليها، فمن حق كل مواطن أن يحيا حياة كريمة، من حقه الحصول على مسكن آدمي آمن، الحصول على فرصة عمل مناسبة تُدر عليه دخلا يستطيع من خلاله مواجهة أعباء المعيشة بشكل طبيعي لا صراع فيه ولا تقتير، من حق الشباب الزواج وتكوين الأسر. من حق المواطن الحصول على الرعاية الطبية الكاملة، لا أن يقف المرضى في طوابير انتظار يموت فيها أكثرهم قبل الوصول إلى دوره للعلاج. من حق الجميع الحصول على مياه نظيفة وأطعمة غير فاسده وفاكهة وخضروات غير مسرطنة.. هذا هو الوضع الطبيعي والسائد في معظم دول العالم التي تحترم آدمية مواطنيها.

في نهاية حديثها الطويل تكمل بانفعال:

- إحنا مش عاوزين نخلق جنة على الأرض، إنما يكون هناك توزيع عادل لرأس المال الموجود في البلد، مش من الطبيعي أبدًا إن خيرات البلاد تروح لجيوب قلة تسيطر علي البلد، واللي يفيض عليهم وهو كتير قوى يهربوه خارج البلد.

تصل إيمان إلى حالة انفعالية وتأثر جعل ارتعاشة بسيطة تظهر على يديها، تتلاحق أنفاسها، تنتقل عدوى حالتها الانفعالية إلى المجموعة، يبدأ كل منهم التعبير عن انفعاله بطريقته الخاصة، توفيق عبدالستار يدق بطرف حذاءه على الأرض في تتابع، أصابع أيدي أحمد عبدالهادي بدأت تتشابك وتفترق بشكل عصبى، هاني فؤاد يرفع يده اليمنى ليقضم أظافره فيشاهد توفيق ذلك الصليب الأزرق الباهت الذي دقه على يده، أما لمياء سعيد فقد ضمت ساعديها على صدرها ومن أسفل الكوعين كانت راحتيها تعبث في نهديها بشكل لا إرادي لم تفق إلا بعدما شعرت برطوبة السائل المتسرب من ثديها الأيسر.

تابعتهم إيمان ولاحظت في سعادة داخلية ردود أفعالهم وأن اللحظة التي أرادتها قد حانت، يجب أن تكمل حديثها بسرعة قبل أن يفيقوا، دقت بيدها بخفة على الترابيزة وأشارت لهم أن يقتربوا وقالت:

- بعد كل اللي قولته، واضح جدًا إننا لازم نتحرك ،لكن مش هانقدر نحقق كل اللي بنحلم بيه من نهضه وكرامه إنسانية إلا إذا اتحركنا بشكل منظم وفي إطار ممنهج، وهو دا اللي مفروض نعمله في الأيام الجاية، وعلى فكرة دا شغل..

تبتسم لمياء في هدوء وهي تعلق:

- شغل؟! أخيرا لقيت شغل ياربى !!

تطلق بعدها ضحكة خفيفة وهي تشير بيدها نحو إيمان بألا تلقي بالا بتعليقها، فتهز إيمان رأسها وهي تكمل قائلة:

- أيوه شغل وبمقابل مادي كمان. منظمات المجتمع المادي بتحصل على تمويل من المنظمات والهيئات الدولية ودعم من الدول المانحة، بيتم توزيعه على الأعضاء كنوع من التحفيز يعني والقدرة على مواجهة أي متطلبات..

تقبلوا حديث إيمان ولم يعقب أحدهم أو يسأل عن أهداف تلك المنظمة أو الكشف عن مصادر التمويل.. فقد استطاعت إيمان بما لديها من قدرة على الاقناع وبما بينها وبينهم من صداقات مر عليها الكثير من الزمن، استطاعت أن تنفذ إلى داخلهم وتستقر بلا نقاش. كيف لا وقد تمت دراسة كل شخصية منهم على حده، وقع عليهم الاختيار هم الأربعة من بين عشرات كانت إيمان سمير تتجول بينهم، دورها في الشهور الأخيرة كان منصبا فقط على حضور الندوات ثم الانتقال مع الأصدقاء للجلوس في مقاهي وسط البلد، تحاور هذا وتناقش ذاك وتسهر مع ثالث في شقته.

بعد طول بحث ونقاش مع مستر ناجي عبداللطيف استقر الوضع على هذه الأسماء، أخذت التعليمات من ساعة فقط بأن تتحدث إليهم بالأمر، ها هي قد تحدثت بكل ما لديها، وها هم يفكرون لحظات، يرفع كل منهم كوب الشاي يحتسيه في رشفات متتالية، تُخرج لمياء من حقيبة يدها علبة سجائرها، تسحب منها واحدة وتلقي بالعلبة على الترابيزة، تنشغل في إشعال سيجارتها وتنفث دخانها في خط مستقيم حاولت أن يكون رفيعًا وطويلًا.

يمد توفيق يده ويسحب سيجارة من علبتها ثم يمد يده إلى سيجارة لمياء ليشعل منها، تعطيها له بحركة آلية ثم تتناولها مرة أخرى لتسحب منها نفسًا طويلًا وقد ارتدت إلى الخلف بشده ومدت ساقيها إلى الأمام فكادت أزرار بلوزتها البيضاء، عند الصدر، تفر من عروتها حتى إن المسافة بين اثنين منهم قد اتسعت فأظهرت جزء من صدرها قد هرب من ضغط السوتيان الوردي عليها يلاحظه توفيق فيضطرب داخله لحظة فيسحب نفسا طويلًا من سيجارته، يسعل، ينحني فوق الترابيزة فتنحني إيمان ثم يقترب الباقي بشكل عفوي وينتظرون، يتحدث توفيق متوجها بكلامه إلى إيمان سمير متسائلًا:

- كل اللي بافكر فيه دلوقتي يا إيمان، أيه الدور المطلوب منا في الأيام الجايه؟ أنا عن نفسي مستعد للمشاركة في المظاهرات في عيد الشرطة، نوصل الرسالة اللي اتكلمنا عنها.. بس..

تبتسم إيمان، تمد يدها اليسرى لتضعها فوق كتف لمياء الأيمن، ثم تقول في هدوء:

- هو المطلوب يا توفيق.. هو المطلوب منا كلنا يا جماعة، لكن مع شيء من التنظيم، في بداية الأمر كنا هانشارك في المظاهرات وهدفنا هو توصيل الرسالة لجهاز الشرطة وبعدين نرجع لحياتنا.. لكن السؤال المهم هو: هل هاتحقق الرسالة نتيجة؟ هل الشرطة هاتغير من أساليبها اللي جُبلت عليها لمجرد نزولنا للشارع لساعة أو ساعتين؟

قالت ذلك وبطرف أناملها غمزت لمياء مداعبة، فقد شعرت بدفء ينبع من لمياء التي كانت باستمرار تنثر أنوثتها الطاغية لدرجة جعلت إيمان تتمنى الآن أن تأخذها في أحضانها..

أما لمياء صاحبة الأنوثة الطاغية ببشرتها البضة البيضاء وشعرها الأسود الفاحم وعينيها السوداوين الواسعتين اللامعتين، لم تكن تتعمد الاثارة أبدًا، إنما كان هذا طبعها وطبيعتها، ففي أشد المواقف التي تكون فيها فاقده لأعصابها، متوترة أيما توتر، تراها جذابه وتفيض رومانسية، هكذا خُلقت وهكذا تعيش. أما عن غمز إيمان لها ففهمته على أنه إشارة كي تشارك في الحديث، شعرت بأهمية دورها فقالت:

- عمر الشرطة ما هايتصلح حالها لمجرد نزولنا للشارع.. وعلى أكتر تقدير هانحصل على وعود براقة، أيام وتتنسي..

يخرج هاني فؤاد عن صمته ويتحدث للمرة الأولى:

- عمليات غسيل المخ المستمرة، هاترجع بعد اليوم بشكل كبير، يدوشونا بدور الشرطة في الحماية والأمن والجهود الغير عادية في متابعة المجرمين وتلفزيون الحكومة يذيع برامج كاملة من القبض على العصابات ولقاءات مع مجرمين متدربين يكلمونا عن انحرافهم وإنها ساعة شيطان وإنهم ندمانين بعد ما قبضت عليهم الشرطة اللي اتعاملت معهم بمنتهي الاحترام..

يكمل أحمد عبدالهادي قائلًا:

- ناهيك بقى عن أقلام الصحافة اللي هاتتغنى بدور الشرطة والتحقيقات الصحفية ومقالات الرأي، رجالة الحزب الوطني عارفين كويس قوى أهمية البرامج والمقالات دي في عمليات غسيل المخ، ولا ناسيين السيد أمين تنظيم الحزب ومقالاته سلسلة مقالات في الأهرام بيشرح فيها مدي الديمقراطية اللي وصلت ليها البلد وبيأكد على نزاهة انتخابات مجالس الشعب والشورى الأخيرة..

تنفعل لمياء وهي تقول:

- أي نزاهة؟! بطاقات التصويت بيسودها بتوع الحزب الوطني بالجملة داخل اللجان أدام القضاة والشرطة، أي نزاهة في انتخابات يتم فيها إقصاء كل اللي لهم شعبية، ويتم القبض على بعضهم بعد تلفيق التهم لهم..؟؟

توارى إيمان سعادتها بما وصلوا إليه من مستوى في الحوار سيما ما ألمحت له لمياء من إقصاء لمرشحى جماعة الاخوان، فقد تحدث إليها مستر ناجي بشأنهم في أحد اللقاءات وأنهم فصيل منظم ويجب التعاون معه لإقصاء الطاغية.

تتجول على وجوههم بنظراتها فتلاحظ علامات نقمة ظاهرة ضد الفساد، تتحدث في هدوء:

- إهدي يا لمياء.. هاني وأحمد بيتكلموا على اللي بيعتقده بتوع الحزب الوطني وبيحاولوا إقناع الشعب به، لكن إحنا لم ولن نقتنع بدا.. هما محترفين في عمليات الغسيل.

ضحك توفيق وقد فهم مرمى عبارة إيمان، فقال:

- من غسيل مخ إلى غسيل أموال ويا قلبي لا تحزن..

ضحكوا جميعًا إلا هاني الذي ابتسم للحظة ثم انتظر لحظة هدوء وقال:

- لغاية دلوقتي الكلام جميل، لكن حاسس إن فيه شيء ناقص يا إيمان، حلقة مفقودة، جزء فاضي في الصورة، أعتقد إن أي عمل وطني يتم بلا مقابل، وإن ظهور أي مقابل مادي دليل يشكك في النوايا.

اضطرب داخل إيمان لحظة من ذلك الهجوم المفاجئ الذي لم تتوقعه وإن كان غير متعمد من هاني الذي يسأل بعفوية، لكن توفيق لم يكن ليترك فرصة مثل هذه لتضيع من بين أصابعه كحفنة ماء يفتقدها لحظة أن يفتح قبضة يده، فيعلق قائلًا:

- مقابل مادي أيه يا هاني؟ إيمان قالت إن دا مجرد دعم للحركة، تقدر تقولى في نهاية قعدتنا دي هاندفع الحساب فلوس ولا وطنية؟ لو حبينا في يوم نطبع ورق ولا حتى نروح أي مكان أو حتى على الأقل كروت شحن الموبايلات.. كل دا مش عاوز فلوس يا صديقى؟!!

تسرع إيمان لتنهي على بذور الشك داخل هاني، فتقول بمنتهي الثقة:

- سيبونا من موضوع الفلوس وإن كان دا أمر طبيعى للى محتاجه واللي مش محتاجه ما فيش مشكلة خالص يا هاني، المهم دلوقتي إننا نتفق على إننا وصلنا لقناعة بإن الشرطة والنظام كله

مش هايتأثروا بخروجنا يوم ننادي فيه ببعض الشعارات وبعدين نرجع لبيوتنا وخلاص..

يجيبها توفيق مسرعا:

- ما فيش خلاف على كدا، ووصلنا لإن فيه منظمة حقوقية لها أهداف وأفكار نبيلة، السؤال دلوقتي: أيه بقى الخطوة اللي عليها الدور؟

قال ذلك ليؤكد على الانتقال إلى مرحلة العمل وتخطى الحديث عن مسألة الأموال بشكل تام، تابع الوجوه خاصة هاني الذي بدا عليه الاقتناع. قالت إيمان بهمس جعلهم يقتربون ويصغون أكثر:

- المطلوب.. مش توصيل رساله للنظام.

سادت لحظات من الصمت علت فيها علامات الدهشة والحيرة، مطت لمياء شفتيها تعبيرًا عن عدم الفهم، تجولت إيمان بين العيون المستفسرة، نظرت إلى كل رواد المقهى وعاملها وصاحبها المستقر خلف مكتبه ينفث دخان شيشته وأعلاها صورة قديمة لجمال عبد الناصر، لاحظت وجود شق في الجدّار خلف الصورة ساقطا في تعاريج إلى الأسفل، ظهر الشق رغم محاولات الترميم الظاهرة، تحينت اللحظة لالقاء قنبلتها، أضفت على ملامحها الكثير من الوقار والهيبة، سرت بداخلها رعشة وهي تلقى بجملتها الأخيرة:

- المطلوب.. إسقاط هذا النظام.



(6)

شريف جلال

تمر لحظات والشيخ شريف جلال يقف في شرفة شقته في الدور الخامس في عمارة الشيخ مراد ياسين في مدينة السويس، يقف متأملا تلك السفينة التي تطلق نفيرها رافعة علم أبيض بوسطه صليب أحمر اللون، يمط شفتيه باشمئزاز محدثا نفسه: كيف يفكر هؤلاء القوم؟ يزفر بشدة وهو يعقب في داخله: سوف يأتي اليوم الذي تعلو فيه كلمة التوحيد شتى بقاع الأرض وهو قريب بإذن الله. يأتيه من الداخل صوت زوجته أم مصعب تناديه بكنيته التي يُحب أن يُنادي بها:

- الغدا جاهز يا أبو مصعب..

يدلف الشيخ شريف ابن الخامسة والثلاثين إلى الداخل تاركا خلفه الشرفة مفتوحة. يتوجه إلى الحمام كي يغتسل ولا تفارق شفتيه عبارات التسبيح والاستغفار والحمد، يعود إلى الصالة

ليجلس على الأرض، فقد أعدت له أم مصعب الطعام ووضعته في صينية كبيرة الحجم.

تجذب أم مصعب الستارة من مستقرها، تغطى بها الشرفة كاملة لتحجب الرؤية عن أي ناظر من الخارج، تخلع الخمار وتضعه على مسند الكرسي الموضوع في جانب الصالة، تظهر مرتدية قميص نوم لونه أزرق فاتح يكشف عن جزء كبير من أعلى جسدها وقد جمعت شعرها كله في ضفيرة واحدة تهبط في استقامة على ظهرها حتى منتصفه تقريبًا، تجلس أمام زوجها تشاركه طعام الغذاء فكشفت عن ساقيها، تأملها لحظة.. يحفظ لها اهتمامها الدائم بجسدها، فلم يشاهد فيه ذات يوم شعيرات نابته أو اشتم منه رائحة غير حميده، كانت أم مصعب تعلم أن جسدها هذا ملك لشريف وهو متعته الوحيده تقريبًا في هذا العالم الملئ بالموبقات، وأن جسدها هو كل ما تمتلكه لتقدمه لزوجها، فاهتمت به أيما اهتمام وفي أوقات عمله بالخارج كانت تدلك جسدها كله بأنواع مختلفة من الكريمات وتذيل كل الشعيرات النابته ثم تغتسل بالماء الدافئ وتخرج ملتفة في مناشف ذات ألوان مزركشة وتتعطر بالكثير من العطور النسائية ذات الروائح الهادئة، تعلم أن هذه رسالتها في الحياة فتعلمتها وتعلمت كيف تحافظ عليها وكيف تتطور فيها من خلال التجربة والخطأ حتى تصل إلى أفضل الأوضاع لتستقر عليها.

مشكلتها الوحيدة كانت في شعيرات الوجه وضبط الحواجب، طلبت في بادئ الأمر أن تذهب إلى محل كوافير تعلم أن من تعمل فيه فتاة وليس رجلا لكن زوجها رفض متشككا في محلات الكوافير وأن بعضها يضع كاميرات مراقبه ويصور النساء في أوضاع مختلفه، تحدثت إلى إحدى الأخوات بعد درس علم في مسجد حى الأربعين وأخبرتها أنهن لا يذهبن إلى محلات الكوافير، إنما تمر عليهن الأخت «سُهيله» وهي أخت فاضلة ومحل ثقة وتقدير ومؤتمنه على أسرار البيوت، يتصلن بها فتمر عليهن وتنهي المهمة في دقائق ولا تبخل بأي معلومات تخص إعداد الماسكات أو حلوى إزالة الشعر، وتأتي حسب الطلب بمختلف أنواع الكريمات والشامبوهات والعطور.

يبتسم الشيخ شريف في داخله سعيدا بما ملكت زوجته من جمال رباني وهبه الله إياه ليتمتع به في دنياه ويكفيه النظر إلى ما حرمه الله عليه.

يدرك أن نظرته لزوجته بهذا الاعجاب، والحب إن أردنا الدقة، رغم مرور السنوات، ما هي إلا بركة ومنحه من الله عز وجل الذي يُجمل أهل بيته في نظره، اقترابه منها وحبه لها كان كثيرًا ما يشبهه بذلك الحبل المعقود كلما تم جذب طرفيه ليبتعدا، زادت العقدة قوة واحكاما، هكذا ارتباطه بها كلما فرقهم أمر ما، زادت صلته وارتباطه بها.

بسمل الشيخ شريف ومد يده، بدأ يأكل تشاركه زوجته لا يكدر صفوهما أي شيء، قطع حبل الصمت صوت مضغهما للطعام ممزوجا بأصوات السفن ونفيرها الذي يأتي من قناة السويس، يشرد الشيخ شريف لحظة متذكرًا عمله في حمل ونقل البضائع في ميناء السويس وكونها فرصة العمل الوحيدة التي توفرت له رغم حصوله على بكالوريوس الهندسة في الاتصالات، لم يترك للشيطان مجالا كي يشتت فكره للحظات يحنق بعدها على الحياة فاستغفر وحمد الله على نعمه التي لا تحصى، إن كان يعمل في حمل البضائع في ميناء السويس فغيره لا يجد أي وظيفة على الاطلاق ويستجدي ما يسد به رمقه. أضفي عليه عمله، كحامل بضائع، قوة بدنية وأظهر تلك العضلات، الرخوة لسنوات، وشد منها. علا صدره بينما ارتد بطنه للداخل قليلًا فكان يبدو، لمن لا يعرف عمله، رياضيًا، فهمها على أن «المؤمن القوى خير من المؤمن الضعيف».

يستفيق من شروده على ارتطام يده بيد زوجته عند وضعهما في طبق واحد يغترفا منه معا، تبادلا الابتسام، يبدو أن أم مصعب شردت هي الأخرى، علت وجهها لحظة خجل احمرت وجنتاها على إثرها، انتفض شيء داخل شريف جعله يمد يده محتضنا يد زوجته، تركتها بحنان وقد أسدلت بخجل جفونها ناظرة إلى لا شيء في أعماق صينية الطعام، نوع من الدلال علمتها إياه الأخت «سهيلة» فالبقاء على وتيرة واحدة يتيح مجالا لتسرب الملل إلى

تفاصيل الحياة الزوجية، قليل من التدلل وحركات نسائية بسيطة تحرك الماء فلا يركد.

تشتعل بداخله أشياء كان قد أخمدها التعب والإرهاق بعد يوم عمل شاق، جذبها في رفق وحنان، بعد امتناع لحظى ناظرة نحو غرفة مصعب ابن الثالثة الذي يغط في ثبات عميق بعد لعب وحركة منذ الصباح، طاوعته.. افترشا أرض الصالة لا يشعران بصمودها أسفلهم، فيض من القبلات لا ينقطع، تتعانق الشفاة، تتعارك الألسن، يحوطها بذراعيه، يجردها من ملابسها، تجرده من ملابسه، يعتصرها، تمرر يدها في حنان ورفق على جانبي جسده، تصعد بيديها حتى شحمتي أذنه ثم تسحبها في رفق إلى أسفل حتى ردفيه، يبادلها التلامس حتى تستقر يداها فوق وسائد الفخذين تغوصان في بحر الإفرازات، يسحب يديه في رفق إلى ردفيها، تستكين، يلتقم حلمة ثديها الأيسر، يمتصه كطفل جائع، تتأوه هدي.. تشدو روحها طربا خارج إطار المكان والزمان، لخروج الروح لـذة لا توصف، تتراخى كل مكونات جسدها، لا تشعر بذاتها، كتلة من اللذة تذوب وتذوب، تود العودة، تستفيق لحظة، تمد يدها اليسرى على ثدييه تفركهما، يدها اليمنى تهبط الى أسفل، إلى ما بين فخذيه، تعتصره، تلتقمه بشفتين سفليتين جائعتين، تمتصه، تعلو جوادها، يصهل بشده، تنتفض فوقه، قابضة بقوة على مقوده، تسحب لأعلى ثم تنزلق لأسفل، تعاود الكرة.. عشرات.. مئات.. آلاف المرات.. يغوصون في أوسدة مخملية

من اللذة، عطور تمس أنوفهم كفراشات تحط وتطير بألوانها المزركشة بين أحضان الورود، تدحرجا يمينا ويسارا، تولدت لديهم حواس أخرى لم يدركاها من قبل، كل جزء من جسديهما يتحدث بكلمات حب وهوى مرسلا أنينا وتأوهات، مس الأيادي تحول إلى جُمل وعبارات لا نهاية لها في قاموس لا يفهم كلماته غيرهم، حلقا سويا بين طيور ملونة لها صدح يدغدغ المشاعر، بين رحابة الفضاء الواسع يفترشون سحبا زرقاء ويلتحفون بسحب رقيقة بيضاء تهدهدهم، تمايلهم وتتراقص على ألحان آهاتهم وغنجهم.

يستفيقا معا بعد ضمات لقسوتها طعم لذيذ، آهات ذات نغم يعجز عن عزفه بشر.. ترتمي هدي أم مصعب تلهث على صدر زوجها مفترشة شعيراته الناعمة، تشعر بوجيب قلبه، يحيطها بذراعيه وبينهما طيور عشق تنقل رسائل الهوى بلا حديث.. حتى راحا في ثبات عميق..

تمر عليهم ساعات لا يعلمان عددها، يستيقظ الشيخ شريف على مصعب ولده يداعبه ويجذبه من لحيته، نظر شريف باحثا عن هدي فوجدها في الحمام، استحثها كي يدخل للاستحمام حتى يلحق صلاة العصر فقد اقترب المغرب..

يدق جرس الباب بشكل غير طبيعي، يتوجه شريف لينظر من العين السحرية، يشاهد حلمي الورداني المخبر في أمن الدولة، تعود الشيخ شريف على مثل هذه الزيارات لكنه لم يستطع التكهن

بسببها اليوم، نظر نحو الحمام فوجد أم مصعب قد أحكمت غلقه بعد سماعها صوت جرس الباب، فتح الباب فتحة صغيرة نظر منها متسائلا:

- خير يا صول حلمي؟

- تامر باشا عاوزك يا شيخ شريف..

- ليه؟

- العلم عند الله.. لكن اعمل حسابك.. شكلها فيها بيات.

- حاضر.. ساعه وأكون عندكم..

يغلق الباب ويعود إلى الصالة، أَلِفَ ذلك الوضع، في البداية كان يتم القبض عليه ولأن الأمر أصبح شبه دائم والشيخ شريف لم يبدي اعتراضا فأصبحوا يستدعونه فيذهب، يتم استجوابه في دقائق حول قضية ما أو سؤاله عن أشخاص بعينهم، كل ما كان يستطيع التحدث به هو القشور والمعلومات المعروفة للجميع والتي تخص كونه عنصرا فاعلا في جماعة الاخوان المسلمين في السويس وأحد العشرة الذين يسافرون إلى القاهرة في الاجتماعات الدورية للجماعة وهو همزة الوصل بين مكتب الارشاد في القاهرة وبين قطاع عريض من أعضاء الجماعة في السويس، لا يعرف سوى البعض، يلتقون أسبوعيا في مسجد عباد الرحمن بعد صلاة الفجر ثم يخرجون لممارسة الرياضة بمختلف أشكالها في إحدى الساحات الشعبية القريبة حتى ترتفع الشمس، يتخلل ذلك بعض الحوارات والتعليمات وضم أعضاء جدد للجماعة وتوجيههم من

خلال نصائح عامة، يتوجهون بعده إلى منازلهم للاستحمام وارتداء ملابس بيضاء ويتعطرون بالمسك ثم يتوجهون إلى المسجد لصلاة الجمعة. بعد الصلاة يجلسون للدرس بعض الوقت وإن كان هناك تعليمات جديدة يتناقشون في آلية تنفيذها، هذا هو الجدول الأسبوعى لهم، كل حركة فيه معروفة مسبقا في أمن الدولة.

يذهب إليهم الشيخ شريف، يجلس ساعة أو أكثر ثم يعود إلى بيته، إن كانت الأحداث كبيرة والأمر جلل يتطور الأمر إلى المبيت هناك يومًا أو أكثر.

تفتح هدي باب الحمام قليلًا لتتأكد أنه لا يوجد غريب، تخرج وعلى وجهها ابتسامة، الماء يتقاطر من خصلات شعرها على جلباب شفاف أبيض تبدو من خلاله القطعة الوحيدة الداخلية داكنة اللون، الثوب تزينه ورود صغيرة ذات لون أحمر خفيف، تتغير ملامحها عندما تشاهد زوجها وقد تعكر صفوه، تسأله في رفق عن الطارق، يخبرها بأنه مطلوب في أمن الدولة ولا يعرف السبب، تدعو الله له بالثبات والتوفيق وأن يهلك الظالمين بالظالمين وأن الله سيخرجه من بينهم سالما إن شاء الله، يقف شريف متوجها إلى الحمام ليغتسل ويصلي العصر، بعد ساعة يخرج من بيته إلى مبني أمن الدولة حاملا غطاء يقيه من برد الليل لو اضطر للمبيت. لكنه هذه المرة يشعر بشيء مختلف عن المرات السابقة، فقد اضطرب داخله وانقبض قلبه بشده فاستغل خطواته على الطريق في الاستغفار والتسبيح.

■■■



(7)

الاتفـــاق

يغادر هاني فؤاد وأحمد عبدالهادي مقهي زهرة البستان، دقائق ويفترقان كل في طريقه إلى منزله، تظل إيمان سمير بصحبة لمياء سعيد وتوفيق عبدالستار.

لقد أوضحت لهم إيمان كافة تفاصيل الأمر وأبعاده، تحدثت بلهجة الواثق المتيقن من أن المظاهرة المنتظرة لن تؤتى أكلها وستكون النتيجة الحتمية هي إظهار القيادات الثورية وتسليط الضوء عليها ومن ثم تكون فريسة في الأيام التالية لزبانية أمن الدولة وجهاز الشرطة بأكملة، إن انطفأت جذوة الحماس بعد يوم الخامس والعشرين من يناير القادم فلن تقوم لها قائمة أخرى، يجب أن يتم استغلال حماس الجماهير وهذا الشحن الذي تم خلال المدة الماضية والذي زادت حدته وقوته بعد نجاح المظاهرات في تونس وتحولها إلى ثورة نجحت في خلع رأس النظام وفراره فجرا خارج البلاد، أصبح الحلم حقيقة وقد يتحقق

في مصر، القوى المتحكمة تؤكد أن مصر ليست تونس وأننا لـ
طبيعتنا الخاصة، لكن علينا التحرك، نحن على يقين من قدرتنا
على تحقيق نجاح سيعيد هذه البلاد إلينا مرة أخرى من أفواه
مسعورة التهمتها وامتصتها بلا ضمير، ثم إننا يا شباب لا عمل لنا
وإن كان بعضنا يعمل في مهن لا تعد ولا تؤخذ بعين الاعتبار، فأنا
(إيمان) وتوفيق نتصعلك في دنيا الصحافة، بالكاد نحصل على
ما يكفي للتواجد على السطح والحصول على القليل من الرفاهية
وفي حاجة مستمرة لمن يدعمنا ماديا وبمنتهى الصراحة لولا دعم
والدي لما تحملت، وما دامت هذه المنظمة الحقوقية تحصل على
الدعم المادي من الدول المانحة ومن المنظمات الدولية وتنفق
هذه الأموال على مشروعات تحقيق التنمية والديمقراطية، فلا
يوجد ما يمنع مطلقا أن نحصل على جزء من هذه الأموال كي
تكون عونا لنا على استكمال تحقيق هذه الأهداف التي هي من
الأصل أهدافنا ونسعى إلى تحقيقها دون دعم.

تعطى كل منهم علبة صغيرة تحتوى على شارة واستيكر خاص
بشعار المنظمة ومبلغ مالي وريقاته من فئة المائة جنيه، معقبة بأن
هذا المبلغ يجب أن تتمَّ كتابة تقرير كامل بما أُنفق فيه حيث عمل
اللافتات، الملابس، التنقلات، المأكولات، المصروفات النثرية
على أعداد الجماهير التي يتم تجميعهما وقت التظاهر ودعمهم
بالمشروبات والمأكولات لزيادة تحملهم وحثهم على الاستمرار

في التظاهر. لا تنسى إيمان في تلك اللحظة أن تؤكد على ضرورة سرية ذلك الاتفاق.

ترد لمياء يد إيمان وهي تناولها المبلغ الذي خصصته لها، تبرر ذلك بأن ما سيتاح لها أن تفعله من أنشطة لن يحتاج إلى أموال، طبيعة علاقتها بأسرتها لن تتيح لها ما تطمح به لمياء. تمط إيمان شفتيها لحظة لكنها لا تلح عليها وتجعل الأمر يمر بهدوء متقبلة وجهة نظرها، طبيعي أن يكون هناك من يشارك بأمور معنوية مثل لمياء.

الحقيقة التي لم تصرح بها لمياء ولم تكن متأكده منها بداخلها هي إيمانها الكامل بتلك الجملة التي قالها هاني فؤاد من لحظات «أي عمل وطني يتم بلا مقابل مادي» لم تتخيل يوما أن يكون لحميتها من أجل الجماهير العريضة مقابل، ببساطة الغلابة هم الأحق بأي مبالغ تتوفر.

تم تكليف كل منهم بأن يكون مسئولاً عن مجموعة مكونة من خمس أفراد خلال الأيام القليلة المتبقية وأن تكون مهمة كل فرد من الخمسة تكوين مجموعة جديدة مكونة من خمس أفراد وهكذا، يجب أن تحيط كل مجموعة نفسها بالخصوصية، السرية التامة إن لزم الأمر، يجمعهم في النهاية شعار المنظمة وتعليمات عامة تصل إليهم عن طريق بوستات على صفحة تم تدشينها على موقع التواصل الاجتماعي فيس بوك، التعليمات التي يجب أن

تظل بعيده عن أعين رجال أمن الدولة وأذرعتها الشرطية سوف يتم تمريرها من كل مسئول عن مجموعة إلى مجموعته وهكذا..

ينتهي الاجتماع عند هذه الجزئية وينفرط العقد، بينما يقع توفيق عبدالستار في مكانه بجوار لمياء سعيد، يشعر برغبة غير طبيعية في الاقتراب منها، تلاحظ إيمان سمير ذلك بعين خبيرة، تشعر بشيء من الغيرة، أشاحت بوجهها ناحية اليسار فالتقت عيناها بعيني عامل المقهى، أشارت إليه، يقترب مسرعًا، تطلب منه زجاجة بيرة بارده، تسحب سيجارة من حقيبة يدها، تشعلها بهدوء، تنفس دخانها إلى أعلى وقد ارتكنت بظهرها كاملا إلى مسند مقعدها.

يتجاذب توفيق أطراف الحديث مع لمياء سعيد في خفة ورشاقة متندرا بالعديد من المواقف الطريفة التي مر بها، تحاول إيمان التحكم في داخلها ساعية للهروب من حالة الضيق التي انتابتها، تنصت قليلا لتوفيق، تسمعه يقول:

– في يوم اتقابلت مع زميل دراسة، ما شفتهوش من سنين، أحضان وقبلات والنظام دا يعني، يسألني عن تفاصيل حياتي وأخباري، والتعليم والجواز والعيال؟ وأنا أسأله نفس الأسئلة، وأنا ناسي اسمه، اتمحى من ذاكرتي تمامًا، هو لاحظ بداية توتري، حس كدا إني مش فاكره، سألني: مش فاكرني ولا أيه يا توفيق؟ قولت إزاي يا جدع، طبعا فاكرك، أنساك إزاي وإنت كنت زميل تختة؟ فجأة سألني: طب أنا إسمي أيه؟ احمريت يا لميا وبقيت

اقول يا أرض انشقية وابلعيني..في الأخر قولت بصراحة ذهني مشغول واسمك تاه مني حالا..

- وطلع اسمه أيه؟

سألته لمياء وهي تتماسك من الضحك، يلتهمها توفيق بعينيه فقد ازداد جمالها مع ابتسامتها المشرقة وتموجات جسدها تهتز في رشاقة ثم تماسك وهو يجيبها:

- كان اسمه هو نفس اسمي.. توفيق.

ذهبا سويا في حالة من الضحك وبشكل لا إرادي رفعت لمياء يدها في الهواء فرفع توفيق يده هو الأخر في مقابلة شعر معها بلذة سرت في جسده بأكمله.

لم تكن لحظات الغيرة التي تشعر بها إيمان سمير نابعه من نظرات توفيق نحو لمياء لميل منها هي نحو توفيق، إنما كانت الغيرة نابعة من ميلها الحقيقي نحو لمياء.

تنهي ما تبقى من زجاجة البيرة دفعة واحدة، تقف مرة واحدة متوجهة بحديثها إلى توفيق:

- توفيق.. إحنا هانمشي، هاترجع للجرنال، ولا هاتبدأ في تكوين مجموعتك؟

يعود توفيق إلى طبيعته مكتفيا بما وصل إليه مع لمياء اليوم، تكسو ملامحه علامات جدية وهو يقول:

- جريدة إيه إيمى.. هابدأ الشغل.. هاكلم شوية من اصحابى يقابلونى في قهوة نجمة التحرير.. ما فيش وقت، الوقت هايسرقنا يا جماعة..

يضحك وهو يعلق على جملته الأخيرة:

- حتى الوقت هايسرقنا يا عالم..

يضحكون جميعا على تلك القفشة، تهدأ إيمان بعدما عادت بتوفيق إلى طبيعة المهمة، تجذب لمياء من يدها وتتحركان معًا، ثم تستدير نحو توفيق لتقول له:

- خلينا على تليفونات..

وافقها توفيق بإيماءة من رأسه وهو يتابع لمياء من الخلف تهتز داخل البنطلون الجينز، ابتسمت إيمان وهي تنظر في عينه مباشرة وتشير نحوه بالسبابة والوسطى ثم ترفعهم نحو عينيها ولسان حالها يقول: عينك يا توفيق.

يبتسم توفيق وقد شعر بشيء من الخجل للحظة، ثم يتلاشى الخجل وهو يراقبهم في الشارع أمام المقهي، إيمان تلقى نحوه بنظرة أخيرة ممزوجة بابتسامة، يبادلها الابتسام ثم يلقى إليها قبلة في الهواء، تضحك وتختفي مع لمياء بين أمواج البشر التي تصهر بداخلها الجميع. قررت إيمان الذهاب مع لمياء إلى شقتها لتناول طعام الغداء.

■■■

(8)

هنـــاء التـونــي

الوحيـدة التي تعلم ما يعتمل بداخل مجدي سـرور هي زوجته هناء التونى، تعلم جيدًا مستواه الفكرى، أطماعه، تدابيره، تخطيطه للنيـل مـن خصومة، كثيرًا ما ناقشـها فيما يصبو إليـه، تدبر له أمره، ترشده بمكر ثعلبى وبدهاء أنثوى ناعم إلى طرق خفيه، كيف يسير فيها وكيف ينجو، تختار له ثيابه، تصنع منه نجما وفي سجنه تصنع منه بطلا.

تفعـل ذلك عـن حب للارتقـاء بزوجهـا ومن ثم بأسـرتها، في أعماقهـا نلمـح خاطر دفين يؤكـد أن ما تفعله نابع مـن رغبتها هي في الصعـود، أي منصب يصـل إليه زوجهـا تكون هـي صاحبته، هي المتحكمـة في المنصـب وصاحب المنصب، تشبه الموقف بسيارة فارهـة خاصة يجلس هو في المقعـد الأمامى وتجلس هي في المقعد الخلفي، يقود السيارة بتوجيهاتها ليصل بها أينما تشاء.

لـم تهتـم كثيـرًا بالتفاصيـل الصغيرة التـي عادة ما تحـدث بين الأزواج، لم تتوقف أمام عبارات أو تلميحات قد تتأذى منها زوجة ما، تتركها لأن زوجها لم يعد ذلك المحامي العادي، أصبح سياسيا مرموقا ومؤكد له معجبات من سيدات الفكر والثقافة، لكنها لم تتخيل يوما أن يحدث ما شاهدته بعينيها اليوم.

للثقة حدود، من يطلق العنان ولا يدرك هذه الحدود يسقط بلا شك. هناء التونسي كانت من النوع الأخير، ثقتها بنفسها لا حدود لها، بعض الشكوك التي نمت بداخلها حيال زوجها كانت تكبتها في مهدها، إيمانها بولاء مجدي سرور لها، لا حدود له، ببساطة هي الوقود الذي يحركه، هي البوصلة التي توجهه، هي المعين الذي يستقي منه ماء الحياة.

استيقظت في هذا اليوم مبكرا كعادتها، بعد حمام بارد تنشفه، ترتدي ثيابها في نفس الوقت الذي تصنع فيه مج النسكافيه، تتناوله وهي واقفة تشاهد حركة الصباح من شرفتها ذات الزجاج القاميه، الوجوه في الشارع لا تزال حبيسة سلطان النوم، الكل مُسير يعلوهم وخم رهيب، تعلم أن هذه الوجوه لن تخرج من صمتها إلا بعد «الاصطباحة» ولكل فرد منا اصطباحته الخاصة التي تتنوع بين دقائق أمام عربة فول أو الشاي والشيشة في أحد المقاهي، الافطار وتناول المشروبات داخل أماكن عملهم دون النظر إلى تلك الأوقات المدفوعة الأجر من الحكومة لقاء عمل يجب أن يتم.

تنتهي من النسكافيه، تحمل حقيبة يدها، تترك شقتها متوجهة إلى الجريدة، في طريقها يحدثها سائق التاكسي عن كثير من همومه، شاهدها كثيرًا في التليفزيون وعلى استحياء سألها:

- مدام هناء التونى زوجة البطل مجدي سرور؟

إيماءة خفيفة يشاهدها في المرآة العاكسة، بعدها ينفتح صنبور الشكوى بماء أسود عكر، تعلم هناء ما يقوله، سمعته كثيرًا. لكنها، مضطرة، تُظهر استياءً وعلامات أسى. الحقيقة التي يجب ألا نهملها هي ملامح هناء البريئة التي تحتل في قلب محدثها مساحة غير قليلة، يضاف إلى تلك الملامح تعبيرات مغلفة بشفقة وتراحم يبقيها في الذاكرة فترات طويلة.

هناء التونى التي تقترب من عامها الخمسين سيدة مجتمع بما تحمله الكلمة من تفاصيل، جميلة هي، لا تهمل مطلقا في ملابسها باحثة باستمرار عن آخر صيحات الموضة «المحترمة»، تستغل كافة أدوات المكياج طوال اليوم، المساحيق على وجهها بعناية فائقة، رائحتها المثيرة لا تفارق حقيبة يدها تتعطر بها مرات عديدة طوال النهار. عيناها النجلاوتان لهما بريق وابتسامة مع نغزات خفيفة على وجنتيها، تلقى بجفونها كثيرًا على عينيها لتغمضها وقت التحدث، أو ترنو إلى أعلى فيظهر بياض عينيها مع بربشة متتالية، يراه البعض تركيزا وبحثا عن العبارات ويراه الكثير غنجا ودلالا.

هناء مقتنعة تمامًا بأن التعامل برفق مع كل الناس والوصول إلى قلوبهم أحد أهم عناصر النجاح والوصول إلى أعلى المناصب خاصة في وقت تهمل فيه القوى الحاكمة مشاعر الجماهير، مقتنعة بذلك واستطاعت أن تقنع زوجها مجدي سرور بذلك وبالتجربة والتدريب استطاع مجدي أن ينجح في ذلك. الأمر في مجمله يبدو هينا لكن بعد تأمله والخوض فيه تجده صعبا، أن توزع ابتسامتك وتتفاعل مع كل فرد على قدر همه وانفعاله موازيا همومك وانفعالاتك الشخصية أمر غاية في الصعوبة.

تصل هناء إلى مكتبها في الجريدة، من شرفة الدور العاشر تشاهد الناس أقل من حقيقتهم، تتلاشى أصواتهم كما همومهم وتبقى هي بطموحاتها وآمالها العريضة، تلقى نظرة سريعة على الصحف المرصوصة فوق مكتبها، جولة أخرى سريعة بين مواقع الصحف العربية والعالمية على الانترنت، تمد يدها بقطعة بسكويت تتبعها برشفة من كوب الشاي بالحليب وهي تفتح صفحتها الشخصية على الفيس بوك، تعليقات كثيرة متنوعة بينها عدد لا بأس به من الشتائم واللعنات عليها وعلى زوجها.

تعلم جيدًا أن كتائب الانترنت لكل تيار لا تكل ولا تمل من الهجوم على كل من يعارض فكر تيارها الذي تتبعه، كثيرًا ما كانت تُعرض عن قراءة التعليقات أو الرسائل في الانبوكس، في هذا الصباح كانت رائقة المزاج قليلًا، تمتلك من الوقت ما يكفيها

إلقاء نظرة سريعة، قرأت عدة رسائل لم تكمل معظمها حتى نهايتها، بعد لحظات وقفت مصعوقة صارخة من هول ما شاهدته.

رسالة عبارة عن صورة.

صورة لزوجها مجدي سرور في وضع جنسي مع سيدة أربعينية.

تعود هناء تتأمل الصورة بقوة، تكاد عيناها تخترقان شاشة الكمبيوتر، تهز رأسها بعنف أكثر من مرة لتنفض عنها الذهول الملتصق، إنها بالفعل مجدي سرور، زوجها، الصورة حديثة جدًّا. حملتها على الجهاز وقامت بتكبيرها قدر استطاعتها، نعم.. هو مجدي.. تأملت الصورة كثيرًا. تعلم البراعة في الفوتوشوب، لكن هذه صورة حقيقية، تلك الشامة الصغيرة السوداء البادية بوضوح على الجانب الأيمن تعلمها جيدًا، التعريجة الموجودة أعلى البطن وأسفل الصدر هي لزوجها، تناغم تعبيرات وجهه مع باقي تفاصيل الصورة يؤكد بما لا يدع مجالا للشك أنه هو.

نقلت الصورة على تليفونها المحمول، ثم محتها من جهاز الكمبيوتر، حملت حقيبتها بعصبية حاولت كبتها لكنها فشلت، لم تهتم بتلك النظرات التي تتابع نزولها السريع من الجريدة.

أي شيء توقعت حدوثه في حياتها إلا أن يخونها زوجها وطفلها المدلل كما كانت تتحدث إليه في بعض الأحيان، أي شيء تتحمله إلا تلك الفعلة، مهما كانت وقاحاته وسقطاته ونزواته كانت ستغفرها إلا تلك السوءة الرهيبة.

هذا وغيره الكثير كان يعتمل بداخلها وهي تلقي بجسدها داخل أول تاكسي صادفها، بكلمات مقتضبة دلت السائق على وجهتها اخفت ذلك الشرر المتطاير من عينيها بنظارة سوداء.

آلاف المشاعر والآهات بداخلها كبركان ثائر لا تزال حممه في قلبه تنتظر الانفجار. تنتظر زوجها في مقر الحزب، خشيت أن تذهب إلى المنزل فتجده قد غادره، مقر الحزب أفضل، ترسل الخادم ليشترى لها علبة سجائر تعلم ندرتها، يبقى المقر خاليا.

يدلف مجدي سرور بشوشا هادئا إلى مقر الحزب فيجدها أمامه، كتلة من اللهب المستعر، توقف، دنت منه خطوة، مال يسارا بحركة لا إرادية كأنه يتفادي قذيفة، صعدته بنظرة إحتقار. تشعر بقوتها تخور لحظة. السقوط كلمة لا محل لها في قاموس هناء التوني، تستجمع قواها، طوحت يدها بكل ما تملك من قوة، ودت لو صفعته، ودت لو انتقمت منه بصور مختلفة، كأن يخلع ملابسه كاملة كما في الصورة وتلقيه بين الجماهير في الشوارع، أو تنشر تلك الصورة في كل وسائل الإعلام، أن تخبر أولادهما بحقيقة والدهما، تأتي بسكين صدأ وتقطعه إلى أجزاء صغيرة وتلقي بها قطعة قطعة في نيران تشعلها.

تكظم مشاعرها المتأججة، تمد يدها بتليفونها المحمول، يتناوله مشدوها كمن يتلقى قنبلة منزوعة الفتيل، ينظر نحو شاشته بحذر، يُصعق، يرتد للخلف خطوة أخرى، تفارقه الابتسامة المطبوعة على وجهه، يحاول التحدث لكن الكلمات فقدت حروفها قبل أن



تصل إلى ذلك الفضاء المشحون بموجات الغضب، يقف صامتا كتمثال أصم طمست ملامحه عبر الزمن.

تحاول هناء بما تمتلك من قوة التماسك، يجب أن تستغل الموقف للصعود، قررت في داخلها أن تلك اللحظة هي نهاية علاقتها بمجدي سرور ما إن تتأكد من تلك الواقعة، تحدثت بجملة خرجت حروفها على فترات:

- مـ.. ممكـ.. ممكن تقـ.. تقولى.. أيه دا؟؟

تزفر بشدة وتعيد الجملة على مرة واحدة وبقوة تقارب الصراخ:

- ممكن تقولى أيه دا؟

يرتبك مجدي ويحاول العثور على ما يبرر به تلك الصورة، لا يجد ما يقوله، يتأمل مجدي الصورة الغير واضحة تمامًا مرة أخرى بعد أن أظلمت شاشة المحمول عليها، يشعر بضغط هناء يطبق عليه، كلما بحث عن منفذ للهروب وجده مغلقا، يتذكر مشهد الفأر داخل المصيدة، تخرج منه جمله عفوية:

- دي.. دي أيه الصورة دي يا هناء؟

- إنت بتسألنى أنا؟

- أنا ما أعرفش حاجة ومش أنا الـ..

صرخت هناء في وجهه:

- مجدي..

صمت كتلميذ بليد أمام مُدرسه، فأكملت بصوت حاولت جعله هادئا متزنا نوعا ما:

- مجدي.. كذب لأ.. حصل دا ولا ما حصلش؟

لم ينطق بكلمه، ضم يديه أمامه، نظر إلى أرض الصالة، لأول مرة يلاحظ رسوم البلاط، كل أربع بلاطات يشكلون لوحة كاملة مجموعة من الورود فاقعة اللون مركزها عند التقاء البلاطات الأربعة، ثقب صغير عند نقطة الالتقاء يخرج منه ويدلف إليه تباعا سرب نمل أسود صغير الحجم. قرر أن يلقن الخادم درسا لن ينساه على إهماله نظافة المكان وسماحة لأسراب النمل العيش في مقر حزبه.

لم يستمع إلى هناء التي انطلقت في تهديدها ووعيدها، يرتفع صوتها فيخرجه من شروده:

- ما تنطق.. واقف ساكت ليه؟

- ممكن تهدي شوية خلينا نعرف نتكلم.. ما يصحش كدا، فيه ناس في الـ..

- خايف من الناس؟! دا أنا هافضحك يا مجدي..

للمرة الأولى يشعر مجدي سرور بفظاعة الجرم، لحظة نشوة اعتبرها نوعا من التغيير، قد تلقى بمستقبله في هوة سحيقة، حاول التقرب من هناء مادا يديه أمامه:

- ممكن ندخل لمكتبي.. أرجوكي يا هناء.



- الصورة دي حقيقية يا مجدي؟

اطرق مرة أخرى، نظر إلى الأرض، تيقنت من الأمر وهي طبيعة الحال متأكده منه لكن حرصها على اليقين الكامل كان مهما لأن القادم يجب أن يُبني على أرضية صلبة، هدأت وعادت قريبًا إلى طبيعتها وقالت:

- وقفت جنبك وعملتك، كنت محامي صغير، صنعت منك بطل قومي، كل خطوة كنت بتمشيها، كنت أنا اللي بوجهك ليها يا مجدي، عروسة ماريونت أحركها زي ما أنا عاوزة.. تتكلم مع دي ولا تبص لدي عادي، تعاكس فلانه وتضحك مع علانة أقول مش مشكلة.. ضريبة النجومية، لكن يوصل الأمر للخيانة يا مجدي..!! ده مستحيل أقبله..

- يعني أيه؟

- يعني تطلقني حالًا..

- بتقولي أيه؟

■ ■ ■

(9)

تــامــــر حســـين

يصل الشيخ شريف جلال أمام مبني أمن الدولة في السويس، يقف ليجرى مكالمة هاتفية مع زوجته أم مصعب، يتبادل معها بعض الكلمات محاولا التغلب على حالة القلق التي تعتريه، ينهي المكالمة معها باقتسام الشهادة فتلك كانت عادتهم.

قبل أن يغلق الموبايل تمامًا يجرى اتصالا بالشيخ إبراهيم السويفي، يأتيه صوته عبر الهاتف:

- وصلنا خبر يا شيخ شريف، ثبتك الله، لا تخشاهم فهم أجبن ما خلق الله عز وجل.

- ثابت بإذن الله تعالى يا شيخ إبراهيم، أنا قولت أعرفك إنى..

- لا يكادون يفقهون ما يفعلون، عموما مجرد استجواب وتقفيل أوراق وإحنا متعودين على هذا النوع من الجهاد..

يوافقه الشيخ شريف بعبارات تُظهر تماسكه وعدم اهتمامه رغم شعوره باضطراب لم يسبق أن شعر بمثله من قبل، ود لو يستمد من الشيخ إبراهيم قوة ودعم، هذا ما يستشعره الشيخ إبراهيم بالفعل، فيقول:

– على فكرة إن ما كنتش كلمتني، كنت هاتصل بيك.. إنت مجاهد ومن أهم الأعضاء المخلصين للجماعة..

– خير يا شيخنا..؟

– تمت الموافقة من مجلس شورى الجماعة على تصعيدك لرئاسة المكتب الإدارى للجماعة في محافظة السويس كلها..

بصعوبة تتحرك جزئيات الانقباض المسيطرة عليه لتترك مساحة لبعض جزئيات السعادة، رئيس مكتب إدارى للمحافظة منصب مهم جدًّا في الجماعة لا يصل إليه العضو إلا بعد سنوات طويلة وبعد تقديم أنواع لا حصر لها من الولاء للجماعة، رغم خلو المنصب من فترة طويلة إلا أنهم لم يختاروا أحدا لشغله، وهو لم يطلب ذلك، ولم يكن غيره ليطلبه، فهم لم ولن يسعوا إلى المناصب وعرض دنيوى ذات يوم. يُظهر سعادته المشوبة بالاضطراب ويشكر الشيخ إبراهيم، تنتهي المكالمة على وعد باللقاء بمجرد الانتهاء من ذلك اللقاء المنتظر في أمن الدولة.

يعبث بتليفونه لحظة، على الباب يأخذون منه الموبايل بحجة الدواعي الأمنية، وسوف يتسلمه حال خروجه من قسم الأمانات في العلاقات العامة.

واقع الأمر أنهم يأخذون التليفون يفحصونه بدقه ويفرغون آخر مجموعة أرقام متصله به وصادرة منه مع تفريغ محتوى مجموعة الرسائل التي أرسلها أو التي وصلت إليه، كان الشيخ شريف يعلم ذلك من خلال عيونهم داخل أمن الدولة، فما كان يرسل رسالة أو يتقبل أخرى إلا ويقوم بمحوها مباشر من ذاكرة الجهاز، حتى الأرقام التي تخص أمر الدعوة والجماعة الصادرة أو الوارده كان يقوم بمحوها مباشرة ولا يترك على الجهاز سوى أرقام الأسرة والأصدقاء وزملاء العمل.

يستقبله الصول حلمي بابتسامة عريضة لا تفارقه أبدًا حتى في أحلك الظروف، يبدو أنها طُبعت على وجهه الأحمر، العريض، النافر الملامح بشاربه الكثيف وجسده الممتلئ الذي أظهره نحافة الشيخ شريف بوجهه المستطيل وذقنه الطويلة التي تدارى رقبته وعيناه الغائرتان تبحثان في المكان عن سبب الاستدعاء. يتحسسه الصول من رأسه إلى قدميه، يقوده نحو غرفة تامر باشا.

تامر حسين ضابط برتبة نقيب يعمل في أمن الدولة منذ تخرجه. بعد لقاء السيد اللواء مدير أمن السويس مع معالى وزير الداخلية، يستقر تامر حسين ابن أخت مدير الأمن، في فرع أمن الدولة

بالسويس، من يومها وهو في مكتبه، حصل على ترقياته كاملة قبل موعدها.

يستقبل تامر الشيخ شريف، يخرج حلمي مسرعا بعد أن يشير له الباشا بالانصراف، يجلس تامر على مقعد خلف مكتبه وبإشارة من يده يجلس الشيخ شريف.

المكتب قاتم خافت الأضواء، قطع الأثاث فيه بنية اللون مطفية تمتص الإضاءة، صورة رئيس الدولة معلقة فوق رأس النقيب تامر، يتذكر الشيخ شريف مقولة أحد المشايخ الأفاضل عن سبب اختيار وضع صورة رئيس الدولة في الخلف وأعلى الرأس، بأنه المكان الوحيد الذي لا تقع عليه أعين عبيد السيد بينما يشاهدها كل من ينظر نحوهم، ففي أي مكان تتحدث فيه إلى قيادة سوف تشاهد هذه الصورة، إنه نوع من التواجد الجبري والمشاركة، الأهم أن يراه الجميع أثناء الحوار ولا يراه التابع له، فطاعته أمر مسلم به. رائحة دخان السجائر تملأ المكان، تشربت بها قطع الأثاث، الهواء الجديد لا يعرف الطريق لمثل هذه الغرف، يتحدث تامر في هدوء يوحى بعظم الموقف وأهميته:

- أيه علاقتك بتفجير الكنيسة يا شيخ شريف؟

- ما أعرفشى عنه أي حاجة يا تامر باشا..

ينتفض تامر من مكانه، يدور حول المكتب، يتوقف لحظة يشعل فيها سيجارة، يمتصها بعنف وهو يتفحص الشيخ شريف



متعاظما من ثباته وهدوءه. الكثير يرتعد من مجرد مروره أمام أمن الدولة، فما بال هذا يجلس أمام أعنف ضُباط فرع السويس بهذا الثبات !! يقترب منه، فجأة يمسك به من شعر ذقنه صارخا فيه:

- المرة دي الأمر مش هايمر سهل يا شريف يا جلال، واللي فجر الكنيسة لازم يظهر وحالا.. الوزارة مقلوبة والبلد مش ناقصة..

- يا تامر باشا لسنا من دعاة تفجير كنائس الأخوة الأقباط.. ندعوهم إلى الاسلام الحنيف بالحسنى إن ارتضوا فأهلًا بهم وإن سيطر عليهم ضلالهم وأعمى بصيرتهم ندعو لهم بالهداية.

يتماسك تامر كاظما غيظه من حديثه وإصراره على استخدام الفصحى. أمام عينيه يمر شريط سريع لانتزاعه الاعترافات من آخرين أكثر حرصا من شريف جلال، رجال أشداء يرتعدون خوفا، نساء يتوارين خلف ما بقى لهن من مزقات ملابسهن، دموعهن سيل سوداء، من أثر ما يكتحلن به، على الخدود البيضاء. السيدات أكثر وسيلة تعذيب للرجال، الزوجة، الأم، الأخت، أيهن يأتي بها لتعذب أمام رجلها فينهار معترفا في لحظات، من يتماسك منهم يشاهد الصول حلمي يخلع ثوب بشريته مظهرا حيوانًا وحشيًا ينهش، فيعترف بما يريدون وإن لم يفعل، يتذكر تامر تلك السيدة التي قالت له يوما: اتق الله.. واعتبرني أمك. يرتجف داخله لحظة. يعود ليجلس فتقع عينه على صورة الرئيس، مسرعا

ينظر الناحية الأخرى خشية أن تفضحه لحظة الارتباك التي انتابته يسأل:

- طب مين المسئول؟

يصمت الشيخ شريف لحظات قرأ فيها المعوذتين، ينتفض على صراخ النقيب تامر:

- ما تنطق..؟ مين المسئول؟

- المستفيد يا تامر بيه.. ابحث عن المستفيد في أي قضية هاتلاقيه هو سبب كل بلاء.

- ومن المستفيد يا شريف؟

- اللي في صالحة تشويه صورة الاسلاميين والقبض عليهم ورميهم في السجون.. اللي بيدور على كبش فدا باستمرار عشان يعلق في رقبته كل التهم والجرائم.. اللي بيدور على دور يا سيادة النقيب ليخلق لمهنته أهمية كبرى..

يفهم تامر ما يرمي إليه الشيخ شريف، ينفعل بشدة وتتوتر عضلاته، يقف مرة أخرى ليدور حول المكتب لمواجهته، لكمة بشده في أنفه، تطاير بعض الرذاذ من فمه وهو يشهق من أثر اللكمة، يصرخ تامر:

- إحنا بنخلق لنفسنا دور يا ابن الكلب.. إحنا أسيادك يا حقير.. البلد من غيرنا تغرق.

يدور المكان بسرعة حول الشيخ شريف، يتنفس بصعوبة، يرفع ظهر يده ليمسـح أنفه، تتداخـل المناظر، تمتزج الوجـوه، تامر مع صورة الرئيس المعلقة على الحائط، تسيطر الملامح الشيطانية على المشـهد، عدد لا يحصى مـن الأقنعة. بصـوت متقطع متناثر الحروف يعقب الشيخ شريف:

- الـكلام دا بتضحكـوا بيـه علـى أسيادكم اللـي مربينكـم.. فهموهـم إنهـم من غيركـم هايضيعـوا.. يصرفوا عليكـم من مال الشعب ويأكلوكم لحم أولاده..

- بس..

يقولها تامر حسين صارخا وهو يلكم الشيخ شريف بكلتا يديه على جانبـي وجهه، تسـيل الدماء علـى وجهه وتتخلل شـعيرات لحيته. لـم يشـعر شـريف جـلال بمعظـم اللكمـات ولم يسـتمع صراخ تامـر فقد ذهب بخياله فشـاهد زوجته هـدي، أم مصعب، وهي ترنو نحوه خجلى، تضمه في صدرهـا، تحتويه بين جناحيها في حنان وعذوبة يستشعر حلاوتها، سمع همسها في أذنيه تشد من أزره، توصيه الثبات والقوة، سـوف يأتي يوم ينتصر فيه الحق ويُذل فيه أهـل الباطل، ضمته هدي أكثـر وأكثر، يرتمـى على صدرها.. ابتسـم.. هدأ.. دخل في ثبات عميق. يصرخ شريف مناديا الصول حلمي الورداني.

■ ■ ■

(10)

الشـــقـة

في حياتنا نتحرك داخل دروب لا نهاية لها، لكل درب تفاصيله الخاصه ومسمياته المختلفة عن الدروب الآخرى، لكنها في نهاية الأمر تدور في إطار واحد، الاطار الجنسي.

الجنس أكثر ما يحركنا في عالمنا العربي، بلا مواربة وبدون أن ندفن رؤوسنا في الرمال، لابد أن نعترف بهذه الحقيقة على الملأ كما نعترف بها في أعماقنا.

تدخل إيمان سمير إلى صالة شقتها وخلفها تدلف لمياء سعيد بخطى ثقيلة، تضع أكياس الطعام على ترابيزة في الصالة، تحمل كيسًا آخر يحتوى على المشروبات، تتوجه به إلى المطبخ، تضعه في الثلاجه، زجاجات البيرة لا تحتسى إلا باردة.

تعود إلى الصالة، تجد لمياء قد تمددت على الكنبه، تهتف إيمان برشاقة:



- أوعى تنامي يا لمياء.. أقولك.. ادخلي خدي دش على ما أجهز السفرة..

تمد يدها لتجذبها في رقة، تقف لمياء في تكاسل طفولي يبدو عليها الاجهاد، ترتمي في دلال على كتف إيمان التي تقبلها وتذهب بها إلى الحمام.

ليست هذه المرة الأولى التي تذهب لمياء مع إيمان إلى شقتها الخاصة التي تعيش فيها وحيده بعد سفر والديها إلى دولة قطر منذ أن كانت في بداية الدراسة الجامعية.

في اللقاء الأول والذي أفصحت فيه إيمان عن رغبتها كانت لمياء تعترض، لكن بعد أن انتهي هذا اللقاء ولم تفقد فيه شيء من عذريتها، إنما استمتعت وفقط، لم تعترض بعد ذلك، بل وصل بها الأمر أن طلبت منها ذات يوم أن يذهبا إلى الشقة معا.

تبرر لنفسها أن ما تفعله يطفئ بداخلها نيران الشهوة بعيدًا عن رجل يطفئها تاركا بداخلها بذرة تقلب حياتها رأسا على عقب في المستقبل، إنها لحظات من المتعة تنتهي وتعود إلى نفسها بلا أدنى خسائر.

- مين من الشباب ما عندوش لحظاته الخاصة اللي بيمارس فيها العادة السرية؟

هكذا قالت لها إيمان ذات يوم وهي تصنع عصير الكوكتيل ثم تعقب:

- وهاتفرق أيه جوه الحمام عن بره الحمام يا لمياء.. بلاش نكدب على بعض بقى.

لم تعتقد لمياء في تلك الأيام أنها ترتكب ذنبًا تُحاسب عليه، إنها من الأصل لا تقرب الصلاة، تقنع نفسها بأنه سيأتى اليوم الذي تستقر فيه الأوضاع وتبني أسرة وتتقرب من خالقها الذي من المؤكد سيغفر لها ما قدمت من ذنوب، كيف لا وهو الغفور، إن الله لن يقسو على من خلقهم بنفخة من روحه، يتركهم يلهون ويعبثون ثم يتوبون إليه فيتقبلهم برحمته التي لا حدود لها. تؤمن بذلك في داخلها ولا جدال فيه، لكن المسألة مسألة وقت فقط لا غير.

الحقيقة أنها مثل الكثير من أبناء هذا الجيل يتخبطون في خضم بحر ثائر الأمواج.

تترك لمياء باب الحمام مفتوحا، تبدأ في خلع ملابسها قطعة قطعة، تقف لينساب عليها الماء، فيُذهب عنها الكثير من العناء والإجهاد والهموم. صعب أن تستعر داخل الفتيات الشهوة دون أن تجد الطريق الشرعى كي تطفئها. الزواج اليوم أصبح من الأمور الغير وارده في حسابات الفقيرات في مجتمعنا، أصبحن كُثر، زادت نسبة النساء عن نسبة الرجال، هكذا قرأت لمياء في الكثير من التقارير، زادت أعباء الحياة بشكل يسبب إعاقة تامه لمشروعات الاستقرار الأسرى، سيطرت كل زوجة على زوجها وأحكمت قبضتها فلا تتركه أبدًا ليتزوج عليها مثنى وثلاث،



تكدست الهموم على كاهل الفتيات، لا عمل، لا زواج، لا مال
نار داخليه، نظام اجتماعي ونظرة مجتمع تلقي باللوم على العانس

تخرج الفتيات إلى مجالات أخرى لتحقق فيها ذاتها، قررت
لمياء أن تكون مجموعتها القادمة خمس فتيات، بدأت تفكر فيهن
من بين قائمة طويلة من الصديقات بينما الماء لا يزال ينسال عليها
ناعما مداعبا ثناياها في عشق بديع.

تعود إيمان إلى أكياس الطعام الجاهز وتفرغ محتواها في
أطباق من الفوم، توزع فرخة مشوية في طبقين وفي طبق آخر
السلطة وثالث المخللات، تخرج أرغفة الخبز وتوزعها على
المائدة، تأتي بزجاجة مياه من الثلاجة وكوب زجاج عليه صورة
لعروس البحر عارية الصدر، ترتد إلى الخلف خطوة وتنظر نحو
المائدة، تفكر لحظة، تسرع فتجذب المقعدين وتضعهما بجوار
بعضهما، تحمل المقعد الثالث لتبعده قليلاً.

تخلع إيمان ملابسها كاملة ثم تدخل الحمام، تجد لمياء لا
تزال تحت الدش والماء يتخلل جسدها تقترب منها مسوقة بنشوة
غريبة، تحوطها لذة لا تشعرها بوطء الأرض أو بتفاصيل المكان
والزمان.

بعد ما يقرب من نصف ساعة تجلس إيمان هادئة مع لمياء وقد
علتهم سعادة غير طبيعية، يرتدين أقمصة نوم شفافة تظهر تفاصيل
الجسدين، تأكلان في هدوء وتشربان من زجاجات البيرة المثلجة

والتلفزيون مفتوح على قناة اخبارية تتحدث عن تطور الأوضاع في تونس بعد فرار رئيسها إلى السعودية، ينتقل إلى خبر آخر يعلن فيه وزير الداخلية المصري عن أنها مجرد ساعات ويتم تقديم الفاعل الحقيقي في حادث تفجير الكنيسة الذي تم ليل أمس وراح ضحيته العشرات.

مطت إيمان شفتيها وأخذت الكوب في يدها وارتمت على الكنبة وهي تعلق:

- دلوقتي خارج وزير الداخلية يطمننا ويقول ساعات ويتم القبض على الجاني.. قبل كدا ما كانوش بيسألوا.. علامات الخوف يا لمياء بدأت تظهر عليهم وعلى تصرفاتهم.

تلحق بها لمياء وقد حملت وسادة ألقت بها على الأرض فوق السجادة كثيفة الفرو لتجلس فوقها بحيث جعلت من الكنبة التي تنام عليها إيمان مسندا تتكئ عليه، ترتشف قليلًا من الكوب في يدها وهي تنظر إلى التلفزيون وإن كانت لا تسمع منه كلمة واحدة ثم قالت:

- دائمًا يا إيمان بيجيني هاتف غريب، يرمي جوايا فكرة وبعدين يختفي، ممكن تقولي لحظة جنون، بعدها أنسى الفكرة خالص، بعد شويه ألاقيها بتحصل بالفعل

تتأملها إيمان لحظة، ثم تسألها بابتسامة عريضة:

- وأيه الفكرة اللي جت دلوقتي؟

- هاتندهشي..

- ليه؟

- حادثة تفجير الكنيسة مش مجرد حادثة إرهابية لضرب الشرطة..

- أمال أيه يا لميا؟

- المسئول عن تفجير الكنيسة هو اللي من مصلحته يعمل فتنة بين المسلمين والمسيحيين، تقوم الأمور تولع أكتر ضد النظام اللي مش قادر يحكم البلد.

يضطرب داخل إيمان لحظة. تتذكر الكثير من العمليات التي استهدفت إحداث الوقيعة بين الجماهير والحكام مستغلين في ذلك جهل الحاكم وبطشه وغروره، تعود إلى لمياء بابتسامة عريضة قائلة:

- وليه ما تقوليش إن دا عشان يشغلوا الجماهير عن المظاهرات الجاية.

- دا كمان فكرت فيه.. بس معقولة فيه حد يفكر التفكير الشيطاني دا؟

تنظر إيمان إلى لمياء بهدوء، تضم رأسها في حنان إلى صدرها:



- أيوه يا لمياء، على العموم هو دا أفضل تحليل، واللي هايأكد كلامنا دا إن الجانى اللي هايعلن عنه وزير الداخلية هايكون كبش فداء من الاسلاميين.. استنى كدا..

تتحرك إيمان إلى حقيبة يدها، تستخرج الموبايل وتطلب رقما، تنتظر لحظات ثم تتحدث:

- ألو.. أيوه يا سهيلة.. أنا الحمد لله.. (تضحك) لأ يا سهيله، لا النقاب ولا الخمار. أنا أفضل أسيب شعرى في الهوا. المهم، الأوضاع متأزمة وخصوصا بعد تفجير الكنيسة عندكم، عندي معلومات إنهم هايتهموا الاسلاميين، إنت بتدخلى معظم بيوت الأخوات يا أخت سهيله.. ابحثى واعرفي.. أنا في انتظار تليفونك.. سلام يا حبيبتى.

تضع التليفون في جانب وتعود إلى الكنبة، تتمدد في خفة، تنظر لمياء نحوها متسائلة فتجيبها إيمان:

- سهيلة بنت خالى عبدالعزيز، من السويس، جذور عيلتى من السويس، سهيلة من البنات المنتقبات وبتشتغل كوافيره متنقله، حريفه في الشغل بالفتلة ،كتير من الأخوات بيرفضوا يدخلوا محلات الكوافير، بيخافوا من الرجاله وعنيهم الزايغه، يطلبوا من سهيلة تروح لهم بيوتهم، شغلتها دي بتخليها على علم بتفاصيل كتير، عموما هي محاولة ممكن توصلنا لحاجة.

توافقها لمياء بإيماءة، تنتابها حالة من الحماس، تنهي على ما في الكوب دفعة واحدة ثم تأتي بتليفونها من حقيبة يدها وعلبة السجائر، تشعل واحدة تمسكها بيدها اليسرى بينما يدها اليمنى تعبث في التليفون بحثا عن رقم بعينه وعندما تصل إليه، تبتسم في هدوء، تتصل.. تتحدث في سعادة:

- سعاد الشقية.. أخبارك يا سوسو وأخبار سلوى ونجوى..

تنظر نحو إيمان وتغمز لها بطرف عينها، تفهم إيمان أنها بدأت في إعداد مجموعتها المكونة من خمس أفراد، تحمل تليفونها هي الأخرى وتتنحى جانبا وتطلب رقما.. تهمس:

- كله تمام يا مستر ناجي.. لكن الفلوس خلصت.. على فكرة.. محتاجه عربية الفترة الجاية للتنقلات، خصوصا التنقلات الليلية.. سلام.

***

(١١)

أمـــن الدولـــة

تأوه الشيخ شريف جلال وهو يعود إلى الحياة تدريجيا من غيبوبته، يشعر بالأرضية الصلبة الرطبة أسفله، حجرة ضيقة بدا سقفها على بُعد مئات الأمتار، أسفل وجهه يشعر بشيء لزج، يتحسسه فإذا به بقعة دم متجلطة سالت من أنفه على ما يبدو، تأوه أثر لحظة اعتداله، يشعر بثقل عظيم في جسده وأجزاء متفرقة منه تؤلمه، تحامل على يديه مرتدا للخلف كي يرتكن على الحائط فإذا به يبتعد فجأة من أثر الألم الذي شعر به في ظهره، آخر ما يتذكره تلك الكلمات التي كالها له النقيب تامر ابن شقيقة مدير أمن السويس، هو الآن في أمن الدولة، متهم بتفجير كنيسة أودي بحياة وإصابة العشرات من الأقباط.

ترى كم مر من الوقت وأنا هنا في غياهب هذا الجب؟ تساءل الشيخ شريف، لم يجد إجابه فلا ساعة لديه ولا توجد شرفات يستطلع منها الوقت.

يجلس القرفصاء، يقرأ آيات من القرآن الكريم في همس ثم علا صوته تدريجيا إلى أن ملأ الغرفة. للشـيخ شريف صوت عذب في قراءة القرآن ينحو فيه نحو الشـيخ السديسى عندما يقرأ في الحرم، كان يؤم المصليـن في صلاة التراويح في جامع عباد الرحمن وفي العشر الأواخر يعتكفون فيؤمهم أيضًا في صلاة التهجد.

يُفتح الباب ويظهر الصول حلمي بابتسامته الصفراء قائلًا:

- الله.. إنت فوقت يا شيخ شـريف؟.. بقى يا راجل تروح كدا من أول علقة..

ينهي الشـيخ شـريف قـراءة الآيـات ويصدق ثم يحوقـل، يرفع عينيه إلى حلمي ليحدثه في هدوء:

- أنا هنا ليه يا صول حلمي؟

- ما قالك الباشا.. متهم في تفجير الكنيسة.. قوم تعالى.. الباشا منتظر تفوق بفارغ صبر.

يرفعـه حلمي من يده فيصرخ شـريف من ضغط يد حلمي على جسـده، يأخذ وقتا حتى يعتدل، يسـير جارا قدمـا خلف الأخرى، يصل إلى مكتب النقيب تامر الذي يجلس يحتسى نسكافيه من مج زجاجى منقوش عليه صورته وأسـفلها نقشـت كلمة حبيب قلبي، إنه المج الذي أهدته إليه زوجته فيروز ابنة خاله مدير أمن السويس أثنـاء فترة الخطوبة. الآن تزوجا وأنجبا هند في الرابعة وسـيف في الثانية من عمره.



يقف الشيخ شريف ناظرا للأرض صامتا، يتفحصه تامر حسين ثم يشير إليه علامة الجلوس، يجلس متهاويا على أقرب مقعد، يقول في ضعف ووهن:

- أكرمك الله يا تامر بيه، ماليش علاقة بتفجير الكنيسة، الظلم ظلمة وحشه..

ينتفض تامر وفي لحظة يكون أمامه ليركله بقدمه في جانب وجهه الأيسر، يسقط شريف ناحية اليمين مهمهما بكلمات غير واضحة استمع تامر إلى بعضها:

- يارب.. يا منتقم.. إني مظلوم..

يستشاط تامر غضبا، إنه يعلم أن الشيخ شريف جلال ليس هو الفاعل الحقيقي ولكنه أحد رموز الجماعة المحظورة وهي المسئولة عن التفجير ولابد أن يتم تسليم الجاني خلال ساعات وفق ما أعلنه معالي وزير الداخلية على شاشات التليفزيون.

لابد أن يعترف شريف بجريمته ويقوم بالتوقيع على اعترافه أو على أقل تقدير يدلي بمعلومات عن الجاني الحقيقي.

يستمر في ضربه وهياجه إلى أن يطرق حلمي الباب ويدخل حاملا ورقة صغيرة، يقف تامر لحظات يلتقط أنفاسه، يظل شريف مطروحا على أرضية الحجرة يحاول مسح الدماء التي تسيل على وجهه بظهر يده، يتابعه حلمي لحظات، ينظر تامر نحو حلمي يحثه على الحديث، يمد حلمي يده بورقة صغيرة يتناولها منه تامر

ويشير له بالخروج، ينظر في الورقة، يزم شفتيه، يجلس على مقعد
في مواجهة الشيخ شريف وعلى وجهه ابتسامة لا معالم لها، ينتظر
لحظات حتى يهدأ شريف ويرفع عينيه ليستطلع الأمر، يتحدث
النقيب تامر وهو يشير بالورقه في وجه شريف:

- بتتكلم في المحمول وبعدين تمسح الأرقام يا شيخ شريف
خايف من أيه؟ آخر مكالمة ومسحت الرقم كانت للشيخ إبراهيم
السويفي.. اتكلمتوا في ايه يا شريف.. إنطق..؟

- قولت إني في طريقي لكم.. مطلوب من غير تهمه..

- ليه؟

- من باب المعرفة..

- أو من باب الاحتياط.. شريكك في تفجير الكنيسة.. ها يتم
القبض علي إبراهيم السويفي.. هانوجه ليكم تهمة تفجير الكنيسة
وهاتوقع على الاعترافات دي..

يتوجه تامر إلى مقعده بحركة فيها عنف يتناسب مع عضلاته
الظاهرة من أسفل قميصه الأبيض الحرير، يئن الكرسي الدوار
أسفله حاله جلوسه. ينادي بصوت جهوري:

- حلمي..

يُفتح الباب بسرعه، يظهر حلمي واقفا كتمثال من تماثيل
الجاهلية التي تظهر في الأفلام، لم تفارقه ابتسامته الصفراء
المطبوعة على وجهه، يجيبه بقوة:

- أمرك يا باشا..

- خدوا الكلب دا من هنا.. مش عاوز أشوفه إلا وهو جاي يمضى على الاعتراف..

يبتسم حلمي ويجيب النقيب تامر بقوله:

- بسيطة يا باشا.. دقايق ويطلب التوقيع على الاعتراف.. ولو عاوز نخليه يعترف إنه هو اللي قتل السادات.. هايعترف يا باشا.

بسعادة لا توصف ينحنى حلمي رافعا الشيخ شريف جلال كطفل نائم مدلى الأطراف. يذهب به إلى حجرة خاصة بالاعترفات المصرية، هي غرفة بها العديد من أدوات التعذيب، أرضيتها ترشح بالماء من كثرة ما ألقى فيها من ماء على الوجوه إما للافاقة أو كنوع من التعذيب في الليالى شديدة البرودة. صُممت الحجرة بشكل لا يسمح بخروج آهات وصراخ المعذَبون، لا تصلها أشعة الشمس، يختلط فيها روائح كثيرة ما بين دماء متجلطة وعرق غزير وفطريات نمت على جدرانها وهواء محبوس لا يتغير.

يلقى حلمي الشيخ شريف على أرضيتها غير مبال بأنينه، يرفعه من ساقيه كطفل، يعلقه على عارضة خشبية من قدميه، رأسه مدلى لأسفل، لحظات يشعر بعدها بالدماء تنهمر في رأسه شلالات تكاد تفجر عروقه، شعر بأن أذنيه ستكون الممر لتلك الدماء المنهمرة إن أرادت الخروج من الجسد، صرخ بشده، وقف حلمي خلف ظهر شريف المعلق، جذبه لأعلى أكثر وأكثر بحيث توسطت العارضة الخشبية ساقيه، بعد ثنيهما أصبح شريف معلقًا كلاعب

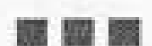
الأكروبات، يضم قدميه إلى فخذيه من الخلف بعنف، خشب
العارضة المعلق فيها يكاد يختلط بعظامه.

أشكال وألوان من التعذيب يفعلها حلمي وهو لا يكن أي عداء
للشيخ شريف بل يحترمه، ذات مرة قال في داخله «شريف طيب
وابن حلال وعمره ما يزعل مني وأنا باشوف شغلي» إن ما يقوم به
الآن مجرد وظيفة وتنفيذ أوامر، لا يرق قلبه لحظة ليتعاطف مع أحد
المتهمين، لا يكرههم، هي حالة وسط، كثيرًا ما يتقابل في الشارع
أو وسائل المواصلات مع أناس ضربهم وكسر ضلوعهم وصفع
عيونهم، يقابلهم بود وحنين وكأنه يتذكر أيامًا سعيدة في حياته

- كانت أيام حلوه، كنا نضرب المتهم ضربتين يعترف، الأيام
دي المتهمين دماغهم ناشفه.

تحدث بذلك لأحد الأصدقاء على المقهى ذات يوم وهو يسحب
بشدة من نارجيلة مُطعمة بالكثير من مخدر الحشيش، يحصل عليه
من تجار الحشيش في المنطقة نظير غض الطرف عنهم، أحيانًا يبيع
بعضه لجنى المال، أو يستبدله بالمنشطات الجنسية.

ينال قسطا من الراحة يتناول فيه رغيفين كفته ثم يحبس بكوب
شاي وسيجارة، يتثائب مطلقا صوتا طويلًا، يقف فاردا جسده
خشية من سيطرة النوم عليه، يتوجه نحو شريف جلال ليبدأ مرحلة
جديدة من العمل، مرحلة أكثر قسوة وأكثر شراسة.





(12)

وائـــل طلـعــت

نعاني بلاشك من نظرتنا للأمور التي تخضع لأهوائنا الشخصية. فعل واحد نراه بأكثر من وجـه، نتقبله إن صدر ممن نحب، نكرهه إن صدر ممن نبغض، نلتمس العذر لأنفسنا إذا تلقينا رشوة ونطلق عليهـا مجاملـة رقيقة أو هدية لابد أن تُقبـل لأن النبي ص الله عليه وسلم قـبِل الهدية. ونسميها رشوة إن تقبلها آخر وفي جهنم نهايته وبئس القرار.

الحقيقـة أنه فـي مجتمعنا، الكثيـر من المؤسسـات والمصالح الحكومية، يتم فيها تجميع الرشاوى في نهاية اليوم، تُقسم بالعدل على الجميع، ذلـك لأن هنـاك موظفيـن يتعاملون مـع الجماهير بشكل مباشـر، يتقاضون الرشـاوى، وآخرون في أماكن لا تتعامل مع الجماهير بشكل مباشر فلا تتقاضى شيئًا، وكيلا ينشأ صراع بين الموظفين في نفس المصلحة حول من يتعامل مع الجماهير ومن يمارس المهام الأخرى، نشأ نوع من التوافق على تجميع الرشاوى

وتقسيمها بالعدل، يُقرر ذلك مدير المصلحة، وله نصيب يومي من الغنيمة. شيء كهذا تحول على مر الزمن إلى عُرف متفق عليه، يخرج المدير ويأتي غيره، يتم تطبيق هذا القانون الغير رسمي عليه، في نهاية اليوم يأتي نائبه بمظروف مكتظ بمبلغ مالى، إن كان مديرا من خارج المكان فنراه في البداية يعترض، أيام يتناولها على استحياء، مع الوقت ينتظرها، ولاحقا يطلبها ويناقش كميتها في أحيان أخرى.

هذه المنشآت الحكومية أضحت هدفًا للكثير من الموظفين يسعون إليها عن طريق التعيين أو النقل أو الندب، يسلكون شتى الطرق لتحقيق ذلك وعلى رأسها بطبيعة الحال الرشوة. فما تدفعه اليوم سوف تحصل على أضعافه خلال شهور قليلة. أطلق عليها البعض أحيانًا أنها إعارة أو عقد عمل داخل الدولة يستحق أن تدفع له.

اتخذت الرشاوى أشكالا مختلفة وتثوبت بأكثر من ثوب، لم يعد هناك الموظف الذي يعتمد على راتبه في المعيشة، لابد له من دخل آخر، عن طريق الرشوة أو عن طريق عمل إضافي وإن كان في نفس الهيئة. المدرس يستخدم فصول المدرسة ومعاملها ويعطى فيها الدروس الخصوصية، يغيب ضمير المعلم فيغيب ضمير الطالب، يتهاوى نظام التعليم.

طبيب يستغل المستشفي الحكومى، يلتقى بمرضاه هناك يكشف ويستغل الأجهزة الطبية الخاصة بالأشعة والتحاليل

وعلاقة، يتقاضى المبالغ الماليه، طالبا منهم جعل الأمر سريا مقابل تخفيض يحصلون عليه يقترب من خمسين في المئة من المبلغ الاجمالى، غاب ضمير الطبيب، ضاعت الأمانة الطبية، انهار المنظومة الصحية.

المهندس الحكومى المشرف على مشروعات الدولة، من إسكان ومرافق عامة من كبارى وطرق وخلافه، يتقاضى رشاوى في شكل راتب من الشركات التنفيذية للمشروعات من أجل غض الطرف عن أعمال غير مطابقة للمواصفات، نحصل في نهاية الأمر على إسكان غير آدمى، مرافق متهالكة قبل استعمالها، طرق منتهية الصلاحية، كبارى غير مطابقة للمواصفات تتسبب في الحوادث الى مما تفيد المواطنين.

غير ذلك الكثير مما كان يعلمه وائل طلعت الموظف المدنى في الإدارة العامة للمرور، وظيفته تعتمد على مقابلة الجمهور وتقدير الرسوم والتوقيع على إستمارة دفع الرسوم في الخزينة ثم استلام وصل الدفع وضمه إلى ملف السيارة، هذا كل ما في الأمر.

في البداية كانت إعاقة ومماطلة المواطن جزءًا من طبيعة العمل حتى يقدم المواطن الرشوة مخبأة أسفل الأوراق فتتم عملية تقدير الرسوم بسرعة غير عادية، مع الوقت أصبحت الرشوة تقدم على الملا ومن الممكن أن يرسلها أحدهم عبر آخرين إن كان هناك زحام أمام الشباك، الغريب أن وائل وباقى الزملاء يتسلمون الرشوة بلا مبالاة ويلقون بها إلى الدرج بشكل آلى، لا يهتمون بصاحبها

الذي يظل واقفا في الزحام رغم كونه قدم المطلوب، ذلك لأن ما يُقدم من رشوة أصبح مبالغ لا قيمة لها بجوار أرصدة هؤلاء، إن تحدث أحد المواطنين بأنه قدم «الدخان» الرشوة وعليه أن يحصل على الخدمه المميزة، تلقى ورقته الماليه في وجهه ويهان أمام الجميع.

يبتدع البعض في تقديم أنواع مختلفة من الرشوة كنوع من التجديد والابتكار، تظهر قطع الحشيش، لفات البانجو، المنشطات الجنسية، كان لهذه الأخيرة قبول وصدي لدي المرتشي، يفرح بها كطفل يتلقى حلوى. يُلقى بها في مكان أمين معلقا بأنه لا حاجة له لمثل هذه المنشطات فهو طبيعى ولا يوجد أفضل من الطبيعي، يتفق معه مُقدم الرشوة مؤكدا على أن الطبيعى أفضل ثم يعقب: خليها احتياطى.

كونت هذه الشريحة ثروة لا بأس بها، بيوت بُنيت، سيارات حديثة، أرصدة بسيطة في البنوك، تغيرت نظرتهم نحو المكان الذي ينتمون له، لكن يصعب عليهم الانتقال إلى مستوى معيشي أعلى رغم امتلاكه المقومات، لكنه مجرد موظف، ينتمى إلى تلك الفئة لا يستطيع الفكاك منها، تتحول رغباتهم الدفينة هذه إلى كراهية لطبقة يأنفون منها وطبقة تأبى استقبالهم.

تتضاعف الأرقام، تتزايد الأطماع شراسة، لم تعد هذه الفئة من المرتشين تكتفي بالمكسب اليومي الذي كان بالأمس أحلاما صعبة المنال، نظرت إلى الأرقام ذات الأصفار، بحثت في أكثر



من اتجاه، بعضهم يتاجر في السـيارات والبعض الأخر يقوم بخلق ملفات جديـدة لسـيارات مسـروقة دخلت إلـى البلاد عـن طريق التهريب مقابل مبالغ كبيرة.

وائل طلعت احترف تجارة العملة، إنها تجارة رائجة، مكسـبها سريع، مضمـون، لا تحتاج إلـى رأس مال أو مجهـود، كل ما في الأمر انتشـار فقـط، يعلم كل من يريد تغيير العملـة أو الاتجار فيها أن وائـل طلعت يعمل في هـذه التجارة، يذهب إليـه يعطيه المبلغ المراد تغييره بعملات أخـرى، في موعد محدد يأتي ليحصل على ماله وعليه المكسب.

السؤال الذي وجهه أحدهم إلى وائل ذات يوم:

- ليه صاحب الفلوس ما يغيرهاش بنفسه؟

يفكـر وائل لحظة، ثم يحاول جعل الأمر بسـيطا فتظهر أسـنانه المتداخلـة التي كثيرًا مـا جعلت رائحة فمه كريهه خاصة مع رائحة دخان السجائر. يبتسم وائل وهو يقول:

- كل مـا زادت المبالـغ كل مـا زادت قيمة الأربـاح، أنا باجمع فلوس على أد ما أقدر، أروح للمكان اللي باغير منه، أغير وأرجع، أشيل مكسـبي وأوزعها على أصحابها، الحكايـة دي باعملها مرة في الأسـبوع، أجمـع نـص مليـون أو أكتر، مكسـبي في اليـوم دا بيوصل لخمستاشر ألف جنيه تقريبًا.

بهذا المكسب السريع المريح يعيش وائل طلعت تفاصيل حياته، صباحا في المرور ثم يعود إلى منزله بسيارته الفخمه. شاب في الأربعينيات من عمره، تزوج بفتاة جميلة هي ابنة عمه مريم أنجب منها شادي وفداء.

لم يكن لمريم أهداف غير الاستقرار، بحثت عنه فوجدته في شقة وشاب له وظيفة وإن كان قد حصل عليها عن طريق رشوة قدمها والده. لم تعلم ما بداخله ولم تحاول، يغلب عليه الصمت.

لدي وائل يقين تام بأن الحياة ما هي إلا مجموعة من الفرص وقتما تتاح الفرصة لابد أن يقتنصها مهما كانت الطرق المؤدية إليها، لا قيمة تمنعه من تحقيق مآربه، يخشى فقط أن تخونه الأحداث فيسقط في هوة سحيقة لا يستطيع العودة منها، يدرس الصغيرة قبل الكبيرة من تلك الأحداث التي يمر بها.

تلاحظ مريم شروده وانشغاله عنها، لم يخرج معها يوما للتنزه لم يغير حتى من أوضاع علاقته بها طيلة هذه المدة، يتعامل معها بشكل آلى، متلذذا تارة ومنهيا مهمة ثقيلة تارة أخرى.

وائل طلعت يشعر باستمرار أنه ينتظر فرصة كبرى، لا يعلم تفاصيلها، لديه يقين مؤكد بأنها ستأتي يوما ما.

في سوق المال الكثير من المشاحنات، صراع دائم ومستمر، سبق وائل طلعت أقرانه في المنطقة عندما حمل ما يقرب من نصف مليون جنيه لا يمتلك فيها غير ستين ألفا واشترى بكل

المبلغ أسهمًا عن طريق إحدى الشركات في البورصة، غاب من الأنظار لمدة أسبوع تاركا زوجته مريم تجيب على تليفوناته أو من يطرق بابه لتجيبهم بأنه سافر لمدة أسبوع واحد لظروف طارئة، بعد نهاية الأسبوع وفي لحظة ارتفاع لأسهمه قام بالبيع مباشرة وحمل الأموال بالأرباح وعاد إلى بيته، يعطى كل صاحب حق حقه، يعلم أن علاقته بالناس وصدقه معهم هو سر استقرار واستمرار أوضاعه، لم يفكر حتى الآن في الغدر أو التلاعب، لكنه يعلم أن طبيعته ترتضي ذلك وقد تفعلها، لكن في ظروف أخرى أكثر ملائمة.

مريم تتميز بوجه صبوح خمرية اللون، شفتيها ممتلئتين، غالبا ما تظهر أثار بصمتيهما بوضوح على الأكواب الزجاجية وقت تناولها المشروبات، جسدها معتدل لا بروز لجزء عن الأخر فيه إلا مؤخرتها المدورة الظاهرة قليلًا، شيء آخر تتميز به مريم وهو كفيها، يتميزان برقة وأصابعها ممتلئة بعض الشيء وقصيرة بشكل ملحوظ.

لم يتخيلها زكريا البيومي جارها يوما ما في أحضان آخر غيره هو، وعندما تقدم لخطبتها لم يكن يمتلك لا المال ولا الوظيفة التي تجعله مقبولا. إنه فظ غليظ، سواء كان في الشكل العام أو في الأسلوب، صاحب أنف ممتلئ وشعر ناعم لا يستقر أبدًا إلا إذا طال وهو دائم قصه فيظهر واقفا كما الدبابيس، بشرة دهنية لزجة، تترك بثورًا صفراء بشكل مستمر. لم يشعر يوما أن مثل هذه الصورة

قد تنفر منه أحدا. يرى نفسه بلا نقائص، بل يجب أن يُحب دون عناء.

ثقة غبية في النفس تنتاب البعض، تجعل من قدرات قليلة جدًا وأفكار مكررة بالية ومهارات معدومة، أمام صاحبها، شيئًا نادر الوجود يجب أن يصل بصاحبه إلى الدرجات العلى. زكريا البيومى من هذا النوع من البشر.

واقع الأمر أن تلك الثقة الغبية في النفس وقدراتها المزعومة تولد لديهم نوعا من الاصرار على تحقيق مكاسب لا يستحقونها، لكنهم في النهاية وبسبب هذا الاصرار قد يحققون ما يريدون.

أيام ويتم إعلان خطبة مريم على ابن عمها وائل طلعت، هنا فقط ظهر الغريم والعدو الأول لزكريا البيومى، حياته كلها تحولت إلى كتلة نارية من الكراهية هدفها القضاء على وائل، تخيل أنه بالقضاء عليه تكون مريم له.

تمر الشهور والسنون ولا هدف لزكريا غير إسقاط وائل طلعت ونيل المراد من محبوبته الأزلية مريم.

بدأ يُعد خطته بعناية وهدوء منتظرا اليوم الذي تتاح فيه الفرصة لتحقيق حلمه.

■■■

(13)

هانــي فــؤاد

مرحبًا بك يا يسوع على أرض الكنانة، هبة النيل، تقدست الأرض وبوركت المياه عندما وطأت أقدامك الطاهرة أرض بلادنا فسقطت كل أوثان فرعون وتحطمت، وتفجرت ينابيع الماء والخير والنماء، مرحبًا بك يا يسوع.. مرحبًا..

عبارات قليلة تلك التي يحفظها هاني فؤاد مما علمته أمه في طفولته، لا يعلم لماذا يرددها الآن وهو يصعد السلم إلى شقته.

يغلق باب الشقة خلفه، يضع مفاتيحه على ترابيزة قديمة لونها بني قاتم مثل باقي قطع الأثاث التي تحوطها ستائر ثقيلة قاتمة أيضًا، إن تأملت نقوشها وجدت صلبانا صغيرة. صورة للعذراء معلقة على الجدار بجوار صليب ضخم من خشب الأبانوس المطلى باللون البني القاتم أيضًا. على الجانب الآخر ترابيزة صغيرة عليها شمعدان به بقايا شمع قد اشتعلت من قبل، خلفه برواز يحتوى

على نقش نحاسي للقديس ماري جرجس في صورته الشهيرة فوق جواده يقتل التنين.

الإضاءة خافتة جدًّا بشكل يدل على عدم وجود أحد بالشقة، لكن الحقيقة التي يعلمها هاني هي تفضيل والدته ماريان لتلك الاضاءة الخافتة كنوع من عدم الإسراف، تعلمت الحرص من والدتها في مرحلة طفولتها، عندما شبت وتفحصت الأمور وجدت أنهم على حق، فلماذا الإسراف ما دامت الرغبة قد تتحقق بالقليل، لماذا تكون الإضاءة كثيرة ما دمنا قد نبلغ غايتنا بلمبة واحدة؟ لماذا نتناول الكثير من الطعام ما دام الجسد يستطيع الحياة بالقليل، بل الحياة الأكثر استقرارا، فالإسراف في تناول الطعام يؤدي إلى تخمة وأمراض لا حصر لها.

تحدثت ماريان كثيرًا لولدها بأن التقليل من الطعام وتنظيم الوجبات ومراعاة احتوائها على الفيتامينات التي يحتاجها الجسد لا يؤدي أبدًا إلى الأمراض، أما الإكثار والإفراط في تناول الطعام سبب مباشر لزيارة الأطباء. ماريان تكره زيارة الأطباء وتفعل كل ما من شأنه أن يبعدها عنهم. مع السنوات ضاقت معدته وأصبح قادرا على أن يمرر اليوم بلقيمات خفيفة، تعودت عيناه على الإضاءة الخافتة، لا يشاهد التليفزيون إلا برامج محددة وفي أوقات محددة، قطع ثيابه منظمة يرتديها بشكل مجدول، لا يشترى الجديد إلا بديلا لما قد يتلف، وهو قليل.



يجلس هاني على أريكة في جانب الصالة بهدوء، شعرت به والدته ماريان، أتت من حجرتها في خفة ورشاقة بعودها النحيف مرتدية روبًا ثقيلًا نوعًا ما يقيها من ذلك البرد الذي يجتاح المدينة في ذلك الوقت من العام، ويتزايد في شقتهم على وجه الخصوص نظرًا لتسربه من الجدران الرطبة المتآكلة المتساقطة قشورها.

يتدلى شعر ماريان على كتفيها في انسياب هادئ، يبرز دائرة وجهها الأبيض المحتفظ بروعة جماله رغم اقترابها من العام الخمسين، لم تشعر ماريان يوما بأنها فارقت مرحلة الشباب، مؤمنة بأن الحياة لها روعتها في كل مراحلها، تعلم جيدًا أنها لو اقتنعت بأن سنوات العمر الجميلة قد مضت فستتحول حياتها إلى جحيم من أمراض لا تنتهي، خضرة ورائحة الشباب لم ترحل من قلبها ولم تغادر تقريبًا ملامحها التي احتفظت بنضارتها حتى اليوم، لم يغزو اللون الأبيض رأسها إلا عددًا لا يتحدي أصابع اليد الواحدة ،لم تهتم بها ماريان، إهمالها يقضى عليها ولا ينميها، هذا هو اقتناعها الدائم.

ملفوفة القد تميل إلى النحافة، تفهم لغة الجسد جيدًا وأكثر ما تتقنه منها لغة العيون، لديها قدرات خاصة في التعبير بعينيها الواسعتين وقتما تتحدث، يساعدها ذلك السواد في عينيها الذي يجذبك إليها فلا ترى من جسدها الكثير.

تضم ماريان بيديها على صدرها كتاب بدا أنها كانت تقرأ فيه لوهلة، تبتسم في حنان وهي تواجه هاني، منذ أن أنهي دراسته

يبحث عن فرصة العمل المناسبة، بعد طول بحث عمل في صيدلية الدكتور سمير بطرس، يبيع الأدوية ويغسل بلاطها في آن واحد، يتمرد على هذا العمل بعد أن أشعره الدكتور سمير أكثر من مرة أنه قبله في العمل متعطفا عليه وأن أي فتاة حاصلة على دبلوم ستقوم بالعمل أفضل منه وتتقاضى نصف راتبه. يترك الصيدلية لهذه الأسباب وسبب آخر شاهده بعينيه أكثر من مرة وهو تلك الأفعال غير الطبيعية التي يقوم بها الدكتور سمير مع نرمين رمزي زميلته في العمل في الصيدلية، لم يشعر هاني تجاهها يوما براحة، سلوكها يشوبه كثير من الانحراف، لكنه كان يؤثر الصمت، أما في هذا المساء ولحظة استدعائه للدكتور سمير من المعمل لرؤية روشتة بها أحد أصناف الجدول، يدخل هاني إلى المعمل بشكل طبيعي، يقف مذهولا مما يراه، الدكتور سمير مع نرمين رمزي في وضع ممارسة جنسية كاملة. يشعران به وهو يفر خارجا من المعمل. دقائق ثقيلة تمر، يترك هاني بعدها الصيدلية بلا رجعة، يتركها ومعه مظروف يحوي مبلغًا ماليًا هو مستحقاته المالية حتى هذا اليوم، ووعيد من الدكتور سمير ونرمين رمزي بأنه إذا تحدث عما شاهده لأي مخلوق فسوف يتم الابلاغ عن سرقته لكميات من الأدوية من الصيدلية، تعقب نرمين بأنها شاهدت ذلك بعينيها ثم تعقب بأنها سوف تتهمه بأنه حاول أكثر من مرة التعدي عليها والتحرش بها.



يعود إلى غرفته ويغلق بابها عليه، يتقوقع أياما لا يدرك عددها، تلك الأحداث والتهـم التي تنتظره كانت صادمة، جعلت لسانه قليلا جدًّا تاركا الأحداث تمر من حوله.

ماريان، أمه، دائمة النصح له:

- لازم تتحمل مصاعب الحياة ومشاكلها يا هاني، عمر الأكل ما هايكون له طعم إلا وإنت جعان، مش هاتحس براحة النوم إلا بعد التعب.. يسوع قدوتنا، يسوع اتعرض للتعذيب اللي ما حدش اتعرض له، كان بيدعيهم للحق فعذبوه واتحمل، الارهاب والتطرف على مر العصور، لكن يسوع كان بيتعذب ويبتسم في وش اللي بيعذبوه وكان بيستمر في نصحهم

تصمت لحظة مبتسمة في وجهه، بينما يتأملها صامتا، تلقي عبارتها التاليه التي تحفظها عن ظهر قلب، فتقول:

- ضع الله بينك وبين الضيقة، فتختفي الضيقة ويبقى الله المحب، ولا تضع الضيقة بينك وبين الله، لئلا تختفي عنك المعونة الإلهية، وتبقى الضيقة أمامك، فتشكو وتتذمر..

ينظر هاني إلى أمه معجبا بثقافتها الدينية التي لا تمل من تنميتها أبدا. ماريان اسم مشتق من اسمين هما «ماري» ويعنى بحر المرارة و«آن» يعني النعمة، ماريان خليط من الاسمين وهو من أصل عبري، حدثته بهذا المعنى أكثر من مرة:

- حتى في بحر المرارة هناك نعمة من الرب.



تجلس ماريان إلى جوار هاني وتربت على كتفه في رفق ولم تفارقها نظرة الحنان الممزوجة بالأمل، يبحث عن نظرة كي يجرح مشاعرها، لكنها خرجت ممزوجة باليأس، يستاء، فينظر في الاتجاه الآخر، يعلم مدي رقتها وعذوبتها..

شعرت به وبما يعتمل في داخله، واجهته بحنينها وكتمت زفرتها داخلها، تشيح بيدها اليمنى كأنها تزيح هما ثقيلا إلى جانب وتقول:

- اسمعني كويس يا هاني، شعورك بإن الله موجود يطمنك يحسسك إنك مش واقف لوحدك، هناك اللي يسندك، الله الذي قال لنا أن عدد شعر رؤوس البشر محصاة، الله الذي يدافع عنك وما يسمحشى إنه يسلمك لأعدائك، الرب اللي قال: الرب يقاتل عنكم وأنتم تصمتون.

يهدأ هاني لحظة بعد كلمات أمه المطمئنة، تقع عيناه على صورة مارى جرجس يهاجم التنين من فوق حصانه. يتحدث في هدوء:

- الرب كلفنا بالعمل والبحث عن طرق بديلة للطرق المقفولة، كنا بتناقش أنا وأصحابى في حال البلد واللي وصلت له، الكنانة اللي تقدست وبوركت بوصول يسوع لها، النهارده هي تحت أنياب وحوش تفترسها، بتتكلمى يا ماما عن العمل؟ مين

والواسطة والرشوة وكل أنواع الفساد اللي بيضرب بجذوره في أرضها. وبعدين فين حقوقنا كمسيحيين.

تنظر والدته نحوه مستفهمه، فيكمل قائلًا:

- بناء الكنائس والمناصب القيادية في البلد.

ترفع ماريان كتفيها وتمط شفتيها، تعود بظهرها إلى الخلف أكثر وهي تتأمل صورة العذراء على الحائط المواجه لها، ثم تقول بهدوئها المعتاد:

- الموضوع مش كدا يا هاني، بخصوص المناصب القيادية، فيه فعلا مسيحين في مناصب مهمة في البلد، عندك وزير المالية ووزيرة البحث العلمي وغيرهم كثير في مناصب عليا غير الوزارات، من جهة رأس المال إنت عارف كويس إن أضخم رؤوس أموال في البلد، هي ملك مسيحيين، وعارف كمان إن نسبة التشغيل في القطاع الخاص عند الشركات المملوكة لمسيحيين هي نسبة تشغيل المسيحيين، البطالة الموجودة بينا وهي قليلة، سببها رفض البعض للعمل إلا في الوظايف اللي بيحلموا بها، أما بقى بناء الكنائس، فإنت عندك حق، قلة عدد الكنايس حوالينا وبُعدها بخلي كتير منا ما يروحشى لها إلا في المناسبات، لكن لو كانت قريبه كانت هاتشجعهم على زيارتها بشكل مستمر والاستماع لنصائح الأباء، ودا ها يساعد على نشر تعاليم ونصائح يسوع.

تتسلل البرودة إلى جسده فينكمش هاني في مقعده ويضم ساقيه إلى صدره، يتمنى للحظة لو يرتاح على صدر أمه ويبكي ما يتاح له من البكاء، يزفر وهو يمد اصبع الخنصر في أذنه اليسرى بحركة لا إراديه وهو يقول:

- سؤالي المباشر هو: هل يستحق هذا الشعب مسلم أو مسيحي هل يستحقوا اللي بيحصل لهم النهارده؟ من ظلم.. إمتهان لكرامة الانسان وعدم تقديره، سخرية من عقله ومشاعره، كدب وتضليل وعمليات غسيل مخ، عارفين إنهم مكشوفين ومع كدا مستمرين في التعامل بها ليل نهار وكأنهم قادة على قطيع أغنام.

تضع ماريان الكتاب الموجود في يدها على المنضدة، تعتدل واقفة، تغيب لحظة في المطبخ، حديثهما لا يجب أن ينسيها أن وقت الطعام قد حان ويجب أن يأكل هاني شيئًا، لحظات تعود بعدها حاملة صينية عليها طبق به قطعة لحم وطبق صغير يحتوي على الأرز، ناولتها إلي هاني وتعود إلى مقعدها قائلة:

- وإنت بتاكل هاكلمك عن مصر وأرضها يوم ما دخلها يسوع.

حديث لا تمل منه ماريان أبدًا، قصته أكثر من مرة على مسامعه وعلى مسامع بعض قريباتها عند زيارتها، لم يركز هاني في تفاصيله من قبل، اليوم لديه رغبه في الانصات. تستمر ماريان في هدوء متحدثة بعشق لا يفتر عن أنه ورد في إصحاح «متى»: ظهر ملاك الرب ليوسف في حلم، قائلًا: قم وخذ الصبي وأمه واهرب إلى



مصر، وكن هناك حتى أقول لك، لأن هيرودس مزمع أن يطلب الصبي ليهلكه، فقام وأخذ الصبي وأمه ليلاً وانصرف إلى مصر. وعند أشعياء النبي مكتوب: هو ذا الرب راكب على سحابة سريعة وقادم إلى مصر فترتجف أوثان مصر من وجهه ويذوب قلب مصر داخلها.

ذكرت هذه الآية في كتب اليهود ويذكر لنا مفسرى العهد القديم أن السحابة السريعة هي العذراء مريم النقية الطاهرة، وعندما وصل يسوع إلى مصر مع البتول كانت الأصنام والأوثان تسقط، كان الكهنة يفطنون لذلك ويربطون بين وجود هذا الصبى وبين سقوط أوثانهم وأرادوا به الشر، لكن من علم بمعجزاته حذروهم وأخبروهم بحقيقته، فهربوا من أمامه مرعوبين، كان دخول السيد المسيح أرض مصر بركة كبيرة لأرضها وشعبها فبسببها قال الرب: مبارك شعبى مصر.

■■■

(14)

هدي أم مصعب

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: 286).

صدق الله العظيم.

تنهي هدي «أم مصعب» آخر آيات سورة البقرة بصوت حنون تشقه نبرة قلق وتوتر تنم عن شرودها الفكري، تغلق المصحف وتضعه على ترابيزة في جانب الصالة بهدوء وخشوع ولا يزال لسانها يلهج بذكر الله:

– يا رب.. اللهم يا رحمن اشملنا برحمتك وعطفك وعنايتك واخرج شريف من تحت يد أبالسة أمن الدولة سالما، اللهم إننا

ضعفاء لا حول لنا ولا قوة، أنا عبدتك وهذا ولدي طفل ولا راع لنا، اللهم كن معنا..

تقف من فوق وسادة الصلاة وترفعها في يدها وتلقى بها فوق المقعد في جانب، تنظر من فتحة صغيرة في الشرفة نحو الشارع لعلها تشاهد الشيخ شريف عائدا، طالت نظرتها وفحصت وجوه المارة، تعود لتجلس، تقف، تنظر إلى مصعب طفلها النائم، تعود إلى الشرفة وهكذا..

تأخر الوقت وهبط الظلام، بدأت الحركة تقل في الشارع ولم يظهر الشيخ شريف، انقطعت سبل الاتصال بينهما، كيف لها الراحة الآن؟

لا تعلم هل سيعود الليلة أم يظل محجوزا ليوم أو أكثر؟ تذكرت الشيخ إبراهيم السويفي، لا تحتفظ برقمه، لم تفكر أنه سيأتي يوما تحتاج إليه، بعد لحظات استجمعت فيها نفسها، تذكرت الأخت «سهيله» فمن المؤكد أن لديها رقم تليفون زوجة الشيخ إبراهيم، تتصل بها، تحكي لها ما حدث في عجالة وعن كونها لا تستطيع فعل أي شيء وفي حاجة إلى أن يتحرك الشيخ إبراهيم السويفي وباقى رجال جماعة الإخوان المسلمين بالسويس، تنهي المكالمة وتنتظر.

دقائق ويرن هاتفها فإذا برقم يظهر بدون اسم، يأتيها صوت الشيخ إبراهيم السويفي هادئا وقورا متحدثا بأخوية:

- الأخت أم مصعب؟

- نعم..

- أنا الشيخ إبراهيم السويفي..

بمجرد أن سمعت صوته يأتيها هادئا حتى تشعر بالهدوء يتسلل إليها طاردا التوتر، تجيبه بصوت خفيض:

- أهلًا بحضرتك يا فضيلة الشيخ إبراهيم، الشيخ شريف خرج من..

- هو اتصل بيا قبل دخوله مبني أمن الدولة، إن شاء الله هاتمر الليلة بسلام ولو ما رجعشي على بكره العصر هايكون لنا كلام الي معاهم، ما تقلقيش.

- غصب عنى يا شيخ إبراهيم، بتسيطر عليّ أفكار وكوابيس وأنا صاحيه.

- عليكي بذكر الله وقراءة القرآن.. ألا بذكر الله تطمئن القلوب؟

تنتهي المكالمة وقد هدأت أم مصعب قليلًا، إنها المرة الأولى التي تشعر بمثل هذا الاضطراب، كثيرًا ما استدعى زوجها إلى أمن الدولة وكثيرًا ما احتجزوه يوما أو أيام، وتم اعتقاله ثلاث مرات في السنوات القليلة الماضية، ألِفَت هي كما ألِفَ هو الاستدعاء والاعتقال، إنه الجهاد في سبيل الله وهو ضريبة النفس حتى يأتي يوم تعلو فيه كلمة التوحيد ويعم صوت الحق الآفاق.



تذكرت الأخت «سـهيلة» فاتصلت بها تشكرها على اهتمامها عبر الهاتف آتاها صوت سـهيلة أنثوي ناعم يتسـلل إلى الوجدان كانـت هذه طبيعة سـهيله، تتحدث بأنوثة طاغية تستخدم نظراتها وصوتها، أسلحة تسيطر بها على كل من تتحدث إليه فتصل سريعًا إلـى القلـوب، كثيـر مـن الأخوات ذكـرن فـي أحاديثهـن الجانبية «ما شـاء اللـه عليها.. عندها قبـول رباني».. كانت تعلـم أن رزقها متوقـف على مـدي تقبل الآخريـن لها ويتوقف على مـدي أمانتها أيضًـا، نجحـت فيهمـا ممـا زاد من شـهرتها في الوسـط وزاد من دخلهـا، كونـت ثروة مـن عملها عبارة عن شـقة في شـارع جانبي متفرع من ميدان الأربعين وسيارة مستعملة، الشقة مغلقة لا تذهب إليها إلا بين الحين والآخر لتهويتها وقراءة القرآن فيها، أما السيارة تستعملها في تنقلاتها داخل المدينة.

مـا إن اتصلـت أم مصعب بسـهيله حتـى أتاها صوتهـا الأنثوي الناعم:

- كنت منتظرة تخلصى مكالمتك مع الشيخ إبراهيم وأكلمك.

ابتسمت أم مصعب وقد أكبرتها وهي تجيبها:

- الشيخ إبراهيم طمنى وطلع عارف الموضوع، قولت اشكرك على اهتمامك.

- تشكرينى على أيه، وبعدين يا أم مصعب إحنا أخوات في الله واللـي بيننـا كبير، أنا بس عـاوزه أقولك إن حادث تفجير الكنيسة

في الظروف اللي إحنا فيها مخلى أمن الدولة وجهاز الشرطة كله يفقد توازنه، ولازم يبحثوا ويحققوا مع كل اللي يعرفوهم وخاصة أعضاء جماعتنا.

- عارفه دا يا أخت سهيله وكنا متوقعينه، لكن القلق بقى ودي حاجه خارجه عن إرادتي..

- ياريتني أقدر أزورك وأبات عندك أخفف عنك يا أم مصعب..

قد تذهب كلمة واحدة غضب أفعال وأيام طوال، وقد تشعل كلمة أخرى نارا لا يعلم غير الله متى تنطفئ، وكما قال الرسول الكريم صلى الله عليهم وسلم: وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم.

نزلت كلمات سهيلة على قلب أم مصعب بردا وسلاما وزاد احترامها لها، فقالت لها بحب عميق:

- جزاكي الله خيرا يا سهيله، كفاية مشاعرك الجميلة، خلاص بعد، أنا هديت، قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا..

تنتهي المكالمة، تدخل أم مصعب إلى السرير وفي يدها كتاب الله تحتضنه وتقرأ في قلبها ما تحفظه من آيات، ثم تفتحه وتقرأ فيه.. وهكذا إلى أن يغلبها النعاس.

■ ■ ■



(15)

ناجي عبد اللطيف

مقابلة ناجي عبداللطيف بإيمان سمير في إحدى الندوات لم يكن أبدًا وليد الصدفة، كان مدبرًا له من فترة، منذ أن تقابل ناجي مع عدد من أبناء الجالية المصرية في دولة قطر وكان من بينهم الطبيب سمير جابر والد إيمان.

الشيخ إبراهيم السويفي الداعية المصري المعروف، ابن مدينة السويس، صاحب الخطب العصماء والمريدين بالملايين، هو من قدم ناجي عبداللطيف لأبناء الجالية المصرية في قطر وذلك في إحدى زيارات الشيخ لقطر، فكان الشيخ ممن تدعوهم الجاليات المصرية والعربية في معظم دول العالم لالقاء الخطب الدينية والندوات، بُعدهم عن الوطن ومشاهدتهم لأناس يدينون بأديان أخرى يُشعرهم بالابتعاد عن الله، أو أن ابتعادهم عن وطنهم مصر يلقي بداخلهم مثل هذه المشاعر فيدعون الشيخ إبراهيم السويفي يقتربون منه وينصتون لحديثه وحكاياته التي لا ينضب معينها،



مستشعرين معه بالتقرب من الله والوطن. يقدمون له، غير نفقات الدعوات، الكثير من الهدايا، فيتغير حال الرجل ويمتلك منزلا فخما في التجمع الخامس ويركب سيارة فارهة ويتزوج الثانية والثالثة، والثالثة هذه كانت سحر عبدالكريم التي يكبرها ببضع وثلاثين عامًا.

من تلك الدعوات التي كثيرًا ما كان يتم توجيهها للشيخ إبراهيم السويفي، دعوة لمدة أسبوع وجهتها له الجالية المصرية في بريطانيا، تقابل فيها مع السيد ناجي عبداللطيف، مصري يعيش في بريطانيا من سنوات، تزوج ببريطانية تدعى ستيفا فرونسكي تعشق التاريخ الفرعوني وقرأت عنه الكثير وتعلم عنه ما لم يعلمه أهل مصر، عشقها للفراعنة ولمصر تجسد في عشقها لناجي عبداللطيف.

يحصل ناجي على الجنسية البريطانية ويستقر مع زوجته هناك لا يسافر إلى مصر إلا تنفيذا لطلب زوجته البريطانية التي تريد زيارة موقع أثرى جديد أو تخلد تحت شمسها أيامًا، تملأ رئتيها بهوائها المحمل بكل ذكريات التاريخ، ناجي يوافقها مندهشا من عشقها لمصر، ذلك العشق الذي لم يجد بعضه داخله، ثم يبرر ذلك بأن هذا أمر طبيعي فهو يعشق بريطانيا كما تعشق هي مصر.

يعمل ناجي في دار نشر كبرى في بريطانيا تدعى Greater Freedom، أي «الحرية الكبرى» وظيفته في البداية كانت مقتصرة على اختيار أحد الأعمال الأدبية العربية ليتم ترجمتها ونشرها في

بريطانيا والكثير من الـدول الناطقة بالانجليزية والتي تتبع بريطانيا ثقافيـا، كان يختار بعـض الأعمال وفقـا لقيمتها وجودتهـا الأدبية وبعد ترجمتها إلى الإنجليزية كانت تلقى في سلة المهملات.

بعـد عدة لقـاءات مع مدير الـدار فهم ناجي النوعيـة المطلوب ترجمتها من الأدب العربى، فلم تكن قوة الرواية من الناحية الأدبية هي الهدف، إنما كانت الرواية التي تدعو إلى الخروج على التقاليد العربية، فقد ذكر له مدير الدار بالحرف الواحد:

- نعلـم أن هنـاك عربًـا يريدون كسـر تلك التقاليـد والانطلاق لحريات أكثر في هـذا العالم المفتوح، نعلم أن هناك عربًا سئموا تلك التقاليد والعادات البالية، إنهـا الحرية الكبرى يا صديقى هي التي يطلبونها ولا تتاح لهم في بلادكـم، ونحن نفتح أذرعتنا لمثل هؤلاء، نأخذ أعمالهم ونترجمها وننشـرها في العالم أجمع، ننشـر أفكارهـم، نسـاعدهم فـي الخـروج من ذلـك القمقـم العربى إلى العالـم الرحـب، ولا يخفـي عليـك أن الحريات غيـر المألوفة في الحكم العربى هي هدف الدار.

يبدأ ناجي عبداللطيـف مرحلة جديـدة من البحـث والتنقيب عن تلك النوعية من الأعمال، يبدأ بتدشـين موقـع إلكترونى أدبى عالمى يسـاعد الأدبـاء العرب في نشـر أعمالهـم إلكترونيًـا ويتم الترويج للموقع والدعاية له بشـكل موسع بين أفراد الجالية ثم في الكثير من المواقع ووسـائل الاعلام العربية، يتابعه مدير دار النشر



بسعادة، فها هو يسير على الطريق الصحيح وإن طالت المدة أو كثُرت المصروفات.

يمر عام تقريبًا والموقع الالكتروني يزداد قوة وانتشارا، يستطيع ناجي من خلاله اختيار عشرة من الأدباء من مختلف الدول العربية، ويقدم أعمالهم إلى مدير دار النشر، تتشكل لجنة تختار روايتين فقط، لشاب مصري وأديبة سعودية، تخرج تلك الروايات عن التقاليد الموروثة وتكسر العادات.

في إحدى الصحف الثقافية المصرية التي لا تبيع مائة عدد على الأكثر في الوقت الذي تكلف فيه الدولة مئات الآلاف من الجنيهات، يُكتب خبر صغير عن رفض بعض النقاد لروايات عربية نُشرت في بريطانيا لخروجها عن تعاليم الإسلام.

يتقابل الشيخ إبراهيم السويفي، في زيارة له للجالية العربية في لندن وبعيدًا عن أعين الأصدقاء والإعلام، بمدير دار الحرية الكبرى للنشر، حديث طويل تتقابل فيه الرؤى، يخرج الشيخ إبراهيم المقتنع تمامًا بأن الغاية تبرر الوسيلة، وغايته ومن معه ساميه وهي تطبيق شرع الله عز وجل، يخرج وقد اتفق على مد نشاط الدار إلى المنطقة العربية ويفضل أن يكون النشاط عمليًا لا أدبيًا فقط.

يستمر ناجي عبداللطيف في عمله وقد فهم المطلوب منه ويقوم على تنفيذه وفقا لمعتقدات دار النشر البريطانية، حتى يتم



استدعاؤه لمقابلة مدير الدار ذات يوم وبعد أكثر من ثلاث ساعات يخرج ناجي ومعه خطة عمل ينبغي أن ينفذها بكل دقة.

في اليوم التالي يلتقى ناجي عبداللطيف مع الشيخ إبراهيم السويفي ضمن فاعليات الندوة التي أقامتها الجالية المصرية في لندن، وبعد عبارات الترحيب يتحدث ناجي بلباقته المعروفة:

- لنشر الكثير من أفكار العرب المتطورة والمجددة هنا وفي معظم بلدان أوروبا، والغريب إن الأفكار دي ما تشوفشى النور في البلاد العربية نفسها يا مولانا الشيخ إبراهيم.

- أعزكم الله يا سيد ناجي، أهم شيء إن الأفكار دي لا تتعارض مع مبادئ الشريعة الاسلامية.

- مطلقًا يا سيدي، إحنا نتمنى للعالم العربى أن يعيش الحرية اللي بيعيشها الغرب، والاسلام هو منبع الحريات والشورى في الإسلام هي الديمقراطية وبيتهيأل‌ى إن الإسلام يرفض القهر اللي يعيشه البلدان العربية تحت أنظمة ديكتاتورية طاغية.

- بالطبع الإسلام يرفض دا، الإسلام دين العدل ولا يرضى أبدًا بالطبقات، كيف تقر عين المسلم وفي بلاده ناس بيموتوا من الجوع والمرض؟؟

- إذن اتفقنا يا شيخنا.. أي بلد عربى تود أن نبدأ منها؟



يزوم الشيخ إبراهيم قليلًا وكأنه يفكر باحثا عن البلد المناسب وكأن الحوار كله يتم بشكل عفوى لم يسبق الاعداد له والترتيب إليه.

حقيقة الأمر أن الشيخ إبراهيم السويفي لم يكن يعلم أن ناجي عبداللطيف هو الشخص الذي يجب عليه أن ينتقل به وبأفكاره إلى قلب العالم العربى، لكنه أدرك ذلك مباشرة حينما قدم ناجي نفسه إليه وقت التعارف وأخبره أنه يعمل في دار نشر Greater Freedom وفي نفس اللحظة لم يكن ناجي عبداللطيف يعلم أن الشيخ إبراهيم السويفي مكلفا بتسهيل مهمته في المنطقة العربية لقد اختاره ناجي لما يعلمه عنه من انفتاح على العالم ورفضه للأنظمة العربية الجالسة على أرائك الحكم.

يقول الشيخ إبراهيم وكأنه وجدها صدفه:

– قطر.. أول بلد نقدر نجرى فيها اللقاءات الأولية، هي قطر يا عزيزي، فيها مساحات للتعبير عن حرية الرأي.. وفيها كمان قناة الجزيرة وإنت أكيد عارف إن القناة دي لها نسبة مشاهدة عالية جدًا في العالم العربى وعندها قدرة في توجيه الرأي العام.

– فلتكن قطر يا مولانا..

ينتهي اللقاء ويتم الاستعداد لسفر ناجي إلى دولة قطر، فجأة يستدعيه مدير الدار ويخبره بشكل مفاجئ أنه تم فصله من عمله بدار Greater Freedom للنشر والتوزيع.

في الوهلة الأولى تعتلي ناجي علامات دهشة واستغراب، ماذا هل ليُفصل من عمله؟ إنه يسير وفقا لما هو مطلوب منه !! هل وشى من وشى به لأي سبب؟ هل وجدوا أفضل منه للقيام بهذه المهمة؟ هل أصبح ورقة مكشوفة يجب التخلص منها فورا؟! ...في الاتصال بـ ستيفا فرونسكي، زوجته صاحبة العلاقات والصداقات والتي بفضلها وصل إلى هذه المكانة في بريطانيا.

لم يتركه مدير الدار كثيرًا في حيرته، يخبره بأنه تم تعيينه كمدير لمؤسسة Greater Freedom للصداقة والعلوم الإنسانية وهي منظمة ستعمل في مجال حقوق الإنسان والحريات وخصوصا في العالم العربي، تنفرج أسارير ناجي ويسرى في جسده خدر انفعالي ...ممزوج بنشوة الانتصار خاصة بعدما سمع الرقم الذي وصل إليه راتبه الجديد.

يسافر مستر ناجي عبداللطيف مدير منظمة الحرية الكبرى العاملة في مجال حقوق الانسان إلى دولة قطر، يلتقي هناك ببعض المعارف القدامى من أبناء الجالية المصرية هناك. عن طريق مصادفة مرتبة مسبقا بشكل غير معلن يقابل ناجي الشيخ إبراهيم السويفي المدعو من أبناء الجالية لإلقاء بعض الدروس في الدين وقيل إن قناة الجزيرة سوف تستغل وجودة في البلاد وتجرى معه بعض اللقاءات التليفزيونية.

في المساء وخلال حفل ضم عدد كبير من المصريين والفلسطنيين في قطر يقدم الشيخ إبراهيم السيد ناجي عبداللطيف

للجمـع ذاكـرا بعض صفاته وحسـناته وكونه صاحب مشروعات داعية للحرية والحفاظ على المبادئ الإسـلامية لمسـلمي بريطانيا وأوروبا كلها.

ينسـحب الشـيخ إبراهيـم مـن الحفل لاسـتدعاء قنـاة الجزيرة لـه، تاركا ناجي الـذي يتعرف على الكثير من الشـخصيات ومنهم الدكتور سـمير جابـر والد إيمان، بعـد أكثر من لقـاء يتعرف ناجي على شـخصية إيمان وتفاصيـل كثيرة عن حياتهـا وتصميمها على تحقيـق أحلامها هناك فـي دنيا الصحافة، يذكر الرجـل أنه لا يقدم إليها إلا القليل من المال كي تلحق بهم في قطر لكنها تتخطى ذلك وترفـض تـرك مصر، لـن تذهب لتكون تلـك الفتـاة المغلوبة على أمرها المحبوسة في شقتها في انتظار شاب يتزوجها ليتنقل بها من شـقة إلى شقة، لقد تغلبت على نقص الأموال بعملها في الصحافة بالقطعة.

مـن خلال تعامـل ناجي مع سـمير والـد إيمان يـدرك أنه ذلك الرجل المنتمي إلى النوعية التي تطلق على نفسـها أنهم حريصون ولا يحبـون الاسـراف والبذخ لكن الحقيقة التـي لا مراء فيها أنهم بخـلاء، وهذا مـا تدركه إيمان في والديها وكان من ضمن أسباب رفضها السفر إليهم.

يدرك ناجي أبعاد شـخصية سـمير بشـكل يجعله يتوغل سريعا إلـى أعماق تلك الأسـرة من خلال عدد مـن العزومات وقليل من الهدايا، يتخلل ذلك أحاديث ومناقشـات حـول أوضاع المغتربين

المصريين والمقارنة بين تلك الدول التي يعيشون فيها ودولتهم الأم والأنظمة الحكومية التي يتمنوا أن تسود بلادهم العربية لتحقق الديمقراطية والعدالة، تنتهي الندوات باستمرار بالتمني والأحلام والآمال وصلاح الأمور في العالم العربي.

يكتب ناجي تقاريره ويرسلها إلى مدير دار النشر في بريطانيا، يتلقى تعليمات كلها تدور في إطار فكري واحد وهو التركيز على إظهار مساوئ نظام الحكم في مصر، وهذا كان محور حديثه في اللقاءات التالية، يتحدث عن أموال نظام الحكم في خارج مصر وعن فيلل وقصور وممتلكات العائلة الحاكمة في بريطانيا التي يعلمها جيدًا، فقد امتص الحاكم ورجاله دماء هذا الشعب المطحون المغلوب على أمره.

تسيطر تلك الموضوعات على كافة أحاديث الجاليات المصرية في الكثير من دول العالم ووصل بعض هذه الحوارات والنقاشات إلى أماكن متفرقة وجماعات فكرية مختلفة داخل مصر نفسها، حتى إن بعضهم استطاع الوصول بجمل وعبارات التشكيك هذه إلى داخل مؤسسات الدولة ومصالحها.

نوعية من الشيوخ من تلامذة الشيخ إبراهيم السويفي كانوا يطعمون أحاديثهم بعبارات تذهب بالعقول، فقال أحدهم يوما في خطبة الجمعة لمريديه الذين انتشروا وزادوا الأمور إشعالا:

- من سنين قبل الفاكهة المستوردة ما تملى البلد.. اتقابلت
في وسائل المواصلات.. صدفه.. مع عامل في مطبخ القصر
الرئاسي، وكلمني كتير أيها الأخوة الأفاضل عن نوعية الطعام
الذي يأتي خصيصا للرئيس من باريس بالطائرة، الأكل بيجي
من بلاد بره ويوصل سخن !! ولا الفاكهة، العامل دا قالي إنه في
يوم قدر يحصل على موزة.. بس مش أي موزة، كانت راجعه من
مائدة الرئيس عشان تترمى في الزبالة، اللي بيفيض عليهم يترمي
في الزبالة اللي بتعدم مباشرة، لا تصل إليه يد بشر سواء بالأكل
أو بتسريب بعضه للخارج لأنها من أسرار قصور الرئاسة اللي ما
تخرجشي بره، العامل الغلبان جاب صُباع الموز ورجع به على بيته
وهو مرعوب أحسن يتكشف، أخد الموزة يفرجها لمراته وأولاده،
مراته أخدتها وهو نائم ولفت بيها على الجيران.

مثل هذه النوعية من الأحاديث يسربها الشيخ إبراهيم لتلامذته
فيمررونها إلى مريديهم فيمررونها إلى مختلف أبناء الشعب فتزداد
الأحقاد والنقمات على الحاكم، كثيرًا منهم لا يجد رغيف العيش
ويتقاتلون أمام الأفران وحول مستودعات الغاز وهؤلاء يزف
إليهم بالطعام ساخنا من باريس !!

يصل ناجي إلى مرحلة جديدة وهي لابد من المواجهة بين
تلك المجموعات المعترضة على أنظمة الحكم والناقمة على
رجاله وبين هذه الأنظمة. لكن كي يحدث ذلك لابد من تكوين

مجموعات شبابية لتحريك الرأي العام وإحداث المواجهة المنتظرة.

يقرر ناجي عبداللطيف في داخله أن إيمان سمير هي إحدى فتياته في المرحلة المقبلة، في بعض سفرياته إلى القاهرة وفي ندوات حقوقية يتقابل معها وتتعرف هي عليه بعد توجيه من والدها الذي يقرر أن الرجل صاحب أفضال عليه وعلى غيره من المصريين المغتربين وقد ساعد في حل الكثير من مشاكلهم.

أسلمت إيمان نفسها إلى ناجي عبداللطيف، كان حديثه في البداية إرشادًا وتوجيهًا لا تناقشه فيها، حديثه عذب، حججه قويه، منطقه مقنع، بعد أن يثق فيها تمام الثقة وبعد أن يشعر بأنها طوع يده، يخبرها:

- المواجهة مع النظام الحاكم يا إيمان هي مواجهة خطرة واللي مايقع يا إما السجن وإما الإعدام.

تأخذها نزعة استقواء وتحدٍ، قليلة هي تلك اللحظات الحماسية البطولية في حياتنا، نعاني من ضعف ونكران للذات على الدوام، فإذا ما ظهرت تلك اللحظات البطولية، أظهرنا قدرات غير عادية تبهر العالم، إنها الفرصة فقط تاتي وسوف تشاهد ما لا تتخيله، لم تجد ما تعبر به غير قليل من الكلمات فقالت:

- من غير المواجهة يا مستر ناجي.. فالحياة زي عدمها.. نعمل حاجة ونموت، أحسن ما نموت وإحنا ولا حاجه.

يبتسم ناجي في داخله، يحدثها عن إسقاط النظام، تندهش حال سماعها كلمة «إسقاط النظام» لكنها لا تبدي اعتراضا، خوفها من الفشل ألجم لسانها، يكمل حديثه بأنه نظام جائر يحتاج إلى الكثير من الوطنيين أمثالها، وهو أمر يحتاج إلى الوقت والمال، هذا عمل المنظمات الحقوقية حيث إعداد الكوادر الشابة القادرة على قيادة البلاد في المستقبل. ومنظمة الحرية الكبرى على وجه الخصوص لها نشاط ملحوظ في هذا الشأن وقد رصدت قيادتها مبالغ طائلة لتحقيق أهدافها وعلى رأس قائمة الأهداف تلك تحقيق الحرية الكبرى في العالم العربى.

■ ■ ■



(16)

مجدي سرور

يقف مجدي مشدوهًا، لا يجد ما يتحدث به، الطلاق لم يخطر على باله مطلقا، لم يفكر في حياته أبدًا بدون هناء التونى، ما حدث كانت لحظة غياب فكري سيطرت عليه فيها النشوة. رغم حالة التوتر وتسارع الأحداث يفهم مجدي في هذه اللحظة ما حدث، من المؤكد أنهم رجال الحزب الوطني، استطاعوا تصويره في هذا الوضع، عاريا تمامًا مع إلهام مدكور العارية هي الأخرى.

تعرف على إلهام في إحدى الندوات على أنها ناشطة في مجال حقوق الإنسان وعضو مؤسس في جمعية خيرية شهيرة، تقربت منه في دلال. بعد العديد من اللقاءات والحوارات دعته لمناقشة بعض الأفكار التي تود أن تقيم من أجلها ندوة كبيرة في نقابة الصحفيين تغطيها كافة وسائل الإعلام المحلية والعالمية، سيكون لها صدى رائع، لحظة وصوله إلى العنوان الذي أخبرته به في التليفون، يجد نفسه في شقتها الخاصة، بثبات الأبطال يتعامل مع الموقف على أنه

عادي جدًا ويجب أن يظل ذلك الرجل الجيتلمان البعيد عن ذلك الفكر الشرقى البالى، جلس في هدوء، تناقشا في بعض الأفكار حدثته عن حقوق الطبقة العاملة والمعدمين، يجب أن يتم طرح أفكار خط الفقر في العالم الغربي وفي العالم العربي، المقارنة ستجعل المواطنين يشتعلون غضبا ضد الأنظمة الديكتاتورية المتسلطة التي تمتص دماء الطبقات الكادحة.

تغيب لحظات ثم تعود بصينية عليها قطعتين من الحلويات الشرقية مع فنجانين من الشاي، تضعهما وقبل أن يشكرها تختفي لحظات، يتناول بطرف الشوكة قطعة صغيرة من الحلوى المقدمة، يجدها لذيذة فيتابع التناول مع رشفات الشاي، يذوب في فمه طعم ينتشى له لحظة فيفرد ساقيه على طولهما مرتدا بظهره إلى مسند المقعد، ثوانى.. يعتدل بعدها في جلسته وقد ذهبت المفاجأة بعقله.

من الطرقة تظهر إلهام مذكور مرتدية روبًا ورديًا قصيرًا يُظهر ساقيها، بيضاء ملفوفة بضة طرية، دوت في أذنه مقولة: يا صفايح الزبدة السايحة يا براميل القشطة النايحة للفيلسوف المصري عبد الفتاح القصري. أعلى الروب فرو أحمر يحتوى صدرًا طريًا ينتظر من يلتهمه، لم يستطع التحرك، تقترب منه، على ساقيه تجلس، تتهاوى كل حصونه أمام سخونة أنفاسها، تحتوى وجهه بين راحتيها، تقبله بعنف، تمتص لسانه مطلقة آهات ساخنة، ينهال عليها مرتشفا من رحيقها، كانت ظمأي، مُطلقة منذ سنوات

وحيدة تعيش، رقيقة الملامح والجسد، مكتملة التفاصيل كما تمناها العاشق، مرسومة بقلم دقيق، حملها ووقف، ثمانية وخمسون كيلو بالملابس والكعب العالي، الآن بلا ملابس وبلا حذاء، كطفلة مدللة تأودت، أشارت بدلال نحو غرفة النوم..

توالت اللقاءات.. وجد أنوثة لم يجدها في زوجته هناء التوني، اكتشف أنه من تلك النوعية التي تعشق الدلال، السفالة إن أردنا الدقة، تسحقه، تخلق منه كائنا آخر، قوة غير عادية كأنه شاب تزوج حديثا، لفقد الوقار لذة، اللهو والعبث يجعله إنسانًا آخر، غير المعبأ، ليل نهار، في الإطار الأكاديمي النظري المغلف بعبارات يحفظها ويلقيها وأحاديث عن المدينة الفاضلة المفقودة على الأرض والتي لن تأتي أبدًا.

أصبحت إلهام ملعبه الجديد، مارس معها أشكالا وأوضاعا لم يتخيل نفسه فيها أبدًا، لو حاولت زوجته أن تقدم له مثل ذلك لنهرها بنوع من الوقار.

يشهق.. الآن تكشفت له الحقيقة كاملة، إلهام مدكور سيدة لعوب، عقرب سام ألقاه في طريقه منافسوه، هي منهم بلا شك، هي من دعته، هي من وضعت آلة التصوير في غرفة نومها وهي من أرسلت الصورة لزوجته.

يقترب أكثر من هناء محاولا أن يحتويها، ابتعدت عنه، جلست فوق أقرب مقعد منهارة، تحدث بعبارات متداخلة متضاربة:

- هناء.. دي أكيد خدعه كبيرة.. دي ألاعيب الحزب الوطني هما اللي..

تقاطعه وقد دفعته عنها، فيقف بعيدًا منصتا لها وهي تقول:

- هما اللي أيه؟ هما اللي راحوا.. خلعوا هدومهم.. ناموا معاها عريانين.. حد ضربك على أيدك يا سياسى يا كبير.. ناقص تقولى سقوك حاجه صفرا، إخصع الرجالة..

وقفت بشدة، يرتد مجدي للخلف خطوة، تنظر نحوه باحتقار شديد، تبصق في وجهه، تخرج تاركة المكان، عند الباب تقف لتقول:

- من غير شوشرة.. أنا إسمى مش شوية.. يتم الطلاق وبيتهيألى إنك لازم تخاف على إسمك إنت كمان..

تخرج مصدرة أصواتًا مزعجة بكعب حذائها المعدنى، تجذب الباب خلفها بشدة ليصدر صوتا مزعجا، يستفيق على أثره مجدي من شروده، يقف لحظة لا يجد ما يفعله، يدلف إلى مكتبه، يجلس محاولا الإلمام بشتات أفكاره. كيف يطلق هناء! يجب أن تغفر له ذلته هذه وسوف يتعهد لها بألا يعود إلى ذلك أبدًا وأنه ندم على ما فعل أشد الندم، يجب أن تغفر له كي تسير مركب الأسرة بينهما ولد وبنت، في الجامعة والثانوية، يدركون من الحياة الكثير الإنفصال سيؤدي بهما إلى أزمة حقيقية.

يجب أن يستغل الأولاد في الضغط على هناء، مستقبل الأولاد أهم، من الممكن أن يكملا معا وتظل الواجهة الزجاجية أمام الأعين نظيفة لامعة، يتعهد لها ألا يقربها وكأنهما منفصلين، يتعهد

تلك الآن حتى تهدأ وبعدها يكون له معها شأن آخر. يرتاح إلى تلك الفكرة فيهدأ قليلاً.

يتذكر إلهام مدكور، يكور قبضة يده اليمنى ويضرب بها سطح المكتب بشدة، في تلك اللحظة يدخل الخادم حاملا علبة السجائر التي طلبتها الهانم، يتناولها منه ويطلب فنجان قهوة، يحتاج إلى تركيز شديد في تلك اللحظات، إلهام مدكور هي من أرسلت تلك الصورة إلى زوجته، مؤكد أن لديها المزيد، قد ترسل تلك الصور إلى جهات أخرى، منافسين، صحف أحزاب منافسة، إنها نهايته بلا شك، احتواه خوف وذعر، موضوعه مع زوجته هناء أمر يسير مقارنة بما ذهب إليه تفكيره مع إلهام مدكور، علاقته بزوجته في النهاية هي علاقة مع فرد، أما ما تملكه إلهام قد ينهي علاقته بالمجموع، في لحظات تنهار كل أحلامه، يجب أن يحدثها فورا، يخرج تليفونه من جيب الجاكت، يستدعي رقمها بيد مرتعشة، يدخل الخادم بالقهوة، يضعها ويخرج، يرتشف الفنجان على ثلاث رشفات متتالية، يظهر رقم إلهام على شاشة التليفون، كأنه يضغط زر تفجير قنبلة يضغط زر الاتصال، لحظات ويأتيه صوتها:

- بيبى.. وحشتنى..

- عاوزك ضرورى يا إلهام..

- خلينا للسهره.. جايبه لك وضع جديد إنما أيه.. جنان..

- هناء.. مراتى.. وصلها صورة..



- صورة؟؟ صورة أيه يا مجدي؟!

- صورتنا وإحنا.. مش هاينفع الكلام في التليفون.. يا ريت تيجي لي مقر الحزب.. ولا أقولك.. قابليني في كوستا.. لأ مش هاينفع مكان عام.. وشقتك مش هاتنفع..

- فيه أيه يا مجدي.. أنا مش فاهمه حاجه؟

- إلهام.. هاعدي عليكي بعربيتي.. نخرج في أي مكان.. دقايق وأكون عندك.

ينهي الاتصال، يخرج عابثا على غير عادته، هل من المعقول ألا تعلم إلهام شيئًا عن أمر تلك الصور؟ رد فعلها يوحي بجهلها الأمر، لكن كيف يحدث ذلك؟ كاد عقله يتوقف، يوجه قوته كلها إلى ساقيه المرتعشة وهو يسير نحو جراج منزله القريب من مقر الحزب. دقائق ويشق بسيارته الفارهة السوداء شارع قصر العيني متوجها إلى ميدان التحرير، ينحرف يمينا حتى يصل إلى ميدان باب اللوق ثم ينحرف يسارا، هناك، أمام مدخل عمارة عتيقة تقف إلهام مدكور في إنتظاره.

وقفتها هذه وحالة القلق التي تبدو على وجهها تؤكدان جهلها بأمر الصورة. هل هذه هي الحقيقة أم أنها تتمادي في تمثيل دور العاشقة التي لا تعلم شيئًا؟ توقف أمامها، فتحت باب السيارة، دلفت إليها مضطربة:

- فيه أيه يا مجدي.. قلقتني؟!

(17)

إيمان سمير

تستعد إيمان سمير للنوم في غرفتها بعد أن ذهبت لمياء سعيد في نوم عميق على الأريكة في الصالة، تحضر غطاء خفيفا تسحبه عليها، تغلق الأنوار في الصالة إلا من لمبة خافتة في الطرقة المؤدية إلى الحمام، تلقى عليها نظرة رقيقة، تأملتها تسبح في نومها، هادئة، حالمة، يتبعثر شعرها على وجهها في تناغم، لو تمتلك القدرة على احتوائها داخل قلبها لفعلت.

تترك الصالة في هدوء وتذهب إلى غرفتها، تمددت فوق سريرها، تتذكر ذلك الصمت الرهيب من والديها في دولة قطر يعملان طوال العام، لا إجازات إلا عشرة أيام في العام، عرضوا عليها كثيرًا الانتقال للمعيشة معهم، هناك يستطيعون تدبير فرصة العمل كصحفية في احدي الصحف، رفضت إيمان، تجد نفسها هنا في مجتمعها، بين الأصدقاء، هي دنيا من صناعتها تجد فيها آمالها، انضمامها إلى تلك المنظمة الحقوقية كان بعد أن أشعرها

مستر ناجي عبداللطيف بأن لها دورًا مهمًا في المرحلة القادمة فقد بدأت رياح التغيير في الهبوب، أبحاث ودراسات حقيقية أقرتها المنظمات الدولية تؤكد ذلك وتؤكد أنها في حاجة إلى شباب مفكر ناضج من أمثال إيمان سمير، سعدت إيمان أيما سعادة بهذه الكلمات، شعرت ببداية الوقوف على طريق الحياة ذات الهدف، خاصة بعدما قال لها بأنها ينتظرها مستقبل مشرق ولا يستبعد أن تكون رئيسة تحرير صحيفة كبرى.

كثيرًا ما سألت نفسها: ما هي البصمة التي يجب أن أتركها في هذه الدنيا، اللمسة التي خلقت من أجل إضافتها على اللوحة الكونية؟

بتفاصيل حياتى العادية جدًا لن تكون هناك أي بصمة أو لمسة، لابد من حدث جلل أشارك فيه بدور فاعل، حدث يسطره التاريخ ويسجل تفاصيله وأسماء من صنعوه، يخبرها ناجي بأن دورها الرائد لن ينتج من مجرد كلمات أو مشاركات في الندوات إنما بـ «تأهيل» أكبر عدد ممكن من الشباب فكريًا.

في البداية استخدم كلمة تأهيل، لكن.. بعدما تأكد من سيطرته التامة عليها، تحدث معها بحرية وصراحة فاستخدم كلمة «التجنيد» بدلًا من تأهيل، لم تعلق على تغيير هذه الكلمة وفطنت أن هناك مراحل لاستخدام كل كلمة، وقد دخلت إلى أرض الأحلام ولن تعود دونما قطف ثمار أشجارها وإن كانت محرمة.



عندما تعاملت مع لمياء وتوفيق وباقى المجموعة استخدمت كلمة تأهيل هي الأخرى، لم تغامر باستخدام كلمة تجنيد وقررت ألا تستخدمها، فما نجح معها قد لا ينجح مع غيرها، كادت تذهب في النوم وهي تصارع في خضم بحر أفكارها المتلاطم، فجأة يرن هاتفها المحمول تسرع بالتقاطه كي لا يوقظ لمياء، تجد المتصل «سهيلة» ابنة خالها، يأتيها صوتها الأنثوى الناعم الرشيق معلنا عن صدق حدسها فتقول:

- رغم اختلافي معاكي يا إيمان ورفضى لتعصبك ضد النقاب ورفضك الانضمام إلى الجماعة إلا إنى أؤكد وأبصم بالعشرة بأن لك عقل كبير ورؤية ثاقبة.

- أيه؟ عندك أخبار جديدة؟

- قبضوا على الشيخ شريف جلال أحد أقطاب جماعة الاخوان النهارده وهو دلوقتي محجوز في أمن الدولة.

تزفر إيمان بشدة وهي تجيبها:

- كبش فدا، يقدمه الوزير بكره عشان يهدي الأخوة الأقباط والمعارضة.

- على العموم مشايخنا الأفاضل مش ساكتين..

تنتهي المكالمة بعد بعض أحاديث عائلية ونسائية بسيطة، تتحرك إيمان في الحجرة، لا تستقر في مكان تشعر بأن هناك دور

أو خطوة عليها أن تفعلها الآن، لكن ما هي وكيف؟ لا تدري ولا تعلم.

تفكر لحظة في الخروج إلى لمياء في الصالة توقظها، تخبرها بأن حدسها قد صدق وأن أمن الدولة قد بحثت عن كبش فداء من الجماعة المحظورة تحمله تهمة تفجير الكنيسة، غدا سيقدم وزير الداخلية الجاني.

برامج التوك شو سوف تمطرنا بمخاوفها من تظاهرات إخوانية لن تخرج أبدًا وأحاديث عن خروج تظاهرات مسيحية، لم يفكر فيها أحد على الاطلاق، مادة دسمة على إثرها يتحرك الإعلام مُحركا خلفه الرأي العام، متحدثا عن فتنة طائفية منتظرة، تشتعل الجماهير بحثا عن الاستقرار، عن الأخوة والمواطنة، أحاديث لا نهاية لها عن الدم الواحد للشعب المصري، لا تفرقة بين مسلم أو مسيحي، تليفزيون الحكومة يبث برامج وأغاني عن الوحدة الوطنية، يبث لقاءات عن بطرس في بيت أحمد وعن محمود يأكل مع مرقص و.. و.. حتى ينسى الدعوات إلى المظاهرات المنتظرة.

تتوقف في الصالة عندما تشاهد لمياء تنام وعلى وجهها ابتسامة ملائكية، يبدو أنها كانت في حدائق حلم وردي، تعود إيمان إلى حجرتها لتنام الآن وفي الصباح هناك طريق عليها أن تسلكه.

(18)

ماريان أيوب

ماريان.. تلك المرأة التي فقدت زوجها ووالد ابنها الوحيد هاني، فقدته بعد صراع طويل مع فيروس الكبد الوبائي المعروف باسم فيروس سي، ذلك المرض الذي ينتشر في مصر لأسباب كثيرة أهمها الجهل والعادات السيئة، فلم يعلم فؤاد أبدًا من أين أصيب بهذا الفيروس ولا كيف انتشر في جسده بهذا الشكل الخطير، فشلت محاولات إنقاذه.. توفي تاركا لها هاني، بذرته التي نمت أمامه، كان يتمنى أن يراه ملتحقا بوظيفة تليق به ويشاركه اختيار زوجة المستقبل ويحمل طفله الأول.. أمنيات قضى عليها فيروس سي، مثله مثل الآلاف الذين يرحلون عن عالمنا..

بشكل كامل يخرج هاني من حالته الانفعالية التي احتوته بعد حواره مع إيمان سمير والأصدقاء، استطاعت والدته ماريان أن تنقله بلباقتها وأسلوبها الهادئ الساحر المصحوب بتلك الابتسامة



البشوش النابعة من قلب رقيق، يندمج مع أمه وهو يمضغ طعامه بهدوء، يسألها:

- الأماكن اللي زارتها العائلة المقدسة مش محددة بشكل قاطع، فيه خلافات على بعضها.

تضحك ماريان بخفة ورشاقة عصفور صغير، فقد ذهب بها هاني إلى تلك المنطقة التي تعشقها، تاريخ العائلة المقدسة، تجيبه بأن هناك الكثير ممن يحاولون إضافة قداسة لمكان ما يستفيدون من تقديسه بهذه القصص، يصفونه بأن العائلة المقدسة مرت منه أو أقامت فيه فترة من الزمن، وما ذلك إلا لروعة الحدث وجماله، لكن هناك شبه اتفاق على أماكن محددة مرت بها أو أقامت فيها العائلة المقدسة عند زيارتها لمصر، تبدأ القصة بخروج يوسف الشيخ من أرض فلسطين تلبية لأمر الملاك وخرجت معه السيدة العذراء القديسه مريم راكبة على حمار وتحمل على ذراعيها يسوع طفلا ، وقد أجمعت كل الأراء الشرقية والغربية على أن مريم العذراء ركبت حمار وسار يوسف جانب الحمار ممسكا بمقوده حسب المتبع عادة في الشرق.

يتذكر هاني تلك الأيقونة المرسومة والمحفوظة في المتحف المصري والتي تمثل هروب العائلة المقدسة حيث تمتطى السيدة العذراء الحمار ويسير في الخلفية يوسف حاملا يسوع طفلا على كتفيه، يكمل الانصات إلى أمه التي تؤكد له أن رحلة العائلة المقدسة الى أرض مصر وفي داخلها ليست بالأمر الهين، إنها

رحلة شاقة مليئة بالآلام والمتاعب والمشاق، لقد سارت السيدة العذراء حاملة الطفل يسوع ومعها يوسف البار عبر برية قاسية عابرة الصحارى والهضاب والوديان متنقلة من مكان إلى مكان وكانت هناك مخاطر كثيرة تجابهها فهناك الوحوش الضارية التي كانت تهدد حياتهم في البرارى وفي الرحيل عبر الصحراء حيث كانت عادة المسافرين أن يسافروا جماعات، فبدون حماية قافله منظمة يكون أمل النجاه ضعيفا، ثم هناك تهديد القبائل التي تتجول في البرارى وقلق السيدة العذراء على الطفل يسوع وهو يتعرض للشمس المحرقة وبرد الليل ولكل تقلبات الجو فضلًا عن خشية نفاذ الطعام والماء وحسب المصادر التاريخية القبطية وأهمها البابا ثاوفيلس من باباوات الاسكندرية في القرن الرابع الميلادي، كان هناك ثلاثة طرق يمكن أن يسلكها المسافر من فلسطين الى مصر في ذلك الزمان، لكن العائلة المقدسة عند مجيئها من فلسطين إلى مصر لم تسلك أي من الطرق الثلاثة المعروفة، سلكت طريقًا آخر خاصًا بها وهذا بديهي لأنها هاربة من شر الملك هيرودس فلجأت الى طريق غير الطرق المعروفة قادها الرب وملاكه فيه.

ينتهي هاني من طعامة ويتبقى جزء من قطعة اللحم وتقريبا نصف كمية الأرز على قلتها، فتسحب ماريان الصينية، وتبدأ في تناول ما تبقى من طعام، لأنها تعلم أن ابنها مادام قد وضع الملعقة من يده فلن يرفعها مرة أخرى وهذه عادته، وقررت تناول ما تبقى من طعام لأنه لن يصلح للحفظ في الثلاجة أكثر من ذلك، فقد مر

عليه يومان تم تسخينه فيها أكثر من مرة، فإما أن تأكله أو ترميه فضلت أكله.

يشرد هاني لحظات باحثا في قائمة الأصدقاء عن الخمسة المكلف بتوصيل أمر المنظمة الحقوقية إليهم يقع اختياره على فادي وملاك أبناء خاله جرجس، وكارولين زميلة الدراسة والتي تعمل في إحدى المدارس الخاصة كمدرسة لغة إنجليزية ومشرفة باص في آن واحد، يحتار لحظات في اختيار الاثنين المتبقين تأتي على خاطره تريزة ابنة خالته لكنه يرفض ذلك الخاطر، فهو يبتعد عنها لعلمه بتعلقها به وحديث خالته المستمر عن ضرورة زواجه مشيرة بطرف خفي إلى ابنتها. يقرر أن يؤجل النظر إلى ما بعد الانتهاء من أمر الثلاثة.

تخرجه ماريان من شروده بعدما أنهت بقايا الطعام لتستكمل حديثها عن تفاصيل رحلة الأسرة المقدسة إلى مصر والأماكن التي من المؤكد مرورها عليها أو استقرارها فيها، فقد شملت تقريبًا مصر كلها في هذا الوقت حيث بدأت من مدينة رفح على الحدود ثم مدينة العريش يليها الفرما وهي موقع أثري مهم وميناء ومركز تجاري أيضًا، تعتبر الفرما من مراكز الرهبنة، يزيد من أهميتها أنها كانت المحطه الاخيره التي حلت بها العائله المقدسه في سيناء. بعدها وصلوا إلى تل بسطة وهي من المدن المصريه القديمه بجوار الزقازيق كانت تسمى مدينه الالهه، بعدما دخلوها جلسوا تحت شجره وطلب الطفل يسوع أن يشرب فلم يحسن

أهلها استقبال العائله، تألمت العذراء فقام يوسف النجار وأخذ قطعه من الحديد وضرب بها الارض بجوار الشجره وإذا بالماء يتفجر من ينبوع عذب إرتووا منه جميعًا.

- ألم يقابلهم الرجل الذي يدعى قلوم في تل بسطة هذه؟

هكذا يسأل هاني والدته المسترسلة في الحديث وكأنها تقرأ من كتاب خفي، فتتوقف لحظة تظهر فيها علامات السعادة على وجهها لاهتمام هاني بحديثها، ثم تؤكد بأن قلوم قابلهم هناك بالفعل وأخذهم إلى منزله في الزقازيق وأكرم ضيافتهم وكانت زوجته مريضة وتلازم الفراش منذ ثلاث سنوات، فيعتذر لهم ويخبرهم بأنها لا تستطيع مقابلتهم والترحيب بهم، هنا قال يسوع لقلوم «الآن إمراتك سارة لن تكون بعد مريضة» وفي الحال قامت سارة متجهة ناحية الباب مرحبة بالطفل وأمة وطالبتهم بالبقاء لفترة أطول لأن الصبى كان وجودة بركة لمنزلها.

كان بالمدينة معبد للأصنام وما إن دخلت العائلة المقدسة المدينة حتى تهشمت تماثيل الآلهه وتهشم المعبد الكبير وأصبح كومه من الجرانيت، ينتشر الخبر في كل أنحاء البلدة حتى إنه وصل الى الحاكم الذي علم من التحقيقات أن السبب هو دخول سيده تحمل طفلا صغيرًا وهو في الغالب الطفل المقدس الذي يبحث عنه هيرودس وكان هيرودس قد طلب من الحاكم القبض عليه. فأصدر الأوامر الى العسكر بالبحث عن الصبى في كل ركن من المدينه، سمع قلوم بكل الترتيبات والخطوات التي اتخذتها

السلطات للقبض على الطفل الذي كان سبب بركه وشفا لزوجته. يخاف على الطفل يسوع، ينصح مريم أن تهرب من المدينه ليلا لقله نشاط العسكر.

في المساء تستعد العائله المقدسه لمغادرة المكان، شكروا قلوم وزوجته ساره وبارك الطفل يسوع منزلهما. يخبر الطفل يسوع أمه أن كل مكان زاروه وعاملهم فيه الناس بترحاب يبني فيه كنيسة على اسم العذراء مريم ،يأتي اليها الناس للصلاه والعباده. وهذا ما تم فعلا في بلبيس، سمنود، البرلس، وادي النطرون، المطرية وعين شمس وغيرها من الأماكن التي مروا بها في مصر، وحيثما حلوا حلت البركات، فمصر أرض الكنانة في أمان يا هاني.

■■■

(19)

مـجـدي سـرور

ينطلق مجدي سرور بسيارته الفارهة، يخترق وسط البلد حتى يصل إلى المحور، بجوارة ترقد القطة إلهام مدكور، تكاد تختفي في مقعدها، قطعة شيكولاتة صغيرة تحتوى على طاقة لا حدود لها، رغم حنقه الشديد وشعورة بضيق لا حدود له من تلك الموقف الصعب الذي وُضع فيه إلا أنه لم يجد بداخلة تلك الكراهية المنتظرة لإلهام مدكور، تذكره لشقاوتها وخفتها وقت ممارسة الجنس وأوضاعها المثيرة التي تفاجئه بها كل مرة، ينظر نحوها نهما، تمنى لو ذهبا إلى شقتها لينتقم منها على طريقته الخاصة، لكن كاميرات التصوير الموجودة في شقتها منعته.

قبل أن يصل إلى نهاية المحور ينحرف يمينا هابطا إلى طريق إسكندرية الصحراوى، لحظات تظهر البوابات أمامهما، يقلل من سرعته، يتجه يمينا ليهبط بسيارته إلى جراج المول التجارى، لحظات ويستقران في أحد الكافيهات الملحقة بالمول، عدد رواد



الكافيه قليل جدًا، يختاره مجدي لأنه يعلم أن أسعاره مرتفعة جدًا بشكل يجعل الاقبال عليه ضعيف، هذا ما يريده الآن، التوتر لم يفارق وجه إلهام لحظة منذ أن ركبت معه السيارة، لكنها لم تتحدث بكلمة، تود أن تستمع إلى كافة التفاصيل، لا تريد أن يقطع سرده أي شيء، ما إن جلسا حتى انفجرت فيه كإطار سيارة منطلقة ينفجر فجأة:

- ما تتكلم يا مجدي، فيه أيه؟

ينظر مجدي حوله في هدوء محاولا رسم ابتسامته على وجهه يتأكد من أنهم معزولون بقدر كافي، قال:

- هناء مراتي.. وصلتها صورة.. صورة لينا.. أنا وأنتِ وإحنا مع بعض في شقتك.. على سريرك عريانين يا إلهام..

صعقتها المفاجأة، شهقت وارتدت للخلف، صمتت لحظات كأنما تعيد الاستماع إلى ما قاله مرة أخرى، ثم صرخت بصوت منخفض:

- إنت بتقول أيه، دا مستحيل، إزاي؟ إزاي يا مجدي، إزاي دا ممكن يحصل؟

- أنا اللي باسألك يا إلهام.. دا حصل إزاي؟

- إنت بتتهمني يا مجدي؟؟ بتتهمني إني باصور نفسي عريانة وأبعت الصورة لمراتك؟!

يصمت لحظة كأنه يستوعب عدم منطقية الحدث، يأتي الجرسون، يطلب منه مجدي سريعا اتنين ليمون فريش، كانا في حاجة إلى أي شيء أن يُهدأ من أعصابهما، ما أن يبتعد الجرسون حتى يقترب مجدي من إلهام قائلًا:

- ما أقدرشي أتهمك يا إلهام.. إحنا الاتنين في مركب واحدة والمركب دي بتغرق ولازم نلحقها.. خلينا نفكر بهدوء، وياريت تجاوبيني بدون عصبية.

- اتفضل..

- وجود صورة أو أكتر، معناه إن فيه حد صور..

- أكيد..

- الحد دا.. مش أنا..

- ولا أنا يا مجدي... (قالتها بعصبية ممزوجة بذهول)

- ok.. لا أنا ولا إنتي.. يبقى أكيد فيه حد تاني.. وبما إننا كنا لوحدنا في الشقة ومتأكدين إن ما فيش حد معانا، يبقى أكيد الكاميرا اللي صورتنا كانت مزروعة في الشقة..

- أيه؟ شقتي مزروع فيها كاميرات؟!!

كان كلامه منطقيا، وطبيعي أن تكون الصورة عن طريق كاميرا مزروعة، إلا أن الكلمة صدمتها، ذهولها جعل عقلها غير مصدق

لما تستمع إليه، أمور مثل هذه تحدث في الأفلام، لكن على أرض الواقع ومعها، فهذا ما لم تتخيله من قبل !!

لا تجد ما تتحدث به، صمتت لحظة وهي تنظر إلى السقف المعلق للكافيه ولا تشاهد منه شيئًا رغم نباتات الظل التي تتدلى أفرعها منه ورغم الإضاءة الملونة التي صرف عليها صاحب الكافية آلاف الجنيهات من أجل نظرة إعجاب من حسناء مثلها، تعود بنظرها إلى مجدي الذي يتابعها، تشعل سيجارة بعصبية ثم تسأله:

- طب ليه؟

- مش إنتِ المقصودة يا إلهام.. أنا المقصود.. هدفهم يكسروني بأي شكل..

- والعمل؟

يأتي الجرسون حاملا صينية عليها كأسين الليمون وعدد من المناديل الورقية والمناديل المعطرة المغلفة، في تلك الأماكن الجرسونات يستغرقون وقتا طويلًا في تقديم الطلبات، يتعاملون بهدوء وبشياكة وأناقة تدربوا عليها كثيرًا بشكل قد يثير غضب البعض مثلما أغضب إلهام مدكور الآن، بالفعل إلهام كانت في حالة مزاجية غير طبيعية، ها هي سمعتها تذوب وتتلاشى كقطعة ثلج تحت أشعة شمس أغسطس، تحترق مثل السيجارة التي تتلاشى احتراقا في يدها، كظمت غيظها من الجرسون الذي

انتهى من وضع المطلوب على الترابيزة لكنه لا يزال يقف محاولا التحدث مع مجدي:

- على فكرة أنا معجب بحضرتك جدًّا يا أستاذ مجدي وكنت عاوز أنضم لحزب حضرتك..

كي ينهي مجدي الموقف سريعا بعدما اصطدمت به شرارات غضبه من إلهام، يُخرج كارت من جيبه ويعطيه للجرسون قائلًا:

- دا الكارت بتاعي، إبقى كلمني السبت الجاي بعد تسعه بالليل..

كانت لهجته قاطعة بشكل لا يدع للفتى مجالا لمزيد من الحديث، حمل الكارت وانصرف، أعادت إلهام جملتها الأخيرة بنفس العصبية:

- والعمل يا مجدي؟

- المشكلة بقى ليها أكتر من فرع.. الأول أنا وانتِ يا إلهام.. حياتنا الشخصية بقت مستباحة ودي كارثة فعلا لكن ممكن حلها..

- إزاي؟

- نعلن إننا متجوزين وعادي جدًّا إننا نمارس حياتنا الطبيعية..

- متجوزين؟؟

وجدت الكلمة بداخلها استحسانا رفضت أن تُفصح عنه الأمر فخرج ردها مصحوبا بشيء من التعجب، لم يستطع مجدي قراءة داخلها فتعامل مع ما رسمته على وجهها قائلا:

- أيوه.. متجوزين في السر ودا عادي، ياخد يومين في الصحافة وبين المنافسين لكن هايعدي.. وإحنا مش أول ناس تقول كدا.

فهمت ما يقصده، تذكرت الراقصة ورجل الأعمال والـ(CD) الخاص بممارستهم الجنسية الذي شاهده العالم العربي كله، هدأت بعض الشيء، تناولت كأس الليمون ترتشف منه بهدوء مصطنع، تضع الكأس أمامها قائلة:

- والفرع التاني من المشكلة؟

- هناء.. مراتي.. مصممة على الطلاق..

ما دامت الأحداث تحمل مفاجآت وتفاصيل غير متوقعة يجب أن تكون ردود الأفعال في نفس السياق، تستجمع إلهام قدرتها، تستخدم أنوثتها الطاغية ودلال نطقها للحروف عندما يعبث لسانها بشفتيها، تقول:

- وماله.. طلقها..

حلول كثيرة، معقدة تارة، سهله تارة أخرى، قد تكون أمام أعيننا ولا نراها، كان حل الطلاق، بشكل طبيعي وهادئ، مختفيا عن مجدي، أو كان حلا يرفض التسرب إلى ذهنه، فالطلاق أبغض

الحلال، نمارس الحرام بسهولة ويسر، ونضطرب عند الاقتراب من أبغض الحلال..!!

تسللت عبارة إلهام إلى داخله تسلل ماء مواسير الصرف داخل جدران عمارات المحافظة، تنبسط خلايا وجهه المنقبضة، تعلوها لحظة هدوء، يستطيع الآن بما وصل إليه من شهرة في الوسط السياسي أن يتحرك بسفينته كقبطان وليس تابعا للقبطان، عادي جدًا ان تهبط هناء التونى من السفينة وتترك له عصا القيادة.

يستطيع أن يتدبر أمر أولاده، مازن في الجامعة الآن ويعلم أن له صديقة يبادلها المشاعر، سوف يزيد من جذبه إلى عالم السياسة فلا يتركه فريسة صراعات زوجية. أما عُلا فهي بطبيعة الحال قريبة من أمها، منذ أن تفتح جسدها عن كنوزها احتوتها هناء وجعلت منها صديقة، هناء التونى سيدة ناجحة وسوف أخسرها بلا شك، لكن أحيانًا تجبرنا الظروف على سَلك دروب الفشل، قوة الظروف دالة على ضعفنا، ربما أكون شخصا ضعيفا، سقطتُ في تلك الهوة السحيقة، جرفتنى إليها لوادر الحزب الوطني، لكنى سأجد الحبل الذي أتسلق عليه لأصعد..

يتوجه نحو إلهام بابتسامة أدهشتها، بادرته بسرعة:

- مالك يا مجدي؟

- عندك حق.. وماله لما نطلق..

- فيه ناس كتير شايفه الطلاق كارثه مع إنه في أحيان كتير بيكون طوق نجاة من كوارث أكتر ممكن تحصل..

- المهم.. نقطع أي لسان بسرعة..

- تقصد أيه؟

- نتجوز حالا..

- فكرت في كدا.. لكن فيه مشكلة يا مجدي..

- مشكلة.. مشكلة أيه يا إلهام؟

■■■



(20)

حلمي الورداني

بالقوة والبطش والقهر يمارس الصول حلمي الورداني عمله بوجهه الأحمر وشاربه الكثيف وجسده الممتلئ، يمارسه بلا ملل أو تراخي، يتعامل طوال الوقت بمنتهي القوة، من البداية وحتى النهاية، النهاية عنده سقوط الفريسة إما بالموافقة على الاعتراف بشكل كامل أو سقوطها مغشيا عليها، يوقظها بجردل الماء البارد على الرأس، بعدها يستكمل عمله مرة أخرى.

يوميا يحكي لزوجته ما مر به من أحداث، يروى لها جاعلا من نفسه أسطورة، تامر باشا لا يستطيع إنجاز أي قضية بدونه، بخبطة كف من يده يجعل من أعتى الرجال أطفالًا يبكون تحت قدميه، يخبرها بذلك ويرفع يده أمامه في الهواء ناظرا نحوها بابتسامة وحب، يرتبك داخل زوجته، تقترب منه في دلال، تحتضنه هامسة «أسد».. تجرده من ثيابه وتمتطيه بقوة، يعشق ذلك وعلى مر السنين عشقته هي، أصبح من تفاصيل حياتهم اليومية حال عودته



من العمل، يتناول الغذاء ثم يؤديان تلك العادة، يناما حتى بدايات الليل، يخرج بعدها إما للجلوس في مقهي الحارة يشرب الحشيش ويتابع المارة بعيون متفحصة متشككة تبحث عن تهمة لهذا أو مصيبة لذاك، وأحيانا يذهب إلى العمل إن كان هناك نوبتجية أو استدعاه تامر باشا.

بنفس القوة التي بدأ بها مع الشيخ شريف جلال يستمر في الكيل له، خلال السنوات الماضية علم أن هناك مناطق عليه أن يبتعد عنها أثناء الضرب وأخرى متاحة وتأتي بنتيجة ولا تترك آثارا ظاهرة خاصة بعدما نبهه النقيب تامر ذات يوم:

- مش عاوزين حاجة تبان يا حلمي، أحسن بتوع حقوق الانسان يفضحونا.

يتهاوى الشيخ شريف تحت لكماته ويسقط مغشيا عليه أكثر من مرة، يعود بعدها إلى الوعي على إثر دفعات الماء فوق رأسه، يتركه الصول حلمي دقائق يتناول فيها رغيف حواوشي آخر ثم يحتسي الشاي المغلي الثقيل جدًا، يعود إليه، يراه شريف شبحا يتحدث:

- هاتعترف يا شيخ وتخلص نفسك؟

يتحدث الشيخ شريف بصعوبة:

- إزاي أعترف بجريمة ما عملتهاش يا عالم؟ صدقوني.. أنا ما بأكدبش..

لا يبالى الصول حلمي الورداني بذلك الأنين المتقطع والاعياء الظاهر، يحتضنه بيديه القويتين ويرفعه فجأة ليعلقه في قطعة حديد المثبتة في الحائط، ترتفع الثياب بشدة، أسفل ذراعى الشيخ شريف المعلقه عليها، يقترب منه الصول حلمي ناظرًا إليه بضحكة خفيفة نابعة من سعادته بتعذيبه ووصوله إلى هذه المرحلة، يقبض على خصيتيه بيده بمنتهي القوة، يصرخ شريف جلال صرخة يرتج على إثرها المكان، يزيد الصول حلمي في الضغط أكثر وأكثر وعلى وجهه مزيج من علامات لا توصيف لها، يفقد شريف الوعى وهو معلق هكذا.

يشعل حلمي سيجارة يكاد يأكلها، يحمل جردل الماء، يُلقى محتواه فوق رأس شريف، يفيق على الماء البارد، جسده كله مبلل، لا يقوى على التنفس، يقترب حلمي وفي يده الصاعق الكهربائى.. شراسة غير طبيعية تبدو على قسمات وجهه.

في حجرة مكتب النقيب تامر حسين يستمع إلى صراخ شريف يصدر من حجرة التعذيب المعروفة لديهم بحجرة الأطفال حيث تحتوى على الكثير من الألعاب، ينشغل لحظات بتقليب قنوات التليفزيون، يتوقف لحظات أمام رقصة بلدي في فيلم عربى، تشغله الراقصة بثنياتها ذات اليمين واليسار برشاقة وميوعة بين آهات إعجاب الحضور.

فجأة يُفتح باب بدون استئذان، فإذا بالصول حلمي الورداني يدخل مهرولا وقد تغيرت ملامحه وللمرة الأولى تختفي



الابتسامة البليدة القابعة على وجهه، يرتعد النقيب تامر مكانه لم يتمالك أعصابه لحظة يصرخ خلالها:

- فيه أيه يا حيوان؟

تهرب الكلمات من قاموس حلمي، يشير بيديه في اتجاه غرفة التعذيب، ثم يرفع يديه في الهواء بلا معنى.. مهمهما ببعض الكلمات الغير واضحه.. يقف تامر صارخا مرة ثانية:

- إنطق..

- الشيخ شريف.. شريف جلال..

- ماله؟

- مات..

■ ■ ■

(21)

حسام منصور

ينتهي توفيق عبد الستار من اختيار الأصدقاء الخمسة لتكوين مجموعته الجديدة، يجرى اتصالا ببعضهم لمقابلتهم في مقهى بمنطقة التحرير. في طريقه ينعطف إلى أحد المطاعم الشهيرة في الحوار، يطلب وجبة من الوجبات الجاهزة مرتفعة السعر، لم يطلبها من قبل، كثيرًا ما شاهد إعلاناتها في التليفزيون، يأكل بنهم، يتلذذ، ينظر إلى كل قطعة لحظة قبل أن يقذفها إلى فمه، يتعجل يبلعها ليلقى بالتالية، يمتلأ كبرميل ورق يكاد ينفجر، يستخرج مبلغا من ذلك الظرف الذي أخذه من إيمان سمير ولا يزال منفوخا في جيب سترته.

يتحرك تاركا المطعم متوجها إلى أحد المقاهي الفاخرة القريبة من ميدان طلعت حرب، لا يزال أمامه بعض الوقت، يتناول بعض المشروبات، تسرى بداخله سعادة تمر كوهج اللمبات قبل احتراقها، يمد ساقيه على طولهما، يرتد للخلف، ينفث دخان

سيجارته، يتابع من خلف الزجاج العاكس حركة الشارع والباعة
أمواج تزحف في الاتجاهين، بين الجدية والهزل، الهرولة
والتسكع، عيون ترسل سهامها الوقحة في كل اتجاه، فجأة تقع
عينه على فتى يقترب من العشرين يضرب فتاة على مؤخرتها
تفزع شاهقة مطوحة بيدها نحوه فتطيش ضربتها، يشير الشاب
بيده علامة الجنون ساخرا، يترك المكان ضاحكا لا هاربا، لا يهتم
أحد ممن شاهد الموقف، يتحركون كأن شيئًا لم يكن، تعجز الفتاة
عن فعل أي شيء، تسب الجميع ببعض الألفاظ، تترك المكان
غاضبة، لا يزال يرى حركتها العصبية وانفعالها، يعلق أحد المارة
شارحا لآخر ما حدث ويده تتحرك تصف ثيابها الضيقة الفاضحة
يرحلون، يستمر تداخل الجموع، كُل في دنياه.

ينظر توفيق إلى الساعة، يجد أن موعده مع الأصدقاء قد اقترب
يحمل موبايله ومفاتيحه وحقيبة يده الصغيرة، يخرج إلى الشارع
يذوب في هذا الخضم الهائل من الجماهير التي لا تنتهي حركتها
يستوقفه فجأة صديق من أيام الجامعة، إنه حسام منصور.

حسام منصور شاعر الجامعة الثائر، يُفاجئ توفيق بحسام
تتماوج بداخله مشاعر مختلفة يطفو على سطحها توقيت المقابلة
مؤكد له دلالة خاصة، إنه يسير في الاتجاه الصواب، ضم حسام
إلى مجموعته يُثريها ويدعم موقفه، مرت سنوات عليهم لا يعرف
أحدهم شيئًا عن الآخر، يتناقشان في أمور الحياة المختلفة، ينظر



وفيق في ساعة موبايله، يمد حسام يده مودعا، يمسك توفيق بيده ولا يتركها:

- ما صدقت أشوفك يا مان.. تعالى نكمل كلامنا على القهوة.

يذهبان معا إلى نجمة التحرير.

حسام منصور شاب هادئ الملامح والطباع، نحيف، يرتدي نظارة طبية سميكة بعض الشيء، لحيته نابتة باستمرار، قليلًا ما يهذبها، يتركها مشعثة مثل شعره البني الداكن. تم تعيينه كإخصائي صحافة بمدرسة إعدادية بمدينة السادس من أكتوبر، يستطيع بعدها الحصول على شقة صغيرة في إسكان الشباب على أطراف المدينة، تزوج من زميلة، مُدرسة لغة عربية تدعى سماح، ليست بالجميلة لكن روحها حلوه، كما كان يقول لنفسه دائمًا، كتابته الشعر ومحبتها للغة العربية خلق بينهما ألفة ومودة كانت طريقا ممهدا يعبرانه للزواج، شيء آخر لم يعلناه وهو ضعف مرتبيهما كل على حدة لكنهما ما إن يجتمعا حتى يكونا مبلغًا يستطيعان به التغلب على بعض مصاعب الحياة.

بعد العام الأول من الزواج وإنجاب طفلهما الأول سعيد، تعرضا لموقف صعب جدًّا، الشقة التي يسكنون فيها على أطراف المدينة، لا تصلها وسائل المواصلات نهارا فما بالنا ليلا خاصة في ليالى الشتاء، ترتفع حرارة الطفل سعيد بشكل ينبئ بخطر داهم وقريب، تنهار سماح لحظة تخيلها فقدها لطفلها الأول، لا جار ولا

صديق ينقلهما إلى أقرب مستشفي، يتصل حسام بالخط الساخن لمرفق الاسعاف عشرات ومئات المرات ولا مجيب، يحمل طفلهما في الثانية والنصف فجرا ويهرول به على الطرقات وخلفه سماح منتحبة، بعد ما يقرب من مسيرة نصف ساعة، يستمعان لصوت توك توك يأتي من خلفهما، يقف حسام مشيرا له. فتى يقترب من العشرين من عمره، على وجهه أثار معارك لم تتركها حرب 67 على جنودنا، يبدو ثملا، عائد لتوه من غرزة تناول فيها كل ما يخطر على البال، يقضي على كل ما حصده من مال طوال النهار ويخرج مدينًا لصاحب الغرزة، يطلب منه حسام أن يقوم بتوصيلهم إلى المستشفي، الأجر الطبيعي خمسة جنيهات في مثل هذه الظروف، يشير فتى التوك توك بأصابع يده اليمنى:

- خمس برايز يا فندي.. ورقة بخمسين جنيه..

ينظر حسام نحو زوجته، كل ما يحملانه مبالغ هزيلة، صاحب التوك توك يريد أن يلتهم نصفها على الأقل، يتبادلان نظرات الذل والمهانة، يرضخان لقائد سفينة النجاة، يصلان إلى المستشفى، يتم إسعاف الطفل.

تلك الحادثة جعلتهم يفكرون كثيرًا في اقتناء أي وسيلة مواصلات تقلهم وقت الأزمات، فكر حسام في شراء موتسيكل لكن سماح رفضت الفكرة، فلا مستقبل لهذه الوسيلة مع أسرة كاملة فيها أطفال صغار، يدخلان جمعية خلف الأخرى حتى يكونا مبلغًا، بعد بحث ودراسة يشتري حسام سيارة فيات 124 موديل

1971 تمتص رحيقهما بعد ذلك لتصب به في جيوب الميكانيكي والكهربائي وغيرهما ولكنها كانت طوق نجاتهما وقت الأزمات وفقا لفلسفة الفئات المقهورة «حمارتك العارجة تغنيك عن سؤال اللئيم».

يحفظ قصائد نجيب سرور وأحمد فؤاد نجم، يلقيها وقت الأحاديث المعارضة، يحفظ قصائد نزار قباني يشدو بها وقتما يكون الحديث للمشاعر والأحاسيس.

في المقهي يطلب توفيق شيشة تفاح بينما يتناول حسام سيجارة طالبا قهوة زيادة، يتحدثان في بعض الأمور الخاصة، يقرأ أحدهما الآخر تقريبًا، يبدأ توفيق في توجيه الحديث نحو ما يصبو إليه قائلًا:

- أخبار قصائدك الثورية يا شاعر..؟

يزفر حسام بشدة واضعا ساقا فوق الأخرى نافثا دخان سيجارته في الهواء على دفعات، ثم يجيب قائلًا:

- الواحد نفسه مسدودة على الأخر يا توفيق.. لا جديد.. الهموم بقت مطبوعة على الوشوش.. شايف الناس في الشوارع؟ بس اللي بيخفف عني الواد سعيد ابني.. عيل صغير بس فظيع لما يشاغبني.. أقعد ألاعبه..

يخشى توفيق من أن يخرج الحوار من الطريق الذي يريده، يسرع قائلًا:

- أيام ما يعلم بها إلا ربنا يا حسام، في الفترة الجاية هاتطرح مظاهرات في يوم عيد الشرطة..

- سمعت عنها..

يقرر توفيق التصويب المباشر فيقول:

- أنا غير مقتنع بخروج المظاهرات شوية وترجع، نظام مكرع على الكرسى من تلاتين سنة، عمره ما يستجيب لمظاهرات شبابية ساعتين تلاته..

- كلامك صح يا توفيق..

يوارى توفيق ابتسامته، يضع على وجهه أقنعة مغزولة من خيوط الضيق والانفعال والأسى ثم يقول:

- لازم نستمر في التظاهر، لازم تحصل تغيرات جذرية يا حسام.. وصول رسالة للشرطة بإنها تتعامل بلا آدميه مع المواطنين أمر فضفاض، لازم نقف كلنا ضد مشروع توريث كرسى الحكم ورفض قانون الطوارئ. لازم نوقف الخصخصة وبيع القطاع العام.

- تخيل.. يبيعوا شركات القطاع العام بأقل من عشرين في المائة من قيمتها الحقيقية، عشان عمولة لا تتعدي واحد في المائة..

- أي منطق يخليهم يخسروا الدولة حوالى ثمانين بالمائة مقابل واحد بالمائة يدخل جيوبهم؟؟

- سمسرة حقيرة يا توفيق.

يصمت توفيق لحظات، يفكر في التحدث بشأن المنظمة، يقرر أن يؤجل ذلك لبعض الوقت.

يبدأ أصدقاء توفيق في الوصول واحدا بعد الأخر، يتسامرون قليلا، يجولون بين مشاكل مصر كلها، يستعرضونها، يضعون لها الحلول العبقرية التي تجعل من مصر سيدة العالم وأمريكا والصين وروسيا واليابان يطلبون ودها، في النهاية ينتهون إلى ما تنتهي إليه كل هذه الحوارات في كل مكان:

- يا عم قول يا باسط.. الحرامية اللي فوق يسرقوا إزاي لو الحال اتعدل؟!!

إنها تلك النهاية التي تسمعها على لسان كل طوائف الشعب وفي مختلف الأماكن، يخيم الصمت لحظات على الجمع، يطلب توفيق من حسام بعض الأشعار، فيلقى على مسامعهم قصيدة لنجيب سرور يقول فيها:

يا مصر يا وطني الحبيب..

يا عش عصفور..

رمته الريح في عش غريب..

يا مرفئي..

آت أنا آت..

ولو في جسمي المهزول آلاف الجراح..



وكما ذهبتُ مع الرياح..

يوما أعود مع الرياح..

يرفـع توفيـق يديـه ملوحا فـي الهـواء إعجابـا، فيصفـق ويتبعه الجميع، حقيقة الأمر حسام كان يلقى أبيات الشعر بطريقة جميلة متاثـرا بهمـوم الوطن ومـا آلـت إليه الأوضـاع، إعجـاب الجميع بالكلمـات وبطريقـة الأداء جعلـه يبتسـم رغم طعم المـرارة الذي يسـتقر في حلقه، ينظـر نحو توفيق سـعيدا بهذا اللقـاء الذي أعاده إلـى ذاته التي يهرب من مواجهتها منذ فتـرة طويلة معلنا حـالة من اللامبالاة مطلقا عبارته الأثيرة «زي ما تيجي يا إتش» يعلم أنه يهرب ويهرب، لا يمتلك ما يقدمه للاصلاح، يشعر أن الكيل قد طفح ولا سبيل لحجز سيل الطفح هذا، اليوم وفي مقهي نجمة التحرير ومع توفيق عبد السـتار بدأ يشـعر بأن هناك أمل وأن الطريق إلى الحرية قد ظهرت معالمه. تحدث إلى توفيق والمجموعة قائلًا:

- الحـق معـك يـا توفيـق، خروجنـا في مظاهـرات تنتهـي بعد سـاعات ما لـوش لزمه، مـش هايصلـح حاجة فـي البلد، الفساد والرشـوة فـي كل مكان وانقلبـت الأوضاع، اللي ينـادي بالفضيلة وعـودة الخلاق يقولوا عليه مجنون، أصبحت القاعدة يا أصدقائي هي صعـود المنافقين واللصوص، كل ما نتخيلـه من خير وفضيلة يحصل عكسـه، لما ننتظر تغيير في اتجاه ما، يحصل التغيير بالفعل ولكن في الاتجاه المضاد.



لقد اقتـرب توفيق من تحقيـق هدفه بـلا أدنى مجهـود، داخل الجماهيـر أفكار ومعتقـدات عظيمة ضد كل أنواع الفسـاد، كل ما يحتاجـون إليـه هـو التوجيه فقط، وهـا نحن نعتلي منصـة التوجيه بفضل صديقتنا الجميلة إيمان سمير.

يؤجل توفيق لحظـة الذروة في اللقـاء التي يخبـر فيها الجميع بحقيقـة أمـر المنظمـة الحقوقيـة والهدف العـام الذي تسـعى إليه وتكليـف كل فرد فيهم بتكوين خلية جديدة من خمسـة أشـخاص يثقون فيهـم ويؤهلوهـم، للحظة الحاسـمة. يطلب من حسـام أن يسمعهم أبياتا أخرى من أشعاره الجميلة.

غريبـة تلـك الطبـاع البشـرية، فلكل منهـا أبواب موصـدة على النفس تخبـئ خلفهـا المعلوم والمجهـول حتى علـى صاحبها، بلمسـة ما أو بكلمـة تتوافق مع شـفرة تلك النفـس، تُفتح الأبواب بسلاسـة وهـدوء، تفتـح الأبواب التي قد تفشـل فـي فتحها جهود جبارة، ذلك لأن تلك الجهود لـم تتفق وشفرة تلك النفس.

ما يحدث الآن مع حسام منصور اتفق تمامًا مع شفرته الخاصة، انفرجت أساريره، نشط ذهنه بشكل غير عادي، تملكته حالة توهج غريبة ولو انتحى جانبا لكتب قصيدة رائعة، الاستحسان الذي لاقاه من الجمع اتفق مـع رغباته الملقاة بداخلة، الموصد عليها مذ فترة ليست بالقصيرة، أو بالتحديد منذ انقطـاع أخبار هدي نصر الدين عنه، معشـوقته الأولـى، تلك التي تركـت بصماتهـا مطبوعة على حنايا قلبه، زواجه وابنه وعمله وأشعاره وآهاته وأناته كلها لم تنسه



هدي لحظة واحدة، تزوجت وسافرت خارج مصر بصحبة زوج لا تحبه، ولن تحبه، هذا أمر بديهي لدي حسام، الحب ونشواته أمر يقيني يستقر في القلب لا يخرج منه أبد الدهر، أما الزواج فهو حالة من الحراك الدنيوى، يتزوجان وينفصلان ويتزوج كل منهما آخر وتدور العجلة، أما القلوب فلها شأن آخر..

يبتسم حسام وقد تملكته الرغبة في إلقاء المزيد والمزيد وحصد الآهات والاعجابات متخيلا محبوبته هدي نصر الدين جالسة بين الحضور، بل أتت عليه لحظة لم يرى غيرها، تعلو ابتسامات سعادة شجية وجهه، يبتسم، يعود إلى اللحظة على توفيق الذي يستحثه لقول الشعر، يهدأ داخله لحظات، يتساءل:

- أيه رأيكم في قصيده لعمنا أحمد فؤاد نجم..

علت صيحاتهم علامة الاستحسان، فانطلق حسام يلقى على مسامع الجميع وبمنتهي القوة كلمات قصيدة «إرحل بقى» فيقول:

بحبك يا ريس..

وحبك يا ريس معكنن عليا..

مقطع لي قلبي..

مطلع عنيا..

سيبونى في حالى وبيّا اللي بيّا

دا كل اللي ليّه محرم عليا..



عشان حاجة واحدة..

عشانك يا ريس..

بحبك يا ريس..

دي كلمة قالوها.. زمان من سنين.

وكل اللي قالها مطين بطين..

يا سارق فلوسنا..

يا كاتم نفوسنا.

يا واكل عرقنا..

برجلك دايسنا..

ولسه بحبك..

و أحب اللي حبك..

وباحلف هاحبك..

و أحب اللي جابك..

في يوم أغبر..

علينا ريس..

يضحكون ويصفقون، تتداخل التعليقات، تسود الجمع حالة استثنائية من تلك التي تظل في الذاكرة لا تنسى، تمنى بعضهم لو كانت هناك كاميرا تسجل تلك اللحظات كي يسترجعها وقتما يشاء.

قليلة هي تلك اللحظات الايجابية التي تطبع بداخلنا، كثيرة هي دفقات الألم المطبوعة على قلوبنا كنقوش لم تمسسها يد الدهر بسوء، كأن اللحظات الحانية الناعمة ترحل في هدوء وسلام لعذوبتها ورقتها، تخجل فلا تقاوم، أما دفقات الألم فنقوشها بارزة جامدة تتحدي في قوة وعنف رغبات التغيير.

يقترب عامل المقهي، الذي كان ينصت لهم من بعيد، حاملا المشروبات، يضعها على الترابيزة، ينظر نحو حسام بإعجاب شديد معتقدا أن ما يلقيه هو من أشعاره، ويقول له:

– حلو قوى الكلام اللي بتقوله دا يا استاذ.. والنبى كمان.. ما تبطلوش.. أحسن اتخنقنا يا عالم..

يبتسم حسام وهو يجيبه:

– دا مش كلامى، دا كلام عمنا أحمد فؤاد نجم..

يجيبه العامل سريعا:

– عارفه، أبو جلابيه وعبايه.. بيشرب حشيش ليل ونهار.. بس كلامه عسل ما تسمعنا كمان وصله يا أستاذ..

يوافقه الجمع ويطلبون من حسام مقطوعة أخرى، يتناول حسام رشفة من فنجان القهوة أمامه ثم يعتدل ويقول بنفس الحماس والتأثر:

قالوا العيشة حرة..

وهي العيشة مرة ...



ومش مر عادي ..

دا صبرك يا ريس ممرر بلادي ..

وأسعار بترفع ماتنزلش مرة ..

وباين علينا هنطلع لبرة ..

رغيفك يا ريس بيصغر ما يكبر ..

وسعره يا ريس بيرفع ماينزل ..

سألنا دا ماله قالولنا الحديد ..

وايه العلاقة بسعره الجديد ..؟

تكونش يا ريس لغيت الدقيق ..

ويتطحن بداله برادة حديد؟

مهو انت اللي عارف..

وسامع وشايف ..

جمالك قشطنا..

وعز اللي خاننا ..

وولع بلدنا..

برفع الحديد ..

■■■



(22)

مجدي سرور

تتجمد على وجه مجدي سـرور علامات دهشة، بعدما صدمته إلهام مدكور بجملتها الأخيرة.

يعـرض عليها الـزواج لتخطى الكارثة التي حـدث بعضها وفي انتظار بقاياها، تجيبه بأن هناك مشكلة كبرى، تصمت إلهام مدكور لحظـات بينما يتابعها مجدي بعين تحـاول أن تكون ثاقبة لكنها لا تمتلك القـدرات فتصمـت على الوضع، لـمـا طال انتظاره سـألها بشكل مباشر:

- فيه أيه يا إلهام.. إتكلمى.. عنصر الوقت مش في صالحنا.

هناك من يحفظ بعض الجمل والعبارات كأكليشيهات يُلقيها في مواقف مختلفة وهي بطبيعة الحال تتسـق مع الموقف، تستيطع أن تلاحظ تلك الشخصيات إذا تعاملت معها فترة من الزمن وتكررت المواقف، سـتجده يكـرر نفس ردود الأفعال ويقـول نفس الجمل



والعبارات ولو مرت سنوات بين الموقف ومثيله، تمامًا كما
مجدي سرور عبارته الأخيرة «عنصر الوقت مش في صالحنا
وهناك غيرها الكثير التي كان يحفظها عن ظهر قلب:

- قاب قوسين أو أدنى.

- بيدي لا بيد عمرو.

- نعيب زماننا والعيب فينا وما للزمان عيب سوانا..

- الجماهير.. الطبقة العاملة.. هي صاحبة القرار الأول والأخير..

- المسئول في الدولة.. خادم للشعب..

- الحرية المطلقة مفسدة مطلقة..

- ....

مثل تلك الجمل يلتقطها مجدي سرور من حديث مع آخرين أو من أفلام سينمائية مصرية أو أجنبية، يحفظها من كتاب قرأه يومًا ما، المهم أنها راسخة في الذاكرة جاهزة للاستخدام في أي لحظة.

يبدو على إلهام في تلك اللحظة بالذات أنها تراجعت عن تصريحها الأخير، فقد مدت يدها وأمسكت بحقيبة يدها الموضوعة أمامها فوق المنضدة وقالت:

- قبل أي شيء لازم نروح على شقتي ونشوف أيه موضوع كاميرات المراقبة.



- كاميرات المراقبة؟!

يعتدل كمن يستفيق، مرددا ليؤكد أنه لم يكن قد نسيها:

- طبعا.. هانشوف كاميرات المراقبة.. لكن خلينا في اللي حصل فعلا..

- هاقولك على كل حاجة، بس أرتاح الأول من الكاميرات اللي في شقتي، أنا حاسه إني قاعده عريانه وكل الناس شايفاني يا مجدي.

تقف في مكانها، ينظر مجدي حوله فيجد الجرسون يقترب حاملا فاتورة الحساب، يستخرج حافظة نقوده العامرة، ينظر إلى المبلغ، بنود كثيرة ما بين المشروبات التي طلبوها والخدمة والضريبة، لم يهتم بتفاصيلها، ينظر إلى الرقم المطبوع في الأسفل، يترك ورقه نقدية ضعف المطلوب تقريبًا، يتحرك خلف إلهام التي سبقته.

قرار تراجع إلهام عن إخبار مجدي بالمشكلة التي تحدثت عنها جاء فجأة، قرار أنثوي بحت، نوع من التدلل والإثارة تضفي على الحدث أهمية، أيضًا ودت أن تحصل على فسحة من الوقت كي تجد الصياغة المناسبة، أخيرا كي تضمن تواجد مجدي معها حتى تنتهي من أمر كاميرات المراقبة في شقتها.

يهبطان معا عبر سلم متحرك، الجراج خافت الإضاءة، تكاد تنعدم فيه الحركة، رائحة عطنة ورطوبة تسيطر على المكان، فتح



سيارته بالريموت وهما يقتربان منها، يدلفان بهدوء، يتردد صوت غلق البابان خلف بعضهما كأنه صوت وصداها، يدير مجدي محرك السيارة، يفتح التكييف على المستوى الأول، يضع فلاشة في جهاز mp3 فتنساب الألحان، موسيقى هادئة تبعث في النفس راحة، كثيرًا ما كان يلجا لتلك الحيلة عند توتر أعصابه، أسند ظهره بقوه على المقعد، تنظر إلهام نحوه لعلها تجد إجابه لذلك السؤال الحائر بداخلها: هل تحبه؟ لم تفكر يوما فيما بينهما على أنه حب هو مجرد علاقة ستأخذ وقتها وتمضي، سقطت منذ زمن ولم تعد تقدس شيئًا كمنزل ينهار فما يجدي الترميم معه شيئًا.

تبحث في داخلها، هناك.. بعيدًا.. بعيدًا.. في قاع البئر مشاعر حب حقيقية، فتاة في الثانوية ترتدي الزي الكحلي على القميص الأبيض، تحمل حقيبتها على صدرها، تتمسح في مدرس الانجليزي، شاب تخرج حديثا، عشر سنوات هي الفارق بينهما كان أول من اقتحم مشاعرها بعد إلحاح منها هي، عاملها معاملة محترف مع بِكر، يسكن بالقرب منها، طلبت أن تأخذ درسًا خصوصيًا عنده، يأتيها يوما في الأسبوع، تعامله أسرتها كمدرس ولا تزال تعاملها كطفلة، الأبناء يظلون أطفالًا في عيون آبائهم مهما كبروا، تلتصق به يوما أثناء الشرح، تعلم أن أباها وأمها في الخارج وأمهما تستغل ساعة الدرس لاعداد طعام الغذاء، لا تستمع إلى شرحه، مالها هي والمضارع البسيط والماضي البعيد والأبوستروف إس، تتابع شفتيه، تتلاحق أنفاسها، تمس وجنته

وداعب سخونتها أذنه، ينظر نحوها فإذا بها كتلة من الجمر، يلقي نظرة حائرة نحو الباب المفتوح، تجيبه في همس أن يطمئن، يمرر يده برفق وشوق على رقبتها وأذنها، تحتوى كفه بين كتفها ووجهها، يقترب منها في هدوء مضطرب، تشجعه مقتربة منه أكثر، القبلة الأولى في حياتها.. ذابت في صدره.. عجيبة هي خلايا الجسد، كيف يتأتى للشفاة أن تنقل كل هذا الكم من المشاعر والأحاسيس واللذة والذوبان والعشق والتلاشي والتحليق في فضاء الكون الرحب.

- إلهام.. إلهام..

تفيق إلهام على نداء مجدي، تنسحب سنوات العمر الأولى سريعا إلى قاع البئر مرة أخرى، تنظر نحوه، يبتسم قائلًا:

- سرحانه في أيه كدا؟

تهرب البراءة وتسيطر الرغبات على المشهد، تلتفت نحوه ولازالت بعض ملامح الانسجام العاطفي التي استدعتها من قاع البئر تسيطر على ملامحها، تقرر أن تستغلها، تقول:

- مجدي.. لازم تعرف إنك أجمل حاجة في حياتي (بتأثر أكثر) لازم تعرف إني حبيتك بجد.. أنا حاولت أفوق من حلم إنك تكون ليا ورضيت أكون معاك في السر، لكن القدر كان له رأي تاني، فهل يا ترى إنت بتحبني زي ما بحبك ولا أنا مجرد واحده بتقضي معاها وقت لطيف.



يرتبك مجدي، لم يتعود حوارا مثل هذا، الأضواء والشهرة وعالم السياسة والندوات والمؤتمرات والحوارات الصحفية، كل ذلك جعل حواره باستمرار مغلفا بطبقات من الأغطية الناعمة الجميلة المنمقة المهذبة، لم يعد للصراحة قدرة على تخطي تلك الغطية التي تحولت مع الزمن إلى طبقات من جلده الذي ازداد بها سمكا، لكن يجب عليه أن يجيب، بحث في قاموسه الشخصي عن الجمل التي تصلح لتلك المناسبة، لحظات.. تحدث بعدها بهدوء:

- لازم تعرفي يا إلهام إني لو ما كنتش حبيتك من أول يوم شوفتك فيه كان يستحيل عليا أقرب منك.. إلا المشاعر.. دي حاجة لا يمكن الواحد يشتريها أو يقلدها وإن كان على ممارسة الجنس، فأنا عندي مراتي وهي جميله زي ما إنتي عارفه، وعلى فكره هي بتعرف تمارس الجنس كويس قوى عشان ما أظلمهاش، لكن المسألة: مشاعر وأحاسيس يا إلهام..

تعتدل في جلستها محاولة أن تستوعب كلماته التي تعلم جيدا أنها صناعة سينما السبعينيات التي صاحبت الانفتاح، تصنع علامات الرضا وأنها سعيدة بما سمعته تلتقط يده وتقبلها في حنان بالغ، لحظات وتمد يدها إلى صدره، تداعبه في شبق، تارة مصدرة آهة خافتة، ثم تقول:

- طيب بينا بسرعة على الشقة..



يصلان شقتها، يدخلانها بهدوء كأنما ليفاجئا من بداخلها، بحثا في كل مكان، لا يوجد أحد، بدءا مرحلة البحث عن الكاميرات في غرفة النوم، لم يبذلا جهودا مضنية، كاميرا دقيقة تعمل بخلايا ضوئية مزروعة بدقة خلف صورة معلقة على الحائط المواجه للسرير مباشرة، الكاميرا مختفية خلف الصورة، أمام عدستها تم عمل ثقب صغير تم اختيار موقعه بعناية فائقة، فقد توسط الثقب زهرة حمراء تتوسط الصورة فيبدو الثقب وكأنه مركز الزهرة. بعد بحث آخر تأكدا فيه من عدم وجود كاميرات أخرى، جلسا في الصالة ليشربا القهوة ويدخنان السجائر، بدأ مجدي حديثه الهادئ الذي يؤكد به، باستمرار، أنه شخص مفكر ومنظم:

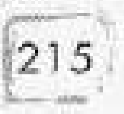
- لازم تغيري كالون الباب، لأن اللي زرع الكاميرا أكيد معاه نسخة من المفتاح.

- أكيد..

- دي أولًا.. ثانيًا بقى.. أيه هي المشكلة اللي هاتمنعنا من إننا نتجوز؟

- المشكلة يا مجدي.. إن أنا متجوزة فعلًا.

■■■



(23)

أحمد عبدالهادي

ارتباط إيمان سمير بتلك الصداقة مع أحمد عبدالهادي كان عن طريق الفيس بوك، في البداية كانت مجرد صداقة من بين مئات الأصدقاء على الأكاونت، لكن تعليقات أحمد على بوستات إيمان جعلتها تنظر إليه نظرة فاحصة، ودخلت معه في نقاش عادي مفتوح أمام كل الأصدقاء على الفيس، ثم تطور الأمر إلى نقاش على الانبوكس فتعمقت صداقتهم، طلبت أن تلقاه ذات يوم في وسط البلد في مقهي زهرة البستان، منذ ذلك اليوم وهما أصدقاء، يتقابلان ويتناقشان، حتى يومنا هذا وقد طرحت عليه الجديد من أمرها وحصل على المبلغ المالى مقتنعا تمامًا بأنه من أجل تيسير الأوضاع والمساهمة في إزالة العقبات من طريق تحقيق الفكرة البناءة التي تهدف إلى تحقيق العدالة.

أحمد عبدالهادي من الذين قرأوا كثيرًا في مرحلة الدراسة الجامعية، كوّن حصيلة لا بأس بها من المعلومات، يمتلك خزينة



مملوءة بجواهر الأفكار، يستعين منها وقتما شاء بما يريد لإقناع الآخر.

الميزة التي يتميز بها أحمد، وقد تحدثت عنها إيمان كثيرًا، هي قدرته على تكوين «الموضوع المتكامل» كي يقنع من أمامه ولا يترك له فرصة للتسلل كي يلتقط نقطة ضعف، يفعل ذلك ويمتلك القدرة، في نفس اللحظة، على صياغة موضوع آخر مضاد للموضوع الأول، يصوغه متكاملا مقنعا أيضًا. تلك موهبته التي لا يهتم هو بها كثيرًا، يتحدث بتلقائية وكأن الأمر عادي وطبيعي ما دامت الحجج موجودة والأدلة حاضرة.

لاحظت إيمان ذلك عندما حدثها أحمد ذات يوم:

- بيتكلموا في كل مكان عن الفقر الفظيع اللي غرقان فيه عامة الشعب، فين هو ذلك الفقر دا يا إيمان وما فيش بيت أو حتى عشة من الصفيح إلا وفيها ثلاجة، بوتجاز، تليفزيون ودِش، تليفونات محمولة مع الكل، مافيش واحد في البلد اسمه لابس هدوم مقطعة زي أجدادنا ما كانوا بيعملوا، زمان كانوا بيشتغلوا ليل ونهار وفي الآخر يتقاسموا الرغيف مع شوية الدقة، النهاردة بقايا أكل أي سفرة تكفي عيله من بتوع زمان، فين الفقر واللي بيقولوا عليهم غلابة عندهم مخزون يكفيهم بدل اليوم شهر واتنين، مع إن رسولنا الكريم بيقول: من أصبح آمنا بين أهله معافي في جسده عنده قوت يومه فكأنما ملك الدنيا كلها. أقولك حاجه يا إيمان.. إحنا الأيام دي بنجنى ثمار شقاء البشرية وتعاستها على مدي تاريخها.



يقول أحمد ذلك بمنتهي التأثر، يملك الحجة والانفعال، يصدقه الآخر مباشرة، تنتقل مشاعر البغض والكراهية على تلك الفئة الضالة التي تريد أن تهدم الدولة وتتحدث باستمرار لتعارض فقط..

لكن أحمد بما يمتلكه من مواهب لاقناع الغير يستطيع التحدث في نفس الجزئية، لكنه ينطلق من الاتجاه الأخر فيقول:

- دول بيمتصوا دم المواطنين يا إيمان، المواطن بيشتغل ليل ونهار، شايل على اكتافه همومه وهموم عيلته كلها، صحته بتروح يوم ورا التاني وهو بيدور لهم على لقمة العيش، في الوقت اللي فيه السلطان وتنابلته عايشين في المنتجعات في الساحل الشمالى وفي شرم، تخيلى إن مصر من أكبر الدول اللي عندها شواطئ على البحرين الأبيض والأحمر، وهي البلد الوحيدة اللي ما عندهاش شواطئ لأهلها.. باعوا كل الشواطئ.. وزعوها هدايا، بلاها الشواطئ، شوفي الأراضي، الشباب قاعد عاطل وما يقدرشي ياخد حتة أرض يستصلحها في الوقت اللي فيه آلاف الأفدنه متوزعه على تنابلة السلطان، تخيلى إن الفدان يتباع بمبلغ أقل من واحد على عشرين من تكلفة ترفيقه، «ترفيقه» يعني تكلفة دخول المرافق فيه يا إيمان، في أي شرع تتباع شركة مملوكة للدولة ويتم تشريد عمالها بتمن ما يساويش تمن حتة أرض صغيرة من أرض الشركة دي، دا غير باقى أرضها ومبانيها ومعداتها واسمها التجارى، إحنا عايشين في غابة يا إيمان ما فيش فيها مكان للضعفاء، والضعفاء

الأيام دي هما الفقرا.. الفقرا اللي بيدوروا على لقمة العيش في أكوام الزبالة.. أي عيشة اللي بنعيشها وأهل البلد زي الحيوانات دايرين ليل نهار في ساقية الحياة، لازم يجى اليوم اللي ينتفض فيه الفقرا، لازم تحصل ثورة جياع، والجعان لا بيشوف ولا بيفهم هو بيعمل أيه، ولازم السلطان وتنابلته يفهموا الموضوع دا، وإلا فتك بيهم الجياع.

تلك نوعية من أحاديث أحمد لإيمان في أكثر من لقاء، تعجب إيمان بقدرته على الاقناع وصياغة ما يريده، المطلوب فقط هو توجيه أحمد إلى الاتجاه المراد وشحنه بالقليل من المعلومات ويتحرك هو، مؤكد سيأتى بنتائج مبهره.

بعيدًا عن أفكار أحمد عبدالهادي التي جذبت إيمان، كان أحمد يتميز بشيء أخر وهو براعته في التعامل مع شبكة الانترنت وخاصة موقع التواصل الاجتماعى فيس بوك، لديه صبر للعمل ساعات وساعات، يمتلك القدرة على اكتساب صداقات جديدة ونشر الأفكار المراد بثها في الكثير من الصفحات والجروبات، فينتشر الخبر إنتشارا ملحوظا قد لا تستطيع جريدة كبرى تحقيقه، مدعما موضوعاته بالصور والأدلة، بالاضافة إلى قدرته على الاقناع.

بعد وصول أحمد إلى منزله باحثا في سجل الأصدقاء عن خمسة يستطيع إقناعهم بالجديد في حياته جلس وحيدا في غرفته لحظات راح في نوم عميق.



ينام أحمد في أي وقت ويستيقظ في أي وقت، يفتح جهاز الكمبيوتر، يجلس أمام الفيس بوك ساعات طويلة، لا فرق عنده بين ليل أو نهار.

لا يعلم كم من الوقت مر عليه وهو نائم إلى أن أتاه صوت رنين هاتفه المحمول متواصلا، يستيقظ فإذا بها إيمان سمير منفعلة بشدة وهي تقول:

- قتلوه يا أحمد، قتلوا كبش الفدا.. الدور علينا يا أحمد، ما بيقتلونا واحد ورا التاني طالما ساكتين ومش قادرين نقولهم لأ..

ينتفض أحمد مكانه وهو لا يدرى قتلوا من؟ ولا يمتلك من اليقظة ما يجعله يخمن حتى من تقصده إيمان، يسألها:

- قتلوا مين يا إيمان؟ ومين اللي قتلوا؟ فهميني واحدة واحدة..

- أمن الدولة.. قتلوا الشيخ شريف جلال في السويس، هو من جماعة الاخوان المسلمين، قبضوا عليه بتهمة تفجير الكنيسة، عذبوه لغاية ما طلعوا روحه يا أحمد..

يستجمع أحمد أفكاره، يتفاعل داخله مع الأمر، ينفعل بشكل سريع، يزفر بشدة ويقول:

- لا حول ولا قوة إلا بالله.. ما فيش فايده فيهم أبدًا.. إحنا مش لازم نسكت يا إيمان.



- عشـان كـدا اتصلـت بـك.. عنـدي بعـض المعلومـات عن
الشيخ شـريف جلال من سـهيلة بنت خالـي في السـويس تعرف
مراته، هابعتهالك في رسـالة على صفحتك.. ظبط المسائل والفـ
فضايحهم في كل مكان..

ينهـي المكالمـة، يتوجه إلـى المطبخ يعد لنفسـه كوب شاي،
الساعة تعدت منتصف الليل تقريبًا وكل من في المنزل ناموا، يعود
إلى حجرته ويفتـح الكمبيوتر، يتصفح بعض المواقع والصفحات
إلـى أن تأتيـه رسـالة إيمـان، معلومات بسـيطة بالفعل عن الشيخ
شـريف جـلال، يفكر أحمـد ويفكر، يصل إلى صيغة حماسية مع
صورة أغـلال وأدوات تعذيب ودماء متناثرة فـي كل اتجاه، يرتاح
للشـكل العـام، يبـدأ في النشـر على الصفحـات وفـي الجروبات
المختلفة.

لا تمـر سـاعة تقريبًا ويكـون الخبر قد انتشـر علـى الفيس بوك
ووصـل الخبر إلى الملايين من المسـتخدمين وعدد تعليقات غير
مسبوق، خاصة شباب الاخوان المسلمين الذين ساهموا في نشره
والتعليـق عليـه. إنهـم مرابطون على شـبكة التواصـل الاجتماعي
يرفعون من يشـاءون ويهدمون من يريدون، أوامر تُسرب إليهم في
عبارات بسيطة «عليكم بهذا» وساعات قليلة ويكون هذا الشخص
وعائلتـه ومعارفه وأسـرارهم العائلية منتشـرة في كل مكان، حتى
إنهـم ذات يـوم أتـوا بصـورة لداعية يرتـدي الشـورت ويلعب مع
أسـرته على الشـاطئ والصـورة عادية جدًا فلا غرابـة في أن يلعب

أحد مع زوجته وأولاده أثناء رحلة من الرحلات، لكن مع هؤلاء الوضع مختلف، نُشرت الصورة على أن ذلك الداعية يلعب ويلهو مع أي فتاة جميلة يتناسى أمر الدعوة وأمر رسالته، يترك الفقراء في عذاباتهم ويخرج هو ليلهو ويمرح، كيف استراح ذلك الداعية للعب ومرح وهناك من يتضورون جوعًا..؟ إلى آخر ذلك من الردود وتعليقات تهدم ذلك الداعية، وما كل ذلك إلا لأنه اختلف معهم في إحدى القضايا ولم يوافق رأيه هواهم. وهذا ما سيظهر في المستقبل بشراهة وشراسة.

أما مقتل الشيخ شريف جلال وهو أحد أعضاء جماعة الاخوان فهذا السبب كافي في أن يجعل كتائب الإخوان الإلكترونية تنشيط غضبا وتلقى بحممها على الجميع والسبب الأكثر بروزا وأهمية هو أن ذلك الهجوم يهدم النظام القائم وشرطته الباطشة وهذا أحد أهم الأهداف الغير معلنة منذ فترة والذي يتناقله أعضاء الجماعة في سرية تامة «كلها أيام بإذن الله ويسقط الطاغية».

مقتل الشيخ شريف جلال هو الحادثة الثانية بعد مقتل خالد سعيد على يد الشرطة من قبل، وتوحي الحادثة الثانية هذه بأن مسلسل القتل هذا مستمر، وما خفي كان أعظم.

مثل هذه الموضوعات حول القتل والتعذيب سريعا ما تؤثر في رواد الفيس بوك، خاصة من كان يقف من النظام الحاكم على طرف ولا يريد خصومة معه، يتأثر فكره وتبدأ نظرته بعد هذه الأخبار الدامية تتغير قليلًا وتأخذ اتجاها جديدًا.



يستمر أحمد عبدالهادي حتى شروق شمس صباح اليوم التالي وهو ينشر الخبر في كل الصفحات وعلى مواقع الصحف الورقية والقنوات الفضائية، وكشخص محترف في هذه الجزئية ولرغبة في النشر والتأثير أكثر وأكثر، ينشر الخبر مرة ثانية وثالثة بصيغ مختلفة ويرفق معه صورًا أخرى أكثر تأثيرًا. حتى تأتيه فجأة رسالة من صديق على الفيس تخبره بأن صفحته الشخصية قد أبلغ أحدهم عنها مباحث أمن الدولة.

■■■

(24)

أم مصعب

عندما نشاهد مُصاب الآخرين نشفق عليهم ونقدر مأساتهم ونقيس، في أنفسنا، هول الأمر وصعوبته على صاحبه، بل وفي أحيان كثيرة لا نتخيل أن يمر ذلك الشخص من تلك الأزمة، فكم شاهدنا أمًّا تحمل جسد ولدها المتوفي، فلذة كبدها، نحسبها ستذهب خلفه حزنا وكمدا، كم من المآسي والحوادث التي تقع في هذا الإطار.

الحقيقة التي لا شك فيها أن تقديرنا للمعاناة التي يعيش فيها أهل المتوفي تفوق حقيقة معاناتهم بمراحل، لأن هناك الصبر والسكينة التي ينزلها الله عز وجل عليهم، إنها منحة إلهية تجعلهم يعبرون الأزمة التي يتخيل الآخرون أن الزمن سيتوقف عندها، لكنه يمر.

تلك كانت حالة هدي أم مصعب حينما أخبروها بمقتل زوجها الشيخ شريف لحظة محاولته الهروب من أمن الدولة.

في البداية لم تصدق، تختلط المئات بل آلاف الأفكار والمشاعر بداخلها، تتذكر، ولا تعلم لماذا، زحام الأسواق وعربات قطار الدرجة الثالثة وعشش الفراخ وقفص طماطم فاسد وتسبيكة المحشى وسهيلة وصوت فضيلة الشيخ إبراهيم مع صورته متحدثا في خطبه انفعل فيها وكاد صوته يختفي متحدثا عن دور المرأة المسلمة في مساعدة الرجل للوقوف ضد الظلم، أقل ما تقدمه هو تشجيعه وتمنى الخير له، يتلاشى صوته وقد سيطرت ملامح شريف وابتساماته الهادئة على المشهد، يدنو بجلبابه الأبيض القصير وما أن يقترب حتى يختفي فجأة، تُذهل المرأة، لا تستمع إلى صراخ مصعب، تتجمع آهات الدهر بداخلها، تتدفق الدماء كلها إلى قلبها، تفور، تنطلق صرخة تحمل آلام السنين، تُحشر في حلقها فلا تخرج لرحابة الكون، أشعلت داخلها، انطلقت صاعدة إلى رأسها، دارت بها الدنيا، تذهب إلى منطقة اللاوعى.

هناك عالم يعيش بداخلنا ولا نعلمه، إنه عالم اللاوعى الذي يكاد يصل في رحابته إلى رحابة الكون الذي يحتوينا.

تشاهد هذي الصورة لأول مرة في حياتها، نفس البشر، نفس البيوت، نفس الطرقات والمبانى، شجر الطريق، الأدوات المنزلية الملابس، ألوان الطعام ورائحته.. لكنهم مختلفون، ملامح جديدة تلك التي تشاهدها، تكسوها روائح تتخلل الأجساد المنطلقة دون أن تمشى، كأن الأرض فقدت جاذبيتها، طبقات الهواء تظهر وسائد متراصة مختلفة الألوان، ابتسامات وآهات تتعانق لتتجسد

في أشكال وكائنات حيه صغيرة، الهَرِم منها لا يتخطى حجم الكف، لها وجه طفولي، وجه الابتسامات بريء سعيد نشوان، وجه الآهات بشع بأنف معقوفة وشفاة مشقوقة وعين رأسية، تبحث أجساد الابتسامات عن أجساد الآهات، تنكزها، تفر الآهات بأجسادها النحيلة، ترقص أجساد الابتسامات بطفولية، تتلاقى أيديها فرحة بنصرها، تتابع هجومها..

حمامات بيضاء ترفرف على المكان، هي أكبر حجما، الحمامة الواحدة عرض جناحيها في فضاء السماء عشرة أمتار تقريبًا، يتطاير منها ريشات صغيرة تتبعها نسمات بيضاء تتخلل الأنوف، أوراق الشجر الخضراء لا تحجب ما خلفها، البشر من حولها يتحركون في الشوارع المفتوحة مباشرة على الحجرات والأَسرة، لا توجد جدران تعزل، لا توجد أجساد تحجب، القلوب شفافة، بعضها تدور بداخله دماء حمراء قانية وبعضها دماء باهتة وبعضها دماء بيضاء، مطت شفتيها، أهناك بشر يعيشون بدماء بيضاء؟ ربما.

عصافير أرجوانية صغيرة الحجم لصدحها رنين يتردد في الآفاق، تمد يدها إلى عنان السماء، تفرد راحتيها وسائد لمئات العصافير، تقف مغردة تنقب يدها تنتقى الحب من بين العشب النامي، دغدغة المناقير تداعب أوتار قلبها، يرتجف داخلها نشوانا سعيدا، تمنت لو صُهروا جميعا وقدوا من جديد، كائن يحمل صفات بشرية وطيور أرجوانية.

انسحبت إلى دوامة دارت بداخلها بشدة، رقيقة خفيفة كريات بيضاء تتقاذفها رياح يوم عاصف، تمنت لو صرخت، لكن صوتها لا يولد، في نهاية الدوامة فضاء واسع أحمر فسفوري ينتهي بأزرق فسفوري في نهايته ماء تتشكل ألوانه مع أنفاسه، دُهشت.. أيتنفس الماء؟ ربما.

من بعيد.. مئات الآلاف من الكيلو ميترات، تشاهد سفينة تنزلق فوق صفحة الماء، زوجها شريف يظهر بوضوح، يشير بشاله الأبيض الذي رفعه عن رأسه، تقطع السفينة المسافة الطويلة لتقف تحت قدميها في لحظة واحدة، تتمسح في ساقها الأيمن كقطة شيرازي بيضاء، تبحث عن شريف لا تجده، تتجول حجرات السفينة التي لا نهاية لعددها، اختفي تمامًا، تبحث عنه في الأفق الرحب، فجأة ينقبض المكان، تتلون الصورة باللون الأسود، الرعب له أنياب وأظافر تنهش لحمها، تظهر وجوه كثيرة لا تعرفها، يحدثها صوت لا مصدر له، يسري في دماءها، إنهم رجال أمن الدولة يا هدي، صوت زوجها شريف، أين هو؟ تبحث عنه في كل مكان..

أين أنت يا شريف؟ آه يا حبيبي..

- أم مصعب.. أم مصعب.. إهدي يا حبيبتي.. إهدي..

قالتها سهيلة وهي تحتضن هدي مهدئة من روعها..



تجلس سهيلة على حافة السرير بجانب أم مصعب، ينتشر الأصوات والجيران في شقتها.

من جهاز كاسيت في جانب الصالة، آيات القرآن الكريم يتلوها شيخ سعودي بسرعة، ولا يعلم أحد لِمَ العجلة؟ علامات الحزن تظهر على وجوه الحاضرات، اللون الأسود يفرض نفسه بقوة على كل شيء.

القرآن وحالة الحزن واللون الأسود، وجغرافيا وتاريخ المكان المأثور عن لحظات العزاء، لم يمنع بعضهن من الشرود، إحداهن بيضاء الوجه ضخمة الجثة تنتابها حالة من القلق فهي لا تدري يقينا هل أطفأت البوتجاز قبل خروجها أم نسيته مشتعلا؟؟ لحظات تمر كدهر عليها وهي تتخيل شقتها وقد اشتعلت فيها النيران لتاكلها وأولادها الصغار، من المؤكد أن زوجها الموجود مع الرجال في مسيرة دفن الشيخ شريف سوف يطلقها لخطئها أو على الأقل يتزوج عليها، نهايتها الكاملة بسبب خطأ صغير لا بد من العودة فورا للمنزل وكف الأذى.. لكنها لم تصل إلا من دقائق معدودة، يا له من موقف فظيع، تمنت لو أتى جني من جان سليمان يحملها لتطمئن على البوتجاز وتعود، تنظر نحو المعزيات بانكسار، تقف متثاقلة، تتجه إلى الحمام، تُخرج تليفونها المحمول وتتصل بابنتها، تطمئن، تعود إلى موطنها الأول في هدوء واستكانة، تلاحظ ابتسامة تتراقص على وجه السيدة الجالسة أمامها، في مقتبل العمر هي، عيناها لها بريق أعين



العذارى، يبدو أنها لم تنجب بعد، ابتسامتها التي تحاول الق
عليها تبدو بالرغم منها، تسيطر عليها متعة سهرة الأمس، أمت
زوجها فأمتعها، ألهبته بحلو الكلام فحملها فوق سحابات ول
للمرة الأولى يُخرج سيجارة يشعلانها وينفثان دخانها معا، زوج
لا يدخن، عاشا اللحظة في دنيا الخيال، وللفسق دروب لا تنته
تواعدا بعد الانتهاء على ألا يعودا إلى تلك المعصية فالتد
حرام شرعا يا شيخ فؤاد، أخبرته وتعلم أنه يعلم، أجابها: الله غفو
رحيم، تمنت أن يكرر الشيخ فؤاد معصيته مرات ومرات ورح
الله ومغفرته لا حدود لها.

صرخة مدوية تقلب المكان، هي نوبات تأتي الواحدة تل
الأخرى على هدي أم مصعب، بقلب مفطور يقاوم نزعات الأل
تحتضن سهيلة أم مصعب وتقرأ لها آية الكرسي، تهدأ هد
تذهب في دوامة أخرى من بين دوامات لا نهاية لها.

على الباب يقف الشيخ إبراهيم السويفي ملقيا السلام، خل
من الهرج والتوتر والسعادة والتطلع والخجل يعم المكان.

لحظات تخلو حجرة أم مصعب إلا منها والشيخ إبراهي
والأخت سهيله بديلا عن الشيطان، يواسيها الشيخ بكلما
ويستطرد طويلا في الحديث عن الصبر عند الابتلاء، ترى هد
إيمانها بالله في كفة وهوانها وحزنها في كفة أخرى، تستقو
بالايمان، تتنفس بهدوء، تنمو في لحظات بذور الأمل، الدنيا إل
زوال والأخرة خير وأبقى، والشيخ شريف رحمة الله عليه شهي

في جنة الخلد يأخذ بيدك يا أخت أم مصعب إلى الجنة تعيشان معا إلى أبد الآبدين، بذلك يتحدث الشيخ إبراهيم، تهدأ أم مصعب وتحدث للمرة الأولى بوعي:

- إنا لله وإنا إليه راجعون.

تبتسم سهيلة، تمسح بيديها دموعها الدافئة، لا تتمالك فتقبل هدى بحنان، تمنت لو قالت لها: حمد الله على السلامة. لكن الشيخ يكمل حديثه فتنصت تبجيلا، يبدأ في الانتقال إلى تفاصيل مستقبل الأسرة، الجماعة هي المسئولة عنكم الآن، كل ما تحتاجينه وطفلك يكون متوفرًا مع مبلغ يصلك في اليوم الأول من كل شهر، وشرع الله يقضى بألا تظلى وحيده أسيرة لنزوات الشياطين، تنظر هدى نحوه مندهشة متسائلة، يكمل بصرامة لم يعهدوها منه وإن فهموها على أن منبعها هو خوفه عليها، فيقول:

- شرع الله يا أخت أم مصعب، تقضى شهور العدة وتتزوجى من أخ فاضل.

يلاحظ تغير ملامح وجهها فيتابع بلهجة لا تقبل النقاش:

- تلك كانت وصية المرحوم.

كذب عليها، صدقته، استراحت، لم يهمل شريف حياتها حتى بعد وفاته، اهتم بها وأوصى بأن يعولها ويؤمنها آخ من الأخوة. يخرج الشيخ إبراهيم مرتبكا.

اللحظات الوحيدة التي تصل فيها الأنثى لقمة قوتها هي لحظات حزنها وبكائها، دموعها سيوف تمزق المشاعر وسهام تمرق في قلوب الرجال.

نظرات الحزن المطلة من بين تلك الدموع المنهمرة من هدب لا حل لها سوى أن يتلقفها الرجل بأحضان وقبلات وارتشاف رحيق لا ينضب، يتخيلها الشيخ لحظة تذوب حزنا بكل خلايا جسدها على لهيب جسده المشتعل بآهات الهوى الدائم، تنتشر بين خلاياه، يمتصها دمه، تسرى في عروقه، هي حورية من الجنة بوجنتيها المتشبعتان بدموعها فاستشعر طرواتهما، عرقها بلل خصلات فرت من أسفل الايشارب الذي وضعته على رأسها سريعا لحظة دخول الشيخ إلى حجرتها، تلتصق الخصلات بجانبي وجهها فيرسمان للصورة إطارا يزيدها جمالا.

يصل إلى الشارع، يقف إلى جوار سيارته، ينظر إلى النافذة المغلقة وضوئها الخافت، يزفر بشدة، يتخذ قراره في لحظتها، يحدث نفسه: بس تنتهي شهور العدة. يركب سيارته موديل نفس العام، ينطلق تاركًا آماله ونزواته ترفرف حول المكان.

■■■

(25)

الوعد الثاني

في صباح اليوم التالي كانت الأحداث أكثر سخونة، ينتشر خبر مقتل الشيخ شريف جلال، على يد رجال أمن الدولة، في كل الأوساط، رغم إعلان وزارة الداخلية أن مقتله تم أثناء محاولة هروبه، أعلنت الوزارة أيضًا أنه أحد أفراد الخلية المشاركة في تفجير الكنيسة.

لم تعد تنطلي هذه الأكاذيب على عامة الشعب المصري وبدأت أفكار تبدو ناضجة تنتشر بين المواطنين في الشوارع وعلى المقاهي، ومنها قول بعضهم:

- إذا كان هو المسئول عن تفجير الكنيسة، يتقتل ليه؟ لازم كان يحاكم.

- كله كلام يا جدعان، ما فيش مرة عرفنا فيها أيه اللي بيحصل في بلدنا..

- بلدنــا؟!! دي مــا بقتشــى بلدنا يــا صاحبى، الغريــب هو الـ
عايش فيها ومتشال ع الراس وإحنا..

- شريف دا كبش فدا زي كتير غيره..

- لغاية إمتى هانفضل شايفين الحقيقة ومش قادرين نتكلم

- ياعم قول يا باسط تلاقيها هاصت.. كفاية علينا الأكل والنوم

وغيــر ذلــك مــن الأحاديــث التــي تعبر عــن حالة من السـ
العــام والهــروب مــن آلام الواقع، تراهــا في كل مــكان، المقاهـ
الأتوبيسات، المترو، سيارات الميكروباص حتى في التاكسـ

إن تأملنــا أصل تلك الحوارات التي تدور في الشــارع المصر
نجد منبعها أحد رجال جماعة الإخوان المســلمين ولا يفصح
عن انتمائه، أو هو أحد شباب المجموعات التي تكونت عن طر
توجيهــات خارجيــة أمثال مجموعــات إيمان ســمير أو نبيل فهـ
وهؤلاء ليسوا النشــطاء الوحيدين على الســاحة في تلك الفترة ولم
يكــن مســتر ناجي عبداللطيف هــو الوحيد القادم مــن الخارج ولم
يكــن هو الوحيد أيضًــا العامل في هذا المجــال الفضفاض «مجال
حقوق الإنسان».

أكثــر مــن فــرد وأكثر مــن مجموعــة وأكثر مــن جهة، لهــا نقطة
انطــلاق واحــدة وأمامها طريق واحد فقط تســير فيــه كي تصل إلى
تحقيق هدف واحد فقط. تسير في هذا الطريق بأي شكل وعلى أي
هيئة، ســيرا علــى الأقدام، زحفا على البطون، يســيرون بظهور هم

يمسحون الأرض بمؤخراتهم، يهرولون كالزجزاج، سعداء، أسياء، أي شكل وأي هيئة، المهم هو الوصول لتحقيق الهدف الموضوع لهم مسبقا.

فقد حدث ذات يوم.. هناك.. في لندن.. وبالتحديد في مقر دار نشر Greater Freedom يجلس مستر ميشيل فريدرك مدير الدار والمؤسس لجمعية الحرية الكبرى الدولية لحقوق الإنسان، يجلس في اجتماع مغلق مع كل من الشيخ إبراهيم السويفي من مصر والدكتور سيف الدين عبدالستار وهو من أصل تونسى مقيم في لندن وأحد أقطاب التنظيم الدولى لجماعة الاخوان المسلمين.

بدأت العلاقة بين مستر ميشيل والدكتور سيف الدين عن طريق نشر أحد مؤلفاته، بعدها توطدت العلاقة. ما لم يعرفه الدكتور سيف أن نشر الدار لكتابه ما هو إلا طعم في سنارة ألقيت له، التقم الطعم بسهولة وانجذب، وها هو الآن ومعه أحد أهم رجال الجماعة في مصر، يجلسون مع الرجل، يتحدثون حول مستقبل المنطقة العربية وعلى رأسها مصر، بعد حديث عام قصير، ينتقل مستر ميشيل إلى الجزئية المهمة فيقول:

- نحن.. كأناس يعملون في مجال حقوق الانسان والحريات الدولية، نعلم أنكم في مصر تعانون كثيرًا من الاضطهاد والظلم، لقد انقسمت مصر إلى طبقة تمتلك السلطة السياسية والمال وشعب مغلوب على أمره يعانى الفقر والجهل والمرض، وما هو

معروف لنا جميعا أنكم «جماعة الاخوان المسلمون» لا تمارسون العمل السياسى بالحرية المطلوبة.

يمتعض الشيخ إبراهيم ويمط شفتيه، يشبك أصابع يديه ويضعهما أعلى كرشه المنتفخ أسفل ثيابه التي لم يتعود عليها، في مثل هذه اللقاءات يرتدي الجاكيت الجلد فوق القميص والبنطلون الجينز مع نظارة طبية لاوعة وتغيير طفيف في تسريحة الشعر المتبقى في رأسه. يستمر لحظات كي يتأكد من وصول تعبيرات وجهه إلى ميشيل ثم يعلق بالفصحى لادراكه أن ميشيل قد لا يفهم الكلمات العامية، لكن ما لم يكن يعلمه إبراهيم أن ميشيل كان يعلم اللهجة العامية المصرية جيدًا، لقد درس هموم العشوائيات في مصر ودرس جيدًا كيف يفكر أهالى القرى والنجوع. يتحدث إبراهيم:

– لدينا أرضية حقيقية في الشارع، محبة لا يمكننا أن نصفها لكم، نحصل على أصوات لا تقبل المنافسة في الانتخابات ومع ذلك يتم التزوير لصالح رجال الحزب الوطني، وصل الأمر يا سيدي إلى التزوير العلنى، فلدينا فيديوهات ترصد حالات تسويد جماعية لصالح رجال السلطة، أما رجالنا فمصيرهم باستمرار هو السجون.

يلتقط الدكتور سيف طرف الحديث ويتحدث بالعربية الركيكة، إنه يتقن العربية تمام الاتقان لكنه يفضل أن يجعلها ركيكة عند التعامل مع الانجليز وكأنه منهم تعلم العربية حديثا، يقول:

- تلك التجاوزات موثقة وأتينا لكم بنسخة منها على «سي دي» أتينا لكم بنسـخة كمنظمة تعمل في مجال حقوق الانسـان وعليها ملف كامل عن تجاوزات الشـرطة في تعاملها مع المواطنين، في تونس وفي مصر.

يتسلم ميشيل الاسـطوانة ويضعها ببساطة أمامه، يتوجه بحديثه إلى الشيخ إبراهيم قائلًا:

- وماذا تقولون يا شيخ إبراهيم في أقباط مصر؟

يوارى الشـيخ إبراهيم ارتباكـه اللحظى بابتسـامة عريضة كثيرًا ما يرسـمها على وجهه، يجيب بسـرعة بعبارات كثيرًا ما رددها في المؤتمرات والندوات:

- الأقبـاط اخـوة، لهـم كل الحقوق، إننـا أهل هـذا الوطن، لنا جميعًـا مـا لنا وعلينـا ما علينـا، لا فرق بيـن أعجمـى وأعرابى إلا بالتقـوى والعمـل الصـالح والأخوة الأقباط هم أهـل ذمة وأوصانا رسولنا الكريم بهم خيرا.

يعلم ميشيل تلك العبارات التي يحفظونها، فقد سمعها كثيرًا من قبل، تربى عبر أجيال، جده وأبيه، يلقنونه تلك التفاصيل الصغيرة، التي ستكون معينه وقت يصل إلى موقع المحرك الحقيقى لتحقيق حلم العائلة.

يحفـظ عن ظهر قلب تاريـخ عائلته وعمته التي ماتت في ريعان شبابها ومحبوبها أرثر جيمس بلفور الذي فعل المستحيل لتحقيق



حلمها وحلم عائلتها في إقامة وطن لهم وكان الوعد الأول وعد بلفور.

على مراحل زمنية يجب أن يتحقق الهدف، هكذا علمه جده وأبوه، إن كانوا قد نجحوا في الحصول على وعد بإقامة وطن من بلفور في أرض لا يملكها، فلابد أن يحصلوا على امتيازات أخرى ممن يملكون، تلك هي المرحلة الحالية التي يتم الاعداد لها من سنوات طوال مضت، يصلون الآن إلى منحنى خطر ودقيق في طريق حلمهما.

الآن.. يدخل مباشرة إلى النقطة الأكثر أهمية فيقول:

- ماذا تقولون في أمر بناء الكنائس؟ كما تعلمون.. هناك قيود كبيرة جدًّا على بناء الكنائس في مصر..

يسرع الدكتور سيف مجيبا:

- الكنائس دور للعبادة ولا خلاف مطلقا في بناء دور العبادة، ولكن في مصر يجب تقنينها، هذه هي قناعة الجماعة، كل مدينة لا توجد فيها كنائس يجب أن تبني فيها كنيسة واحدة.

يبتسم ميشيل ابتسامة خبث، إنه يعلم جيدًا أن من يجلسون أمامه يسعون لتحقيق مصلحة جماعتهم بأي شكل، صالحهم وجماعتهم الوصول إلى حكم مصر ودول العالم العربى من حولها، لذا كان هذا الكيان المسمى بالتنظيم الدولى، الخلافة

الإسلامية هي حلمهم، إنها سبيلهم الوحيد لاستغلال الجماهير الوصول إلى أريكة الحكم.

الإسلام.. تلك الكلمة التي لها من التأثير على الأغلبية بشكل لا يستطيع أحد مقاومته على الاطلاق، ومن خلال هذه الكلمة يتم بلورة كل ما هو مطلوب لصالح المتحدث وخصوصا أعضاء الجماعة.

يعلم ميشيل أن جماعة الإخوان، تستطيع الوصول إلى الجماهير من خلال تلك الأرضية الاسلامية، التي مهدها سلفهم من سنين طويلة، يعلم أيضًا أن الجماهير تسير راضية سعيده خلف أي وعد يعويضها عن شقاء الدنيا بنعيم الآخرة، الاتفاق مع تلك الجماعة صاحبة الجماهيرية «جماعة الاخوان» يحقق أهدافنا العظمى، ولا خوف أبدًا من تلك الجماعة لسهولة السيطرة عليهم ومحاصرتهم دوليا إذا لزم الأمر وفقا لتاريخهم المعروف.

يتحدث ميشيل بهدوء وروية:

- اتفقنا يا سادة.. سوف نعمل ما في وسعنا لوصولكم إلى الحكم في مصر..

- والعالم الاسلامي..

ينطق بها الشيخ إبراهيم سريعًا وهو ينظر إلى الدكتور سيف يحثه على التحدث للحصول على «الوعد» بتكوين الخلافة الاسلامية، يفهم سيف نظرة إبراهيم ويقول:



- اتفاقنا يجب أن يكون حول الخلافة الاسلامية يا سيد ميشيل وليس الحكم في مصر فقط، تعلم جيدًا أن جماعة الاخوان منتشرة في أكثر من سبعين دولة ولنا رجالنا وجماهيريتنا التي لا ينكرها أحد، وجميعهم يتوقون إلى هذا اليوم الذي تعود فيه الخلافة.

يبتسم ميشيل بخبث، يدور لحظات في الغرفة ثم يعود إلى مقعده، قائلًا:

- تطلبون دعمنا لاقامة دولة الخلافة.. في مقابل ماذا؟

- اطلبوا ما تشاءون..

قالها سيف الدين بهدوء.. يعقب إبراهيم:

- نعم.. كل طلباتكم مجابة في سبيل تحقيق هدفنا.. فقط نريد وعد..

تلك هي اللحظة التي ينتظرها ميشيل، يوارى سعادته، يحك أنفه لحظة ثم يقول:

- نعدكم بتعاوننا معكم للوصول إلى سدة الحكم في دول العالم العربى في مقابل أمر واحد فقط..

- ما هو؟

سؤال انطلق تلقائيا من الدكتور سيف الدين والشيخ إبراهيم معا.. ينظر إليهم ميشيل مستغربا، يندهش أكثر لعدم انفعالهما ولو



بحمرة الخجل للحظة، إنهم فعلا خير من يتعاون معنا، جملة قالها ميشيل في داخله، ثم يكمل لهما قائلًا:

- الأمر الذي نريده هو الوطن الآمن للأصدقاء في إسرائيل. المواطنون هناك لا يشعرون بأي أمن أو استقرار، جمعيتنا تعمل هناك وترصد كم المعاناة لأناس يمتلكون القوة ورغم ذلك يُهانون ويُضربون، نشعر بكم الظلم الذي يعانون منه، ندرك أنهم يريدون فقط العيش آمنين، تلك الهجمات التي لا تنقطع من الفلسطينيين.

يحاول الشيخ إبراهيم أن يتفاوض قليلًا لتجميل الصورة فيقول:

- من يطلب الأمان يا سيدي؟ إن اليهود هم من اغتصب الأرض وهم من يهاجمون الأشقاء في فلسطين..

- يا شيخ إبراهيم.. دعك من التاريخ القديم.. إننا اليوم أمام أمر واقع.. إسرائيل دولة ذات سيادة ولها في بلادكم سفارات وهناك مشروعات مشتركة معكم.. إذا كنا نتحدث عن مستقبل يحقق أهداف الجميع دعونا من العبارات الرنانة، تلك العبارات تُسيرون بها الجماهير لكنها لا تصلح أبدًا في التفاوض الفعلي يا شيخ إبراهيم.

يتدخل الدكتور سيف خوفا من خروج الحديث عن الهدف المحدد:



– فعلا.. إن دولة إسرائيل أمر واقع.. والمصالحات بينها وبين الأشقاء في فلسطين يجب أن تتم في أسرع فرصة وبطريقة إيجابية تضمن صالح الطرفين.

يندهش بالفعل ميشيل، يعجب من هؤلاء وقدرتهم على الجدال، يعلم جيدًا أنهم يوافقون ولكنهم يستمرون في النقاش عجبا للعرب.. لماذا يفضلون كثرة الكلام رغم وضوح الهدف؟ يُظهر الرجل القليل من الضيق وهو يقول:

– أيها الأصدقاء.. لا وقت لدي لكثرة الأحاديث التي لا طائل منها، تتحدثون عن رغبتكم في إقامة دولة الخلافة الاسلامية وتطلبون الوعد وعندما نقترب من شرطنا للتعاون، تتحدثون عن حوار المصالحة الاسرائيلية الفلسطينية؟ إنني أحدثكم عن وطن آمن للإسرائليين وتحدثونني عن حوارات مصالحة أثبتت فشلها مع مرور السنين.

يبتسم الشيخ إبراهيم ملطفا الجو العام للقاء ويده من أسفل تشير نحو للدكتور سيف علامة الهدوء، ثم يقول:

– وماذا نستطيع أن نفعله في هذا الشأن يا سيد ميشيل؟

– ندعمكم في إقامة حلمكم وإقامة دولة الخلافة مقابل أمن اليهود في إسرائيل، وهذا لن يتم إلا بإيجاد وطن بديل للجماعات الفلسطينية المتبقية في الضفة وغزة.



تسود حالة صمت.. تنقلب كافة الأمور.. اليوم هناك مطالبات بإيجاد وطن للفلسطينيين أصحاب الأرض؟!

لا يستطيع الشيخ إبراهيم أن يوارى انفعاله، يزفر بشده، يلاحظ ميشيل ردود أفعالهم، إنه يمتلك تقارير تؤكد أن من يتفاوض معهم يسيرون على مبدأ الغاية تبرر الوسيلة وغايتهم إقامة الخلافة الإسلامية، فمهما كانت الطريق سوف يسلكونها، يتماسك الدكتور سيف ويعلق في هدوء:

- بأي منطق تطالبون بوطن بديل للفلسطينيين يا سيد ميشيل، كيف يتم طرح مثل هذا التصور من الأصل؟

- يتم طرحه بعد طرحكم يا دكتور سيف، تطلبون إزالة كل الأنظمة في العالم العربى وتصلون أنتم إلى أرائك الحكم وتطلبون المساعدة سواء بالدعم المعنوى العالمى أو المادي الذي سيصل إلى مليارات الدولارات، أتريدون ذلك هكذا بلا مقابل..

يهمس الشيخ إبراهيم:

- مليارات الدولارات؟؟

- نعم.. المشروع المنتظر لن يتم بالأمانى وحدها يا شيخ إبراهيم، يلزمكم الأموال.. الكثير من الأموال.

يعود الهدوء تدريجيا إلى تلك القاعة التي تضم الثلاثة وكأن لها آذانًا تسمع وملامح تعبر، القاعة تتبع المكتب الذي يشغله مدير دار النشر، يُجرى فيها الكثير من اجتماعاته مع العاملين أو

المتعاملين مع الدار، لكن لقاء اليوم بما له من تأثير وأهمية كبرى جعل هذه القاعة تشهد حالة نشاط منذ الصباح، فقد دخلها عمال النظافة وظلوا بها قرابة النصف ساعة وكانت هذه كافية لزرع أجهزة التنصت والتصوير في أكثر من مكان، مثل هذا اللقاء يجب أن يُسجل صوتا وصورة، ليكون أداة ضغط مستقبلا إن حنث هؤلاء بوعدهم.

الدكتور سيف يعلم أن لقاءً مهمًا مثل هذا من الممكن أن يتم زرع كاميرات لتصويره، لذا حمل معه قلمًا أنيقًا في جيب سترته، القلم عبارة عن جهاز تشويش صغير الحجم هو أحدث ما وصلت إليه التكنولوجيا في هذا الشأن.

ميشيل ومن معه يعلمون جيدًا أن أحدهم قد يحمل جهاز تشويش على معداتهم فاحتالوا على ذلك ببعض الحيل العلمية المؤكدة في هذا الشأن والتي أبطلت مفعول القلم حال دخولهم من الباب الرئيسي، فقد تعرض جهاز التشويش «القلم» إلى صدمة كهرومغناطيسية شديدة أفرغت طاقته على الفور.

يحاول الدكتور سيف الابتسام وهو يسأل ميشيل:

- هل نستطيع أن نتعرف على تصوركم بخصوص الوطن البديل للفلسطينيين؟

يبتسم ميشيل فقد بدأ التفاوض الصريح، يمط شفتيه وكأنه يؤكد أن الأمر بسيط فيقول:



- الأمر ليس بهذه الصورة السلبية يا سادة.. دعونا نتفهم الأمر بما يتناسب مع الواقع.. نعلم جيدًا أن الضفة وغزة كمساحات لا تصلح أبدًا للفلسطينيين كوطن وذلك لصغر حجمها، لذا هم في استمرار في حالة عناء وضغط في أرض لا تستوعبهم كسكان، فما بالنا بأناس يريدون بناء مصانع وأرض يزرعونها.. لذا يتوجهون بغضبهم هذا نحو إسرائيل، هنا عدم الأمان لليهود في إسرائيل، وفي الوقت ذاته لن يصلح بأي حال تهجير اليهود لارضاء الفلسطينيين.. إنها إشكالية معقدة ظاهريا.. سهله جدًّا في حقيقة الأمر..

- وكيف ذلك يا سيد ميشيل؟

- جزء من سيناء يا شيخ إبراهيم..

- نعم؟؟

- أقول لكما جزء من سيناء، مساحة سيناء تزيد عن 60 ألف كيلومتر مربع، ماذا لو حصل أشقاؤكم الفلسطينيون على عشرة آلاف كيلو.. وهي أرض غير مستغلة، ماذا لو تُستغل في حل مثل هذه القضية، وهو حل إنساني قبل أن يكون حلًّا سياسيًّا.

يذهب الشيخ إبراهيم في حالة شرود، الاقتراب من أي ذرة رمل من الأراضي المصرية أمر كارثي، يعلم جيدًا ردود الأفعال حال نشر مثل هذه المعلومات، على هذه الأراضي مات المئات من أبناء مصر لاستردادها من اليهود.. ارتوت رمالها بدماءهم..

لكن.. لحظة.. ما المشكلة في أن يحصل الأشقاء في فلسطين على جزء من سيناء !! ونحن من الأصل نحلم بدولة إسلامية واحدة يكون فيها العالم العربى دولة واحدة، ينتقل المواطن في أرجاءها حيث يشاء، يشترى هنا ويبني هناك، لا غرابة في مثل هذا الاتفاق، أما بخصوص اليهود في فلسطين فلهم شأن آخر، مجرد أن تقوم دولة الخلافة وتقف على أرضية قوية ووحدة حقيقية وتطور علمى، وقتها نبيد اليهود من على وجه الأرض.

يعلم جيدًا ميشيل ما يفكر فيه إبراهيم وسيف، يعلم جيدًا أنهم سيوافقون على أمل تحقيق حلمهم ثم الانقلاب على إسرائيل، لكن المخطط الذي ينفذون منه جزءًا الآن كان يقضى بوصولهم إلى السلطة في مصر وبعض الدول البعيدة عنها بحيث يصعب عليهم التوحد، ثم تكون الخطوة الثانية وهي تحقيق الوعد وإعطاء الفلسطينيين الوطن البديل، ثم الحصول على العديد من الامتيازات أثناء تواجدهم في السلطة وأهم هذه الامتيازات هي استثمارات ضخمة لشركات متعددة الجنسيات على ضفة قناة السويس، مبان عملاقة لهذه المشروعات يتم تجهيزها وتسليحها إن لزم الأمر، خط بارليف حديث مُعد ومجهز على أعلى مستوى. وقبل انقلابهم على إسرائيل يكون هناك انقلاب عليهم من شعوبهم ويقوم الصراع بينهم، لن تتم الوحدة، بل يتم تقسيم بلادهم إلى دويلات، يتم بعدها التدخل العالمى لفرض سياسة أن

الوضع القائم هو أفضل الأوضاع. تلك هي خطتهم التي أعدوها مثل حيوان اسطورى يبتلع كل ما في طريقه.

يعلن الشيخ إبراهيم والدكتور سيف موافقتهم على إعطاء الأشقاء في فلسطين قطعة من لحم الوطن، جزءًا من أرض سيناء، في المقابل يحصلون على الوعد المنتظر، ينتهي اللقاء.

■■■

(26)

مجدي سرور

في الصباح الباكر على غير عادته يهبط مجدي سرور من شقته، سافرت زوجته هناء التونى إلى مدينة شرم الشيخ، ذكرت لأولادها أنها ذهبت لتغطية أحد المؤتمرات المهمة التي سوف تعقد هناك على مدار الأسبوع القادم. يعلم مجدي أنها تركت له الشقة والمدينة بأكملها كي تستطيع التفكير بهدوء وحرية، تلك هي عادتها، لا تهرب تاركة المكان، إنما تنسحب بعيدًا لتعيد ترتيب أوراقها وتلتقط أنفاسها وتعد العدة لانطلاقة جديدة أكثر قوة مما كانت عليه.

لم يكن مجدي يخشى ثورتها حال عودتها، فهي سيدة ناضجة صاحبة فكر وعقل راجحين، لن تجعل السفينة تصطدم بجبل الثلج الذي يعترض طريقها، فالغرق لن يفيدها، ستنجو بالسفينة من أجل نفسها ومن أجل الأولاد، أرسل لها رسالة نصية على التليفون المحمول يتمنى لها أجازة هادئة، طلب فيها أن تغفر له

خطيئتـه وأنه سـوف يتحمـل نتيجة أي قرار تتخذه هـي، في النهاية أخبرها أنه سيظل وفيا لها مهما حدث، حاول أن يكتب «محبًا لها» لكنـه وجد أن الكلمة سـتكون منافية تمامًـا للواقع فبحث كثيرًا في قاموس كلماته فعثر أخيرًا على «وفيا لها». يبتسـم سعيدًا لاختياره فهذه أفضل ولها وقع أكثر تاثيرًا في نفسها ولن تأتي بنتيجة عكسية كما الأولى.

خـرج مبكرا هذا اليوم لأنـه على موعد مع إلهام مدكور، تنتظره لمقابلـة رجل الأعمال سـعيد العتباني. في البداية رفضت الذهاب لمقابلته لكن مجدي أصر كي يتم وضع نهاية لتلك العلاقة.

منـذ عدة سـنوات قابلت إلهام سـعيد العتباني ومثـل الكثير من رجـال الأعمـال، يهتم سـعيد بعدة أمور علـى رأسـها أن تكون له عشيقة يُلقي بهمومه على ثدييها، أعجب بذلك الألق في عين إلهام مدكور بالاضافة إلى جسدها المتكامل المختصر، فقد جمعت فيه الميزتيـن، الجسـد الملفوف الأنثوى المعبر والخفيـف في نفس الوقـت، يتمنـى كثير مـن الرجـال ذلك الجسـد، يداعبونـه كطفل ويلتهمونـه كإمرأة. ترفض إلهام عروضـه الكثيرة التي حاول مرارا التقـرب إليهـا بها، أخيـرا صارحته بأنها لن تسـلك ذلـك الطريق كانـت تعلـم أن هـذا الرجـل من تلـك النوعيـة التي تود لـو أكلت الثمـرة مرة واحدة ثم تلقى بنواتها في أقرب سـلة مهملات، بذلت جهودها كي تكون علاقتها معه طويلة الأمد فألمحت إليه بالزواج يرفض في البداية ثم يصلان إلى حل وسـط ينتشـر بين تلك الطبقة



وهو الزواج العرفي، يكتبان ورقتان زواج عرفي، يعطيها واحدة ويحتفظ بالأخرى، رفضت في البداية بميوعة أن يحتفظ بورقة، لكنه أصر، فمن حقه أن يحتفظ بولائها له كما تود هي أن تحتفظ بولاءه لها. عاشا معا ما يقرب من العام، أغدق عليها المال حتى صار لها رصيد في البنك يحمل عدة أصفار. تنطلق بها الحياة تنهل منها قدر ما تستطيع حتى لاحظت فتوره فأعطته كما لم تعطه من قبل وأغدقت عليه من بحور أنوثتها شهدا ودلالا، أيام وتشاهده مع أخرى في حفلات نظمها خصيصا من أجل تلك الأخرى، هجرته ليدنو فابتعد، دنت منه فابتعد أكثر.

سعيد العتباني يمتلك قدرات خاصة في عدم خسارة أي فرد، فيلسوف بالفطرة «اللي مش هاتحتاج لوشه النهارده بكره تحتاج لقفاه»، يستطيع أن يُحيد العلاقة مع إلهام فيصيرا صديقين، لم يطالبها بورقة الزواج العرفي مخبرها ذات يوم بأنه يثق فيها أكثر من ثقته في نفسه، فلم تطالبه هي الأكثر كي تُظهر نفسها بأنها لا تبالي تعاليا وكبرا، تركته ولم تعد تشاهده أو تتبع أخباره إلا قليلًا وعلى فترات متباعدة.

تلتقي بمجدي سرور وتبدأ معه مرحلة جديدة فتنسى سعيد العتباني تمامًا حتى يطلب مجدي منها الزواج تفاديا لكارثة صورهم وهم عراة، هنا تتذكر أنها كانت متزوجة عرفيا من سعيد العتباني وأنه لا يزال يحتفظ بورقة الزواج العرفي وقد يظهر بتلك الورقة في أي وقت فيقلب الأوضاع رأسا على عقب.

يقابلهم سعيد العتباني بابتسامته الطفولية التي يصطنعها باستمرار ليخفي بها تعلبيته التي غالبا ما يلحظها أقرانه من التعالي

رجل تخطى عامه الخمسين بسنوات أشقر، يختلط سواد شعره باللون الفضي لشعيرات غير قليلة، حليق اللحية والشارب، يرتدي نظارة بعدسات زرقاء فسفورية لامعة، جسد متناسق يمارس رياضة المشي كثيرًا في النادي أو في شركاته ومصانعه، لا يفضل الجلوس في الحجرات المكيفة وهو يدير أعماله، يعرف كل عمال مصنعه بالاسم ويتبادل معهم القفشات ولا يتكبر عليهم أبدًا وقد يذهب مجاملا في أفراحهم وأحزانهم، يُشعرهم باستمرار بأنهم اخوته وأصدقائه والمصنع مصنعهم فأحبوه وتفانوا في عملهم، لم يعطهم مرتبات مرتفعة ولم يفكر في ذلك لكنه ابتدع نظاما غير تلك الأنظمة المتبعة في المصانع المنافسة، كل فترة يصدر قرارا بتوزيع مكافأة على العمال مستغلا المناسبات» الأعياد، بداية رمضان، المولد النبوي، رأس السنة الميلادية والهجرية، وفي يوم السادس من أكتوبر صرف مكافأة للعمال وعندما سُئل أجاب بأنه يوم وطني يجب أن يحتفل الجميع به وعمال مصنعه لابد أن يدخلوا على أولادهم بهدايا في هذا اليوم أيضًا.

هذا بالاضافة إلى تلك الوديعة التي وضعها في البنك لعمال مصنعه، رأس مال الوديعة اقتصه من العمال بحيث يقوم بخصم مبلغ محدد من كل عامل مقسما على مدار العام ثم يعود الراتب إلى طبيعته. تلك الوديعة في البنك تحقق أرباحا شهرية يتم الصرف



بها في حدود على الحالات الانسانية التي يتعرض لها العمال لمناسبة زواج أحد أبناء العاملين أو مرض أحدهم واحتياجه إلى عملية أو علاج. وغير ذلك من تلك التفاصيل، وهذا ما جعله شخصية محبوبة من فريق عمله المتزايد يوما بعد يوم وجعلت مصانعه تتوسع وبدلا من إنتاج العصائر الطبيعية أصبحت تنتج كافة الخضروات المجمدة والدواجن وكثيرًا من السلع الغذائية المعلبة والمجمدة وانتشرت إعلانات شركاته في وسائل الاعلام المختلفة وعلى لوحات الدعاية الضخمة على الطرق السريعة.

استكمالا لتلك المنظومة الضخمة ترشح في انتخابات مجلس إدارة نادي رياضي كبير وقام بحملة دعاية كبيرة جدًّا مقدما كافة منتجات مصانعه كهدايا للأعضاء مدة شهر كامل قبل الانتخابات، نجح في الانتخابات ويترأس النادي ذا الشعبية الكبيرة. تلك المعلومات كان يعلمها عنه مجدي سرور الذي اتصل به محددا موعدا للقاء، لم يخبره بموضوع اللقاء ولم يخبره أيضًا باصطحابه إلهام مذكور.

تظهر علامات الدهشة على وجه سعيد العتباني لحظة مشاهدته لإلهام تدلف من باب مكتبه خلف مجدي سرور، توقع أن تكون هناك صفقة ما تكون فيها إلهام وسيطة بينهما ولكن لماذا لم تطلب إلهام اللقاء؟!

- أيه الأنوار دي.. مجدي باشا وإلهام هانم في مكتبي..



ثـم يطلـق ضحكـة سـريعة طفولية، لـو ركـزت معهـا وتابعـت تفاصيل وجهه لضحكت مباشـرة، يتبادلـون التحية، يدخل العامل حامـلا صينيـة فضيـة لامعة مذهبـة الأطـراف عليها ثلاثـة كئوس عصير مانجو..

– اتفضلـوا.. عصيـر مانجـه طبيعي مـن مصنعي وبـدون مواد حافظة، وخدوا الجديد بقى.. من مزرعتي كمان.. ما هو أنا قولت بدل ما أشترى الزرع من الفلاحين والسـوق هـو اللي يتحكم فيا أزرعه أنا واتحكم في أمه..

يطلـق ضحكته السـريعة ويده فـي الهواء كأنه يصطاد ناموسة عبارات مجاملة سريعة عن حالة الاقتصاد المصري، ينطلق بعدها مجدي في إحـدى محاضراته عن أهمية الاعتمـاد على الذات في الانتـاج وأننا بلد زراعى ويجب أن نظل بلدا زراعيا ونسـتغل تلك الميزة وننتج ما ننافس به عالميا، لقد فقدنا مركز الصدارة في إنتاج القطـن وتراجعنا إلى ذيـل القائمة، لكن يمكننا العـودة مرة أخرى لأننا نمتلك الأرض والماء والطقس..

دقائق ويفتر الحديث وتظهر علامات مستفسرة على وجه سعيد العتبانى فينظر في سـاعته ثم ينظر نحو إلهـام، التي تتوجه بحديثها همسا إلى مجدي:

– يا ريت ندخل في الموضوع..



يعتدل مجدي وتتقلص بعض عضلات وجهه، يحاول أن يسطها فيفشل فيبسط راحتيه على ركبتيه بلا إرادة ويقول:

- سعيد بيه.. نتكلم بصراحة وبشكل عملى..

- يا ريت..

- يعني.. حصل كدا بينا نوع من الاستظراف.. تقدر تقول حب بيني وبين إلهام..

يشهق سعيد بشكل تمثيلى مظهرا سعادته بهذا الخبر حتى إنه يلف بلا إرادة مصفقًا بيديه ثم ينحنى في حركة مسرحية معلقا:

- واو.. دا خبر هايل.. congratulation

ملمح واحد من ملامح الضيق استطاع الظهور على وجه مجدي لكنه سرعان ما جذبه للداخل وهو ينظر نحو إلهام الصامتة ثم يواجه سعيد قائلًا:

- الحقيقة.. اتفقنا على الجواز.. لكن لقينا في مشكلة صغيرة..

- خير يا مجدي بيه.. مشكلة أيه؟ مش لاقيين شقة..

يلقى بدعابته الأخيرة مطلقا ضحكة لا تنتهي إلا بكحة طويلة يحمر على أثرها وجهه الأبيض. يضحكون لدعابته وإن بدأ الضيق يظهر على وجه إلهام بشكل ملحوظ، كان داخلها في تلك اللحظات مضطربا بشكل كبير، ما لم تخبر به مجدي صراحة أن هناك علاقة وثيقة بين سعيد العتبانى والحزب الوطني وإن كان

يحافظ باستمرار على ألا يُظهرها للناس، علمت ذلك من خلال اتصالاته التليفونية أيام كانت رفيقته. الحزب الوطني ورجاله ومنهم سعيد يعملون على إسقاط مجدي سرور منافس كبيرهم. تماسكت لحظة استجمعت فيها شجاعتها وقالت بلهجة حاولت قدر الامكان ان تجعلها محايدة:

- كنت عاوزة الورقة العرفي اللي عندك يا سعيد..

ينظر نحوها سعيد لحظات متصنعا تلك الحالة التي تظهر على الوجوه لحظة تذكر شيئ نسيناه، تنفرج أساريره، تنفك تلك العقدة التي تكونت بين حاجبيه، تعود جزئيات وجهه إلى سيرتها الأولى مبتسما لإلهام، متحدثا إلى مجدي:

- موجودة.. أكيد موجودة يا مجدي بيه وتحت أمركم.. يا سلام.. دا انتوا حبايبي.. مجدي دا يا إلهام حتة سكرة.. أخويا اللي ما خلفتوش أمي.. ولا أبويا.. ها هـــا هـــا...

تطول ضحكته هذه المرة.. لم يتمالك نفسه، عاودته نوبة الضحك أكثر من مرة حتى دمعت عيناه، بدا رائق المزاج سعيدا منتشيا. يتوجه نحو برواز كبير يحتوي على صورة زيتيه له، واقفا كأحد فرسان العصور الوسطى في حديقة غناء، رسمها شاب خريج كلية الفنون الجميلة وأهداها له في إحدى الحفلات، كانت هذه اللوحة كفيلة بتوفير فرصة عمل مناسبة لهذا الشاب في مصانع سعيد العتباني وبمرتب مجزي. أزاح البرواز فانزلق على جرار

كأنه يفتح نافذة، فأطلت من خلفها خزينة ضخمة بلوحة أرقام، في اللحظة التي كان يجب عليه أن يضغط أزار اللوحة الالكترونية للخزينة فإذا به يشير نحو البرواز قائلًا:

- فنان كبير هو اللي رسم لي الصورة دي.. تحبوا أجيبه ويرسم لكم صورة هدية جوازكم..

لا ينتظر تعليقا ويضحك، قال جملته الأخيرة بشكل تلقائي يبدو فيه مثل طفل فرح بألعابة يستعرضها أمام أقرانه رغم أنه لا يقربها طالما كان وحده، عبارته كانت كافية للفت أنظارهم نحو الصورة في اللحظة التي ضغطت أصابعه بسرعة على أزرار لوحة مفاتيح الخزينة فانفتحت مصدرة أزيزا، يعبث في أوراقه، يخرج أخيرا بالورقة صارخا كنفس الطفل الذي يجد لعبته المختفية خلف رجل السرير من أسابيع ويظهرها لأقرانه، قائلًا:

- هيه.. لقيتها..

يغلق الخزنة ويتوجه نحوهم بالورقة ملقيا عليها نظرة يمط شفتيه على إثرها بإعجاب ملقيا آهة، كأنه يقول: كانت أيام جميلة لكن ما باليد حيلة، يناول الورقة إلى إلهام، تأخذها لتقرأها وتتأكد من توقيعها عليها، بينما يتحدث سعيد إلى مجدي وقد جلس إلى جوارة في ود:

- إلهام دي جوهرة يا مجدي بيه.. إنت ابن حلال وتستاهل كل خير.. ربنا يسعدكم ويهنيكم ببعض..



- أشكرك يا سعيد.. إنت إنسان محترم وابن أصول..

- أيه أخبارك يا مجدي.. نجمك في السما يا عم.. أمريكا كلها واقفه معاك..

- أمريكا؟



(27)

إيمان سمير

إن سُئلت إيمان سمير في أي وقت عن سبب سفرها إلى دولة قطر، تكون إجابتها ببساطة أنها زيارة عائلية عادية جدًّا، والداها يعملان هناك من سنوات طويلة. وقد استطاعت خلال تلك الرحلة إجراء عدد من اللقاءات الصحفية. ذلك ما حدث بالفعل، لكن ما لم تخبر به أحدًا حتى والديها في قطر تلك اللقاءات السرية التي اجتمعت فيها بعدد من الشخصيات من جنسيات مختلفة، المفاجأة في هذه الاجتماعات بالنسبة لايمان سمير هو تواجد عدد من الشباب من عدد من الدول العربية.

يشمل الحضور مستر ناجي عبد اللطيف، نبيل فهيم شاب مصري خبير في مجال الانترنت، ومستر طونى فؤاد شاعر لبنانى مقيم بولاية نيويورك في أمريكا، عادل الأخضر من تونس صحفي ومدير جمعية حقوقية تونسية، شفيق السوالمى من ليبيا شاب جامعي وابن كبير قبيلة السوالم الليبية، يزن منصور من سوريا



مخرج سينمائى وله عدة تجارب سينمائية عن معاناة الفقراء في العالم العربى ومخرج ذلك البرنامج الشهير عن تعذيب المدنيين داخل أقسام الشرطة المصرية المنتج لصالح قناة الجزيرة وقد أثار هذا الفيلم ضجة حين تم عرضه وتداوله على شبكة الانترنت سناء سرحان من اليمن ناشطة في مجال حقوق المرأة وتم تمويلها لانشاء جمعية نسائية استطاعت خلال الشهور الماضية أن تنتشر في ربوع اليمن حتى أبسط السيدات وصلت إليهن بالدعم المادي والمئونة الغذائية.

يدخل عليهم القاعة رجل خمسينى ممشوق القوام يختلط سواد شعره بأبيضه الفضى متدليا خلف رأسه مربوطا على هيئة ذيل فرس، لحيته أنيقة تزيد من استطالة وجهه، عينيه تحمل حميمية غير عادية، تشعرك بأنك تعرفه من فترة، ألقى على الجمع التحية وتوجه ليجلس على مقعد في مواجهتهم جميعا، ابتسامته العريضة تسللت إلى أعماق إيمان سمير، زاهدة باستمرار في الرجال ولم تتمنى أحدهم يوما، لكنها اتخذت قرارها في تلك اللحظة بأنها لن تمانع أبدًا من الارتماء في أحضاء هذا الرجل وليفعل بها ما يشاء، يعتصرها ويمتص رحيقها، يبدو من تحت قميصه، المصنوع من الكتان الأبيض، مفتول العضلات، لاحظت من قبل ميلها للرجال الأكبر سنا، لا تعرف لماذا لا يستهويها الشباب، بعد طول تفكير تصل إلى قناعة تامة بأن جيل الشباب، أو على الأقل من حولها،



ليمون.. لم تجد بينهم ذلك الشاب الذي يمتلك كاريزما القيادة.. قيادتها هي بالذات.

يلاحظ الرجل نظرتها نحوه، بعين خبيرة يعلم فيما تفكر، يحتويها بابتسامة عميقة وبالعربية المصرية يسألها:

- سرحانه في أيه يا إيمان؟

تندهش لحظة ثم تتماسك وهي تنظر نحو ناجي عبداللطيف، من الطبيعي أن يقدم عنها سيرة ذاتية، لكن العلم بالشيء غير ممارسة هذا الشيء.

يخرجها الرجل من حيرتها بأن يتوجه إلى الجميع بالحديث:

- اسمي ديفيد روني، خبير في التنمية البشرية، كرواتي الجنسية، باتكلم بالانجليزية والفرنسية والعربية والصينية كمان بلهجة أهلها، هاتكلم معاكم باللهجة المصرية، لأنها أشهر لهجة في العالم العربي، وأكيد انتوا عارفين إن دا سببه الأفلام المصرية اللي انتشرت في العالم العربي كله، نقلت اللهجة والثقافة والعادات والفكر المصري، دا اللي كان عبدالناصر حريص عليه جدًّا، لكن الدور دا انحسر لغياب الدراما المصرية المتميزة وظهور سينما الجنس. الفكر اللي كانت ماشية عليه مصر زمان وهو استخدام الدراما المتميزة لنقل الفكر والثقافة والعادات والتقاليد بتعمله حاليا تركيا والهند، وطبعا قبلهم أمريكا اللي من خلال أفلامها ونجومها صدروا عاداتها وأفكارها اللي ما فيش واحد في العالم

ما يعرفهومش. نرجع لموضوعنا.. علم التنمية البشرية علم شامل متشعب، أنا تخصصت في جزئية تنمية القدرات الخاصة، أنا عارف إنكم مجموعة منتقاة بعناية للتعبير عن شعوبكم، موضوع ندوة النهاردة هو تدعيم القدرة الذاتية وإعلاء حالة المواجهة..

تستجمع إيمان أعصابها المشتتة، تستعيد رباطة جأشها، هربت أنوثتها خجلى أمام طموحاتها التي لا حدود لها، قررت أن تبدأ بالهجوم، إنه أنجح وسيلة للفت الأنظار، سألت:

- المواجهة مع مين مستر رونى؟

- مع الأنظمة المتسلطة على حرية البشر، أعتقد إنكم عارفين كويس إن مافيش شعوب على وجه الأرض بتعاني الظلم والقهر زي شعوبكم، مجموعة مسيطرة على مقاليد السلطة في بلادكم، الدول العربية هي الوحيدة اللي بتصنف البشر وبتتعامل معهم على قدر مستوياتهم، رغم إن الدين الاسلامى دين بيدعو للمساواة والعدل، الحقيقة إن شعوبكم تقول ما لا تفعل وتفعل ما لا تقول، عشان كدا إحنا هنا النهارده. علم التنمية البشرية هو استخراج تلك القدرات الذاتية الكامنة بداخلنا للحصول على حق الحياة، حق الحياة الكاملة مش هو دا هدفكم؟

تعلو الهمهمات المؤيدة، بعضها يؤيد بحماس وبعضها بأسى متذكرا حال الشقاء في بلده. تحدثت إيمان بقوة تنقل رغبتها في التحدي، أطلقت كلماتها للتعانق مع كلمات رونى، ليمارسوا



الذبلة في فضاء القاعة، تخيلتها أجسادًا تغوص بين ثنايا الأوسدة واريهم أغطية شفافة..

- دا حقيقي مستر ديفيد، هو دا هدفنا، جوانا الرغبة، وجوه الملايين غيرنا، قربت تقتلنا، نفسنا نخلص من الأنظمة دي النهارده قبل بكره..

- يبقى نسمع، أيها الأصدقاء، بداخل كل واحد منا قوة جبارة، القوة دي موزعة على كل البشر بقدر متساو، الاشكالية هي رؤية القوة دي واستغلالها، اللي بيشوفها ويحاول تنميتها ويستغلها، يحقق هدفه، ودول أيها الأصدقاء هما القادة، وبعد انتهاء ورشتنا التدريبية دي هاتوصلوا للمرحلة دي. انتوا قادة المستقبل..

تنزل كلمة قادة على قلوب الحضور بردا وسلاما، من منا يستطيع مقاومة بريق السلطة؟

السلطة.. تلك الكلمة السحرية التي تفتح لك قلوب الآخرين قبل عقولهم، فمهما كانت قوة من أمامك ولوحت له بمنصب أو مال أو أي نفوذ، انقاد خلفك متمسحا مستكينا رهن الإشارة.

يكتم روني انفعال السعادة بداخله إثر ملاحظته أثر وقع كلماته على الحضور، تبدو أطماعهم على وجوههم، صمت لحظة كي يترك لهم الفرصة ليغوصوا أكثر بحثا عن أطماع أخرى، كلما زادت الأطماع كلما كثُرت التنازلات.

يختار اللحظة المناسبة لاستكمال حديثه قبل أن يستفيقوا، قبل أن تتيبس عجينتهم، إنهم الآن ألين في يد رونى من عجينة في يد خباز، يُكمل:

- أيه هو الفارق بين القائد صانع القرار وبين عامة الناس من منفذى القرار رغم إنهم بيمتلكوا نفس القدر من الطاقة الداخلية؟ الإجابة ببساطة هي استغلال الطاقة دي، والطاقة اللي جوانا لا يمكن أن تستغل إلا بمعرفتها كاملة والتعرف على كيفية استغلالها، وهو دا موضوعنا، في البداية أحب أشير للفارق الملحوظ في القدرات بين الأنثى والذكر، إن كان الرجل يتميز بالقوة والقدرة على المواجهة زي ما هو معروف تاريخيا عن الرجل، فالتجارب الحديثة أثبتت إن المرأة أكثر جرأة ومواجهة من الرجل.

دهشة تحتلى وجوه الشباب بينما سعادة وتشفي تعتلى وجوه الإناث اللائى ينظرن بطرف خفي نحو أقرانهم، يُكمل رونى قائلًا:

- من غير ما تستغربوا، دي حقائق علمية مؤكدة، المرأة بتستغل الموروث التاريخى عن ضعفها وخجلها ورقتها وبتحاول إثبات عكسه بمنتهي القوة، نفس الموروث التاريخى عن قوة الرجل وجرأته، خلاها يستكين ويعيش على التاريخ.

مع انطلاق رونى في الحديث يزداد تركيز الحضور، يغوص الرجل في أعماقهم ببساطة، يشعرهم بنقاط ضعفهم. يجب أن يتحمس الرجال كثيرًا، بالفعل: كيف الاستكانة لموروث قديم عن

الرجل القوى؟ لابد أن يثبت كل رجل بنفسه ذلك المفهوم أمام نفسه وأمام العالم أجمع، والمرأة التي ثبت أنها أقوى لأنها تحاول إثبات عكس ما هو معروف عن ضعفها، لابد لها من قوة تدعمها وهي قوة الرجل، المرأة هي بداية التحرك لأنها تستثير المشاعر بشكل أقوى، استغلال مفهوم ضعف المرأة بمنتهي القوة يؤتى ثماره، القوة ليست حديثا منمقا، بهذا يتحدث رونى.. إنما القوة فعل على أرض الواقع لتغيير كل السلبيات، إذا كنا في سبيلنا لتغيير سلبيات أنظمة تحكم الدولة العربية بقوتها الغاشمة والديكتاتورية المطلقة فإن القوة هنا هي قوة الكلمة، إنهم يمتلكون أجهزة الشرطة ويمتلكون الجيوش، خوض حروب علنية لن يأتي بنتائج تذكر مقارنة بتلك النتائج المتوقعة من استغلال الكلمة وقوتها.

قد تكون الكلمة في البداية عن طريق مقال في جريدة، لمخاطبة بعض الفئات التي تمتلك الصبر على قراءة المقالات وهم في العالم العربى قلة، وقد تكون الكلمة بوستات في الأكاونتات على الفيس بوك، عليكم أيها السادة استغلال تلك اللحظات الفريدة التي تصاحب أي جديد أعنى استغلال الفيس بوك وهو جديد على العالم العربى، سيتلاشى بريق هذا الكشف قريبا وسوف تظهر سلبياته مع الوقت وسوف يبتعد عنه الناس، لذا عليكم استغلال الوهج الأول، سوف تتسلمون أجهزة لاب توب حديثة مزودة بخاصية الدخول على شبكة الانترنت باستمرار، الكم صفحاتكم على الفيس بوك، استمروا في الإثارة، لا تقللوا

أبدًا من شأن أي كلمة تقال في أي مكان فسوف تؤتي ثمارها يوما ما، خصوصا إذا كانت موضوعة في إطارها السليم الذي يتفق مع رغبات الجماهير، تلك الجماهير المتعطشة إلى الحرية الطامعة في ثروات ضخمة كتلك التي يشاهدونها على الشاشات، فلم يكن ذلك الأمر عشوائيًا أبدًا، أقصد خلق حالة من عدم الرضا داخل الأفراد عن معيشتهم وجعلهم ينقمون على طبقة السلطة والنفوذ، تلك الأحقاد التي تراكمت عبر السنين كانت سابقة التجهيز وساهم في نشرها، أحد أبرز أمراض فئة السلطة حيث رغبتهم المستمرة في التباهي وحصد نظرات الحسد من العيون، يستشعرون القوة كلما زاد عددُ الناقمين عليهم، غلبتهم غطرستهم فأغشت عيونهم، لم يتخيلوا يوما أن تلك النقمة قد تنقلب لقوة تبيدهم وهذا ما نسعى لاستغلاله الآن، نقمة الضعفاء وأحلام الغلابة.

عندما نتحدث أمام الأغلبية عن تحقيق أحلامهم في معيشة كريمة سيكون النجاح حليفنا، هناك تيارات أخرى في عالمكم العربى تسعى للوصول إلى السلطة وعلى رأسها تيار الإسلام السياسى، أنتم كمجموعة ليبرالية منتقاة علي عاتقكم مسؤولية قيادة الجماهير في تلك الفترة المقبلة بالكلمة في مقالات ثم النزول بالكلمة إلى الشارع وأماكن التجمعات، تلك مرحلة تالية سوف نخبركم بتوقيتها عندما تأتي الفرصة المناسبة، لكن النزول إلى الشارع، بين الجماهير، يلزمه تدريب، سيكون الأمر في البداية، كما ذكرت ،محوره الكلمة والإشارة من بعيد، سوف



(الـ)ـتي أوقات تكثفون فيه تواجدكم في الشـوارع والميادين بشـكل يجعل الشـرطة في بلادكم تتصـرف بحماقة ضدكـم، تخيلوا مثل هذه التصرفات الحمقـاء ضد فتيات ذوات مظهر رقيق؟ ستكون النتيجـة مبهرة، لفت الأنظار وإثارة المشـاعر من فتيات مقهورات يكون له مفعول قوى، سيتم تدريبكم على مواجهة تلك الحماقات وعلى استغلالها الاستغلال الأمثل.

بعد ست سـاعات تنتهـي المحاضـرة، تناولـوا مأكولاتهـم ومشـروباتهم بينما رونى يستمر في شـرحه، لديه قدره رهيبة على الاستمرار وبنفس الحماس والابتسـامة لم تفارقه، تتسـاءل إيمان (بتعبير):

- وامتى التدريب العملى؟

- بكـره.. بالليل.. هاتسـافروا علـى كرواتيا.. أسـبوع واحد.. بعدها ترجعوا لبلادكم..

■■■

(28)

مجدي سرور

تتساءل إلهام مدكور بدهشة:

- أمريكا؟

ففي هذه الأيام مساندة أمريكا لأي نظام تعد تهمه حقيقية أمام الرأي العام، مساندتها لمجدي سرور مجرد موقف عابر من قبيل حقوق الانسان لا أكثر، لم يصل الأمر بأن يكون محلًا لحديث يلوك به سعيد العتباني وإن كان على سبيل المزاح، لكن مجدي سرور أجابه سريعا بعبارة من عبارات التيك أواى خاصته:

- المتغطى بالأمريكان عريان يا سعيد.. بيه..

ثم ينظر نحو إلهام، الدهشه لا تزال تعلو وجهها وهي تضع الورقة في حقيبة يدها، يتساءل بتعبيرات وجهه أن: هل تم المراد؟ تغمز له بعين واحدة، إشارة يفهم منها أن كل شيء على ما يرام،



يقف مجدي وبحركة لا إرادية يضم الجاكت بيسراه ويمد يمناه مصافحا سعيد:

- مش عارف أشكر معاليك إزاي يا سعيد بيه..

يضحك سعيد وهو يقف مادا يده ليصافحه وهو يقول:

- تشكرني أيه يا راجل.. دا أنت آخ يا مجدي.. المهم الفرح إمتى؟ ولا هاتتجوزوا في السر؟

لا يجد مجدي ما يعقب به، يتحرك منصرفا وخلفه إلهام مذكور التي آثرت الصمت متمنية مرور تلك الدقائق بأي شكل، قبل أن يصلا إلى الباب يستمعان إلى سعيد الذي عاد إلى مقعده خلف مكتبه، قائلا:

- ابن جنية يا مجدي.. تتجوزوا من هنا.. يبقى صوركم العريانة ما لهاش أي لزمة من هنا..

يتوقف مجدي وخلفه إلهام مشدوهين من وقع الكلمات الأخيرة التي دقت رءوسهم حتى أفرغتها تمامًا من كل شيء إلا من طنين رهيب وكأن دقاق صخور عملاق يعمل بداخلها، يُكمل سعيد:

- على فكرة الموضوع في طي الكتمان.. هو كان من المفروض الصور دي تظهر للناس كلها مع المظاهرات الجاية.. دا لو انت شاركت فيها يا مجدي وعملت بطل قومي.. لكن أنا أنقذتك بالورقة دي.. أصل أنا باحبك يا مجدي.



ينهي جملته مطلقا نفس ضحكته التي قد تشعر بتغير في شخصيته إن هو نسيها مرة. يخرج مجدي وإلهام، يُغلق الباب خلفهم بدفع ذراع الهيدروليك.

يقود مجدي السيارة بعصبية، يخيم عليهما صمت رهيب، آلاف الأفكار تتطاحن حتى كادت تسيل من الآذان، أخيرا تتحدث إلهام قائلة:

- عرف منين موضوع الصور؟

- واضح جدًّا إنها لعبة من رجالة الحزب الوطني وسعيد على علاقة كبيرة بالحزب.

- ولما هو معاهم، إدانا الورقة ليه؟

- لعبة وكل واحد بيدور فيها على مصلحته، سعيد مع الحزب الوطني، لو وقع الحزب الوطني في يوم وظهرنا إحنا يبقى ما اتعشى معانا ويفضل فوق..

- وفكرك الحزب الوطني هايقع يا مجدي؟

- هايقع يا إلهام..

خرجت منه الجملة الأخيرة بتلقائية، انطلقت كمن استيقظ فجأة فوجد نفسه بلا قيد، خرجت منه لأنه كان شاردا في جملة سعيد العتباني «نجمك في السما يا عم.. أمريكا كلها واقفه معاك» علاقة مجدي بالأمريكان غير خفية وإجابته بأن المتغطى بأمريكا عريان، هي إجابة من جمل الأكليشهات التي يحفظها لكنه يدرك

جيدًا أنه لولا تلك العلاقة ما كان له وجود على الساحة اليوم، زوجته هناء التوني استطاعت أن تراسل عدة جمعيات حقوقية عالمية أثناء فترة سجنه، قالت إنه يُعَامل معاملة سيئة وغير آدمية وجريمته هي تجرأه وترشحه في الانتخابات الرئاسية وأصبح المنافس الحقيقي للرئيس المسيطر على زمام الأمور في البلاد من عقود، تلك العبارات الرنانة تجد صدى في الغرب لدى هؤلاء الحقوقيين، كتبوا مقالات وصنعوا تقارير وتحدثوا عن الطاغية المصري، ضغطوا على مراكز صناعة القرار في أمريكا لاتخاذ موقف وإلا تكون مساندة للديكتاتورية، كحل للموقف أرسلت الإدارة الأمريكية سفيرتها في مصر لمقابلة مجدي سرور في محبسه للاطمئنان عليه، كعادة المصريين ينسجون ألف حكاية وحكاية حول أي موضوع، فخرجت المانشيتات الصحفية في اليوم التالي بأكثر من لون ومعنى مهاجمة للديكتاتور ومادحة في الأمريكان الذين يناصرون الإنسان وحقوقه، ومانشيتات أخرى تمجد في رأس النظام في مصر وتهاجم أمريكا راعية الإرهاب.

هل أمريكا حقا راعية الإرهاب؟

هذا السؤال ألقاه مجدي سرور من عامين تقريبًا، بعد خروجه من السجن وسفره لأمريكا، بعد مرور أسبوع من رحلته وفي الساعة الواحدة بعد منتصف الليل يرتدي بالطو أسود رافعا ياقته كي يوارى الجزء الأكبر من وجهه، يخرج من الباب الخلفي للفندق الذي ينزل فيه، الكائن في منطقة چورچ تاون في واشنطن

وبالتحديد في M Street، يعلم أنه مراقب منذ أن وطئت قدماه أمريكا، طبيعي أن تمارس المخابرات المصرية عملها.

تنتظرة سيارة سوداء سريعا ما تغيب في الشوراع، تدور قرابة نصف ساعة وفي زحام إشارة مرور يهبط مجدي من هذه السيارة إلى السيارة المجاورة، حركة سريعة غير ملحوظة تمامًا، بعد عشر دقائق يهبط منها داخل بناية ضخمة، يتلقاه الأسانسير صاعدا حتى الدور الأربعين، في لحظات يجد نفسه أمام السفيرة الأمريكية في القاهرة وثلاث شخصيات لا يعرفهم، قاعة تبدو أنها مُعدة خصيصا للاجتماعات، عبارات ترحاب قصيرة، تبدأ السفيرة في الحديث:

- السيد مجدي سرور.. تعرفونه جيدًا.. باختصار هو رجلنا في المرحلة القادمة.

- شرف لي ثقتكم الكريمة.

يتحدث مجدي خجلا غاضا من بصره، لا يلبث أن تختفي الابتسامة التي ظللت وجهه لحظات وتحل محلها علامات الجدية ويقول:

- أنتم بلد الديمقراطية والعدالة، بلد الحريات.. لن ينسى الجميع سعيكم الدائم لنشر الحرية والديمقراطية على مستوى العالم..

هنا يتحدث أحد الحضور، يبدأ بعريف نفسه قائلًا:



- ممكن نتكلم بصراحة مستر مجدي.. في البداية أحب أعرفك بفسي. أنا دكتور إيزاك حاييم، خبير دولي في العلاقات الدولية وتاريخ الجماعات السياسية وباحث في معهد كارينجي..

- أهلًا بحضرتك..

قالها مجدي وهو يحاول الربط بين الاسم والتخصص، لكن استمرار إيزاك في الحديث جعله ينهي تفكيره سريعا كمن يطوي ورقة ويضعها في جيب الجاكت الداخلي ليقرأها في وقت لاحق طواها كي ينصت باهتمام إليه وهو يقول:

- حديثي معاك مستر مجدي باختصار شديد عن دورك في المرحلة الجاية وهو المشاركة السياسية الفعالة والحصول على أكبر قدر ممكن من التأييد الشعبي ولازم كمان يكون لك حزب سياسي موجود في الشارع..

- أنا فعلا عندي الشعبية المطلوبة وأعتقد إن دا سبب وجودي هنا..

- طبيعة شعوبكم العربية مستر مجدي وخصوصا مصر مختلفة جدًا..

- يعني أيه؟

- يعني الشعبية اللي حضرتك بتتكلم عنها ممكن عندكم، في لحظة واحدة، تنقلب لعداء رهيب، في بلادكم الناس مهتمة قوي بحاجتين اتنين، الأكل والجنس، وجودهم معناه الاستقرار، عدم

وجودهم معناه الأمور تنقلب على السلطة الحاكمة. أمر زي دا معروف جدًا عند حكام العرب وبيساعدوا على نشره، اتجاهنا الحالى هو خلق تيار جديد مسئوليته الوصول للجماهير عن طريق الأكل، وتقريبا دا تم..

يبتسم مجدي علامة فهمه لما يرمى إليه دكتور إيزاك متذكرا كوادر جماعة الإخوان المسلمين لتوفير السلع الأساسية للجماهير بسعر الجملة والتي تنتشر في المحافظات بالاضافة إلى تجميعهم التبرعات العينية من المواطنين المقتدرين وغالبا ما تكون حصتهم في التموين المدعم من زيت وسكر يجمعها شباب الاخوان ثم يقومون بتوزيعها على الفقراء مرفقة بشعار الجماعة مكتوبا أو مسموعا. ينصت مرة اخرى إلى الدكتور إيزاك الذي يكمل:

- مطلوب دعمكم في الفترة القادمة مستر مجدي للتيارات السياسية المتعاونة.

- أدعم تيار سياسى؟!

- أتفهم سؤالك جيدًا مستر مجدي، لكن يجب أن تفهم أننا في مرحلة حرجة ويجب أن يكون هناك دعم مقدم لأكثر من تيار، أقواهم وأكثرهم قدرة على احتواء الجماهير هو من نلتف حوله جميعا..

- دعمى.. ودعم تيارى لتيار تاني زي الاخوان لن تقبله الجماهير دكتور إيزاك!

- هنا تكمن العبقرية مستر مجدي وهذه الجزئية بالذات هي سبب اجتماعنا اليوم.

- في انتظار الشرح دكتور إيزاك؟

- الدعم المطلوب لن يكون دعما ظاهرا أبدًا، على العكس تمامًا، مطلوب أن تظهر أنواعا مختلفة من العداء بينكم جميعا..

- بينكم.. جميعا؟!!

يتساءل مجدي مندهشا من صيغة الجمع التي أنهي بها إيزاك جملته، يرفع إيزاك الكأس الموضوعة أمامه يرتشف منها بهدوء تاركا مجدي يستوعب، يعلم جيدًا أنه نمطي، يفهم بهدوء ويحتاج إلى وقت طويل كي يرتب أفكاره، لكنه وقت التنفيذ ينفذ بدقة متناهية على أحسن ما يكون، يضع إيزاك الكأس ويعتدل أكثر مضفيا أهمية على ما سيقوله، بتلقائية يقترب مجدي منصتا باهتمام إليه وهو يقول:

- ليست المرة الأولى التي أذكر فيها كلمة جميعا مستر مجدي، أنتم مجموعة من التيارات، قادرون على احتواء شعبكم، هدفنا هو توحيد تلك التيارات خلف تيار واحد، أتمنى أن تفهمني جيدًا مستر مجدي فيما سأقوله..

- كلي أذان مصغية..

- هدفنا خلق حالة من الصراع السياسي في بلادكم، من خلالها يتم إفراز قوى جديدة تطفو على السطح، هذه القوى لديها رغبة

في التعاون معنا من أجل إعادة التوازن في المنطقة مع إعادة رسم الخريطة بشكل يتناسب مع الصالح العام.. أقصد بكلمة العام هنا: العالمي. فالعالم كله مستر مجدي يعلم جيدًا أنه جسد وقلبه هو منطقتكم العربية، فإذا مرض هذا القلب مرض الجسد كله وإذا تعافى وأصبح قويا، متعلما، مثقفا، منافسا، متفهما لاحتياجات العالم عاش العالم في سلام ومحبة على الدوام.

- ذلك أمر أفهمه جيدًا، سيما بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر عام 2001

- نعم.. فقد تولدت الرغبة الحقيقية في تغيير تلك الخريطة.. و......

يرفع مجدي يده بتلقائية كأنه تلميذ أمام أستاذه يستأذنه في إلقاء سؤال، هنا يصمت إيزاك، يمط شفتيه امتعاضا ويهز كتفيه علامة أن يسأل مجدي ما يريد، يعود مجدي بظهره إلى مسند مقعده ولا تزال يده على الترابيزة أمامه تدير تلك الكأس الموضوعة أمامه برتابه، يسلط نظره على جميع الحضور حتى يتوقف عند إيزاك فيقول:

- لدي قناعة تامة دكتور إيزاك أن تلك الأحداث كانت نقطة البداية، كما لدي قناعة أيضًا بأن تلك البداية كانت مدروسة جيدًا.

العبارة الأخيرة التي نطق بها مجدي سرور، مقتبسة بالحرف من حوار سابق دار بين مجدي وزوجته هناء التونى، هذه جملتها وهذه رؤيتها للأمر وقتها.



نطق مجدي بعبارته مُضفيا عليها وقار وذكاء كأنها من بنات أفكاره، يبتسم الدكتور إيزاك، يتحدث بهدوء:

– لا تتماكر علينا مستر مجدي، ليست هناك أية بدايات مدروسة، فأنتم منبع الإرهاب وهذا ما نسعى للقضاء عليه نساندكم بالمجهود والأموال من أجل سلامة واستقرار شعوبنا.

يدرك إيزاك مثل هذه الأساليب التي يستخدمها البعض للاستدراج، يصد مجدي مباشرة ويلقي بمسئولية الإرهاب كاملة على العرب والمسلمين.

مجدي يتفهم جيدًا مثل هذه الاتهامات الموجهة للعرب خاصة والمسلمين عامة فقد قرأ بعناية كتاب «عصر التشهير بالعرب والمسلمين» للدكتور جلال أمين، حملات تشهير رهيبة من جانب الصهيونية العالمية ضحيتها العرب والمسلمين، منها بلا شك أحداث الحادي عشر من سبتمبر.

لا يرغب إيزاك في التصريح بتلك المعلومات التي انتشرت بالفعل من كون أحداث الحادي عشر من سبتمبر كانت بداية مصطنعة فعلا، فليس من الطبيعي أبدًا أن يتم اختراق منظومة الأمن القومي الأمريكي ويقوم بخطف طائرات أمريكية بهذه السذاجة ليتوجه بها إلى أماكن حيوية مثل برجي التجارة، عملية مثل هذه لا تحدث بهذه السهولة في دولة بدائية من دول غابات أفريقيا، كيف يتقبل الانسان العاقل حدوثها في أمريكا، طبعا هي خطة كاملة

محبوكة تمامًا، نسبة الغباء مع الرغبات الدفينة في انهيار العملاق الأمريكي، جعلت الناس لا يفكرون مطلقا بشكل منطقى، لو سأل أحدهم نفسه بعض الأسئلة البديهية لأدرك أن هناك خطة حقيقية تهدف لخلق طريق واحد تنطلق فيه أمريكا لتحقيق مصلحتها الخاصة، ألم يسأل أحدهم نفسه:

- كيف يسقط مبني ارتفاعه 1362 قدم في عشر ثوانى؟

- كيف يتحطم مائتى ألف طن من الحديد الصلب وحوالى 387 ألف متر مكعب من الخرسانة المسلحة في هذه الثوانى؟

- هل تُسقط طائرة مبني مثل هذا رغم اصطدامها بطوابقه العليا؟

الحقيقة أن أراء ظهرت وقتها وأكدت أن هناك انفجارات حقيقية حدثت داخل البرجين في أدوار أسفل من تلك التي صدمتها الطائرات لكن لم يصغى لها أحد، هذه التفجيرات المتفرقة داخل المبني والتي انفجرت بعد اصطدام الطائرة بالمبني مباشرة، كانت سببا في ذلك الانهيار الكبير. لم يصدق أحد ذلك بعدما أذعنا تسجيل أسامة بن لادن الذي يتبني فيه الهجوم الإرهابى، استطعنا استغلال الأحقاد بين الطرفين، المسلمون يرون في العملاق الأمريكي الشيطان الأكبر ففرحوا بذلك الانهيار للمبانى وسقوط مئات القتلى واعتبروه نهاية الشيطان ولم يفكر الأمريكان بعد هذا الكم من الضحايا في الأمر.



فمن سنوات قبلها ونحن نؤجج مشاعرهم ونشعلها ضد المسلمين الذين يكرهونهم ويتمنون فنائهم اليوم قبل الغد، بديهي أن يصدقوا أنهم الارهابيون وأنهم من فعل تلك الجريمة البشعة، خرجوا خلف رجالنا في مظاهرات تجوب الشوارع وتهاجم أي مسلم ولم تتحرك الشرطة الأمريكية بالطبع، حملة إعلامية عالية الجودة يقوم بها رجالنا المنتشرون في مختلف القنوات، العالم العربى في هذه الفترة أصبح يستقى أخبارة من قناة الجزيرة التي تخدم مصالحنا منذ يومها الأول، الأغرب أنهم صدقوا ذلك التسجيل الشهير الذي أذعناه لأحد رجالنا على أنه أسامة بن لادن، لقد فاتنا في هذا الفيديو أن أسامة بن لادن كان أعسر ورجلنا كان يكتب بيده اليمنى وفاتنا أيضًا أن رجلنا يرتدي خاتما ذهبيا وعند أسامة بن لادن والمسلمين ارتداء الذهب للرجال محرم، لكن رغبة الفرد ومعتقداته تتحكم فيما يصدقه أو يكذبه، فقد صدقوا ما رغبنا أن يصدقوه وبقناعة تامة.

بعد الحادي عشر من سبتمبر غيرنا الرأي العام العالمى، أصبح للرئيس بوش رخصة ليفعل أو يقول ما يشاء، قانون التصرف الوطني، إدارة الأمن الداخلى بما يروق لنا، أفغانستان، العراق وتدمير جيشها.

تتغير الظروف مع الزمان والمكان..

سياستنا الجديدة تقضى بعدم استخدام الأمريكان في القضاء على عدونا، فلن نستطيع إدارة الأمر بنفس الأسلوب الماضي



فيما بعد الآراء والتحليلات التي ظهرت بعد ذلك، صحيح تصدى لها رجالنا وهاجموها وسفهوها، لكن من الصعب شحن الأمريكان مرة ثانية ضد العرب، لدينا مئات الخطط البديلة، على رأسها خطة تقضى بأن نستخدم عدونا نفسه في تدمير ذاته، وها هو أحد رجالهم يجلس بين يدي يتلقى تعليماتي.. ألم أقل إن الرغبة هي مصدر الحركة.

- دكتور إيزاك..

قالها مجدي وهو يلقى برماد سيجارته في منفضة زرقاء اللون، يبتسم إيزاك متحدثا بهدوء:

- مستر مجدي.. سوف نساعدك في تحقيق كل ما تريده، فقط عليك بالسير في الطريق الذي نحدده لك، سر فيه كيفما شئت، لكن اعلم أنه طالما اتفقنا فلا رجوع، ولا بحث عن طريق بديل.. أبدًا.. أبدًا..

أبدًا.. أبدًا..

يكرر مجدي تلك الكلمة بلا صوت، شاردا، بحركة لا إرادية ينحرف بالسيارة إلى طريق جانبي يخرج منه بعد لحظات إلى طريق المحور ومنه إلى طريق اسكندرية الصحراوى، تندهش إلهام مذكور، تنظر نحوه بدهشة، لا تستطع مقاومة رغبتها في معرفة فيما يفكر، سألته:

- مجدي.. إنت رايح فين؟



- مش خلاص.. جبنا الورقة وبقيتى حرة؟

- أيوه..

- يبقى نتجوز بقى زي ما اتفقنا..

- أيوه.. أنا ما عنديش مانع.. سؤالى دلوقتي: إنت رايح فين؟

- على الشاليه بتاعى في الساحل الشمالى يا إلهام.. نقضي هناك يومين.. محتاج أبعد عن العالم كله يومين أهدي فيهم وأرتب أفكارى.. وبعدين ناخد لنا كام يوم عسل بمناسبة جوازنا..

تطلق إلهام ضحكة أضفت عليها ميوعة، فقد انتشت بعد حصولها على هذه الورقة وها هي تكلل علاقتها السرية مع مجدي سرور بالزواج وإن كان عرفيا، تقترب منه وترتمى على كتفه، ينظر مجدي بعفوية في المرآة العاكسة فيجد الطريق خاليا إلا من سيارة بعيدة، يمد يمناه ليحتويها أكثر، ترتمى بجسدها عليه أكثر، تمد يدها من بين أزار قميصه تداعب شعيرات صدره، تصل إلى حلمة ثديه اليسرى فتقرصها برفق، يتأوه ضاحكا..

- يخرب بيت دماغك يا إلهام.. دا انتى حكاية..

- وإنت حبيبى..

تلتهم شفتيه في قبلة طويلة، ذابا معا، لحظة واحدة استفاق فيها مجدي ليجد السيارة منطلقة بأقصى سرعة إلى السور الخرساني العازل بين الطريقين..





(29)

لمياء سعيد

تخرج لمياء سعيد، في ذلك الصباح من شهر يناير، مسرعة في طريقها إلى شقة إيمان سمير، أخبرتها بضرورة الاجتماع بها الآن، الشوارع هادئة بعض الشيء، سكون يخيم على كل الأشياء، المارة وكأنهم خرجوا من أسرتهم إلى الشوارع مباشرة رغم اقتراب الساعة من الحادية عشرة صباحا، عربات الفول على النواصي يلتف حولها عدد ليس بالقليل لتناول وجبة الإفطار الشهية حيث طبق الفول المدمس بالزيت الحار مع شرائح البصل المغسول بالخل وأعواد الجرجير التي يسيل منها ماء غسيلها، بائع الفول، صاحب العربة، يتعامل مع الزبائن على أنهم الرزق الذي يرسله إليه ربه، ولا يصح أبدًا أن يصد الرزق ولو حتى بوجه عابس، لم تفارقه الابتسامة ولم يبخل على أحد بأرغفة الخبز فلكل طلب فول رغيفان، لكن هناك من يحتاج رغيفا ثالثا، يشير إلى جريدة

العيش معلقا «خذ يا بيه بالهنا والشفا» لا يطلب مقابلا ماديا لتلك الزيادة. بارك الله فيما رزق.

لا يترك مكانه إلا بعد خواء قدرة الفول، يلملم كل شيء على عربته ويترك المكان مارا بصاحب فرن العيش المدعم من الدولة ليعطيه حسابه، يعلم أن صاحب الفرن يخصه بكمية من الخبز المميز رغم كونها حصة تخص المواطنين، هو في المقابل يدفع سعر الرغيف مضاعفا، يبيعه لزبائنه بسعر أعلى خمسة أضعاف.

تعلم لمياء مثل تلك المفارقات التي يعيشها المواطن المصري بقناعة تامة، خروج الخبز المدعوم لغير أصحابه هو سرقه في حد ذاتها، يبيعه السارق ويشتريه آخر والعبارات التي تعلو وجوههما مملوءة بذكر الله، متمنين البركة في الرزق.

تمط شفتيها، تتأمل أوراق شجر الفيكس المغسولة بحبات المطر القليلة التي تساقطت للحظات ثم رحلت تاركة الأسفلت لامعا متنافرا مع واجهات البنايات البيضاء اللون، تمر على عدد من المقاهي الصغيرة في طريقها، روادها ممن تناولوا وجبة الإفطار على عربة الفول، الآن يحبسون بالشاي الكشري، معظمهم موظفون بالدولة، الآن وقت دوامهم في أعمالهم، خروجهم من العمل للاصطباحة اليومية أو تأخرهم على العمل من أجلها، يتخذونه حقا لا نقاش فيه، ينكرون على من يوجههم بأن ذلك وقت ملك لأعمالهم التي يتقاضون عنها أجرا وأن مثل



تلك الخروج يُعد سرقة ونهبا للمال العام، ناهيك عن ضعف حركة تروس ماكينة الدولة؟!

الغريب هو ما تسمعه لمياء من عبارات تتطاير من الأفواه الجالسة على تلك المقاهي أو المارة في الشوارع، كلها عبارات استهجان وامتعاض ورفض للحال القائم، أكثر ما آلمها عبارة من أحد رواد المقهي، سقطت في أذنيها بقسوة:

- ماهو لو الناس تراعى ربنا في شغلها ما كانشى دا بقى حالنا..

تشمئز وتكمل سيرها، عمال المحلات يفتحون أبوابها، يكنسون، يرشون الماء، يلمعون الواجهات الزجاجية لفاترينات العرض، بعضهم يقوم بتعليق لافتات العروض الخاصة، لافتات تحمل بالبنط العريض والألوان الزاهية عبارات:

- مهرجان تحطيم الأسعار.

- اشترى 2 قميص واحصل على الثالث مجانا..

- 50 ٪ خصم..

- شنطة وحذاء بنص التمن.. وممكن تدخل سحب.

- البرنس هايولع في الأسعار ويرجع لأسعار زمااااان..

لافتة أخرى تحمل عبارة، كثيرًا ما آلمت لمياء وجعلتها تشعر برغبة شديدة في التقيؤ، العبارة التي تقول «البضاعة المباعة لا ترد ولا تستبدل».



تلك العبارة التي تعبر عن عملية احتيال ونصب مباشرة صاحب المحل يستطيع من خلال وسائل العرض إغراء الزبون ويبيعه سلعة فاسدة، تلك السلع التي تظهر عيوبها في البداية، وعلى المشترى أن يدفع ثمنها ويتحمل هو النتيجة، إنها منظومة فاسدة تصب في صالح المنتج فقط الذي غالبا ما يكون غير مصري وغالبا ما يكون صينيًا. يجب احترام آدمية المواطن فمن حقه طالما دفع مقابل السلعة أن يستفيد بها الفترة الطبيعية للاستخدام، فإذا كانت سلعة تفسد سريعا فذلك عيب يخص منتجها ويجب أن يتحمل هو النتيجة وليس مستهلكها، قضيتنا في مصر ليست منشأ السلعة بقدر ما هي في المستورد الذي يختار أسوأ وأردأ الأصناف ويأتي بها معتمدا على الابهار وجهل المستهلك.

تنحرف لمياء يمينا لتختصر المسافة فتمر بين عمارتين قديمتين، على مواسير الصرف تشاهد فأر يتسلقها بخفة، تبحث عن قط بالجوار.. لا تجد.

تستقبل إيمان سمير لمياء بابتسامة مضطربة، حتى حضنها لم يكن بذلك الدفء المعهود، في الصالة يجلس توفيق عبد الستار وأحمد عبد الهادي، أمامهم أوراق وجهاز كمبيوتر، يتبادلون عبارات مقتضبة، لم يستطع توفيق إخفاء نظرة الاشتهاء والافتراس تجاه لمياء، لحظات يتمالك نفسه ويعطى ورقة انتهي للتو من الكتابة فيها، إلى إيمان، تتناولها، تنظر فيها لحظات، رأسها يتحرك من أعلى لأسفل في متتالية غير إرادية تعبيرا عن الموافقة على ما

فيها ،لقد صاغوا المضمون الذي حدثتهم به إيمان بمنتهي البراعة.

تنظر إيمان نحو لمياء لحظة أودعتها كل معاني الحب والأمل، ثم تحدثت بهدوء في محاولة لاخفاء اضطرابها:

- لمياء.. وقع عليكي الاختيار للمهمة دي.. هي مهمة رغم بساطتها إلا إنها من اصعب المهام..

- مهمة أيه يا إيمان؟

- الخروج على الجماهير في فيديو مصور ندعوهم فيه للنزول الجماعى يوم 25 القادم، أنتِ أفضل من يوجه الدعوة، عندك القدرة على الاقناع وعلى وشك براءة وطفولية تخلى وصول الكلمات سريع وسهل..

انتقال الاضطراب عدوى تصيب الحضور، حالة من القلق تنتاب لمياء داخليا، تواريها بابتسامتها العذبة، تتناول الورقة، تنظر فيها لحظات، تقول بهدوء:

- أنا جاهزة..

يُخرج أحمد عبد الهادي من حقيبته كاميرا ديجتال صغيرة في حجم قبضة يد طفل يقوم بتشغيلها، لحظات يكون قد وضعها فوق رف من الكتب في مواجهة لمياء الجالسة على مقعد وخلفها ستارة حمراء، تبدو ملامح لمياء على تلك الأرضية كلوحة فنية للفنان النرويجى إدفارد مونك صاحب لوحة الصرخة.

تتأملها إيمان لحظة، تعلو وجهها علامات دالة على تفكير سريع، يتم إعادة ترتيب لأمور وأحداث وتداخلات رأسية وأفقية في عقلها، تطلب من أحمد الانتظار قليلًا، تدخل حجرتها، تعود حاملة إيشاربًا فضفاضًا أزرق خفيفًا مزركشًا بزهور رمادية وبيضاء تحيط به وجه لمياء، تلف وجهها بعناية كمن يلف قطعة فنية رقيقة، لم تستطع لمياء إخفاء دهشتها لكنها تنتظر صامتة، تنتهي إيمان بعد لحظات، تعود إلى الوراء خطوة، تتأملها بإعجاب، جميلة بأي وضع يا لمياء، جملة تتراقص على لسانها لم تنطق بها إنما تحدثت بإجابة السؤال الذي تعلم أنه يدور بداخلهم:

- ظهور لمياء في هذا الفيديو على عامة الناس وأكترهم من البسطاء لازم نراعي فيه أهم جزئية في معتقدات الناس دول وهو الحجاب، مش هايتقبلوا النصح من بنت متبرجة، هايسيبوا مضمون الرسالة ويتكلموا عن شعرها المكشوف وإزاى بنت زيها تحس بهموم الغلابة.. أعتقد أن التطابق في الأفكار يجيب نتيجة أفضل.. لازم تكون صاحبة الدعوة للاحتشاد واحدة جميلة رقيقة مشاعرها فياضة، من نفس الطبقة اللي بتكلمها، استغلال كل الأمور مهم جدًا في المرحلة دي يا شباب.

يؤيدون فكرتها وإن استغربت لمياء شكلها لحظة مشاهدتها لنفسها في مرآة استخرجتها من حقيبة يدها، عموما هو نوع من التنكر بحيث لا يسهل التعرف عليها في الشارع بعد انتشار هذا



الفيديو، هذا ما دار بداخل لمياء وهي تشير إليهم علامة الاستعداد للبدء.

يقف أحمد، يضبط زاوية التصوير من جديد بحيث يظهر النصف الأعلى كاملا من لمياء لاستغلال حركات يديها في التعبير، يعلم أحمد أن الابتعاد عن الكاميرا بقدر المستطاع فيه نوع من التضاؤل وهذا أمر مطلوب الآن، حالة الضعف والشعور بالقهر تُسهل من وصول الكلمات، يعطى إشارة البدء، تبدأ لمياء ببساطة:

- مساء الخير عليكم جميعا، أنا بنت مصرية عايشه زي كل أهلها.. أهلها الحقيقيين المطحونين، شايفه الظلم انتشر في كل مكان، شايفه الرشوة بقت في كل مكان واللي ما يدفعش رشوه مصره ما يخلص مصلحته، شايفه الغش والتزوير.. أنا شايفه الشرطة اللي المفروض تحمى الشعب ما بتعملش غير إنها تحمى الشلوات اللي فوق وتعذب في الشعب، وأظن كلنا عارفين اللي بيحصل في أقسام الشرطة ومن رجالة الشرطة في الشوارع، ما فيش حد يقدر ياخد حقه دلوقتي إلا لو كان له واسطه كبيرة قوى، طب وإحنا، وانتوا..؟.. الغلابة.. أهل مصر؟ نروح فين ونقول يا مين؟ قولكم.. قالوا زمان: يا فرعون أيه فرعنك؟ قال: ما لقتشى حد يوقفني.. يبقى خلاص، ننزل الشارع ونقول لأه.. لأه للفرعنة.. لأه للظلم.. دي بلدنا ولازم نعيش فيها باحترام، مش ناس عايشه في قصور وراكبه عربيات بالملايين وناس بتنام من غير عشا وناس كل أكلها من أكوام الزبالة.. في أي عرف وفي أي دين يبقى فيه تفرقه

بالشكل دا؟ إحنا هاننزل الشارع ونقول للعالم كله مش للشرطة ولا البشوات اللي فوق بس، هانقولهم دي بلدنا ومن حقنا نعيش فيها بكرامتنا، كل اللي طالبينه هي لقمة العيش والعدالة في التعامل والحفاظ على كرامتنا كبشر وأظن دا مش كتير، لا إحنا طالبين قصور ولا ملايين في البنوك، هي لقمة العيش الشريفة المحترمة والسكن اللي يليق بينا كمصريين، الناس اللي عايشه في العشش العشه فيها عشره وأكتر، يعيشوا إزاي، يمارسوا حياتهم الطبيعية إزاي؟ الناس اللي مش قادره حتى تلاقي العيش وبتدور عليه في الزبالة، من حقهم فرصة عمل شريفة ومن حقهم سكن. والمرضى من حقهم علاج سريع ومعاملة فيها رحمه، بجد يا جماعة إحنا زي اللي عايشين في غابة القوى فيها بياكل الضعيف، عشان كل دا إحنا نازلين، لازم كلكم تنزلوا، هاتقعدوا تعملوا أيه؟ هو فيه حالة ممكن نوصل لها أسوأ من اللي إحنا فيها؟!! عاوزين تعيشوا زي البني آدميين.. انزلوا.. عاوزين تاخدوا حقوقكم.. انزلوا.. عاوزين ولادكم يتعلموا ويتربوا صح.. انزلوا.. كلنا نازلين ومش راجعين غير وبلدنا معانا، بلدنا اللي سرقوها.. بلدنا مصر يا حضرات مصر دي كبيرة قوى وخيرها كتير قوى وبنحبها قوى وعشان كدا مش هانفرط فيها.. أبدًا..

تنتهي لمياء وقد ظهر عليها الانفعال الشديد والتأثر في الجزء الأخير من الكلمة، لا تستطيع التحكم في مشاعرها التي تطلق لها العنان، تراخت على مقعدها، لا تجد قوة للنهوض، يضطرب



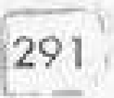
قلبها، تنسال دمعتان على وجنتيها، تلاحظها إيمان، تقترب منها، تمسح دمعتيها وتحتضنها برفق وتأخذها من يدها إلى غرفة جانبية لترتاح قليلًا.

يتوجه أحمد سريعًا إلى الكاميرا، يقوم بتوصيلها بجهاز الكمبيوتر ويبدأ في التعامل حيث تحميل هذا الفيديو على شبكة الانترنت ونشره على صفحات ومواقع كثيرة، يشاركه توفيق، يختارون عنوانا مثيرا للفيديو حتى يلفت الأنظار ويحظى بنسبة مشاهدة عالية «شاهد بسرعة.. بنت مصرية بألف راجل».

بعد نصف ساعة تقريبًا تعود إيمان وبصحبتها لمياء إلى الصالة وعلى وجهيهما سعادة طفولية، استطاعت إيمان أن تخفف عن لمياء، أشعرتها بأن هذا الانفعال طبيعي ولكنه يجب ألا يستمر فهناك خطوات قادمة تحتاج إلى قوة وصبر وثبات.

تعلمت إيمان خلال فترة تدريبها في دولة كرواتيا أنه لابد من التعامل مع كل خطوة على أنها أهم خطوة، لا تقلل أبدًا من شأن واحدة عن الأخرى، تعلمت استغلال المشاعر الحقيقية لشخصيات عفوية لا تحمل أطماعًا خاصة مثل لمياء سعيد وغيرها الكثير، تلك الفئات أكثر تأثيرا في الجماهير، تعلمت أن تبادل تلك المشاعر الفياضة بمشاعر أكثر حميمية، تأثرت بشدة وهي تخبر لمياء:

- تصوري مصر يا لمياء بعد أيام من النهارده، لما تتغير للأفضل ويحصل كل أهلها على خيراتها، تصوري نفسك وإنتِ سبب في



إن الفقرا ياخدوا حقوقهم وإن المرضى يتعالجوا ويتعاملوا معاملة آدمية.. إنتِ عملتي حاجة عظيمة يا حبيبتي..

يقترب توفيق من لمياء مبتسما، تداخلت مشاعره، خطوط وطنية متأثرة باللحظة التاريخية مع أخرى نشوانة شبقة، يود أن يقول لها الكثير الذي يعجز عن صياغته بالكلمات، تمنى لو يحتضنها فقط.. يتمالك.. يشير إلى جهاز الكمبيوتر الذي يجلس في مواجهته أحمد عبدالهادي ،ثم ينظر نحو لمياء قائلًا:

- ربع ساعة مرت على تحميل الفيديو ونشره على النت ونسبة المشاهدة قاربت الألف.

من بعيد يتحدث أحمد بثقة:

- مش هايمر نهار النهارده ونسبة المشاهدة هاتكون خطت المليون، شيّره صديقنا نبيل فهيم على صفحته اللي بيزيد عدد الأعضاء فيها على المليون ونصف المليون.

تبتسم إيمان سمير عندما تسمع اسم نبيل فهيم زميلها في الرحلة إلى قطر وكرواتيا. التعليمات الصادرة وقتها أن كل منهما يعمل وحده، وفقا لما يراه صوابا، له الحرية المطلقة فيما يفعله والاتجاه الذي يتبناه، التنبيه الوحيد ألا يعلم أحد أن بينهما سابق معرفة، يتم نسيان اللقاء بينهما كما يتم نسيان الرحلة كاملة، إنهم يعملون الآن بدوافع شخصية ومن بنات أفكارهم وحسهم الوطني هو المسيطر

■■■



(30)

الطوق النظيف

في شقة مفروشة إيجار جديد بالتجمع الخامس يجلس الشيخ إبراهيم السويفي ومجموعة من رجال الجماعة، يبدو من هيأتهم أنهم يتناولون حوارا ساخنا، فقد احمرت وجوههم وظهرت بعض حبيبات العرق على وجوههم رغم برودة الجو في هذا الوقت من العام، يأتي رجل خمسيني يرتدي بدلة كاملة وكرافت مخطط أبيض في اسود، يحمل في يده صينية عليها أكواب الشاي الذي تفوح منه رائحة القرنفل، يدور عليهم واحدا واحدا وعلى لسانه عبارة واحدة:

- اتفضل يا مولانا..

يجيبه أحدهم:

- جزاك الله خيرا يا دكتور صالح.. خادم القوم سيدهم..

حالما ينتهي الدكتور صالح حفظي من توزيع الشاي يجلس على مقعد قريب من المجموعة في انتظار أي إشارة نحوه، ولا غير عادي يقدمه هذا الرجل نحو الجماعة، أستاذ دكتور في كلية العلوم جامعة عين شمس، خارج هذا الاجتماع له شأن وأي شأن، يشار إليه بالبنان، عالم من علماء الكيمياء الحيوية، ذلك العلم الذي يختص بدراسة التركيب الكيميائي لأجزاء الخلية في مختلف الكائنات الحية، تخصص أكثر فدرس التفاعلات الحيوية في جامعة بوسطن حيث حصل على دكتوراه ثانية في التفاعلات الكيمائية المُحَفَّزة من الإنزيمات التي تسهم في كل العمليات الحيوية ضمن الكائن الحي، له عدد من المؤلفات في ذلك المجال.

انضم صالح للجماعة من سنوات خلال إقامته في مدينة بوسطن، أقدم وأغنى وأهم المدن الكبرى في الولايات المتحدة الأمريكية. بجانب جامعة بوسطن تتواجد في هذه المدينة جامعة هارفارد إحدى أقدم جامعات العالم وأشهرها، هذا ما جعل جامعة بوسطن تجاهد للمنافسة، فضمت نخبة من العلماء وقدمت العديد من الأبحاث التي غيرت الخريطة العلمية على المستوى العالمي، ساعدها في ذلك كونها جامعة خاصة تحصل على كل ما تريده من المقومات المادية عن طريق طلابها الذين يصل عددهم إلى أربعين ألف طالب، أيضًا من خلال الدعم الذي يأتيها من رجال



الشركات العالمية «متعددة الجنسيات» التي تعتمد مصانعها على ما تقدمه الجامعة من أبحاث.

يلمع نجم الدكتور صالح حفظى بين الجالية المصرية المقيمة هناك، أيام قليلة تحتويه الجماعة، ببساطة يتحول إلى أحد أعضاءها المخلصين، حياة طويلة قضاها في محراب العلم، الآن عليه (كما أخبروه) أن ينتقل بعلمه إلى الناس، ينفع به الاسلام، في المستقبل القريب جدًا يا دكتور صالح، دولتنا الاسلامية الكبرى في حاجة إلى عالم يمتلك قدراتك ليقود قافة العلم فيها، أقل ما تستحقة هو منصب وزير البحث العلمى والتعليم العالى في دولتنا التي ستنافس أمريكا وروسيا واليابان والصين على صدارة العالم.

يُجل صالح تلك الكوكبة التي تقود الجماعة ويحترمها أيما احترام، يخدمها بكل ما يستطيع، في محاضراته وندواته وكتبه التي مزج فيها العلم بالدين والدولة يبث فيها فكر الجماعة.

يعلو صوت أحدهم متحدثا للشيخ إبراهيم:

- الخوف إن ما حدش ينزل الشارع يا شيخ إبراهيم..

- لو ما حدش نزل أو لو النزول كان ضعيف وفشلت الدعوة أهو بعيد، وإحنا أعلنا أكتر من مرة إننا مش هاننزل يوم 25

- أيوه.. وكل الحركات والأحزاب بيتهمونا بالجبن..

- الاتهام دا هايتغير يوم ما ننزل معاهم، بس الأول يمتصوا حماس الشرطة..



- برضه ما حدش جاوب على سؤالي، لو ما حدش نزل؟ الفشل يوم 25 مش في مصلحتنا.. لازم ننزل..

- إن شاء الله تعالى الناس هاينزلوا.. شبابنا قاعدين ليل ونهار على الفيس بوك يكتبوا كلام من نار، دا غير الفيديوهات اللي بينزلوها عن فساد الشرطة وعن حالات الفقر والقرف اللي الناس عايشه فيها..

- بمناسبة شبابنا اللي على الفيس، موقفهم أيه يوم 25؟

يبتسم الشيخ إبراهيم وقد علت وجهه علامات الزهو والانتصار، شباب مبهر، يفعل على أجهزة الكمبيوتر أفاعيل شيطانية، انتشار غير عادي، في بداية انضمامة للجماعة كان يبذل الكثير من الجهد كي يقوم بتوصيل رسالة إلى أحد الأخوة، مهما ثقيلة قد تستغرق أيامًا في الذهاب والعودة والمطاردة والتنكر هربا من مراقبة أمن الدولة لهم وبعد طول عذاب يصل إلى الأخ حاملا المعلومات الخطيرة جدًا حيث يخبره بموعد ومكان الاجتماع القادم، اليوم يفعل الشباب ذلك وهو في حجرة نومه ممددًا على سريرة ولأي مكان في العالم، يعلم أن هناك رقابة عالمية وقدرة على اختراق المواقع والصفحات والرسائل الشخصية لكنهم تغلبوا عليها بالشفرة، رسالة لانقاذ مريض في حاجة إلى ثلاثة ليترات من الدم، تعنى الموعد الساعة الثالثة، فصيلة الدم O سالب، تعنى أن الاجتماع القادم سيكون في المقر الثاني مكرر، جزاكم الله خيرا يا أخوة، تعنى الاجتماع للرجال فقط، جزاكم الله



خيرا أيتها الأخوات، تعنى الاجتماع يكون للنساء من الأعضاء، جزاكم الله خيرا أيها الأخوة والأخوات، يكون الاجتماع شامل.. جدول الشفرة محفور في ذاكرة مجلس الجماعة ورؤساء مكاتب الأقاليم.

كان مسئولا عن شباب الجماعة وتدريبهم في الرياضة وفنون القتال وتوفير ما يحتاجونه من وسائل تكنولوجية للوصول إلى أكبر قاعدة على الفيس بوك، لديه الكثير ليقوله في تلك الجزئية، لكن تلك المعلومات سرية ليست محلاً للطرح في جلسة مثل هذه، يجيب في هدوء:

- هما كلهم طبعا داخلين بأسماء وصور وهمية وكلهم بيأكدوا إنهم نازلين، لكن نزولهم هايكون بإشارة مننا.. اللي هاينزل الشارع يوم 25 هما العيال بتوع الفيس بوك والناس المطحونة اللي عاوزة تغير البلد بجد، الناس اللي ما عادشي عندها شيء تبكي عليه.. إحنا يا جماعة عملنا اللي علينا في سنين طويلة، نفذنا الخطة زي الكتاب ما بيقول، وصلنا لحالة شحن للجماهير ما حصلتشي في تاريخ مصر، ادعوا ربنا يوفقنا وننجح في نشر دينه على أرضه ومواجهة الفسدة الكفرة من العلمانيين والشيوعيين والمسيحيين وغيرهم.

يصمت الجمع عند هذه الجزئية، يشردون خلف أفكارهم وطموحاتهم بينما يحتسون الشاي المطعم بحبات القرنفل، يتذكر الشيخ إبراهيم ذلك الاجتماع الذي مر عليه ستة عشرة عاما



تقريبًا، أوائل عام 1994، في لندن، كان هذا اللقاء عقب لقاء مع
مستر ميشيل فريدرك مدير دار نشر Greater Freedom والمؤسس
لجمعية الحرية الكبرى الدولية لحقوق الإنسان، بعد هذا اللقاء
بثلاثة أيام تلقى اتصالا يطلب منه التواجد في الموعد والمكان
المحدد على البطاقة، يعلم أين البطاقة، سوف تأتيه داخل باكت
موجود في علبة البيتزا التي ستصل إليه حالا في غرفته بالفندق،
يضع السماعة، لحظات ويسمع طرق خفيف على باب حجرته،
يتحرك نحو الباب، يرسم على وجهه ابتسامة عريضة ويتحدث
بانجليزية ركيكة شاكرا موظف الفندق ومداعبا إياه بكلمات
بسيطة حول البيتزا الرائعة ورائحتها الخطيرة، يغلق الباب ويضع
العلبة على الترابيزة التي تتوسط الحجرة، يفتحها، يأخذ باكت
الكاتشيب، يفتحه ويستخرج البطاقة، يقرأ العنوان والزمان ثم
يمزقها إلى قطع صغيره ويتخلص منها في الحمام، تلك كانت
التعليمات.

بقى على الموعد حوالى ثلاث ساعات، يأكل البيتزا على مهل،
يطلب شاى انجليزي أتاه بعد لحظات، رائعون في صناعة الشاي
وتقديمة، يحتسية، يستبدل ثيابه، يرتدي بذلة زرقاء على قميص
أزرق خفيف وكرافت أزرق، يترجل في عدة شوارع مشاهدا
المحلات، يتأكد تمامًا أن لا أحد يتبعه، يستقل تاكسى لينطلق به
حوالى ربع ساعة.

قبل المكان المحدد بشارع يطلب من السائق التوقف، يدور حول الشارع الوقت المتبقي حتى الموعد المحدد بالضبط يدلف إلى مدخل البناية الضخمة، يستقل الأسانسير حتى الطابق التاسع، يخرج من المصعد، سكون تام، لا أحد يتحرك في المكان، يقرأ رقم الشقة المحدد في البطاقة التي وصلته، يمد يده ليضغط الجرس، يُفتح الباب قبل أن تصل يده للجرس، فتاة شقراء، ترتدي شورت جينز وتي شيرت يكشف عن جزء من صدرها وذراعيها، يتفرس ملامحها لحظة ثم يتذكر أن عليه أن يغض بصره، ينظر نحو الأرض، سبحان الله.. النظرة الأولى، منحة من الله عز وجل، لن يحاسبنا الله على ما تقع عليه أعيننا للمرة الأولى، إمعان النظر إلى المعاصي والتلذذ هو الخطيئة، فالعين تزني وزناها النظر إلى ما حرم الله، بعربية ركيكة تتحدث:

- تفضل مستر إبراهيم..

يهمهم بكلمات غير واضحة، يدخل بهدوء متفحصا المكان، يلاحظ خروج سحابة من الدخان الأبيض من باب مفتوح على اليسار، يتوجه نحوها قبل أن تشير إليه الفتاة الشقراء، ينظر نحوها ليتأكد من أن تلك هي وجهته، يدخل الحجرة فيجد رجلين وسيدة يجلسون حول مائدة مستديرة وهناك مقعدان خاويان يجلس على المقعد الأول وتدخل الفتاة لتجلس على المقعد الخامس، ابتسامات باهتة على الوجوه للترحيب، زجاجات مياه وعصائر وأكواب فارغة على الترابيزة.



يبدأ من يبدو عليه أنه قائد المجموعة بالحديث:

- لم يعد هناك ما نخفيه عنك مستر إبراهيم بعد كل الوعود التي تبادلناها نحن وأنتم، خطة العمل الجديدة التي نسعى إلى تحقيقها أطلق عليها اسم «الطوق النظيف» نحن في حاجة إلى إعادة البناء في منطقتكم العربية على أساس جديد، أساس ديمقراطى نظيف.

في هدوء يساءل إبراهيم:

- الطوق دائمًا يكون حول شيء، الطوق النظيف الذي تتحدثون عنه سيكون حول ماذا؟

- حول إسرائيل يا شيخ إبراهيم.

قالها بشدة تحمل تهديدا صريحا مباشرا، يعلم أن إبراهيم السويفي قد وافق من قبل وسيوافق اليوم على أي شيء مقابل تحقيق أحلامه وأحلام جماعته، لذا تحدث بهذه اللهجة، تقبلها إبراهيم، يكمل كبيرهم:

- هل لديكم أي مانع من أن تكون تلك المنطقة من العالم منطقة نظيفة يا شيخ إبراهيم؟

يضطرب إبراهيم لحظة، يعتدل في مقعده، يبتلع لعابه فيشعر بجفاف حلقه يلاحظ زجاجة المياه القريبة، يفتحها بهدوء، يصب بعضا منها في الكوب الزجاجى الصافي جدًا، يرفع الكوب على فيه، للماء مذاق آخر، لذيذ بعض الشيء، لا يعلم أهو لذيذ بالفعل

أم هو كذلك لاحتياجه إليه، يتحدث بهدوء واتزان منتقيا كلماته بعناية فائقة:

- ليس لدينا أي مانع من أن يكون الشرق الأوسط كله نظيفا، كله بلا استثناء وليس الطوق فقط..

- ما تتسلح به إسرائيل هو لحمايتها فقط، على العموم نحن الآن نتحرك داخل الخطة ولسنا في مرحلة وضعها مستر إبراهيم..

- أعلم ذلك، وأنا هنا اليوم لتلقى كافة التعليمات..

- إذن أعرفك بأننا نحن الأربعة، متخصصون في كافة المجالات، خبراء نحتل المراكز الأولى عالميا إن أردت الدقة، سوف تبدأ معك الدكتورة كاثرين عن دور الاعلام المباشر والغير مباشر في تحقيق أهداف المشروع، تفضلى يا دكتورة.

تعتدل الدكتورة كاثرين في مقعدها، ترتدي نظارتها وتضغط على أحد أزرار جهاز الكمبيوتر الموضوع أمامها ثم تشير بابتسامة عريضة إلى شاشة عرض معلقة في مواجهتهم، يرتد للخلف قائد المجموعة مسترخيا، بينما يتابع الآخرون الدكتورة كاثرين التي تتحدث بعبارات تظهر بالعربية على شاشة العرض مع رسوم توضيحية وصورًا حقيقية، تقول:

- سوف ينتشر في الشرق الأوسط في المرحلة المقبلة الثورة التكنولوجية الرهيبة المعروفة بجهاز الكمبيوتر، لقد دخلت بالفعل إلى بعض الهيئات والمنظمات والوزارات لديكم وانتشرت انتشارا

بسيطا بين الناس، لكن من خلال الأبحاث والدراسات العلمية لن يمر عشرة أعوام من الآن إلا ويكون في كل بيت من بين خمسة بيوت في العالم العربى جهاز كمبيوتر، أي بنسبة تقريبية 20٪ تتضاعف النسبة في الأعوام التالية مرة كل عام لتصل إلى 100٪ في العام 2007.

يندهش إبراهيم من تلك الدراسات التي يجرونها على العالم العربى، يحسبون بدقة كل شيء سيحدث خلال سنوات مستقبلية، يقررون ما يحدث بعد 13 سنة من الآن، لا يستوعب ما يسمع، يسأل وكأنه يأخذ وقت مستقطع:

- ينتشر الكمبيوتر.. ما هي العلاقة بين ذلك وبين ما نتحرك من أجله اليوم؟

تتعجب الدكتورة كاثرين من السؤال، يجب على ذلك المتلقي أن ينصت حتى تنتهي من حديثها، تمط شفتيها ثم تكمل:

- من خلال شبكة الإنترنت والتكنولوجيا عموما، سيتحول العالم إلى قرية صغيرة يمكن نقل المعلومات من أي مكان في العالم إلى أي مكان آخر بسهولة ويسر وفي نفس اللحظة، الاعتماد سيكون على وسائل الاعلام وشبكة الإنترنت، من خلال أعضاء جماعتكم وخصوصا الشباب يتم إنشاء ويب سايت لنشر الأفكار والمعلومات والمبادئ. عموما إلى أن يتم الانتشار التكنولجى ذلك في بلادكم العربية سيكون هناك اتجاه مباشر لوسائل الاعلام، مبدئيا

سوف تستخدمون نظام اللقاء المباشر، تنتشرون في التجمعات وتبثون أفكارًا من شأنها خلق فجوة بين شعوبكم وأنظمتكم، نعلم أنك وكثيرًا من رجالكم لديكم تواجد في المساجد، لكن عليكم زيادة ذلك بلقاءات الشباب في الأندية والمعسكرات وأي تجمعات خاصة في الحرم الجامعي والمدن الجامعية، مهم جدًا التركيز على المدن الجامعية مستر إبراهيم، طلبة المدن الجامعية في بلادكم دائمًا مغتربون، يمكثون في المدينة فترات طويلة في الليل، لا توجد وسائل للترفيه مما يخلق لديهم أوقات فراغ طويلة يشغلها بعضهم بالمذاكرة وبعضهم في حوارات شبابية ليست ذات أهمية، نعلم وتعلمون أن الدين هو أفيون الشعوب.

تصمت لحظة وتنظر نحو الشيخ إبراهيم لتشاهد رد فعله على جملتها الأخيرة، تتحدث بمنتهى الوضوح، لكنها تعلم أن تلك الكلمة سيكون لها مردود آخر، تلاحظ اضطرابه لحظة، لا توليه اهتمامًا، تعلم أن العرب يقومون بأفعال كثيرة لا يخجلون منها ويخجلهم من اسمها، يستغلون الدين لتحقيق أطماعهم وينكرون ذلك ويتهمون أي مستغل للدين بالكفر، تكمل:

- نعلم وتعلمون مستر إبراهيم أنكم تمتلكون القدرة على التسلل إلى القلوب عن طريق الدين، يجب أن تستغلوا ذلك لتكوين تجمعات شبابية داخل الجامعات والمدن الجامعية، داخل التجمعات العمالية، بين عامة الشعب عن طريق المساجد، أنتم الإعلام المباشر، المعلومة التي يجب أن تصل إلى الجماهير تصل

عن طريقكم، ما تفعلونه كدعاة تفعلونه بشكل عشوائي، يجب في المرحلة القادمة أن يكون بشكل منظم، عن طريق هرم جماعتكم التدريجي تنتقل المعلومة حتى تصل للجميع. هناك عدد من القضايا الخلافية التي يجب أن تبث لتكون حديث الشارع، أعددنا تلك القضايا وكيفية التعامل معها في كتيب صغير.

تسحبه من جانبها وتمد يدها به نحوه، يمسكه الشيخ إبراهيم عدد قليل من الصفحات مكتوب باللغة العربية على الكمبيوتر لا توجد عليه أي معلومات عن اسم الكتاب او اسم مؤلفه أو دار النشر أو طباعته، مجرد سطور على ورق لا تشير إلى أي جهة على الاطلاق، تقطع عليه بحثه وتقول:

- لا تحتاج إلى تأكيد على أهمية الحفاظ على مثل ذلك الكتيب وألا يقع في يد أحد مستر إبراهيم.

في تلك اللحظة كان الشيخ إبراهيم يفره سريعا فتقع عيناه على عنوان: صناعة الحوادث واستغلالها، سريعا يقرأ السطر الأول من الممكن صناعة حادثة رهيبة كحادث قطار أو غرق سفينة أو إسقاط طائرة ركاب، يكون ضحيتها المئات من أبناء الشعب ومن ثم استغلال ذلك الحادث ضد السلطة الحاكمة التي تلهو ولا..

يعود إلى المكان على نداء الدكتورة كاثرين:



- دع الكتيب الآن مستر إبراهيم، تقرأه بعناية مستقبلا، والأن أكمل حديثي، سوف يساندكم في الاعلام المباشر الشخصي إعلام آخر، وهو الاعلام المرئي.

- الإعلام في عالمنا العربي هو إعلام السلطة الحاكمة يا دكتورة، كيف يساعدنا؟

- أمر مثل ذلك مدروس بعناية، شهور قليلة من الآن ويتم إنشاء قناة فضائية عالمية تنطلق بقوة غير عادية في عالمكم العربي، تساندكم في مسعاكم مستر إبراهيم.

يعلق من بين دهشة لا يستطيع أن يخفيها:

- قناة فضائية في عالمنا العربي؟! وأي قائد عربي سيسمح بمثل تلك القناة يا دكتورة، يجب أن تتركوا النظريات والأبحاث وتشاهدوا الواقع الحقيقي، إننا يا دكتورة كاثرين فـ..

بدأت تغضب من مقاطعته المستفزة، تراه رجلا يُظهر أنه على علم ببواطن الأمور وهو من أجهل الناس، تكمل غير مهتمة بمقاطعته:

- قناة فضائية جديدة تنطلق نهاية هذا العام يطلق عليها «الجزيرة» تُبث من دولة قطر وبرأس مال 150 مليون دولار كمنحة من أمير قطر الأمير حمد بن خليفة، ودعم سنوي 30 مليون دولار.

هنا يتحدث قائد المجموعة بهدوء، فتترك له الدكتورة المجال مبتسمة، يقول:



- كانت لنا محاولة لانشاء القسم العربى لتلفزيون هيئة الإذاعة البريطانية بالأشتراك مع دولة السعودية وعلى أرضها، استمرت المحاولة ما يقرب من العامين، لكنها توقفت الشهر الماضي بسبب إصرار السلطات السعودية على فرض الرقابة على هذه القناة وهذا يتعارض مع مشروعنا بالتاكيد، لذا انسحبنا، والآن ستكون قناة الجزيرة هي الأداة الجديدة لتنفيذ ما نريد وكما ذكرت لك الدكتورة كاثرين، سوف تساندكم. تفضلى دكتورة كاثرين أكملى وأعتذر عن المداخلة.

تقبلت الدكتورة كاثرين اعتذارة، تعتدل وتكمل:

- تلك القناة تكون بوقا صريحا وشفافا ينقل كل ما نريد، تنقل الفقر في الشارع، تنقل معاناة العمال، تنقل بذخ ملوك ورؤساء بلادكم.

يبتسم إبراهيم السويفي من تلك الفكرة التي خطرت على باله، سيكون ضيفا على هذه القناة في المستقبل، لن تكون هناك عقبات من الظهور على شاشات التلفزيون بعدما حرم منها في مصر، تخرجه الدكتورة كاثرين من شرودة مرة أخرى وكأنها تقرأ ما يفكر فيه:

- مستقبلا.. وبالتحديد بعد عامين من الآن تطلق مصر قمرها الصناعى النايل سات، سوف يُسهل هذا القمر الصناعى إنشاء قنوات فضائية تصل إلى أنحاء العالم، سوف نساعدكم على إنشاء قنوات فضائية تستخدمونها كما تشاءون ولكن هذه مرحلة متأخرة سيكون لها حديث أخر في المستقبل، اعتقد يا دكتور أنني انتهيت من حديثي.

الجزء الأخير توجهت به إلى قائد المجموعة، ثم أغلقت جهاز الكمبيوتر وركنت ظهرها إلى مسند مقعدها، تتناول كأس العصير الموضوع أمامها، ترتشف منه بهدوء، يتوجه قائد المجموعة إلى الشيخ إبراهيم قائلًا:

- والآن جاء دور الدكتور ميشيل عادل، لبناني الأصل، درس ويعيش هنا في إنجلترا، سوف يتحدث معكم بخصوص العلاقات الاجتماعية والأسرية وكيفية الوصول إلى الطبقات الدنيا في المجتمعات الشرقية.. تفضل يا دكتور.

يُخرجه الدكتور صالح من شروده:

- شيخ إبراهيم.. فضيلة الشيخ إبراهيم..

يعود إبراهيم السويفي إلى المكان والزمان، يجلس إلى جواره الدكتور صالح بينما يستغرق البعض في النوم والآخرون في قراءة القرآن أو المجلدات المنتشرة في المكان، اتخذوا من هذه الشقة مقرا لإدارة العمليات في تلك الفترة، يتحدث الدكتور صالح:

- يا مولانا الشيخ إبراهيم كنت اتمنى إن تكون الأحداث هذه أثناء الدراسة لكن للأسف المناسبة جاية في أجازة نص السنة.

- قدر الله وما شاء فعل..

- عندي طلبة كتير في الكلية من الأقاليم، سفرهم لبلادهم في الأجازة يمنعهم من المشاركة..



- الموضوع مش هاينتهي كدا بسرعة زي ما إنت متخيل يا دكتور صالح، هايبقى فيه وقت نستدعى كل أعضاء الجماعة من الأقاليم

يتذكر الطوق النظيف، يتذكر حديث الدكتورة كاثرين، ما شرحته له تم تنفيذه بمنتهي الدقة والاتقان، بدا للعالم كله أنه تطور طبيعي وأحداث لا ترتيب لها، حتى ما قام به هو وجماعته من أحداث ظهرت أمام الرأي العام المحلى والعالمى كأنها حدثت بمحض الصدفة.

ظهرت الفضائيات على مختلف اتجاهاتها ومرجعياتها إلا أنها في مجملها العام تخطو بخطى ثابته نحو تحقيق الهدف، تتحرك على الطريق كيفما تشاء، ستصل في النهاية إلى تلك النقطة التي تحقق الهدف.

يبتسم في هدوء لحظة تذكره شباب الجماعة وتواجدهم على الشبكة العنكبوتية، صدقت الدكتورة كاثرين، سوف تتغير خريطة العالم بعدما ينتشر هذا الاختراع في عالمكم العربي.

المرحلة القادمة مطلوب دعمهم الكبير. يدس يده في جيبه، تطفو ابتسامة على سطح وجه، تداعب يده المدسوسة في جيبه قطعة معدنية على أحد وجهيها نُقشت صورة أوزير وعلى الوجه الآخر صورة ستٍ، في تلك اللحظة يقرر أمرا مهما، يتوجه إلى الدكتور صالح قائلًا:

- عاوزك في موضوع مهم يا دكتور صالح.

■■■



(31)

السلحفاء

سلحفاء صغيرة تطرق بصدفتها باب البلكون راغبة في الدخول، تفتح لمياء سعيد الباب، تحملها على راحتيها، تنظر في وجهها مبتسمة، تحدثها بسعادة:

- توتي.. (هكذا تناديها) صباح الخير يا قمر..

تلقي لها بقبلة في الهواء ثم تضعها على أرض البلكون في هدوء، تتحرك في انسيابية إلى المطبخ، تضع الماء في «الكاتل» لصنع الشاي الأخضر بالنعناع، تفتح الثلاجة، تنحنى إلى درجها، تأخذ قطع الكابوتشا، تعود إلى السلحفاء المنتظرة، تضع أمامها وريقات الكابوتشا، تتابع تأملها لطعامها قبل أن تبدأ في التهامه، تبتسم لمياء، حتى توتي تتشكك في طعامها فلا تقدم عليه قبل التأكد.



يختمر الشاي الأخضر في الكاتل، تصبه إلى الكوب عبر مصفاة، ترفع الكوب متأملة تموجات الشاي.

منذ فترة أوصاها الطبيب بكوب من الشاي الأخضر صباحا تحسن مذاقه بالنعناع، ذلك لتفادي سلبيات نظام غذائها اليومي الذي لا نظام فيه على الاطلاق، تشرب ما يحلو لها شرابه وتأكل ما تريده، وقد تمر أوقات طويلة بلا طعام أو شراب أو سجائر فقط أو مقاهي مختلفة بين أدخنة التفاح المتصاعدة في كل مكان.

حاولت لمياء أكثر من مرة اتباع نظام غذائي لكنها فشلت، زاد وزنها عن الطبيعي فزادها جمالا، شعرت به في العيون، امتدحتها إيمان سمير أكثر من مرَّة ارتضت وضعها الجديد، لم تعد تبالي، تأكل وتشرب ما تريد وفي أي وقت أرادت، لكنها تحافظ على كوب الشاي الأخضر بالنعناع وقت يقظتها من نومها.

طرقت توتي باب البلكون بصدفتها مرة أخرى، برفق فتحت لمياء الباب، لم تأكل توتي، تود الدخول فيما يبدو، تركت لها الباب مفتوحا، بهدوء وتأمل دلفت السلحفاء إلى حجرة لمياء، تركتها تتجول في المكان، فتحت الكمبيوتر للجولة الصباحية على الفيس وبعض المواقع الاخبارية.

أخبار عادية جدًا تقلل من شأن دعوات الشباب للنزول إلى الشوارع، أراء خبراء تؤكد أن مصر ليست تونس، استماته من

الشباب وتركيز على طغيان الحزب الوطني والشرطة لاستمالة القلوب.

تركت الأخبار وفتحت الأكاونت الخاص بها، كالعادة، طلبات صداقة كثيرة، توافق عليها باستمرار دون معرفة أصحابها، منطقها في ذلك أنه كلما كثر عدد الأصدقاء، زادت معها مساحة نشر أفكارها.

حقيقة الأمر أن الكثير من طلبات الصداقة المرسلة إلى لمياء لم تكن لما تشارك به من موضوعات وتعليقات إنما كان لصورتها الشخصية على الأكاونت، فقد وضعت صورة تظهر منتصف جسدها العلوي مرتدية بلوزة سوداء تكشف عن جزء صغير من صدرها، تميل برأسها قليلًا إلى اليسار فيتدلى شعرها الأسود على كتفيها محاولا ستر ما تركته البلوزة مكشوفا، في نظرة عينيها بريق ولمعان يرسل ألف معنى ويجذب ألف عاشق، شفتيها الممتلئة سيما السفلية تعطى الأمل لألف مراهق وتزيد شهقات ألف حالم مشتعل بآهات اللذة.

توافق على طلبات الصداقة، تفتح الـ inbox، مجموعة من الرسائل، غالبيتها بدايات أحاديث للتعارف (هاى.. ألوووو... القمر منين؟ أنا فارس الرومانسية وحابب نتعرف.. إنتي فين يا ملبوصة مش بتردي على رسايلى.. هاى أنا تيموا اتقابلنا مرة في زهرة البستان... إلخ) لم تكن لترد على مثل هذه الرسائل، أحيانًا فقط تلقى ببعض كلمات تزرع الأمال في قلوبهم، صداقات الفيس

بوك التي يسعى البعض إليها ما هي إلا خيالات وخداع، تز
لمياء بذلك، تعود إلى صدر الصفحة، تكتب جملة واحدة للتوا
بين الأصدقاء:

«آلام الدهر سوف تزول مع أول رشفات الحرية.. موعدنا 25
يناير».

تترك الجهاز مفتوحا، تتجول في الحجرة، تتذكر توتي القابعة
إلى جوار الحائط أسفل المقعد الهزاز، تحملها لمياء برفق، تخرج
السلحفاء رأسها من صدفتها وتنظر يمنة ويسرة في هدوء، تبتسم
لمياء وتداعبها كأم تناغي طفلها، تضعها في البلكون وتتابعها وهي
تذهب مستكينة إلى بيتها الصغير في الركن، المأوى الآمن هدف
كل المخلوقات، في هذا تفكر لمياء، تحمل تليفونها من الشاحن
وتتصل بإيمان سمير:

- إنتى فين يا بنتى.. وحشتينى؟

- إنتى أكتر يا ليما.. خلاص باقى على 25 ساعات وبنجهز
طمنينى على مجموعتك..

تندهش لمياء عند سماعها كلمة «بنجهز»

من هم الذين يجهزون؟ ويجهزون ماذا؟ منذ متى وهناك
خطوات تخطوها إيمان سمير ولا تعلمها لمياء؟ أسئلة كثيرة
وردت على خاطرها لكنها لم توليها الكثير من الاهتمام، أو بالأدق
أجلتها إلى حين. تجيب:

- مجموعتي؟! قولي مجموعاتي يا بنتي.. كل عضو من الخمس أعضاء في مجموعتي بقى تحت إيده على الأقل أربع مجموعات ودول عملوا هما كمان مجموعات، أنا حاليا ما أقدرشي أقولك على عدد محدد لمجموعاتي.

- كويس قوي.. مش هما متابعينك؟

- كل عضو من الخمسة بيشير كل بوستاتي وبيدي أوردر لمجموعاته تشير وهكذا..

- ممكن تقدري العدد تقريبًا من عدد الشير..

- استني كدا.. آخر بوست من حوالي عشر دقايق يا ستي عامل 287 شير لغاية دلوقتي..

- دا عدد هايل يا لمياء.. أنا على العموم كنت هاكلمك..

تقف لمياء لتتحرك في الغرفة ناظرة إلى فراغ الشارع أمامها وهي تسألها:

- فيه جديد؟

- النزول هايكون الساعة اتين الضهر يوم 25 في مناطق متفرقة.. إحنا عرفنا أماكن تمركز الشرطة في اليوم دا وعملنا خريطة جديدة للأماكن اللي هاننزل فيها..

- أيه هي الأماكن دي؟

- هابعت لك message حالا على الانبوكس، تبعتيها برضه في message لمجموعتك وتطلبي منهم يبعتوها لمجموعاتهم، أوعى تنشريها على الـ wall وأكدي عليهم برضه.. مهم جدًا أماكن التجمع والانتشار تفضل بعيده عن الشرطة..

- أوك.. المهم.. هاشوفك إمتى؟

- ما فيش وقت.. التجهيزات واخده وقتي كله، عموما كلها كام ساعة ونكون مع بعض وسط الناس.. أنا وإنتي والمجموعة بتاعتنا هانكون في ميدان التحرير.

تنتهي المكالمة، تذهب لمياء إلى المطبخ وتعد كوب شيكولاته ساخنة، تعود فتجد رسالة إيمان قد وصلت، ترسلها على مجموعتها قبل تصفحها وترفق بها تحذير إيمان، تنتهي من عملية إرسال الرسالة، تفتحها وتطلع على تفاصيلها بهدوء وهي تتناول مشروبها الساخن، أماكن تجمعات في السيدة عائشة ودوران شبرا ووسط البلد وشارع رمسيس وعين شمس وجسر السويس وعدد من التمركزات في ميدان التحرير وميدان الجيزة وأمام ماسبيرو وأمام مسجد الفتح برمسيس، أسماء شوارع ومساجد مشهورة وأمام محلات وفنادق شهيرة، تبدأ التجمعات من كل صوب في تمام الساعة الثانية بعد الظهر، تتحرك كلها قاصدة التجمع في ميدان التحرير.

مرفق عدد من الملاحظات والتنبيهات من قبيل أن يحمل كل فرد تليفونه المحمول ويكون متابعا لأفراد مجموعته وتحركاتهم باستمرار، يجب أن تكون بطارية التليفون مشحونة بشكل كامل ويفضل أن تكون هناك بطارية احتياطي مشحونة، عند الاقتراب من الشرطة يجب أن يكون الاقتراب على شكل مجموعات وليس بشكل فردي، يفضل أن يتم تصوير ما يحدث عن قرب وخصوصا تلك المشاهد التي سيكون فيها عنف من جانب الشرطة، قبل الخروج من منزلك يجب أن تأكل جيدًا ويستحسن أن تحمل معك بسكويت أو قطع شيكولاته، قد تلجأ الشرطة لتفريقنا باستخدام القنابل المسيلة للدموع، في هذه الحالة يجب الابتعاد قدر الإمكان عن الدخان المتصاعد وعدم مواجهتها..

توجيهات كثيرة من تلك النوعية انتهت لمياء من قراءتها، قبل أن تغلق الرسالة فوجئت بوالدتها تدخل عليها غرفتها وعينها مسلطة على شاشة جهاز الكمبيوتر.

■■■

(32)

مجـــدي ســــرور

في تلك اللحظة التي التقمت فيها إلهام مدكور شفتى مجدي سرور وغابا في قبلة أشعلت داخلهما، توجهت السيارة بسرعتها الشديدة نحو الجدًار الخرسانى العازل بين الطريقين.

جزء من الثانية أرسلت فيها الغدة الفوق كلوية مادة الادرينالين إلى عقل مجدي سرور لتنبئه بالخطر القادم، يرتد في حركة سريعة جاذبا عجلة القيادة بشدة ناحية اليمين مبتعدا بها عن الجدًار الخرسانى، تنحرف السيارة بسرعة إلى الرصيف الأيمن للطريق، تصرخ إلهام بشدة وقد تشبثت بمقعدها وضغطت على أرض السيارة بقدميها بعنف، يجذب مجدي عجلة القيادة إلى اليسارة ليتفادي الاصطدام بالرصيف في نفس اللحظة التي يرفع قدمة من فوق دواسة البنزين ليضغط بها دواسة الفرامل، فتهدأ سرعة السيارة بينما تصرخ عجلاتها على أسفلت الطريق تاركة خلفها قضبان أسودان ودخان ناتج عن احتراق مادة الكاوتشوك من

أثر الاحتكاك، يمد يده اليمنى ليجذب ذراع فرامل اليد بشدة
تدور السيارة حول نفسها لفة كاملة متارجحة بشدة بين الانقلاب
والاستقرار حتى تقف ساكنة على جانب الطريق.

صمت رهيب يخيم على المكان بعد تلك اللحظات التي
حملت أحداث سنوات العمر المنصرمة، كانا يتنفسان بشدة و
أسندا ظهريهما إلى مساند المقاعد وفردا الأقدام على طولها
ترتخي الأعصاب، يتناول مجدي منديل من علبة المناديل على
تابلوه السيارة يعطيه إلى إلهام ثم يتناول آخر ليجفف به عرقه
الغزير.

لا يشعران بأي شيء، إنها تلك اللحظة التي يعود فيها الفرد
من العالم الآخر إلى الحياة، لقد شاهدا الموت بأعينهم، يستفيق
مجدي من شروده عندما سمع صوت من ذلك الواقف بجواره:

- انتوا بخير يا جماعة؟

سائق عربة نقل، جبهته عريضة، بشرته سوداء من لفحة الشمس
تراكم الدهون على وجهه فخلقت لزوجة مرئية، يرتدي جاكت
صوف فيراني اللون لن تستخدم أزراره أبدًا، فيستحيل عليها عبور
تلك الهضبة المتدلية والمعروفة علميا باسم الكرش، يبدو على
ملامحه انزعاج حقيقي، فقد شاهد ما حدث بالتفصيل رغم انه
كان منهمكا في سحب أنفاس مغموسة بالحشيش من الجوزة

التي لا تفارقه في رحلاته الطويلة على الطريق الصحراوى وداخل الجبال.

يبتسم له مجدي ابتسامة صفراء، ثم يجيبه وهو يدير مفتاح السيارة في الكونتاك لينطلق:

- الحمد لله.. جت سليمة.. متشكرين قوى..

ينطلق مجدي بالسيارة تاركا سائق النقل واقفا يتابعهم بنظراته ضاربا كفا بكف معلقا:

- متشكرين قوى؟! شوف يا خويا الراجل.. والا المسهوكة اللي قاعده جنبه ورحمة أمي كانوا بيقّفشوا في بعض.. معلوم.. يا رب.. توب علينا بقى من الشغلانة دي..

ينطلق مجدي بالسيارة خشية الاختلاط بهذا الرجل، لديه قناعة تامة بأن هذه النوعية من البشر تبدأ معك الحوار بحميمية يدفعها تقديم الخدمة، لحظات وتتحول رغباتهم هذه إلى أطماع حقيقية تصل أحيانًا إلى الابتزاز، خبر مثل هذا قد ينقله الرجل لأي صحفي ليكون مانشيت في اليوم التالي: نجاة السياسى الكبير مجدي سرور من حادث مروع على الطريق الصحراوى. في تفاصيل الخبر حكايات وإثارة أقلها ممارسة الفعل الفاضح. يؤثر الانطلاق قبل أن يتعرف عليه الرجل. بعد فترة مد يده وأمسك بيد إلهام اليسرى، يضغط عليها مطمئنا، تبتسم في هدوء.

مع أناس غير مجدي وإلهام، لن تمر مثل تلك الحادثة مرورا عاديا، إنما كانا سينظران إليها كإشارة لغضب من الله عليهم وأن نجاتهما هي بداية للعودة إلى طريق الصواب. أما وحدث ذلك مع مجدي وإلهام فقد فهما منه أنه يجب عليهم أن يتم تأجيل تلك المشاعر حتى الوصول إلى الشاليه وهناك يفعلان ما يحلو لهما فعله، يشغل مجدي جهاز السيارة فتنساب موسيقى هادئة ثم يغلق نوافذ السيارة ويشعل التكييف على الدرجة الأولى، يتعزلان عن العالم.. تهدأ أعصابهما، يتبادلان الابتسام..

بعد ساعتين كانا يخرجان من المول التجاري على أطراف الاسكندرية يحملان مئونة يومين من المأكولات والمشروبات، يضحكان بينما العامل يضع حملهما في شنطة السيارة، ينفحه مجدي بقشيشا أعلى مما يتخيله، شكره كثيرًا حتى غاب بالسيارة عن أنظاره.

لو سُئل مجدي عن ذلك البقشيش الذي أعطاه لعامل المول ستكون إجابته أن تلك صدقة قدمها قربانا إلى الله عز وجل يشكره بها على نجاته من الموت، لدرجة أنه عند المطب التالي حيث ينتشر باعة المناديل والمتسولين نفح سيدة مسنة تحمل طفلا رضيعا وتدفع طفلا آخر على كرسى بعجل وقد لوى كفيه عكس الطبيعى علامة الإعاقة، نفحها مبلغا آخر، يعيد بعدها غلق نافذته ناظرا نحو إلهام بشوق ولم يتمالك نفسه فقال:

- الجميل جاهز ولا لسه دمه هربان؟ ها تتقطع النهارده يا معلم..

يومان.. ينعزلان عن العالم داخل الشاليه في تلك القرية التي تبعد عن المدينة تسعين كيلو مترا على الساحل، رواد القرية في ذلك الوقت من العام منعدمين تمامًا، أمن القرية وموظفيها يعلمون جيدًا طبيعة تلك الزيارات، اعتادوها من كثرة تكرارها، لا يتجرأ أحدهم ليطرق باب الشاليه عارضا مساعدته وتقديم أي خدماته، يشكره مجدي مبتسما ثم يستبقيه لحظات حتى يعود إليه بمبلغ محترم.

مر يومان العسل كما أطلق عليهم مجدي، الأخبار في التلفزيون تتزايد عن نزول المواطنين في تظاهرات. تسيطر على مجدي نزعة القيادة التي تسيطر عليه، يجب أن يتواجد في قلب تلك المظاهرات، الآن لن يجرؤ أحدهم على لي ذراعة بصوره مع إلهام مدكور، هما زوجان، وطبيعى ان يكون سعيد العتبانى قد تطوع بنقل الخبر إلى رجال الحزب الوطني.

يعودان إلى القاهرة وقد رتب اللقاء بينهما أن يكون يومين في الأسبوع إذا لم يكن هناك جديد وإلا فيتم الترتيب عن طريق التليفون، كي تكتمل الصورة الزوجية يعطى مجدي إلهام مبلغا من المال كأي زوج يقدم لزوجته المال.



يتركها أمام منزلها ثم يأخذ طريق العودة إلى منزله، دقائق يُدس مفتاحه في باب الشقة ليفتح الباب، يجد هناء التوني، زوجته جالسة في مواجهته.

بدون ترتيب مسبق تعود هناء التوني من إجازتها القصيرة، لا تجد مجدي سرور في الشقة في هذا التوقيت، لم يتصل بها ولم يعتذر، رسالة على المحمول يا مجدي؟ لو كان سافر خلفها ليترجاها ويطلب منها العفو لصفحت عنه، هي لم تعد ترغبه، إنما تبحث عن مستقبل أولادها وشكلها العام في المجتمع، فمهما كان وضعها سيئًا معه فهي زوجة، أما لقب مطلقة فهو لقب قبيح في مجتمعنا، يا له من وغد.. حقير.. قالت تلك الكلمات وهي تجلس في الصالة أمام التليفزيون تتصفح قنواته التي باتت كجريدة أكثر صفحاتها وفيات وإعلانات تُلقى بعد قليل في سلة الزبالة.

تشرد هناء فيما آلت إليه حياتها.. قصرت في ماذا كي يرحل عنها؟ حالة أشبه بحالة طفل شوارع يعلم أن والده الذي لم يره قد توفي في حادث تمنى لو يراه فقط كنوع من حب الاستطلاع، لم تعد ترغب في مجدي، لقد تركها.. تركها.. تلك هي الطامة الكبرى، لو أنها هي التي تركته ما شعرت بمثل ما تشعر به من ألم، لو مات في حادث سيارة مثلا لكانت أهدأ مما هي عليه الآن، سوف تتحدث مع أولادها بمنتهي الصراحة، سوف تعرض أمامهم صورة أبيهم عاريا في أحضان تلك المومس، سوف تهدد

أمامهم، هذا هو مقداره أن يظل حقيرا في أعين أولاده، تخرج من حياة الأسرة منتصرة رافعة الرأس، وليهوى هو إلى أعماق جهنم.

تتصل بأولادها على تليفوناتهم المحمولة لتستدعيهم فورا.

تحاول تخطى الموقف وتتعايش مع اللحظة، لابد أن تستغل الأحداث القادمة، تواجدها في المظاهرات القادمة مهم جدًا، عليها أن تترك الحزب الذي يرأسه زوجها، سوف تنضم إلى حزب آخر، ابتسمت لحظة عندما انتها تلك الفكرة، الانفصال عن زوجها مجدي سرور تكون أسبابه وجود خلاف سياسي بينهما حول خطة الحزب في الفترة القادمة وموقف الحزب من المظاهرات أيضًا.

الأمر يحتاج إلى ترتيب وتنسيق، يحتاج إلى اتفاق.. تذكرت أولادها، فقد استدعتهم بشكل عصبي، مؤكد أنهم سوف يتساءلون عن سبب ذلك الاستدعاء. تتصل بهم مرة ثانية، تتحدث بهدوء وابتسامة بذلت مجهودا في مخاضها، طلبت منهم أن يستمروا فيما كانوا فيه من قبل، فقد استدعاها فورا رئيس التحرير ولنؤجل هذا اللقاء بيننا حتى المساء.

أين مجدي الآن؟ لن تستطيع انتظاره، قد يتأخر وقد لا يأتي اليوم، من يدرى كيف هي حياته الآن؟

فجأة تسمع صوت المفتاح يعمل في الباب، لحظة ويدخل مجدي، يتسمر مكانه في تلك اللحظة التي يشاهدها فيها جالسة في الصالة.

يتوقف مكانه صامتا ثم لم يلبث أن يغلق باب الشقة، يخطو ببطء يجلس في مواجهتها قائلًا:

- مساء الخير يا هناء..

لا تجيبه إنما تُصعده بنظرها، سهام تخترقه، ينكمش أمامها متضائلا، ينتظر حديثها، يرنو نحوها مستعطفا، بأن كفي تعلو فقد حدث ما حدث، بعد صمت طال كدهر زفرت هناء بشدة كأنها تقول: نهايته، ثم تعتدل واضعة ساقا فوق الأخرى رافعة رأسها في شموخ وهي تقول:

- اسمع يا مجدي.. إحنا بالشكل دا وصلنا لطريق مسدود صعب قوى أعيش معاك بعد اللي حصل.. لكن الأصعب إننا نعمل حاجة تخسرنا اللي وصلنا ليه

- اللي تشوفيه يا هناء.. أنا معاكي..

- إحنا ننفصل.. وسبب الانفصال مش عشان فضيحتك يا أسد..

يخنق زفرة كادت تخرج إلى ذلك الفضاء المشحون، تلحظه هناء وهو يكاد يرتعد فلا تبالى وتكمل:

- إحنا ننفصل لاختلافنا في وجهات النظر السياسية..

- إزاي يعني؟



- اي شكل وأي صيغه.. مش هانغلب.. نخرج في برنامج ولا نهين من برامج التوك شو ونتكلم على اللي اتفقنا عليه.. لازم نخرج من الموقف بأقل الخساير..

- فكرتى في شكل أو صيغة؟

- أيوه فكرت في صيغة.. وهي دي اللي لازم تنفذها بالحرف الواحد..

للحظة واحدة يحاول التكهن بما انتوت عليه لكنه يفشل فيأخذ الطريق الأسهل ويسألها مباشرة:

- ايه هي؟

- ركز معايا.. لأن الأولاد زمانهم راجعين..

■■■

(33)

إبراهيم السويفي

يجلس الدكتور صالح أمام الشيخ إبراهيم بخشوع لا يصل إلية تعهدي بوذا في عيد مولده السنوى الذي يُقام في اليابان في الثامن من ابريل من كل عام، ذلك الخشوع الذي يكسر العين فلا يجعلها تعلو.

يتحدث الشيخ إبراهيم كثيرًا عن أمور مختلفة، يوافقه الدكتور صالح بهز رأسه وأحيانا بكلمات مبهمه قد تفهم منها:

- نعم.. فضيلتك عندك حق.. ونعم الرأي..

يتحدث الشيخ إبراهيم ويده اليمنى في سيالة جلبابه اليمنى يبحث بشيء ما، وبحركة عفوية ومع جملة تحتاج إلى حركة يد مساعدة تخرج يده من السيالة فتسقط منها قطعة معدنية، تسقط على الأرض مصدرة رنينها، يصمت إبراهيم، تظهر على وجهه ملامح انزعاج، يتابع صالح حركة القطعة المعدنية بهدوء، يلاحظ

الرسوم الفرعونية المنقوشة عليها قبل أن تستقر بالقرب من قدمه يشعر بأن الأمر ليس هينا بعدما لاحظ تلك النظرات الفزعة والتشنجات التي اعتلت وجه إبراهيم السويفي.

فجأة ينقض إبراهيم يلتقط القطعة المعدنية ويخفيها في يده يصمت لحظات، تختلط في رأسه الأفكار، يتخذ قرارا مفاجئا يرتاح.. تعود عضلات وجهه إلى طبيعتها الانبساطية وهو يتحدث قائلًا:

- كويس إننا لوحدنا دلوقتي يا دكتور صالح..

- خير يا مولانا..

- شايف القطعة المعدنية دي..

يفرد يده فتظهر القطعة المعدنية على وجهيها نقش لرسوم فرعونية ثم يقبض يده عليها مرة أخرى ليخفيها داخل ملابسه ثم يكمل:

- دي تعويذة فرعونية. بيقولوا عليها بتحمى اللي شايلها من الخطر، أنا عن نفسى مش مقتنع بالكلام دا.. طبعا هاتسألنى شايلها ليه؟ أقولك.. شايلها لأن دي من ريحة إمامنا رحمة الله عليه..

بدهشة ممزوجة بفرحة غامرة يستفسر:

- الإمام الشهيد؟



- أيوه يا دكتور صالح.. التعويذة دي فضلت معاه من سنة 28 لغاية اليوم اللي اتقتل فيه 12 فبراير 1949، دا اليوم الوحيد يا دكتور صالح اللي خرج فيه الامام من غير التعويذة دي، ما فارقتوش واحد وعشرين سنه،برضه هاتسألني وصلتني إزاي؟ هاتعرف من الموضوع اللي هاكلمك عنه حالا..

- خير يا مولانا؟

- حاليا إحنا في فترة من أهم فترات تاريخ الجماعة، إحنا ماشيين في تحقيق أهداف الإمام بالحرف، هاكلمك بصراحة..

يرفع صالح عينيه متأملا انطباعات الشيخ وانفعالاته التي بدأ يظهر تأثيرها على مخارج الحروف وطريقة نطقه للكلمات، تأثير أدي إلى ارتعاشة صوتية وبحة حجبت بعض الحروف عن الظهور الكامل.

للانصاف.. يمتلك هؤلاء الأفراد يقينا غير محدود، يؤمنون بالفكرة إلى أقصى درجة تتخيلها، لو أن لخلايا الجسد سائل الحياة كان هذا اليقين وذلك الايمان بالفكرة هو ذلك السائل، أما موضوع تغليف تلك الفكرة بغلاف إسلامي لامع فذلك أمر يخص من أنشأ تلك الفكرة ومن تبعه، لكننا نتحدث عن الفكرة الموجودة في السوق كاملة، مغلفة، ديليفرى بلغة العصر. هل تود مرضاة الله وتدخل الجنة، إليك التركيبة أو الوصفة أو الطريقة أو

المنهج أو سمه ما شئت.. المهم هذا الشيء هو ما يستحق منك أن تقدم حياتك من أجله، راضيا مبتسما..

لاحظ جملة.. «تُقدم حياتك من أجله».

طالت لحظات الصمت.. يتنفس الشيخ إبراهيم.. ينظر بعمق نحو الدكتور صالح، يميل برأسه نحوه في حركة درامية تضفي على ما سيقوله رهبة وقدسية إن شيءنا الدقة، فيقول:

- أنا رئيس التنظيم الخاص للجماعة..

يشهق صالح، ينظر بشدة نحو الشيخ إبراهيم، يعلم جيدًا تاريخ التنظيم الخاص للجماعة أو التنظيم السرى، نظام عسكري أسسه الجماعة عام 1940 ، هدفه إعداد نخبة منتقاة من الإخوان للقيام بمهمات خاصة والتدريب على العمليات العسكرية ضد العدو الخارجي ومحو الأمية العسكرية للشعب المصري في ذلك الوقت، تَشكّل النظام الخاص وفقًا لمجاميع عنقودية متسلسلة، بحيث تتكون المجموعة القيادية من خمسة أفراد يتولى كل منهم تكوين مجموعة من خمسة آخرين، ويظل الأمر مسلسلًا إلي ما لا نهاية.

يعرف الدكتور صالح تلك المعلومات كمعادلاته الكيميائية المطبوعة في ذاكرته، لكنه وللانصاف لم يكن يعلم أن ذلك التنظيم السرى لا يزال مفعلا حتى اليوم والأغرب فعلا أن يكون فضيلة الشيخ إبراهيم السويفي هو رئيسه.

يخرجه الشيخ إبراهيم من شروده وهو يقول:

- التنظيم موجود يا دكتور إبراهيم وبكامل قوته ودوره هايظهر في الفترة الجاية، أنا حبيت أقولك الكلام دا لأنك من الأفاضل وصاحب خزينة أسرار فولاذية..

أطرت تلك الكلمات صالح فابتسم كطفل جلس بين الرجال يحتسي الشاي المصنوع له خصيصا.

- دكتور صالح.. لازم تستعد وكل الطلبة اللي تقدر تجهزهم عشان تنزلوا المظاهرات.. تنزلوا كطلبة الجامعة وممنوع أي حد يعرف إنكم تابعين للجماعة..

- واضح يا مولانا..

- لا مش واضح يا دكتور صالح.. الأمر غير ما إنت متخيل خالص..

- مش فاهم !!

- ركز معايا..

معلومات كثيرة استقاها الشيخ إبراهيم السويفي من خلال اللقاءات السرية في سفرياته الشهرية التي يزور فيها معظم عواصم العالم حيث يُلقى محاضراته الدينية للجاليات الإسلامية، أخرها من أيام قليلة في مدينة بودابست عاصمة المجر حيث تمت دعوته من قِبل مدير مجمع التنوير الإسلامى هناك، حيث تتواجد مجموعة من المسلمين من مختلف دول العالم، تستغرق رحلة

إلقاء المحاضرة وعدد من الندوات أسبوعًا كاملًا قبل أن يتوجه إلى دولة أخرى أو يعود إلى مصر.

في هذه الرحلة وعلى غير المنتظر يلتقي مع مستر ميشيل فريدريك مؤسس جمعية الحرية الكبرى الدولية لحقوق الإنسان، يلتقيان بعد اتخاذ كافة الاحتياطات اللازمة لخداع رجال المخابرات المصرية إن كانوا يهتمون. الحقيقة أنهم بالفعل يهتمون لكن ذلك الاهتمام العادي، الغير محترف، الاهتمام الوظيفي إن شئنا الدقة، يسهل خداعهم لأنه لم تصدر تعليمات صريحة ومشددة باتخاذ اللازم نحو الهدف.

من طبيعة المواطن المصري ألا يعمل إلا تحت ضغط، فإذا ظهر الضغط كان العمل على أفضل ما يكون، إن غاب الضغط والتوجيه والمتابعة والثواب والعقاب غاب العمل على أفضل ما يكون الغياب أيضًا، لا يتم إنجاز الشيء كوحدة متكاملة أبدًا إلا إذا صدرت الأوامر وتمت المتابعة فيما عدا ذلك كان هناك عمل رخو متكاسل فاشل في نهاية الأمر.

يلتقى إبراهيم ميشيل في المساء، حجرة صماء إلا من شرفة وحيدة عليها ستارة سوداء، رائحة خشب أثاثها تملأ المكان الذي لم يذق طعم الهواء أو الشمس من سنين، يتحدث ميشيل:

- شيخ إبراهيم.. خلاص.. استطلاعتنا بتقول إن باقى أيام على ساعة الصفر، لازم تكونوا على مستوى المسئولية..

- إحنا عارفين كويس إحنا ماشيين إزاي وبنعمل أيه سيد قطب..

- أوكي.. الخطوة المطلوب توصيلها لكم النهارده صغيرة لكنها مهمة جدًّا.

- أي خطوة..

- المواجهة.. لازم تعرفوا إن المواجهة المنتظرة هاتكون شديدة جدًّا..

- مواجهة مع مين؟

- مع أجهزة الدولة..

- اتعودنا خلاص عليهم..

- لا.. المرة دي غير كل مرة.. لازم النتيجة تكون حاسمة.. لو النتيجة كانت رخوة غير قاطعة لن تقفوا على أرجلكم مرة أخرى إلا بعد عشرات السنين..

- إن شاء الله ننتصر..

- شوف شيخ إبراهيم.. الدولة.. أي دولة، زي جسم الإنسان له رجلين يمشى عليهم وإيدين يستخدمهم في كل حاجة وأهم شيء هو الدفاع عن النفس. كمان الدولة زي جسم الانسان بيتولد طفل ويوصل للشباب وبعدين الشيخوخة.. بلدكم.. حاليا ووفقا للدراسات وصل مرحلة الشيخوخة.. لكن لسه يمتلك الأيدي

اللي تساعده يدافع بيها عن نفسه، هي عموما أيدي ضعيفة بسبب الشيخوخة، المواجهة المطلوبة هي بتر الأيدي، بعدها يسقط الجسد..

- الأيدي المبتورة لا تسقط اجسادًا سيد ميشيل..

ينظر نحوه ميشيل بعمق.. إنه يفكر.. لم يكن يتخيل أن يدرك الشيخ إبراهيم المعنى الحقيقى الكامن خلف هذه الجملة، يبتسم ميشيل، يقرر الوصول مباشرة إلى هدفه فيقول:

- نعم.. الأيدي المبتورة لا تسقط الجسد.. إنما الأقدام التي يقف عليها الجسد، إن تم بترها سقط الجسد.. أنتم عليكم في هذه المرحلة.. بتر الأيدي.. سوف يعجز الجسد كثيرًا.. بعدها تحققون ما تريدون.. ترتقون.. تمتلكون.. تبترون الأقدام أو تستبدلونها بأقدام أخرى.. لكم ما تشاءون..

يدرك الشيخ إبراهيم ما يقصده ميشيل بالأيدي، هي جهاز الشرطة والأقدام التي يقف عليها جسد الدولة هو الجيش المصري، الحديث الآن عن مواجهة الشرطة، يقاطع ميشيل تدفق أفكاره بقوله:

- دع أمر الأقدام الآن.. لا يجب ألا ننسى قدراتكم الحقيقية في اللحظة الراهنة، لنهتم بالأيدي.. سوف تحدث مواجهات مباشرة مع جهاز الشرطة عند نزولكم إلى الشوارع لرفض النظام والمطالبة

مرحلة.. أعتقد أن ما يفعله شباب الفيس بوك لديكم يجرى على قدم وساق وقد استمالوا مئات الآلاف من المواطنين..

- هذا حقيقي..

- المواجهة تحتاج إلى قوة وإصرار وروح تفاجئون بها الشرطة المتراخية لديكم، عنصر المفاجئة مهم جدًا.. لا يمتلكون التسليح الكافي للمواجهة أكثر من يومين، في اليوم الثالث على الأكثر وهم في حالة انعدام وزن وتلاشي ثقة، تدمرون لهم بنيتهم الأساسية، تفرغون الجهاز من قوته، وقوة شرطتكم في أقسامها وسجونها شيخ إبراهيم..

تهبط الكلمات على عقل الشيخ إبراهيم كقطع من الثلج، باردة وصادمة، من سنوات وضع أقدامه داخل المعبد ولم يعد يمتلك القدرة على التراجع، التراجع يعني نهايته وهدم معبدهم على الهتهم مدي الحياة.

شيء آخر يجعله يستمر هو وصحبه، المجد. نعم المجد المنتظر الذي سيخلد أسمائهم في كتب التاريخ بحروف من ذهب، نجاحهم الآن بعد هذه السنوات العجاف التي مر بها مشروعهم سيخلق منهم الأبطال، عند البعض.. جائزة كتلك يُبذل من أجلها كل شيء حتى النفس، في مشروعهم، الراحل هو شهيد في جنات الخلد.

يستكمل ميشيل حديثه:



- مع الأيام الأولى تحتاجون إلى شباب يشعل الأزمات ويصطنع المواجهات.. يصطنعها ويفر هاربا شيخ إبراهيم، يجب أن تكون ضحايا المواجهات من أبناء الشعب.. الأبرياء.. الذين يرغبون في التغيير بلا هدف.. حتى تكون ردود أفعال أهاليهم حقيقية، صادقة، معبرة، تستنفر الرأي العام.. تلك الخطوة مهمة جدًا.. نعلم أن الكثير من شبابكم على أتم الاستعداد لتقديم روحه، لكننا نود أن يظل حيا لمراحل أخرى قادمة.

يهدأ لحظات تاركا الشيخ إبراهيم يستوعب ويدون على جدران الذاكرة ما يسرده له، يتناول زجاجة الماء التي لا تفارقه، يرتشف منها قطرات كأنه يبرر صمته ثم يستكمل:

- لابد أن تسير الخطوات بالترتيب الذي أحدثك عنه وفي نفس اللحظة لا يعلم أحد أنها خطوات مرسومة، نريدها تبدو كأنها عشوائية، إنها نظرية الفوضى الخلاقة شيخ إبراهيم، سوف ندرس معا، في هذا اللقاء، تحركاتكم خطوة بخطوة، التحرك يجب أن يكون محسوبا وبمنتهي الدقة أي تغيير قد يؤدي إلى كارثة، أي معلومة سوف يتم تسريبها ستكون قاضية، الجماهير يجب أن تعلم وتشاهد أنكم تتحركون من نزعاتكم الخاصة، تتحركون على هدى رغبتكم في التغيير وتطبيق الديمقراطية، عليكم بنزع فتيل الأزمة، أدوات النفخ لدينا جاهزة، سوف ترتفع النيران عالية، يشهدها العالم أجمع، نريد ضحايا.. دماءً.. نستعطف بها العالم.. شعوبكم على أتم الاستعداد لتصديق أي تهمة موجهة إلى أنظمتكم التي لا



زال مستمرة في غيها، فالقتل والاعتقال والتعذيب ليس بجديد على هذه الأنظمة والجماهير تعلم ذلك جيدًا مما تنشره الآلة الاعلامية من سنوات، هل تذكر حادثة قطار الصعيد؟

- نعم أذكرها.

يتذكر الشيخ إبراهيم القطار رقم 832 المتوجه من القاهرة إلى أسوان، اندلعت النيران في إحدى عرباته في الساعة الثانية من صباح يوم 20 فبراير 2002 عقب مغادرته مدينة العياط عند قرية ميت القائد، أكد الناجون أنهم شاهدوا دخانا كثيفا ينبعث من العربة الأخيرة للقطار، ثم اندلعت النيران بها وامتدت بسرعة إلي باقي العربات الأخيرة، والتي كانت مكدسة بالركاب المسافرين لقضاء عطلة عيد الأضحى في مراكزهم وقراهم في صعيد مصر. النتيجة مقتل 361 مواطن مصري.

يتبسم ميشيل مما يشاهده من علامات على وجه إبراهيم، علامات ليس من بينها لحظة أسى واحدة، يكمل في هدوء:

- الغريب شيخ إبراهيم أن المواطنين لديكم صدقوا أن النار انتقلت من العربة الأخيرة للقطار متجهة إلى العربات الأمامية، أي ضد اتجاه تيار الهواء، تخيل !!

- كما صدقوا بالضبط أن طائرة تصطدم ببرج التجارة العالمى فتسقطه، تخيل !!

- في الأولى ألقوا اللوم على النظام الحاكم وإهماله..



- وفي الثانية ألقوا باللوم على العالم الاسلامى الكاره لأمريكا.

- شيخ إبراهيم.. لن نعيد حديثا مرت عليه سنون.. اتفقنا على تحقيق صالح مشترك..

- أنت من ذكرتنى بحادثة القطار..

- أذكرك بنتيجتها وليس بضحاياها.. أعلم أنكم تؤمنون بأن لكل أجل كتاب ومن جاءت ساعة وفاته لا راد لها..

- ونعم بالله.. فقد قال تعالى في سورة النساء، بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾ (النساء: 78). وقال أيضا في سورة الجمعة، بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (الجمعة: 8) صدق الله العظيم

تتزايد ابتسامة ميشل، تلك القدرة على حفظ الأيات واستخدامها في الوقت المناسب من أهم الأسلحة التي يمسك بها هؤلاء الرجال، يقرأون الأيات في موقف وفقا لما يتناسب مع وجهات نظرهم في تلك اللحظة، لا يود أن يخرج الحوار عما هو مخطط له من قبل، يقول:

- الدماء نتيجتها سريعة شيخ إبراهيم، مناظر القتل البشعة تستجلب المشاعر الفياضة، النظام الذي يتهاوى وتسقط خلاياه

ولا يستطيع الدفاع عن نفسه لن يجد الوقت ليكذب ما تنقلونه من أحداث وأقوال..

- بالفعل..

- والآن لننطلق إلى الجانب العملى.. سوف أشرح لك بالتفصيل من خلال شاشة العرض هذه ما سيحدث في الأيام الأولى وكيف تتفاعلون معه..

يفتح جهاز اللاب توب الموضوع جانبه صامتا منذ بداية اللقاء، تظهر على شاشة العرض قوات شرطة ويظهر في الجهة المقابلة مواطنون يهتفون..

كان فيلما سينمائيا تم إنتاجه، لم يُعرض في أي دار عرض، أُنتج خصيصا لمثل هذه الجلسات..

أحداث ومواجهات وتكسير حجارة الأرصفة لخلق أسلحة للمواجهة مع خلع قضبان السكك الحديدية والترام وحديد أسوار الكبارى، خلق حالة من الفزع بين الناس، مصابون حقيقيون ووهميون يجرون بين الأهالى بعيدًا عن موقع الأحداث صارخين من اعتداء الشرطة الوحشى عليهم، هجوم مباشر على عساكر الشرطة التي تتعامل بالعنف وبغباء مع المتظاهرين، شباب يقوم بتصوير ما يحدث لحظة بلحظة، سيناريو كامل..

- السيناريو الكامل يا دكتور صالح للى ها يحصل موجود هنا..



يقول الشيخ إبراهيم السويفي ذلك ويشير بسبابته نحو رأسه، يذكر تفاصيل كثيرة مما دار بينه وبين ميشيل فريدرك الأخيرة على أنها من بنات أفكاره ومن ترتيبه، مجموعة محددة فقط تلك التي تعلم بشأن اللقاءات الدولية وحتى الآن لم يكن الدكتور صالح من بين تلك المجموعة.

الدكتور صالح الجالس الآن تحسبه جسدا بلا روح، ينصت بكل آيات الاحترام، يتشرب المعلومات من كل خلايا جسده، تلك كانت طريقته مع الأمور الصعبة وكثيرة هي الأمور الصعبة عليه، تفوقه في دراسته وحصولة على الدكتوراة سببه الحفظ، قدرة رهيبة على الحفظ والسرد، يحفظ القرآن كله، عدد كبير جدًا من الأحاديث النبوية، قوانين ومعادلات كيميائية ونظريات لا حصر لها.. تلك هي قدرته.. لكنه لم يبتدع يوما نظرية أو معادلة أو حتى قولا يُؤثر عنه.

يعلم الشيخ إبراهيم عنه تلك الجزئية ويغبطه عليها، تمنى لو يمتلك قدرته على الحفظ رغم أن الشيخ إبراهيم حفيظ قديم.

يستغل تلك اللحظات الفريدة التي يمارس فيها أستاذيته على هذا الدكتور الجامعي، فيقول:

- يا دكتور صالح، الثورة ظاهرة مهمة جدًا في التاريخ السياسي، هي حركة سياسية في البلد. يحاول الشعب إخراج السلطة الحاكمة وعزلها أو القضاء عليها. طبيعي جدًا إن المجموعات الثورية



ستخدم العنف في محاولة إسقاط حكوماتها، وبعد ما تسقطها يؤسس الشعب حكومة جديدة، في الثورات، أحيانًا، يقف الجيش ضد السلطة الحاكمة، وبعد كدا يؤسس الجيش حكومة استبدادية عسكرية.

- وإحنا نصنع الثورة ونقوم بها، عشان نسيب البلد للجيش يا مولانا؟؟

- التاريخ بيقول إن كتير من الثورات بدأت من عند الشعب وانتهت بدكتاتوريات عسكرية، زي ما حصل في معظم الثورات في أمريكا اللاتينيه وهو الدرس اللي اتعلمناه منها..

- يعني؟

- يعني.. مش هانسيبها للجيش يا دكتور صالح.. مهما حصل.

■ ■ ■

(34)

لمياء سعيد

ترتبك لمياء لحظة دخول والدتها إلى الحجرة، تحاول التماسك، تنظر نحوها برقتها المعهودة:

- ماما عندي في أوضتي.. يا مرحبًا يا مرحبًا..

تختلس الأم نظرة سريعة إلى تلك الصفحة التي تنسحب سريعا من فوق شاشة الكمبيوتر بعد ضغطة من لمياء على يسار الماوس، تتوجه نحو مقعد التسريحة الدوار، تجلس ولم تغير تلك الملامح الغاضبة الثابتة على وجهها مذ دلفت الحجرة، بقرون استشعار رقيقة تستشعر لمياء ذلك البركان الذي يكاد ينفجر بين لحظة وأخرى، كثيرًا ما احتوت هذا البركان وأخمدته قبل الانفجار، تبتسم في ود وتقف بهدوء، تتحرك في خفة نحو أمها:

- الجميل شكله زعلان من حاجة.. صح؟؟

- تامر إبن خالتك لسه مكلمني..

- تامر اللي مزعلك يا جميل؟

- تامر شاف الفيديو بتاعك على النت يا لمياء.. وإنتى بتطلبي من الناس ينزلوا يوم 25 ..

تعود لمياء للخلف، تجلس فوق حافة السرير، لم تفكر في غضب أمها، لديها حرية كافية لأن تفعل ذلك، تستجمع أفكارها المشتتة، حقا كان أمر النزول الذي بات قاب قوسين أو أدنى يترك أثارا في القلوب، اضطرابا داخلى لم تشعر لمياء بمثله منذ امتحانات الثانوية العامة، تتحدث إلى أمها بجدية:

- عاجبك البلد واللي حاصل فيها يا ماما؟

- وإنتى اللي هاتغيريها يا لمياء؟

- مش أنا لوحدي.. كلنا لازم نقف ونقول لأه يا ماما..

- إنتِ لسه صغيره وما تعرفيش اللي ممكن يحصل..

- هايحصل أيه أكتر من اللي حصل.. قتلوا خالد سعيد وقتلوا الشيخ شريف جلال وغيرهم كتير.. ناس اتبهدلت، بنات وشباب، يا ريتهم بيسرقوا وبس، لأ.. لكن سرقة وافترا.. كل واحد في إيده سلطة بيستغلها لنفسه وبس.

- إنتِ بتصدقى أفلام خالد يوسف؟

- أنا مصدقه اللي باشوفه بعينى يا ماما..

- تقدرى تقوليلى ناقصك أيه؟



- ناس كتير قوى في البلد ناقصها كل حاجه.. وهاتشوفي الناس دي في الشوارع يوم 25 نازله وبتقول لأه.. بتقول من حقنا نعيش..

تزفر الأم بشدة، تقف لتضع حدا لهذا النقاش الذي لن ينتهي لصالحها، حقا يحدث امتهان غير طبيعي وسرقة ونصب وامتصاص لخيرات البلاد لصالح فئة لم تعد تخشى أحد، يتبارون في إظهار ثرائهم لإذلال الفقراء، لكنها تعلم ايضا أن لهم يدًا طولى، لا يخجلون أبدًا من تركها لتنتهك حرمات أو حتى لتقتل كل من يعارضهم، تتحدث إلى لمياء بلهجة قاطعة علها تُنهي هذا الحوار:

- مش هاتنزلى يوم 25 يا لمياء..

- ماما..

- إحنا هانسافر نزور خالك في البلد.. اليوم دا أجازة وهانستغله..

- ماما.. أنا مش..

تخرج الأم وتغلق خلفها الباب، إن استمعت لابنتها سوف ترضخ لها، لم تغضبها يوما، تعلم أن لمياء سوف تعترض على عدم النزول يوم 25 ولن تستجيب لرغبة والديها معتمدة على حبهما لها الذي تحول مع الوقت إلى نقطة الضعف الوحيدة في في علاقتهم بابنتهم.



تحاول الأم، تختار زيارة أخيها في أرياف المنصورة، تعلم كم تحب لمياء هذه الزيارة وتعشقها، تقلل من زيارة أخيها متعللة بأي سبب، كي تمنع لمياء من مقابلة حسن عبدالحميد ذلك الشاب الذي استطاع أن يجذبها إليه بجلبابه الفلاحى وصدره العريض النافر منه شعر كثيف، تعليمه متوسط ويعمل فلاحا يزرع أرض أبيه الراحل عن الدنيا بعد أن صدمته سيارة فارهة ولت هاربة وتركته جثة هامدة على الطريق لتدهسه أكثر من سيارة بعدها وتحول جسده إلى أشلاء متناثرة يجمعها أهالي القرية في مقطف، يتم تكفينها ودفنها، يتلقى حسن العزاء في أشلاء أبيه ويداخله مرارة تحولت إلى ثأر ضد أصحاب العربات الفارهة، يرعى أمه وأخوته، زوجة خال لمياء هي خالة حسن، من تلك العلاقات الأسرية تم التعارف. في هذا اليوم عرضت الأم السفر لزيارة أخيها، كي تبتعد بلمياء عن المكان.

مشاعر متضاربة تجتاح لمياء، وضعتها أمها بين خيارين يصعب عليها البت فيهما. في البداية ترتاح لمعارضة والدتها وتقرر المشاركة في تظاهرات الخامس والعشرين بأي شكل وإن افتقدت زيارة القرية المحببة إلى قلبها. إصرار والديها هذه المرة قد يعيد تنظيم علاقتها بهم وتقليل كم الحرية التي تنعم بها في أسرتها، لكن إن توترت العلاقة لن تستطيع المشاركة في التظاهرات بحرية.

ما لهؤلاء الآباء، وما هذه الاستكانة وذلك الخضوع؟!

لماذا يسخرون منا نحن الشباب؟



لماذا يقللون من قدراتنا؟

لماذا يصفوننا دائمًا: بشوية العيال السيس؟؟

مصطفى كامل في بداية القرن الماضي كان يتحدث باسم مصر على المستوى الدولي وقد تخطى عامه العشرين بقليل.

في دول العالم المتطور لا يتعامل كبير السن مع الشاب على أنه صغير العقل قليل الفهم والادراك. يتعاملون معه كشخص على نفس المستوى من الفكر والثقافة والقدرة على الانتاج، روح الندية تخلق منافسة، تجعل شابًا في الأربعينيات يتولى رئاسة وزراء دولة من أكبر الدول !!

لماذا يعتقدون باستمرار أنهم يعلمون كل شيء ونحن جهلة، قادرون على فعل أي شيء ونحن عجزة؟!

العالم يتطور ويتنافس تكنولوجيا، إننا في عصر الشرائح الالكترونية، ولدينا ولاة الأمور، من يمتلكون مفاتيح إدارة البلاد، لا يستطيع أحدهم فتح جهاز الكمبيوتر!!

استكانوا سنوات، ارتضوا الذل والمهانة، تركوا البلاد تُستنزف حتى تحولت إلى بلدين، اليوم يريدون منا ألا نعترض، يريدوننا مثلهم أذلاء ضعفاء..؟!

أفكار كثيرة تتداخل في عقل لمياء، تصنع دوامة، تراقصت الصور أمام عينيها، تلاشى بعضها وظهر بعضها، سيطر على المشهد حسن عبد الحميد بجلبابه الفلاحي وشعره الأسود الناعم



الذي يسحبه على اليمين، مثل فلاحين المسلسلات المصرية
يرتدي الممثل الجلبية الفلاحي، ترتدي الفنانة رداء الفلاحات
وعلى وجهها الميك أب كامل، استخفاف بالعقول. لا يقدرون
عقل الآخر ولا يحترمونه.

حسن يبتسم ويمد يده نحوها ليساعدها في عبور جدول صغير
بين الحقول. تشعر بيده وقد أصبحت طرية على عكس ما عهدته
فيها من قوة، شعرت بيد على وجنتها، كلمات تأتي من عمق
المكان:

- لمياء.. اصحى يا حبيبتي..

كانت هذه أمها، توقظها، غرقت لمياء في النوم ساعتين تقريبًا..

- بابا وصل والغدا جاهز.. قومي يا حبيبتي..

تعتدل لمياء وتحملق في المكان بعين ذاهلة، تحولت الصورة
الرائعة وتغريد العصافير وخرير الماء في الجدول ومساحات
خضراء حتى حدود الرؤية، إلى جدران حجرتها الصماء التي
تصدم العين والمشاعر، تتنفس بعمق وتحمل يد أمها، تقبلها:

- ماما.. عشان خاطري.. نسافر بعد المظاهرات..

- بابا اتصل بخالك والموضوع دا منتهي، وعلى فكرة بابا أخذ
أجازة لغاية آخر الأسبوع، هنقضى هناك الكام يوم دول..

- أصل أنا..



- لمياء.. عشان خاطرى.. بلاش تفتحى الموضوع لإن بابا مصمم، هاتحصل مشكلة كبيرة وفي الأخر هانسافر.. يبقى نسمع الكلام من غير مشاكل.

أحيانًا نتمنى أن يحدث الشيء وعكسه في نفس الوقت، نود هذا وذاك، قد تكون هذه إحدى ملامح الطمع التي جُبلت عليها النفس البشرية، وقد يكون ضربا من عدم الوضوح، تسود العتمة، الليل يطغى على النهار، الهموم والأحزان يقتلان جزئيات السعادة.

تمسك الأم بيد ابنتها، تحدثها برفق وعلى وجهها ترتسم الأمومة بكل معانيها، حب ممزوج بالخوف واليأس معا، تطيل النظر في عينيها مباشرة ثم تقول:

- لمياء.. نسافر بعد الغدا.. ما فيش داعي للانتظار لبكرة..

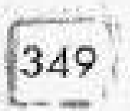
- أنا..

تقاطعها وهي تجذبها من يدها للخروج:

- من غير كلام يا حبيبتى.. صدقيني.. كدا أحسن لنا كلنا.

بعد ساعات تصل العربة إلى مدخل قرية الكرامة، إحدى قرى الدقهلية، طريق بين الأراضي الزراعية على يساره ترعة صغيرة، مسافة كيلو متر حتى تظهر مباني القرية.

لم يعد ريف مصر ريفا بالمعنى القديم الذي يقفز إلى الذهن مع ذكر الاسم، بنايات مرتفعة حتى الدور الخامس والسادس، مستوى متطور جدًا من المعمار والتشطيب، واجهات المنازل



تضاهي بعض مباني فيينا إن غضضنا الطرف عن الأتربة التي تسود الريف فتخلق طبقة عازلة للزمان والمكان، أطباق استقبال الفضائيات تظهر من بعيد تغطي أسطح المنازل، شبكات إرسال واستقبال هوائية يبدو أنها لشبكات الانترنت والمحمول، الأشجار أمام المنازل طقس لا استغناء عن أداءه، أناس يتهادون على جانبي الطريق، ملابسهم البسيطة لا تكلف فيها، ينتعلون شباشب صينية الصنع، تعلو وجوههم ابتسامات وهموم حياتية هي ملح الحياة.

تخترق السيارة القرية حتى منتصفها تقريبًا ثم تنحدر يمينا مائة متر تقريبًا، تتوقف أمام منزل الخال حامد مرزوق مدرس التاريخ، استقبال حافل وأطفال يتناثرون حول السيارة ويتعلقون بأيدي لمياء، الفتاة صاحبة الشعر المسدل والبنطلون الجينز والبلوزة التي بذلت الأم جهدا كي تجعلها فضفاضة لا تكشف عن شيء من جسد ابنتها. طفلة صغيرة تجذب لمياء لتحملها، حملتها وقبلتها بخفة على وجنتيها، طفلة في عامها الثالث، شعر أصفر وعيون زرقاء وتفاصيل صغيرة مرسومة على الوجه، لوحة يعجز بيكاسو عن نقل بعض روعتها ولو عكف على العمل سنوات. ما أدهش لمياء للحظة ذلك الإهمال الذي بدا واضحا على الطفلة حيث اتساخ ملابسها وشعرها المشعث، أي إهمال يعانيه الأطفال في هذا المكان، داعبتها لتكسب ودها ثم سألتها:

- اسمك أيه؟

- إثمي حثناء..

حسناء؟.. ياتى كميلة.. عسوله يا حسناء..

أصغر أبناء خالها، أنزلتها برفق لتواجه هجوم مدرعة حربية روسية الصنع، أحضان وقبلات زوجة خالها، سيده يزيد وزنها عن 137 كيلو، يعلوها وجه طفولي وثرثرة لا حدود لها، تعبيرات الوجه تعجز عن أدائها نجمات السينما، لا تحتضن لمياء إنما تغرقها في نهرها، روائح لا نهاية لها، عرق، مساحيق غسيل، سائل تنظيف مواعين، معطر جو مستخدم على أساس أنه perfume باريسي الصنع.

رغم ثقافة خالها إلا أنه لم يستطع يوما أن يغير من طباع زوجته، واقع الأمر أنها هي التي أثرت عليه وغيرته، قد يخرج من بيته مرتديا جلبابه مكرمشا كأنه خارج من «بُق بوبى» وتظهر على كعوب قدميه تشققات قاتمة اللون كأنها خُطت بقلم ألوان أسمر.

حفاوة وسعادة بريئة على الوجوه وقبلات أخجلت لمياء، بحث بين الحضور عن حسن عبدالحميد لم تجده، ما جعلها تقبل السفر في ظل هذه الأحداث هو رغبتها في لقاءه، كانت في أشد الاحتياج إليه، تشعر بصفاءه ونقاء سريرته وحديثه الصريح أكثر من اللازم، براءته وعفويته، تحليله للأمور بلا نزعات أو أهواء، يُلقى برأيه مباشرة كأنه يحفظه، لم يتعلم المواربة.

بعد لقاء أسرى وتناول طعام خفيف أصرت على تقديمة زوجة الخال، تذهب لمياء إلى الحجرة التي ستبيت فيها، تشعر باضطراب

وزحام رهيب وأطنان من الأفكار تتزاحم في رأسها حتى يوشك
على الانفجار، شعور بعدم الاستقرار، تقف على أرض رخوة
تتمنى أن تصل إلى تلك الطبقة الصلبة، تصارع الأمواج باحثة عن
قشة تتعلق بها، لعلها حسن.

لم تستطع النوم بانتظام في هذه الليلة لاضطرابها الفكري
من ناحية ولانتشار الناموس في حجرتها من ناحية أخرى
رغم محاولات زوجة خالها المستميتة لرش الحجرة بالمبيد
والأقراص والسائل وأخيرا لجأت إلى الناموسية التي علقتها فوق
سريرها، نامت لمياء تحت الناموسية مع الإضاءة الخافتة كشهرزاد
في حواديت ألف ليلة وليلة، استعانت بكتاب وجدته بين مجموعة
كتب على ترابيزة في جانب الحجرة تتغلب بمضمونه على أرقها،
عنوان الكتاب «كتاب الطريقين إلى عالم آخرة أوزير.. نصوص
التعاويذ» تفاصيل فرعونية دقيقة عن الرحلة إلى عالم الآخرة،
تعاويذ يتلوها المتوفي في رحلته هذه كي يمر من كل العقبات التي
تواجهه، لكل مرحلة تعويذة، تتصفح لمياء في هدوء، تحدو عيناها
فوق الكلمات بلا تركيز، تصل إلى فقرة مطبوعة ببنط أثقل، معنونة
بـ الحساب في عالم الآخرة: قرأت لمياء بتركيز:

كان الاعتقاد الديني، في عهد بناة الأهرام، يؤكد على أن لكل
الناس محاكمات عامة في عالم الآخرة. لأن الأمر وقتها كان
يتطلب حضور المذنب للمحاسبة في عالم الآخرة عن ذنب
خاص اقترفه، فكان إله الشمس يعقد هناك محكمة للفصل في

أمثال تلك القضايا فيتم الحكم فيها وفقا لرأي المحكمة الذي قد يكون موجها لأسباب ما. لكن في العهد الإقطاعى كان إله الشمس يعلن أن كل إنسان مسئول عن خطيئته، وهذا النص الفرعونى يؤكد ذلك:

يا رع.. يا خالق الكون.. لقد جعلت كل رجل مثل أخيه وقد حرمت عليهم إتيان الشر ولكن قلوبهم هي التي تعصى ما قلت، إن ذنوب الرجل كانت تكوم بجانبه كالجبال في حضرة القضاة المهابين في عالم الآخرة.

لذلك، فإن حياة الانسان مهما كانت نقية فإنه كان من مستلزمات معتقدات هذا العصر أن ينتظر الانسان حتى يجتاز المحاكمة الخلقية للحصول على السعادة المنشودة في عالم الآخرة ولقد صار ذلك الشعور بالمسئولية الخلقية فيما بعد الموت من العوامل القوية في حياة الشعب المصري القديم غير أنه كان هناك عاملان قويان يعملان على هدم تلك المسئولية، أولهما: استمرار اعتقاد عامة الشعب في كفاية العوامل المادية مثل إقامة القبور مع توفير كل شيء فيها لضمان سعادة المتوفي في عالم الآخرة، وثانيهما: الاعتماد الزائد على نفع قوة السحر في عالم الآخرة وهو الاعتقاد الذي نال تشجيع الكهنة الذين تطرفوا في ابتداع تعاويذه لدرجة جعلتهم ينتجون تعاويذ سحرية تنفع المتوفي في ضمان قبوله خلقيا عند محاكمته في عالم الآخرة.



تغلق لمياء الكتاب وتضعه جانبها، تفكر لحظات في تلك الكلمات، الكهنة في العصور الفرعونية وهم رجال الدين يستغلون حاجة الناس إلى النعيم في عالم الأخرة، دخول الجنة يبتدعون لهم تعاويذ سحرية تكون عونا لهم لدخول هذه الجنة صكوك الغفران التي يمتلكها رجال الدين في كل زمان ومكان لماذا يجعل رجل الدين من نفسه قيما على منظومة عبادة الله على الأرض، رجل الدين ما هو إلا دليل يوجه ويوضح وللانسان مطلق الحرية فيما يفعله بعد ذلك، فكرة إفعل هذا ولا تفعل ذلك، فكرة تمقتها الحرية تمامًا، الأفضل أن تكون الفكرة: هذا صواب وهذا خطأ والأدلة هي... ويذكر أدلته.. ومـ...

رغم تغيير المكان وعدم الانتظام في ساعات النوم وإرهاق الأمس إلا أن لمياء تستيقظ في اليوم التالي تشعر بهدوء واستقرار جعلا ابتسامتها المشرقة تسبقها إلى حيث تتواجد العائلة في صالة المنزل. منزل واسع يتكون من ست حجرات ومطبخ وحمام غير صالة مساحتها كمساحة شقة في إسكان الشباب.

حكايات وتفاصيل أسرية وتبادل الأراء حول مشاكل الأقارب يعلوها باستمرار حديث ثابت عن زواج وطلاق.

بتنصف النهار، يجتمعون حول المائدة التي طلبها والد لمياء قبل أن يصل إلى القرية وهي الفطير المشلتت والقشدة والعسل الأسود والجبن القديم جدًا لدرجة ذوبانه في المش.



واقع الأمر أن الأرياف اليوم، أو على الأدق في قرية الكرامة، لم تعد تلتزم بتلك التفاصيل الريفية المميزة للطابع الفلاحى القديم، فأصبح من الصعب، بل ومن المستحيل أن تجد الفراخ البلدي تربية البيت منذ أن كانت بيضا مرورا بمرحلة الاحتضان ثم الفقس والتربية حتى ذبحها، تلك الفراخ «الشَمُورت» المميزة بالطعم والرائحة وحلت محلها الفراخ المهجنة، يشترونها كتاكيت من المعامل أو من شركات تستوردها. أيضًا لم يعد هناك صبر لدي السيدة الريفية أن تُنهك صحتها في صناعة الفطير المشلتت سيما وقد ظهر الفطير المشلتت في مخابز العيش الفينو التي انتشرت في المنطقة، لكنها لم تكن أبدًا لها طعم أو رائحة الفطيرة المخبوزة في البيت صناعة الفلاحات الماهرات، حتى الخبز الفلاحى قليلًا ما تجده في الريف بعدما انتشرت أفران العيش المدعم أو حتى غير المدعم وإذا قامت بعضهن بخبز أرغفة العيش لسد عجز أو لعدم ملائمة عيش الفرن المدعم لطبيعة البشر، تقوم بخبزه في الفرن الغاز، ومَن تربى أو حتى تذوق العيش المخبوز في الأفران المبنية من الطوب والطين التي وقودها القش وأقراص الجلة الناشفة ومختلف أنواع الحطب، يعلم جيدًا الفرق بين هذا الخبز وبين ما تنتجه أفران الغاز الحالية.

تناولوا بسعادة الفطير المشلتت الذي بذلت فيه زوجة الخال مجهودًا كبيرًا منذ أذان الفجر، مجهودا يعادل مجهود فريق ريال مدريد في الحصول على كأس ملك أسبانيا.

أثناء احتساء الشـاي في تكعيبة مظللة بشجرة لبلاب عتيقة أمام المنزل يتسامرون في مختلف الأمور، يأتي حسن عبدالحميد بخطاه السريعة وجسده الممشوق وعضلاته البارزة، بشرة لفحتها الشمس، شعر أسود بأطراف هشه بنية، عيون لامعة متفائلة باستمرار، ابتسامة تحتل وجهه، تشعر لمياء بموجة مضطربة تسري في أحشاءها وتغمرها نشوة تظهر مع شفتيها المذمومة تتأمله بإعجاب، تمنت لو أنه أكمل تعليمه العالى، تمنت لو يعيش ويعمل في القاهرة، تمنت لو تلاقت ثقافته مع ثقافتها، غريبة هي الدنيا، لا تصنع صورة مكتملة أبدًا، يبدو أن آية النقص بين الصور تهدف إلى تجاذبها كي تجتمع لتنتج نسيجا متكاملا.

تعلم لمياء جيدًا أن حسن لن يكون يوما فتى أحلامها الذي تود الارتباط به، رغم ذلك تشعر براحة ما في تواجده معها، تلك الراحة التي أذهلتها مرات كثيرة فيما مضى، حتى وصلت إلى أن هناك من نرتاح له فقط وهناك من نحبه، قالت في نفسها: كنت في ثانوي باحب الأحياء رغم كرهي للقسم العلمى.

يخرج والدها وخالها لصلاة العصر في المسجد، تستأذن للخروج كي تتنزه بين الحقول قليلًا، تطلب زوجة خالها من حسن مصاحبتها:

- بدالي يا حسن.. ما عنتش أقدر أمشى.. الموراتيزم مبهدلني يا ابن أختي.. ألا أمك إزيها.. لسه زعلانه مع نفوسه جارتها؟؟

تنهي جملتها ولا تنتظر إجابة، تمد يدها لتفرك بها ركبتها اليمنى بلوعة وتظل تمتم بعبارات أسى وندب الحال.

تقف لمياء التي ترتدي تريننج ورديًا من الستان، شعرها الكستنائي يتناثر على كتفيها في خفة، تظهر أصابع قدميها الرقيقة المزينة أطرافها باللونين الأحمر القاني والأزرق الأرجواني، يبدعون في طلاء الأظافر كما يبتدع اليابانيون في أجهزة الكمبيوتر.

عظيمة يا مصر يا أم الأمم.. هكذا غنت لمياء وهي تسير مع حسن بين الحقول، تملأ صدرها بالهواء المشبع بروائح النباتات المختلفة، مساحات شاسعة مزروعة برسيم، الذي يتدرج في ارتفاعه عن الأرض وفقا لحصاده المتتالي، متدرجا في ألوانه بين درجات الأخضر، يتأملها حسن على استحياء، إعجابه بها لا حدود له، يحترمها ويقدرها ويُثمن تعاملها معه، لا تتعالى كغيرها من فتيات مصر، يراها جوهرة يجب أن تظل مصونة في مكان أمين بعيدًا عن أيدي البشر، يدرك جيدًا أن تلقائيته هي التي قربته منها نوعًا ما، فاستمر في تلك الحالة المؤطرة بالاحترام، يقول لها:

- أيه الأخبار في مصر، المظاهرات اللي بيقولوا عليها يوم 25؟

- إنت أيه رأيك يا حسن؟

- بصي.. الناس في البلد دي ما ينفعشي معاهم غير العصاية.. لو أجرت واحد يوميه في الأرض، لو سهيت عنه شويه ينام أو يعمل عيان.



- ودي حلها أيه بقى؟

تود الاستماع إليه، تنصت لحديثه، لون آخر غير تلك الألوان التي تذوب بينها في القاهرة. يسعد لاستمرار الحوار، فيجيب بحماس:

- الطريحة.. ما فيش أحسن م الطريحة..

تقف لمياء، تتطلع نحوه في دهشة، تساءلت بدون كلمة، رفعت رأسها نحوه، رفعت شفتيها لأعلى فضاقت عينيها، تحولت إلى كتلة من الجمال، ألهبته، وقف مذهولا كمن أصيب بالزهايمر فجأة، يعود إلى الوجود قائلاً:

- نظام الطريحة.. نظام بيحمل الواحد المسئولية، عندك مثلا أرض البرسيم دي، لو حبيت أأجر واحد يحش البرسيم.. اتفق معاه على طريحة، يعني على مساحة معينه يحش برسيمها.. لو خلص ياخد حسابه، لو شغله طلع ناقص يبقى أجره ينقص بنفس القيمة، وبكدا كل واحد ياخد على أد شغله، نظام الموظفين اللي في البلد بتاع الجرى على المرتب آخر الشهر من غير شغل هو اللي مودي البلد في داهية..

- فهمت نظام الطريحة.. وعلى فكرة هو نظام إقتصادي متبع في دول كتير من العالم، وهو إن المقابل المادي يكون على قدر الانتاج.. لكن واضح من كلامك إنك بتحمل المصايب اللي بتمر بيها للناس مش للحكومة أو النظام الحاكم؟

- وهي الحكومة ولا اللي بيحكم جايين منين يعني؟ كل شيله بشيله..

مرة ثانية تتوقف وتنظر نحوه بدهشة متسائلة:

- نعم! يعني أيه اللي قولته دا يا حسن؟

- كل شيء له اللي يشبه له.. على بعضها تبقى: كل شيله بشيله..

تضحك لمياء بملامحها البريئة فتتألق أكثر مع نسمات رقيقة تهب مداعبة شعرها المسدل، كانا قد وصلا إلى الطريق المحاذى لنهر النيل، رائع منظر النيل من هذا المكان في انسيابه بين فسائل الأعشاب الخضراء وانعكاس زرقة السماء وقطع السحاب الداكنة على صفحته، يشير حسن نحو قارب صغير على حافة النهر، قائلًا:

- تحبى تركبى مركب.. المركب د ابتاع صياد صاحبى..

توافقه بإيماءه خفيفة وهي تتابع صورة الشمس على صفحة الماء وأسراب الطيور التي تحلق فوق المكان عازفة بتغريدها سيمفونية رائعة يبرزها أكثر نباح كلب بعيد أو نهيق حمار يتردد صداه مع أصداء صبية يلعبون الكرة في قطعة أرض بور بالقرب من النهر.

يهبط حسن نحو النهر تتبعه لمياء، كان لابد في تلك اللحظة أن تهبط منحدرا إن لم تحذره تسقط مباشرة، وقف أمامها حسن ومد يده نحوها ليسندها، أعطته يدها في هدوء وتلقائية، كثيرًا ما فعلت



ذلك مع أصدقاء في القاهرة حال القفز من مكان لآخر أو حتى عبور الطريق، مجرد مساعدة بين أصدقاء، الآن.. تشعر بحرارة وارتجاف وكلمات بلا حروف تسرى من يد حسن نحوها، تنتهي من هبوط المنحدر تسحب يدها برفق مدركة ما قد يحتمل بداخله كشاب لكنها تثق فيه، تصل إلى القارب، تستقر بداخله، يتعامل حسن مع القفل الموجود في السلسلة التي تثبت القارب بالشاطئ، لحظات ويحمل المجدافين من قلب القارب ويثبتهما في مكانهما على جانبيه ويبدأ في التجديف، كان يجدف بمهارة صياد محترف مثبتا قدميه في عارضة خشبية يبدو أنها مصممة خصيصا لذلك، يركز عينيه على لمياء التي تجلس في مواجهته تمامًا، تنظر في الفضاء الفسيح حولها، ترتد لمياء إلى الخلف قليلاً مستندة على مرفقيها، تنعم بكل شيء حولها، شيء ساحر ما تعيشه الآن، تذوب في المكان.. في الزمان.. تتلاشى.. للنشوة والسُكر ألف كأس غير الخمر، لا يجد حسن ما يفعله، يحترم صمتها وصفائها، يترك المجدافين على جانبي القارب ليتهادي مع اتجاه تيار الماء، يتمدد حسن على ظهره ناظرا إلى السماء، قرر أن يترك المكان حتى تطلب منه العوده.

تمر دقائق يرسى بعدها القارب على الشاطئ بين الأعشاب الكثيفة، ينعزلان عن العالم، ينتبهان لحظة توقف القارب يعتدلان، تتأمله لمياء، يبادلها النظرات، تتوه المعاني فلا تجد الكلمات طريقها إلى الوجود، يقترب حسن من منتصف القارب ولمياء تتابع حركته في صمت واستكانة.

■■■



(35)

حسام منصور

كثيرًا ما ينتهي الخلاف بين حسام منصور وزوجته سماح بأن يمط شفتيه ويشعل سيجارة سوبر ويجلس في بلكونة شقته التي تأخذ فرد واحد بالكاد رغم وجود مساحات فضاء شاسعة حول العمارة، بينما تنسحب سماح في هدوء لتجلس القرفصاء فوق السرير وتدخل في حالة بكاء صامت حتى تجف مآقيها.

ذلك ما حدث في هذه الليلة من ليالى يناير الباردة، عندما جلسا معا في الصالة يتابعان فيلم ملك الحرب لنيكولاس كيدج ذلك الممثل الذي يعشق حسام آداؤه فأحبته سماح بعدما تراءت لها جودته وإتقانه الحقيقى.

بعد فترة من الصمت تحدثت سماح:

- ربنا يعدي المظاهرات الجايه على خير..

- تعدي إن شاء الله. لازم الحكومة تعرف إنها حكومة على ناس من لحم ودم، ناس عندهم مشاعر وأحاسيس.. مش حكومة على قطيع مواشي يسوقوهم زي ما هما عاوزين..

- ممكن البوليس يعمل أيه مع اللي هايتظاهروا يا حسام؟

- البوليس!! آدي أخرة الأفلام الابيض وأسود.. ناقص تقوليلي على أمن الدولة القلم السياسى.. ولا المرور قلم المرور..

- الشرطة.. خلاص.. ما تقفشيى ع الواحدة.. ممكن الشرطة تعمل أيه مع اللي هاينزلوا؟

- شوفي يا سماح.. أنا فاهمك كويس قوى.. أوعى تنسى إني ربيتك على إيدي وقبل ما اتجوزك ما كنتيش تعرفي غير أدوات النصب والجزم يا مُدرسة نص كم..

- ولزمته أيه الكلام دا بقى؟

- عماله تجرجرينى في الكلام.. ما تجيبى م الأخر.. أقولك هاجيب أنا م الأخر.. أيوه يا ستى.. هانزل المظاهرات.. مستحيل أفوت الفرصة دي..

هل رأيتم من قبل قطة هادئة مرتمية على الأرض في هدوء وسكينة بل وتتثاءب، ثم فجأة تنتفض واقفة رافعة ظهرها لأعلى مكشرة عن أنيابها مصدرة مواءً صاخبا مفزعا لو استيقظ على إثره طفل من نومه مفزوعا لاعتقده العفريت أو أبو رجل مسلوخة بطل حكايات أبله فضيله؟



تلك كانت حالة سماح بالضبط بعدما أقر حسام ووقع بأنه سوف يشارك في المظاهرات القادمة.

في البداية تقبل حسام ثورتها على أساس أنها دقائق وتخمد العادة، لكنها لم تخمد هذه المرة، استمرت واستمرت، علت الدهشة وجه حسام، لِمَ هذا الإصرار من سماح؟ إنها المرة الأولى التي تتحداه بهذا الشكل.. يعلم وتعلم هي أن قراره نافذ ولن يتراجع عنه، لم هذا الانفعال؟

أخيرا تفصح سماح قائلة:

- منى.. زميلتي في المدرسة.. مُدرسة الانجليزي..

- أيوه.. مالها يعني؟

- جوزها أشرف ظابط..

- مش دي اللي كنتي بتقوليلي البوكس بيوصلها ويتشتم العسكري وتهزأه أدامكم؟

- أيوه هي. قالت لي إن اللي الشرطه هاتمسكة هايدخل المعتقل على طول، المرة دي مش هزار زي المظاهرات اللي فاتت بتاع كفاية ومش عارفه أيه..

- والله أعلى ما في خيلهم يركبوه.. أنا نازل يعني نازل يا سماح..

- وابننا يا حسام؟ وأنا.. مراتك حبيبتك..

- خلاص.. قلبتيها فيلم «لا تظلموا النساء» بتاع حسن الإمام يا بنتى عادي.. أنا هانزل أشارك في المظاهرات ولو فيه أي احتكا هابعد.. ما انتى عارفاني.. شاعر فقرى.. بتاع كلام يعني..

- طب ولزمته أيه بقى ما تخليك معانا وخلاص..

- مش هاعيد وازيد يا سماح.. نازل يعني نازل..

يسحب علبة سجائرة والولاعة الصينى من فوق الترابيز يخرج إلى البلكونة، تذهب لتمارس طقسها بعد كل خناقة، تبكي حتى تجف مآقيها.

لا شك أن خناقة مثل هذه سوف يكون لها مردودها لدي حسام وقد بدأ بالفعل يفكر في مستقبل ابنه وزوجته من بعده، يجب أن يعيد التفكير في مشاركته في المظاهرات.

هناك قانون يتحدث عنه رجال علم النفس يسمى قانون الاستدعاء، نفس القانون بالضبط موجود بين العامة من أبناء الشعب المصري ولكنه مسمى باسم آخر غير اسم قانون الاستدعاء، يطلقون عليه: يا ريتنى كنت افتكرت ألف جنيه. تلك الجملة التي نقولها عندما نذكر أو نتذكر شخصًا ما وفجأه نجده أمامنا، أو يتحدث إلينا عبر الهاتف فتنطلق تلك الجملة العفوية: يا ريتنى كنت افتكرت ألف جنيه. ومع تطور الزمن وظهور الأطماع لدي العامة بعدما سمعوا وشاهدوا تفاصيل حياة البذخ وأرقامها التي تحمل الأصفار السته، فقد تطورت الجملة أيضًا وأصبحت: يا ريتنى كنت افتكرت مليون جنيه.



في تلك اللحظة التي يفكر فيها حسام في مشاركته في المظاهرات القادمة، يتذكر توفيق عبدالستار وتلك الأمال المعقودة على تواجده بجواره في تلك المظاهرات، لقد وضعه توفيق في مصاف الثوريين العظماء فكيف يخذله؟

يتصل به توفيق عبدالستار:

- الو..

- الو.. أهلًا يا توفيق.. عامل أيه؟

- كله تمام.. المهم إنت يا بطل جاهز..

- إن شاء الله..

- جهزت لنا شوية شعارات نهتف بيهم في المظاهرات؟

- جهزت مجموعة كدا هاتعجبك قوى..

- طب يا ريت تبعتهم لي في رسالة على صفحتي، عشان أبعتهم لباقى الزملا.

- حالا يا توفيق..

- سلام.. آه على فكره.. بعت لك رسالة حالا على الخاص، إقراها كويس، دي بخصوص التعليمات الـ.. إقرا وإنت تعرف كل حاجة.. سلام بقى.

- مع السلامة..

ذرات التراجع المتسربة إلى قرار المشاركة قُضى عليها بعد هذه المكالمة، يشعل سيجارة جديدة، يتابع الشمس الهاربة إلى



مثواها، تئن مما تراه على الأرض طوال النهار.. تشتعل السما
تلتهب عيناها بحمرة دامية.. أيها البشر لِمَ تتصارعون؟ أيها البشر
لماذا تعيثون في الأرض فسادا؟ ألم يكفكم مئات الملايين رحلوا
عن أرضكم بلا جاه أو سلطان؟ رحلوا عنها حفاة عراة كما أتوها

يتذكر أبياتًا من قصيدة قرأها ذات يوم على صفحة من صفحات الانترنت وأعجبته:

أيا شمس كيف يهزمك الیل..

فيخلف بعدك شفقا حزينا..

أي بقاء لك بعد الهزيمة..

أترجعين؟؟

أم انك رضخت ذليلة ..

حاقت بك حمرة الغروب..

فتنزفين..

أتصبرين؟؟

أم انك سقطتي ضعيفة..

أطبق عليك الليل ظاهرا..

أتدبرين؟

أم أنك بكيتي دما حارقا؟

وتذرفين... دموعا سويعة..



وترحلين..

أتنازعين؟

ما لك تدبرين بنورك وتتركين..

ظلاما حالكا ولا تنازعين..

أتذهبين؟

وقد خلفتي سوادا قاتما

من غير بصيص نور وتهمسين:

ما خلق الله اليل والنهارا..

الا متعاقبين..

فاصبري..

لا بد للفجر أن يبين..

ويبدد بضيائه السواد المقيم..

حقًا.. مهما طال الليل لابد أن ينجلى..

يدخل إلى الصالة مناديا على سماح التي تأتي بسرعة معتقدة أنه سيخبرها بقرار عدم المشاركة في المظاهرات:

- نعم يا حسام؟

- إعمليلى كوباية شاى وتعالى نكمل الفيلم.

■■■

(36)

لمياء سعيد

كأنما يفيق حسن عبدالحميد من حلم يقظة فجأة، فيقترب من منتصف القارب فجأة بينما تتابعه لمياء في صمت واستكانة، لم تحدد رد فعلها بعد، هل تستجيب له أم تنهره بشدة، يقف على مسافة خطوة منها.

تصنع لمياء الهدوء مع ابتسامتها الرقيقة الواثقة، يجلس حسن في موقع القيادة، يمد يده ليمسك بالمجدافين ويبدأ في التحرك بالقارب مجدفا ضد التيار، تتنفس لمياء بسعادة، فلم يُفسد حسن جمال الصورة بتصرف أهوج، هو أقرب للحفاظ عليها أكثر من نفسها، صفات الشهامة الملتصقة بالفلاح المصري تتجسد في هذا الشخص، تقف برشاقة وتمد يديها نحو السماء، تتحدث إلى حسن.. إلى نفسها.. إلى الفراغ.. إلى العالم.. إلى الكون..

- نفسي أطير..

- أهو دا اللي مش ممكن أبدًا..

يقولها حسن ضاحكا.. تنظر نحوه وهي تجلس في مكانها الأول وتقول:

- ليه مش ممكن؟! كل شيء دلوقتي ممكن يا حسن..

- ممكن تطيرى؟

- ما شوفتش اللي بينزلوا من الطيارة على ارتفاع كبير، يطيروا كتير جدًّا في الجو وكأنهم طيور، وقبل ما يوصلوا للأرض يفتحوا الباراشوت..

- المهم يكون فيه باراشوت قبل ما يطيروا.. يا ريت تقعدي بدل ما تقعى.. صعب الواحد يقف في المركب وهي بتجرى.

تجلس أمامه مباشرة وتنظر في عينيه، تقرر الهجوم، لمياء لا تخلو مع جمالها من شقاوة الأطفال بعد، تود أن تلهو قليلًا، صياد ماكر يتلذذ بعذاب فريسته، أخفت ابتسامتها وتصنعت الجدية وقالت:

- حسن.. عمرك ما حبيت؟

يُباغت بسؤالها، يرتبك لحظة، يبدو ارتباكه في عدم اتساق يديه في التجديف، ينظر نحوها فيجدها تتابعه منتظرة، فيجيبها متصنعا اللامبالاة:

- حبيت.. حبيت واحده من كام سنه..

تضحك لمياء، تتمادي في ضحكها، يحمر وجهه خجلا، يتوقف عن التجديف وهو يتابعها مدهوشا:

- ممكن أعرف بتضحكي على أيه؟

- أنا أسفه بجد.. أصل إنت قولت: حبيت واحده.. أمال يعني حبيت واحد؟!

قالت جملتها من بين ضحكاتها الجميلة، يبتسم حسن لحظة ثم يضحك، تجيبهما طيور تحلق فوقهما بتغريدات رائعة. تهدأ لمياء، تحاول التماسك وتسأله:

- خلاص بقى.. نتكلم جد.. أيه اللي حصل بقى؟

يجدف حسن بهدوء حتى لا ينجرفا مع التيار، فيبدو لهما أن القارب يتحرك بينما لو شاهدوه من بعيد لتأكدوا من أنه يقف مكانه لا يتحرك، يقول في هدوء مانعا لحظات الأسى من احتلال ملامحه:

- رفضت ترتبط بواحد فلاح.. عاوزه موظف حكومى..

يهز رأسه كمن ينفض قطعة ثوب ينفض عنها الغبار، يجدف بشدة فيتحرك القارب فجأة، ترتد لمياء للخلف لحظة ثم تعتدل، يكمل قائلًا:

- موظف حكومى له مرتب ثابت.. حتى لو ملاليم.. وإنتِ بقى..

- أنا أيه؟

- عمرك ما حبيتي؟

تضحك لمياء موارية علامات توتر، لم تشعر يوما بالحب الذي يجعلها تحلق في فضاء الكون، لم تشعر بتلك الانتفاضة اللذيذة التي تسلبها قوتها، التي تجعلها كائنا ملائكيا لا بشريا، زمت شفتيها فزاد اكتنازهما، قالت:

- لسه.. لسه مستنيه الفارس اللي ياخدني على حصانه الأبيض..

- إلا أيه حكاية الفارس اللي يجي ياخد البنت على حصان أبيض دي..

تندهش لمياء من جملته، خرج بها فجأة إلى منطقة أخرى تماما، فعلا.. من أين اتت تلك الصورة؟ لم تشاهدها فتاة ممن تتمناها من قبل، إنها صورة من صناعة السينما وحكايا الرغبة، يخرجها من شرودها وهو يكمل:

- اللي أعرفه.. زمان كان ياخدها على الجمل في الهودج لو البيت بعيد.. لو قريب، يزفوهم على رجليهم.. بعد كدا بقى فيه عربيات.. ودلوقتي فارس الأحلام بياخد البنت في التوك توك..

يضحكان بشدة.. ينطلقان ضد التيار.. فجأة تصرخ لمياء، تنكمش مكانها فزعة وقد سلطت نظرها نحو شيء في الماء، ينظر



حسن إلى حيث تنظر، يشاهد، في مواجهتهم مباشرة، ثعبان ضخم على صفحة الماء رافعا رأسه إلى أعلى.

يضحك حسن، يتزايد ضحكه كلما شاهد فزعها من الثعبان في الماء، تنظر نحوه مستنكرة، يتمالك، يحدثها بأن الثعابين هنا، في الماء، من أضعف الكائنات ويود بأي شكل الوصول إلى البر، تهدأ قليلا بعدما تشاهد الثعبان يهرب بالفعل عندما يشعر بوجودهم ويختفي في قلب النسيلة التي تتوسط النهر. يعلق حسن ببساطة وهو يجدف نحو شاطئ النهر:

- التعابين هنا غير تعابين بلاد بره.. سامه آه.. بس جبانه..

تعود لمياء إلى المنزل، والداها خرجوا في زيارة عائلية مع خالها، تجلس مع زوجة خالها التي لا تكل ولا تمل من الحديث طوال ساعات صحوها، وكثيرًا تثرثر في أحلامها، تحدثها عن ميلة بختها بالخلفة والعيال وخالك مكبر دماغه خالص يا لمياء، كل همه في الكتب اللي بيقراها وأصحابه اللي بيقعد معاهم يتكلموا في أحوال البلد وآخر الليل كل واحد ينام مهدود وخلاص.

تواري لمياء ابتسامتها من حديث زوجة خالها، تلقي بكل همومها على زوجها وهي الكسولة التي ترهل جسدها وزاد وزنها عن حدود العقل، ودت لمياء لو قالت لها أن خالها على حق، فلماذا يجلس في المنزل مع كتلة بشرية بحجمها، لكنها خشيت من مصارحتها فتماسكت وقالت بهدوء:



- الحق عليكي يا طانط.. الرجالة الأيام دي بيتفرجوا على التليفزيون والفضائيات بتذيع بلاوى.

- التلفزيون؟!.. وهي جت على التلفزيون يا حبيبتى..

- فيه أيه تاني يا طانط؟

تمصمص شفتيها وتلوى بوزها يمينا ويسارا وكأنها تستعد لإلقاء خبر غاية في الأهمية ثم تتنهد وتقول:

- خلي الطابق مستور يا حبيبتى.. خلينا في حالنا عندنا ولاي

- لأ بجد يا طانط.. تقصدي أيه؟

- التليفونات يا لمياء.. بلاوى يا حبيبتي.. إشى صور وإشى أفلام وكله كوم النسوان بتوع الشحن كوم تاني.. بس الحق خالك مالوش في الكلام دا كله..

- أيه نسوان الشحن دول يا طانط؟

تلتفت كلية نحوها وتزحف قليلًا على مقعدتها فوق أرضية الحجرة واضعة يدها على ركبة لمياء كأنها تستعد لبداية إحدى حكايا ألف ليلة وليلة، فتقول:

- دول يا أختي لا تعرفي نسوان متطلقة ولا بنات عوانس ولا أيه بالظبط، معاهم تليفونات محمولة يتصلوا بالشباب والرجالة وهات يا كلام..

ترتبك لحظة وتنظر في كافة الاتجاهات ثم تخبرها هامسة:



- كلام في سـرك يا لمياء.. بس أوعى تجيبى سيرة إن أنا قولت لك..

توارى لمياء ضحكتها، تنحنى نحوها، ترسم علامات الاهتمام والجدية على وجهها وهي تقول:

- عيب يا طانط.. سرك في بير..

- كلام.. كلام في قِلة الأدب..

قالتهـا ممطوطة شـاهقة وخبطـت بيدها علـى صدرها مصدرة صوتًا لا يتناسـب مطلقا مع همسها الأخير فتفزع لمياء من الخبطة تعدل في جلسـتها على مقعدها، تشـعر بالإثـارة وبرغبة ملحة في استكمال الحديـث مع زوجة خالهـا، تُظهر على ملامحها دهشـة بالغة فيها وهي تعلق كالمصعوقة من الخبر:

- كلام.. قِلة أدب؟!

- وحياة لمياء عندي.. لهو أنا هاكدب عليكي..؟

- وبيقولوا أيه بقى يا طانط؟

- لأ يا لمياء لأ.. اتكسف..

تصمت لحظة يبدو أنها راجعت فيها نفسها فوجدت أن صمتها سينهي جلسة السمر هذه، فقالت:

- مرة حسـنية مرات إبراهيم معروف عرفت إن إبراهيم جوزها بيكلم نسوان على تليفونه..

ذكرت الأسماء السابقة بتلقائية شديدة كأن لمياء تعرفهم حق المعرفة ولم تتوقف لتشرح عمن تتحدث، إنما أكملت بنفس التلقائية قائلة:

- راحت بقى حسنية شاريه تليفون مستعمل من عند الواد سو.. فوم بتاع التليفونات..

- تقصدي سوكا فون.. أنا شوفت المحل بتاعه على الطريق

- أيوه هو دا اسم الله عليكي طالعه نبيهه لمرات خالك المهم.. حسنية جابت التليفون واشترت خط جديد واتصلت بجوزها، بس غيرت صوتها شوية يعني..

- قالت له أيه؟

- قالت له أيه؟! يا أختى على اللي قالته.. بقت تقوله كلام يودي في داهيه وهو زي الطور وقع على طول وهات يا مسخرة في التليفون (تضحك) تقوله أنا نايمة على السرير.. أنا لابسه قميص لونه أحمر شفتشي.. أنا مش عارفه أيه..

تتخيل لمياء تلك المواقف، تضحك فتغطى سعادة طفولية ملامحها، تستحث زوجة خالها على الاكمال بإشارة من يدها:

- وبعدين يا طانط؟

- بقت تخليه قاعد معاها، وتقوم متصله بيه وهو مش واخد باله، يقوم يشوف الرقم، يتلخبط ويقوم يخرج من البيت، ويقولها طالع



واحد صاحبي بيرن عليا.. وأول ما يطلع يفتح الخط ويتكلم..
وهي بقى تفتح معاه زي كل مرة وتقول له كلام سكس..

ذهلت لمياء عند سماعها مثل هذه الكلمة في هذا المكان ومن سيدة مثل هذه، فتحدثت كأنها تعود من لحظة شرود:

- بتقول له كلام أيه؟!

- لا.. دي كلمة ما تتقالشي غير مره واحده..(تُكمل بلا مبالاة) اشتغلته كتير يا لمياء؟ ست شهور يا حبيبتي.. لغايه ما خلته يكلم نفسه..

- طب هو ما رنش عليها مره كدا وهو في البيت وتليفون حسنيه رن؟

- ما هي الأروبه كانت عملاه صامت.. وبعدين هو ما كانشي بيتصل إلا لما يخرج بره..

- وبعدين.. أيه اللي حصل بعد المدة دي كلها؟

- في الأول كان يرجع من بره مبسوط ومزاجه عالي وينام معاها كإنهم لسه متجوزين.. بعد شويه.. بقى يسرح كتير.. لغاية ما بقت دماغه مع التليفون ليل ونهار واللعبة قلبت جد، كان بيحب الست اللي بتكلمه في التليفون وبيفكر فيها ليل ونهار وكره مراته والبيت والعيال وبطل يطلع يشتغل..

- للدرجة دي؟



تصمت لحظة وتظهر على وجهها لمحة غضب سريعة وهي تقول:

- يعني هاكدب عليكي يا لمياء؟

- مش قصدي يا طانط..

- المهم يا ستي.. أكمل لك.. حسنية زهقت وقالت تقفل الموضوع دا، كلمته في يوم وقالت له ما عنتش تكلمني أحسن جوزي هايرجع من السفر، قعد يتحايل عليها يجي ساعه إنهم يتفقوا على مواعيد يكلمها فيها، قالت له مش هاينفع وقفلت السكة وشالت الخط من العده، بقت تشوفه بعد كدا يتصل بالتليفون وبعدين يفصل وهو بينفخ.. فضل أكتر من شهر يحاول يتصل بها وتليفونها مقفول..

- وبعدين؟

- قطيعة تقطعهم هما الاتنين..

- ليه بس كدا..

- في يوم البت حسنية قالت تحركه كدا بدل ما هو قاعد زي جالوس الطين، طلعت على الأجزخانة واشترت حبيتين ورجعت..

- حبيتين أيه يا طانط؟



- فراجـرا.. وقامـت رامياهـم أدامه.. بص لها مـن فوق لتحت وقام نـازل فيها ضرب.. ما هـو أصله فهم قصدها مـن ورا حكاية الفراجرا دي، إنه يعني مش ولابد..

- يقوم يضربها؟

- هي يعني اللي خلت له.. مش باقولك الاتنين عايزين الحرق بجاز وسـخ، دي فضحتـه على اللي بيكلمها فـي التليفون، ضربها بالشـلوت وبالبونيـات، لقت في سـكتها غطا حلـة راحت حدفاه، قام الغطـا طاير وجاى بحرفه فـوق عينه عـوره، اتجنن وجرجرها من شعرها في الشارع، الجيران اتلموا والشـارع ترشى فيه الملح ما ينزلش الأرض ومابقاش للناس كلام في البلد كلها غير حسـنية وجوزها.. في الأخر، سافر على السعودية.

- اتطلقوا؟؟

تمصمص بشفتيها متعجبة من سؤال لمياء وهي تجيبها:

- اتطلقوا !! دي حسنيه اتفطرت م العياط وهو مسافر وحضنته في الشارع قبل ما يركب العربية ويسافر.. في ستين داهية.. يا اختى بلا وجع قلب، لما أقوم أعمل لك شاى بلبن..

حكايات زوجة الخال عددها بعدد أهالى القرية، أرشيف كامل يحفـظ كل صغيرة وكبيرة عنهم، أغلب عمرهـا الماضى قضته في أحاديث النميمة والقيل والقال.

تنصت لمياء وتضحك حتى امتلأت، نسيت كل شيء تركته خلفها في القاهرة وتظاهرات الغد، وما رتبته من قبل مع إيمان سمير، تتذكر تليفونها المحمول الذي تركته في غرفتها. تذهب لتجلبه لتطمئن على الأوضاع لكنها لم تجده.

تنتظر حتى عودة والديها من الخارج، تسأل والدتها فتخبرها بأن تليفون والدها قد سقط على الأرض فتكسر وأنه أخذ تليفونها ونزع شريحته ووضع شريحته هو لأنه ينتظر اتصالا مهما، تمط لمياء شفتيها متقبلة الوضع باشمئزاز قليل، تقبل الأمر على مضض، لم يسعفها تفكيرها في تلك اللحظة لمعرفة الحقيقة حول قيام والدها بهذه الخطوة وفي هذا التوقيت بالذات.

■ ■ ■



(37)

المواجـهــة

25 ينـــايـــر 2011

لم يكن حسام منصور يتوقع نزول هذا العدد من الشباب في هذا اليوم، قرر أن يتواجد في الأماكن المشار إليها، التي أرسلها إليه توفيق عبد الستار عبر رسالة إلكترونية، قراره في النزول لم يكن ذلك القرار المصيرى، يعتبره تواجدًا عاديًا جدًا، سيشارك في أي تظاهرات يردد ما يرددونه، قال في نفسه «لو المظاهرات مش أد كدا.. واستمرت حالة التراخى رغم الانتشار الرهيب للفياجرا، هارجع بيتى في هدوء.

شباب كثير، فكره خام بكر، يطمح في التغيير الحقيقى، يأمل في الحصول على فرصة حقيقية ليتعامل فيها بشكل آدمى، يشاهد دولًا أقل عراقة وفكرا من بلده لكنها سبقتها بنصف قرن على الأقل.

الشباب لم يتخيل يومًا أن إيمان سمير أو غيرها قد تقا[illegible]
مبالغ مالية بحجة تسيير الأمور ومساعدتهم في التحركات [illegible]
أجل الانتفاض، الوطنية والسعي للصالح العام يجب أن يكو[illegible]
بلا مقابل، الشهامة لا تباع ولا تشترى، الشاب الذي يخلع ملا[illegible]
ويلقي نفسه في النيل كي يُنقذ غريقًا يلفظ أنفاسه الأخيرة، لم يكـ[illegible]
ينتظر أبدًا مقابلا. هذه هي الفئات الحقيقية التي تنتشر في الشوا[illegible]
الآن، من نوازع داخلية ورغبات حقيقية في التغيير.

يصل حسام إلى كورنيش النيل أمام مبني الإذاعة والتلفزيو[illegible]
قوات الأمن منتشرة أمام المبني، حركة المرور تسير بشكل طبيعي
يقف حسام مستندا على حديد الكورنيش، يشعل سيجارته ويتابع
الموقف بهدوء، بعد دقيقة يشاهد أحد قيادات الشرطة المتمر[illegible]
بين جنود الأمن المركزي وجميعهم يرتدون ملابس الشرطة
السوداء، يشاهده وهو يميل على أذن رائد شرطة ويشير نحو
حسام، يتحرك رائد الشرطة بهدوء، يعبر الطريق حتى يصل إليه:

- واقف كدا ليه؟

يرتبك حسام لحظة، لم يتوقع صدامًا مباشرًا معه وحده بدو[illegible]
رفقاء، استجمع شجاعته وحاول الابتسام وهو يجيبه:

- ما فيش.. عندي ميعاد هنا..

يغمز حسام بعينه مع ابتسامة حاول قدر الإمكان أن تخر[illegible]
خبيثة، يغتاظ رائد الشرطة بشدة، تعليمات وترتيبات وتوجيها[illegible]

بعد عدة أيام وإعلان حالة استنفار قصوى داخل الوزارة، يتعاملون بأعصاب تحفها نيران مشتعلة وحضرتـه جاى يقابـل المُزة على الكورنيش ويركبوا الحنطور ويتحنطروا، أيام ما يعلم بها إلا ربنا!!
وقعه الرائد في كتفه كي لا يترك للحديث فرصة للاستمرار:

- اتقابلـوا فـي أي مصيبـة تانيـة بعيـد عـن هنـا.. الحكاية مش ناقصاكم انتوا كمان.

بسرعة رهيبة يستخرج حسام حقنة يخفيها في مكان أمين داخل الذاكـرة، حقنة يُطلق عليها اسـم «حقنة الحمـار» تجعل من يصبها في جسـده أشـبه بالحمار وقد تدلت شفته السفلى وارتسمت على وجهه بلاهة.

يصـل حسـام إلى تلـك الحالة النفسـية التـي يبرع فـي تنفيذها سريعا، فأدلى شـفته السـفلى ورفـس برجله اليسـرى في الأرض وكاد ينهق وقال:

- هو فيه أيه يا باشا؟ حد مهم جاى زيارة هنا؟

يغتاظ الرائد أكثر، لكنه يتمالك ويكظم انفعاله وقال:

- أيـوه يا خويا.. إعمل نفسـك من بنهـا.. اتحرك من هنا قولت لك بدل ما أسحبك ع البوكس.

- حاضر يا باشا.. ماشي.. بلاها المُزة النهارده.

يتحرك حسـام متوجها إلـى ميدان عبد المنعـم رياض، لا يعلم لماذا يتم الربط بين من يتعاطى حقنة الحمار وأهل بنها؟



يرسل نظره وهو يمر من أمام مبني دار الإذاعة المصرية، يرصد كم جنود الأمن المركزي المتحفزين في صفوف، خلفهم مدرعات الشرطة، خلف المدرعات يتمركز عدد من الرتب يدخنون بشراهة، يحملون أجهـزة تطلق صفيرا متقطعا ونداءات مختلطة، يبدو أنهم يتعاملون مع الحدث بشكل مختلف عما سبق، طبيعى أن يتم ذلك بعد أحداث تونس وهروب رئيسها، للظلم طعم واحد.

فجأة يشـاهد حسـام الجنود يتحركون بسـرعة، ينقسـمون إلى قسمين، الأول يقطـع الطريق القـادم من اتجـاه عبدالمنعم رياض ليمنـع مـرور السيارات والكائنات، والقسـم الثاني يتوجـه ناحية وزارة الخارجية، يتوقف حسام ليتابع الموقف، كان هناك عدد من الشباب، ثلاثون تقريبًا، يصله هتافهم:

- عيش.. حرية عدالة.. اجتماعية..

يتقـدم الرائد الذي كان يتحدث مع حسـام منذ لحظات وخلفه عـدد من الجنود لمواجهة هذه المجموعـة التي تتوقف مكانها في تلك المنطقة التي تتوسـط مبني ماسـبيرو ومبني وزارة الخارجية، عـدم مرور السـيارات جعل الطريـق خاليا تمامًا إلا مـن الفريقين، يتبقى فقط موسيقى تصويرية بألات نحاسـية ونفير إعلان الحرب ليتحـول المـكان إلـى أرض المعركة، تلـك التي كانـت بين جنود أحمد مظهر وحمدي غيث في فيلم الناصر صلاح الدين، يتوقف الرائد لحظة وخلفة يتوقف الجنود بدون أي إشـارة للتوقف كأنهم مربوطـون بـه بقضيب حديـدي غير مرئى، يتابع حسـام المشهد



يستمر ذلك التحفز بين الطرفين، كل كتلة حريصة على التماسك، إن انفرط أحدهم لحظة واحدة، نُكل به.

يرتد رائد الشرطة ليغوص بين مجموعة جنوده وفي لحظة واحدة تنطلق قنبلة غاز مسيلة للدموع، تنطلق من قلب تجمع الجنود في اتجاه المجموعة المتظاهرة التي تتفرق في مختلف الاتجاهات، يغطى الدخان المكان، من قلبه يخرج أربعة يمسكون اثنين من الشباب، الأربعة يحملون عصى قصيرة يضربون بها عليهم ويتجهون بهم نحو الجنود، الأربعة كانوا من لحظات بين الشباب ويهتفون معهم نفس هتافهم، يتلقف الجنود الصيد يهالون عليهم ضربا وسحلا، يقتادونهم إلى ما خلف المدرعات حيث يختفون عن الأنظار.

مجموعة الشباب يلتقون مرة أخرى، يعتلون الكوبرى وقد تحولوا إلى كتل غاضبة مما أصابهم وما أصاب زملائهم المقبوض عليهم، يحمل أحدهم قطعة حجرية ضخمة ملقاه على الرصيف ويلقيها بشدة على أسفلت الكوبرى أمامه، تتفتت إلى أجزاء صغيرة، يحملونها لتكون سلاحا يقذفون به جنود الشرطة، ينحدرون عبر منزَل الكوبرى متجهين مرة أخرى نحو أرض المعركة، تسلحهم أعطاهم قوة وجرأة، لديهم إصرار على العبور نحو ميدان التحرير، الدعوات طلبت منهم التجمع هناك.

يتصل حسام بتوفيق عبدالستار، يود أن يعلم مكان تواجده، تلك الفتاة صاحبة الرسالة الصوتية «هذا الهاتف ربما يكون مغلقا



حاول الاتصال في وقت لاحق» تحظى بكراهية الشعب المصري بأكملة، آه لو كشفت عن شخصيتها..

أين أنت يا توفيق؟ عليه أن يتوجه نحو ميدان التحرير لكن لا يعلم ماذا ينتظره هناك ويخشى ترك الأحداث أمام ماسبيرو.

سحابة غضب سوداء تغطي المكان، تُسقط أمطارها على الحضور، تروى بذور فتنه وتفرقة بين أبناء الوطن، تنبت البذور شجيرات صبر ذات أشواك صلبة، تتحول إلى أسلحة في أياديهم بغضب وشراسة يهجمون.

يفتح حسام كاميرا تليفونه المحمول ليرصد ذلك الصدام المتوقع، تنطلق مرة ثانية قنبلة مسيلة للدموع لتفريق مجموعة المتظاهرين، يتفرق الشباب ولكنهم لا يرتدون للخلف، في لحظة واحدة بعد صرخة أحدهم تنطلق قذائف أرض جو من الحجارة وكسر الطوب نحو جنود الأمن المركزي، المجموعة الموجودة في المقدمة تحمل دروعًا زجاجية، يتلقون بها قذائف أعداء الوطن، كما وصفهم أحمد سبع الليل من قبل في فيلم البرئ.

تدور رحى المعركة ويتابعها حسام بالكاميرا، يركز نظره في الصورة الظاهرة على شاشة المحمول، لا يشعر بتفاصيل ما يدور حوله.

فجأة يجد نفسه بين اثنين.. شاهدهم من قبل يهاجمون غزالة شاردة في غابات جنوب أفريقيا وفقا لبرنامج عالم الحيوان تعليق

محمود سلطان، البرنامج انقرض وبقى هذان الضبعان ليقبضا عليه بشدة، يقتاداه إلى حيث الآخرون، خلف المدرعات.

■■■

يقف توفيق عبد الستار بجانب احدي البنايات العتيقة بجوار جروبي يرقب التواجد الشرطي في ميدان طلعت حرب تارة والتحرير تارة أخرى، يأتي أحمد عبدالهادي وهاني فؤاد وقد علت وجوههم انفعالات كثيرة، ذهول أصاب الجميع، المواجهة مع الشرطة بدأت مبكرا، كانوا يتوقعون مسيرات تعترضها الشرطة بالقلق، لكن تحول الأمر إلى صراع مباشر، كر وفر، إلقاء القبض على الشباب وكل من تقع عليه أيديهم بشكل عشوائي، من يحاول الاعتراض مشيرا إلى أنه يسير في الطريق عادي، يتلقى لكمات وضربًا بعصى ثقيلة، المفاجأة التي أذهلتهم أولئك الذين يتواجدون بين صفوف المتظاهرين، يهتفون معهم، يشعلون الأحداث وفجأة يحجزون بعضهم، يعرقلونهم حتى يتم إلقاء القبض عليهم.

تعلو وجه هاني فؤاد علامات استنكار، شاردا رغم اشتعال الموقف، روح عدائية تلك التي سيطرت على المجموعات الشبابية، يسيرون في مسيرات تهتف ضد النظام وتطالب بالعيش والحرية والعدالة الاجتماعية، تقطع عليهم الشرطة طريقهم إلى الميدان، فجأة تنطلق قذائف الطوب نحو الجنود الذين يستعملون

القنابل المسيلة للدموع لتفريق المتظاهرين، تتزايد الاشتباكات
أكثر ما أذهله قنابل المولوتوف، شباب أتى ليتظاهر لايصال رسالة
إلى النظام الحاكم وجهاز شرطته، تطورت الأحداث إلى حمل
حجارة الرصيف وتفتيتها لاستخدامها ضد جنود الأمن المركزي
ومعاونيهم ممن يرتدون الزي المدني، هذا الشباب المتظاهر من
أين أتى بزجاجات مملوءة بالمواد البترولية وفتائل يصنعون منها
قنابل المولوتوف يهاجمون بها الجنود؟! توجه إلى توفيق بهذا
التساؤل، يمط توفيق شفتيه معلقا:

- الشباب قدروا يتصرفوا بسرعة يا هاني، اتصل بإيمان كدا
شوفها فين دلوقتي، تليفوني وقع مني وأنا باجرى اتكسر..

يُخرج هاني تليفونه، يتصل بإيمان، تخبره بمكانها، يخبرها
بأمر المولوتوف فتصرخ فيه بأن الشرطة تهاجمهم بمنتهي العنف
وأي وسيلة للدفاع مباحة الآن، تطلب محادثة توفيق عبد الستار
ينصت توفيق قليلاً ثم ينتهي الاتصال، يعيد التليفون إلى هاني ثم
يصرخ في الشباب المتناثر في كل مكان، لحظات ويتحولون إلى
كتلة بشرية، يقف فوق مكان مرتفع، بصوت جهوري يتحدث إلى
الجمع:

- يا شباب، هانلف في الشوارع، بعيدًا عن الميادين وأماكن
تجمعات الشرطة، هانهتف بأعلى صوت، ونادي للناس تنزل من
البيوت، ورايا: انزل انزل.



يجوبون الشـوارع، يهتفون ضد النظام ويدعون الناس للنزول، طوفان، لم تكن مجموعتهم هي الوحيدة التي تفعل نفس الشـيء، في أكثر من مـكان تعالت الصيحات والهتافـات تدعو الجماهير للنزول إلى الشوارع.

تنزل الجماهيـر إلـى الشـوارع مدفوعـة بمشـاعر مختلطة من الشعور بالظلم أو طلبا لثأر بائت مع رجال النظام أو رغبة حقيقية في التغيير والانتقال إلى وضع أفضل كأوضاع الحياة التي يشـاهدون تفاصيلها على الشاشـات، إنهم بشر مثلهم لكنهم يعيشون حياتهم مستمتعين بـكل تفاصيلهـا، لمـاذا لا نحصل علـى حقوقنا ونحن شعب نمتلك كافـة الامكانيات، لمذا نرضخ لقلة تسـرق أرزاقنا؟ بمثل هـذه الهموم وتلـك الدوافع وبـروح كلها عشـق لتراب هذا الوطن نزلت الجموع إلى الشـوارع تهتف وتهتف لتزلزل الأرض تحت أقدام النظام القائم.

■■■

في هذا الجـو الملتهـب والأحـداث المتلاحقة، بداخل شـقة في التجمـع الخامس يجلس الشيـخ إبراهيم السـيوفي والدكتور صالـح حفظـي ومجموعـة يزيـد عددهـم علـى العشـرة، بعضهم يرتدي ملابس رسـمية كاملة وبعضهم يرتـدي ملابس منزلية تدل على أنهم يستقرون في هذا المكان، الشيخ إبراهيم السويفي كان ممن يرتدون ملابس المنـزل ويجلس إلى جـواره الدكتور صالح

يتهامسون، بينما يتناول بعضهم سندوتشا وآخر يحتسي الشاي بالقرنفل، أغلبية العيون تتابع الأحداث عبر قناة الجزيرة الفضائية تليفزيون 42 بوصة LCD، الشاشة مقسمة إلى أربع أجزاء وفي أوقات ستة أجزاء، تنقل من أماكن مختلفة، الصورة مهتزة أحيانا لكن صوت المعلق ثابت لأنه من الاستديو.

واقع الأمر أن فريق العمل في تلك القناة كان قد استعد لذلك الحدث منذ فترة طويلة، استطاع خلال الشهور الماضية أن ينتشر بشكل مكثف بين الجماهير، برامج على أعلى مستوى من التقنية تنقل نبض الجماهير ومعاناتهم، لقاءات وحوارات مع مختلف الفئات والطوائف وأصحاب المهن، تعرض مشاكلهم، يخلقون نوعا من الجذب الجماهيري. عندما يتم تسجيل حلقة من إحدى القرى أو حتى فقرة لا تتعدي الدقيقة، تتابع هذه القرية بأكملها القناة، كي تشاهد بعض أبنائها على شاشة الجزيرة القطرية، أثناء تلك المتابعة يتلقون الأفكار المراد بثها من قِبل إدارة القناة.

حينما يشاهد أصحاب المشكلات أنفسهم على الشاشة وهم يعرضون تفاصيل معاناتهم يشعرون براحة وهدوء كأن المشكلة قد حُلت أو كأن ظهورهم على الشاشة جائزة تقابل همومهم.

شهدت القناة استعدادًا تقنيا غير عاديا حيث استقبال مشاهد الفيديو عبر التليفون المحمول وأجهزة الكمبيوتر عبر الأقمار الصناعية، فتحت المجال عبر شبكة الانترنت لاستقبال أي صور أو فيديوهات يرسلها أي مواطن، يتم عمل المونتاج اللازم لها



وتلخيصها حيث انتقاء أكثر المشاهد إثارة للرأي العام ومن ثم عرضها على شاشة القناة أكثر من مرة.

فريق إعداد كامل على أعلى مستوى يتقاضون مبالغ خرافية، يضم كتابا محترفين لإعادة صياغة التقارير بشكل أدبي لضمان التأثير على الجماهير.

أفلام وثائقية تعرض على مدار الساعة، يتم تكثيفها يوم الخميس، سيما تلك الأفلام التي تثير المشاعر ضد النظام الديكتاتوري الحاكم لضمان شحن الجماهير المجتمعة في اليوم التالي لصلاة الجمعة لتكون انطلاقه ثورية غاضبة.

تقارير ومشاهد عن أنظمة ديمقراطية وحقوق الإنسان فيها وكيف يعيشون في رفاهية وينالون حقوقهم كاملة في مختلف المجالات ويركبون السيارات الفارهة ويعيشون في مساكن محترمة، وقد تكون هذه الدول التي تمارس الديمقراطية مواردها أقل كثيرًا من موارد مصر، تحدث المقارنات، يزيد الاحتقان داخل النفوس.

منذ شهور يتم الإعداد لهذا اليوم، منذ شهور يتم انتقاء وتدريب كوادر إعلامية ذات أصوات شجية تؤثر في القلوب وتلمس العواطف، منذ شهور استقال عدد من إعلاميّ هذه القناة في ظروف عادية جدًّا والتحقوا بالعمل في قنوات داخل مصر. هذه الاستقالة من قناة تعطى بلا حدود ونسبة مشاهدتها بلا حدود

أيضًا كي يلتحقوا بقنوات أقل مالا وشهرة أمر يثير الشكوك. لكن
ما أن نعرف أن عددًا من الاجتماعات قد عقدت في مقر Greater
Freedom أسفرت عن هذا التوزيع الجديد للخريطة الإعلامية
ويدرك من يتأمل إعادة توزيع إعلامييهم بهذا الشكل تفاصيل
الأمر كاملة. لكن ذلك تم في وقت لا يتحمل التأمل بسبب تلك
الأحداث العظيمة التي تمر بها المنطقة.

الغريب في الموضوع أن تلك القنوات الموجودة داخل مصر
استقبلت هؤلاء الاعلاميين المنشقين عن قناة الجزيرة استقبال
الفاتحين وفردت لهم مساحات واسعة وفي أفضل الأوقات
مشاهدة، بل وأعلنت عنهم وعن برامجهم بإعلانات ضوئية
ضخمة في الشوارع والميادين وعلى الطرق السريعة، اعتمدت
على تاريخهم السابق في قناة الجزيرة ولم تبحث مطلقا خلف
الأسباب التي جعلتهم يتخذون مثل هذه الخطوة وكأن عملهم
السابق في تلك القناة صك المرور إلى ما يشاءون.

الحقيقة التي يعلمها الشيخ إبراهيم السويفي والدكتور سيف
الدين عبدالستار أن إعادة توزيع الإعلاميين الموالين على قنوات
أخرى بحيث يتم الوصول إلى كافة الشرائح والتيارات الفكرية
المختلفة، قد تم وفقا لخطة محكمة مبنية على دراسات عديدة
قامت بها الدكتورة كاثرين روبين، الخبيرة الإعلامية الدولية، لنشر
الأفكار والحصول على الدعم الجماهيري والدفاع إن تطلب
الأمر.

ما يحدث على أرض الشارع في مصر أربك أغلبية القنوات التلفزيونية والمحطات الإذاعية، إلا قناة الجزيرة التي كانت تعلم جيدًا ما تفعله ومتى تتحدث وبأي حديث تتحدث وإلى من توجه حديثها، حتى تلك العقول التي لاحظت ذلك الهجوم الشرس وتعمد القناة لإبراز المساوئ والابتعاد عن أي مميزات، وصفتها القناة بأنها عقول مريضة وعملاء الحزب الوطني الذي تعمد، ولا يزال، الكذب على المواطنين.

تذيع القناة فيلما تسجيليا عن تاريخ الحزب الوطني منذ مصطفى كامل وكيف تم تحويل الحزب الذي كان حزبا وطنيا بالفعل إلى حزب مصالح ونخبة فاسدة ترتشي وتسرق، يشير الفيلم الوثائقي عن تلك السهرات الحمراء لرجال الحزب ولم يهمل عرض خريطة بالأسماء والأملاك التي تذهب بالعقول معتمدين على أفعال مجموعة فاسدة حكمت وسرقت ولم تهتم بالمواطنين.

الحرب الإعلامية التي صاحبت 25 يناير كانت أكثر قوة وتأثيرًا مما يحدث في الشارع، لم يمر يوم الخامس والعشرين وتهدأ الأوضاع ويعود الشباب الثائر إلى منازلهم ليتابعوا ما حدث خلال اليوم عبر القنوات، إلا وتبث قناة الجزيرة مشاهد كثيرة ومتباينة لعنف الشرطة مع المتظاهرين العزل، تتسارع اللقطات العنيفة مع القنابل المسيلة للدموع مع موسيقى تصويرية حماسية، ضرب وسحل والقبض على كل من تطوله أيديهم.



تستمر قناة الجزيرة وعدد غيرها ممن سبق واحتووا إعلاميها
السابقين، في بث تلك المشاهد ويُجرون حولها التحليلات
والتعليقات مع البار نيوز الذي ينقل نبض الجماهير عبر رسائل sms
تلك الرسائل التي يعلم مصدرها جيدًا الشيخ إبراهيم السويفي.

يُضاف إلى اللقطات والتحليلات والبار نيوز الأخبار العاجلة
يكفي أن تظهر كلمة عاجل على الشاشة ويكتب تحتها أي خبر
لتثير الجماهير وتحرك المشاعر.

عاجل: القبض على العشرات من المواطنين في شوارع القاهرة
وبعض المحافظات.

عاجل: منظمات حقوق الإنسان تدين العنف الذي تستخدمه
الشرطة المصرية لقمع المحتجين على سوء الأوضاع المعيشية.

عاجل: اختفاء نبيل فهيم الناشط السياسى وأسرته تُحمل جهاز
الشرطة المسئولية كاملة.

عاجل: عشرات الجرحى والمصابين لا يجدون عربة إسعاف
أو مستشفي لانقاذهم.

عاجل: أمريكا تنظر بعين دقيقة لما يجرى من أحداث في مصر.

عاجل: الاتحاد الأوروبى يطالب الحكومة المصرية بالاستماع
إلى مواطنيها.

عاجل: تركيا تدين بشدة أعمال العنف في مصر وتطالب
رعاياها بتوخى الحذر.



عاجل: إنجلترا تدرس إستدعاء السفير المصري للاستفسار عما يحدث في مصر.

عاجل: ....

عشرات الأخبار وكل خبر حوله عشرات التحليلات واللقاءات والاتصالات التليفونية، ولا يعلم أحد حقيقة تلك التصريحات ومن هو مصدرها الفعلى.

الأغرب كانت الأخبار التالية:

عاجل: نشطاء سياسيون يدعون لاستمرار التظاهر غدا حتى يتم تحقيق كافة المطالب.

عاجل: أنباء عن مسيرات ضخمة غدا تتوجه عبر شوارع القاهرة نحو ميدان التحرير.

عاجل: نشطاء: عشرات الآلاف لن يتركوا الشوارع والميادين إلا بعد تحقيق مطالبهم.

كانت تلك رسائل موجهة عبر القناة باستمرار التظاهر خلال الأيام التالية وأيضًا حددت الأخبار أماكن التجمعات وفقا لتصريح النشطاء.

القنوات الأخرى تنقل عن قناة الجزيرة، المُتلقى يأخذ عن هذه القناة أو تلك وينقل الخبر إلى من لم يعلمه، ينقله على أنه خبر حقيقى، يتحول الحوار العادي بين العامة في كل مكان حول النزول في الغد، البعض يتخوف ويقرر ألا يغادر منزله غدا بعدما



شاهده على الشاشات من تعامل عنيف، تسود حالة من الصمت والهلع والتوتر والارتباك بين عامة أبناء الشعب.

أين كانت السلطة المصرية مما يحدث في الشارع المصري؟

هذا السؤال ألقته لمياء سعيد على والدها وخالها وهم يشاهدون ما يحدث عبر الشاشات، كان يجلس معهم حسن عبد الحميد، بعد الكثير من الأحاديث التي تُحمل الشرطة مسئولية ما يحدث في الشارع، يتحدث حسن قائلًا:

- من كام سنه كنا بنلعب كورة في الجرن، الماتش كان حامي قوى، وفريقنا كان مغلوب وكنا في عرض جون نعدل به النتيجة، زميلى شاط الكورة من ناحية الكورنر فجأة، الكورة وصلت لي لوحدي والمرمى فاضى، أنا والكورة والشبكة فاضية وبينى وبينها متر واحد.. أظن مافيش أحسن من كدا.. قمت شايط الكورة زي الصاروخ.. بس كنت باشوطها وأنا مستهتر.. مش مركز فيها قوى.. طارت الكورة طلقه.. بره المرمى واتغلبنا.

إنها تلك الثقة المفرطة التي تعاملت بها الحكومة المصرية مع الحدث، حتى إن بعضهم قال:

- زوبعة في فنجان..

و قال آخر:

- مطالب الجماهير على رؤوسنا من فوق.



تستغل القنوات تلك التعليقات على أنها إما سخرية وإما ضعف وإما تهدئة للأوضاع لحين القبض على النشطاء، أيا ما كان الوصف، كانت تلك الثقة تأتي بنتيجة واحدة وهي الإصرار على استمرار التظاهر.

يتلقى الدكتور صالح اتصالا على تليفونه المحمول، ينصت لحظات ثم يغلق الخط يدنو من أذن الشيخ إبراهيم هامسا:

- المجموعة اللي طلبتها اتحركوا دلوقتي..

- يوصلوا القاهرة على الساعة كام؟

- مع صلاة الفجر..

- كويس قوى.. ينتشروا في الجوامع اللي اتفقنا عليها.. خمسات خمسات.. ينشروا بين الناس إن الكل هايتظاهر النهارده.. يطلعوا بعدها على الشقق اللي في العناوين دي (يعطيه ورقة) في كل شقة هايكون في انتظارهم مجموعات تانية وعندهم كل اللي هايحتاجوه من أزايز وجراكن بنزين ومسدسات خرطوش. أهم حاجة مهما حصل، ماحدش منهم يهتف بهتافات الجماعة ولا يجيب سيرة الجماعة خالص، إحنا موقفنا واضح من الأول إننا بعيد ومش هانشارك. لازم بكره وبعده المظاهرات تبقى أكبر من النهارده، عاوزين نوصل ليوم الجمعة وتكون الشرطة خلصت كل اللي عندها عشان نبدأ إحنا في تنفيذ خطتنا.

■■■



تعود إيمان سمير إلى شقتها في الثانية بعد منتصف الليل، من أسبوع وهي لا تستقر في مكان دارت في الشوارع، دخلت مطاعم وكافيهات، التقت بأصدقاء، أشعلت السجائر على النواصي أمضت نصف ليلها عند صديقة والنصف الثاني عند أخرى، فعلت كل شيء يلقى بها بعيدًا عن منطقة الشكوك.

الحقيقة التي لم يدركها الكثير أن ما حدث كان مفاجأة غير متوقعة بكل المقاييس، فقد خرج الوضع عن السيطرة، تفرقوا وتشتتوا، وقف أباطرة الأمس عاجزين مكتوفي الأيدي، كمدرس مسئول عن رحلة أطفال يقودهم في طابور طويل وفجأة يتفرقون في كل الاتجاهات.

جهاز أمن الدولة يقدم كشوفًا طويلة بأسماء المسئولين عن قيادة المظاهرات إلى الشرطة، الشرطة في الشوارع، لا تجد الوقت الكافي كي تلتقط أنفاسها، جنود الأمن المركزي شباب يطيع الأوامر بالضبط، يُقاد بسهولة، لكنه لا يمتلك القدرة على الابتكار وحل الأزمات، يجندونهم من بين الشباب الأمي الذي لم يحصل على أي قسط من التعليم، لم يتخيلوا مطلقا أنهم سيستمرون في الشوارع بلا ماء أو طعام، انهكوا بالفعل، فلم يتم تدريبهم على ما يحدث، والحقيقة أن التدريب في جهاز الشرطة يكاد يكون معدوما من سنوات طويلة حتى ظهرت لأفراد الشرطة ترهلات على الأجناب وتضخم في المؤخرات مع بروز في البطن.

مع تغيير النوبتجيات كان جنود قوات الأمن يتساقطون بوجوههم المرهقة الملوثة بالدماء على إثر بعض الإصابات من آلاف الحجارة وشظايا زجاج المولوتوف، أجسادهم الغارقة في العرق المتجمد مع الأتربة وأدخنة المواجهات لم تعد تقوى على الوقوف، يتذكر بعضهم تلك المشاهد التي تعرضها السينما المصرية عن العائدين من حرب 67، ينظرون إلى زملائهم الخارجين إلى الخدمة بدلا منهم بعين الشفقة ولا يمتلكون قدرة على التعبير عما شاهدوه أو يعانوه، قادتهم من الرتب الشبابية في المواجهة لم يتخيلوا يوما أن يتعامل معهم المواطنون بهذا الأسلوب، لدرجة أن أياديهم ظلت بنعومة سنوات التلمذة وشفاة حمراء على بشرة بيضاء معطرة باستمرار، اليوم يخوضون حربا بمعنى الكلمة.

أكثر ما كان يؤلم تلك الرتب الشبابية هو أن الأوامر الصادرة هي التعامل مع المتظاهرين وفقط، لم يوضحوا ما هي نوعية وحدود التعامل وما نوع الأدوات المستخدمة في هذا التعامل سيما وأنهم غير مسلحين إلا بالقنابل المسيلة للدموع والعصى وبعضهم مسلح ببعض الطلقات لكنه يعلم أنه لو استخدمها لوقع تحت طائلة القانون. المتاح لهم هو عند الهجوم عليهم يستخدمون الرصاص في أماكن معينه وبشكل هندسى يكاد يصل إلى أن يطلب الضابط من المتعدي عليه أن يقف بشكل معين ولمدة معينة تسمح له إصابته وفقا للمواصفات !!



الأمر برمته خطأ..

خطأ في التعامل مع المواطنين، خطأ في التعامل مع أفرا
الشرطة أنفسهم، خطأ في المواجهة.. إرتجال.. تسيب.. تو
إنحلال أخلاقى ووظيفي..

ترتمي إيمان على الكنبة في الصالة شاعرة بإعياء شديد، إرها
الأيام الماضية يظهر أثره عليها دفعة واحدة، تمد يدها إلى كيس
بلاستيكي تستخرج منه ساندوتش شاورما تقضمه لسد الجوع بلا
تلذذ، تذهب خلف أفكارها.. تتوه بين أحداثها، لاتعلم كم من
الوقت مر عليها وهي على هذه الحالة، لقد نامت فيما يبدو، تتألم
وهي تحاول الجلوس، تتحامل ملقية قطع ثيابها في كل مكان حتى
تصل إلى الحمام عارية تمامًا، تقف تحت الماء الساخن دقائق
تشعر بهدوء نوعا ما، تشرد فيما مر عليها من أحداث، شعرت بنوع
من القلق خلال المدة الفائتة بسبب غياب لمياء سعيد، التليفون
مغلق ولا إجابة على رسائلها على الفيس بوك، تخرج من الحمام
وقد احاطت جسدها بفوطة كبيرة الحجم وشعرها بفوطة صغيرة،
تصل إلى غرفة نومها، فجأة، صرخت صرخة مكتومة، وقفت
مذهولة مما كان في انتظارها.

■■■

بعد حوالى ساعة زمن من القبض على حسام منصورة اقتيد
خلالها داخل مدرعة مع أخرين إلى مكان غير معلوم، لم يكن



يسير على الأرض بقدميه كما طبيعة البشر، إنما يدفعه عسكري بركلة من قدمه ويتلقفه آخر بهراوة على صدره، يرتمي أمام ثالث مترنحا فيقابله بقبضة يد حديديه تفقده ما يتبقى من ملامح في وجهه، يسقط بين أكوام البشر التي يتم القبض عليها في حجرة، يعلم بعد ذلك أنها حجرة حجز قسم الأزبكية.

ما كان يشغله زوجته وابنه، إن هو بالفعل قبع في المعتقل، معلوماته أن المعتقل حياته مرتبطة بعامل الصدفة وليس الحق أو القانون، فإن كان محظوظا يتم العفو عنه في أي وقت، أما إن كان سيء الحظ فيظل ملقى في جوانب النسيان حتى يأتيه الموت كقرار عفو للخروج من هذا المكان.

تمر الليلة الأولى على الأسرى وهم جلوس القرفصاء، وجبة دسمة لعساكر أميين في سن المراهقة يودون إثبات قوتهم، ينال حسام ما لم يتخيله في حياته، ضرب وسحل، كدمات في كل مكان، لا يستقر له وضع بسبب الآلام الرهيبة التي يشعر بها، مع كل ضربه يصرخ بشدة وعلى لسانة عبارة واحدة:

- أنا كنت بعيد.. ما قدرتوش عليهم ومسكتوا اللي ماشي لوحده..

- إخرس يا ابن الكلب.. (ركلة شديدة بالبيادة في صينية ظهرة) أمال يعني هاتقول إنك معاهم.. خد..



ركلة ثانية وثالثة... يغمى عليه.. من شدة الألم يفيق، لا يدري كم مر من الوقت وهو يتألم الضرب، العطش، الجوع، فقد الزوجة والابن..

يُفتح باب حجرة الحجز بصريره المرعب، مع كل فتحة لهذا الباب تخور قواهم وتذهب عقولهم وتتحجر أبصارهم، مؤكد ضربات جديدة موجعة على أماكن هي في الأصل متورمة.

عسكري يقف بجسده الضخم ليسد باب الحجرة، يتأملهم، بعضهم يرفع يده ليتقي بها الضربات المتوقعة، بعضهم فقد القدرة حتى على رفع يديه، بعضهم تحول إلى جسد لا يبالي فسكن.

يشير العسكري إلى هذا وذاك وثالث ورابع، يختار عشرة ممن وضعه حظه في بؤرة اهتمامه، حسام من بينهم، يصرخ فيهم بأن يتبعوه.

يسيرون حتى الباب الرئيسي للقسم، يفتح العسكري الباب أمامهم، قائلًا:

- اتكتب لكم عمر جديد.. على أمك منك له..

يقفوا مذهولين، ينظرون لبعضهم ثم نحو العسكري غير مصدقين، أهي خدعة أم مكر يمكرونه؟ يصرخ فيهم العسكري:

- هاعد لحد تلاتة.. ورحمة أمي اللي ماتت وهي بتولدني.. اللي هلاقيه ما هارحمه ولا يشوف الشارع تاني..



بأقدام عارية جريحة يهرولون في الشوارع على غير هدي، يلامسون ببعض لا يعلمون لماذا؟ لم يعرف أحدهم الآخر من قبل.. بعد فترة من الجرى، هدأوا.. ثلاجة سبيل في الشارع إرتووا منها وصبوا مائها البارد على وجوههم الملتهبة، طشت كنار تطفأ بالماء، يتماسك حسام لحظات ليرتب فيها أفكاره ثم يتوقف متحدثا إليهم:

- بحالتنا دي يا رجاله، لازم نرجع بيوتنا.. أنا هاروح على عبد المنعم رياض آخد حاجة لسته أكتوبر.. سلام..

يتفرقون في هذا الصباح الباكر من يوم الأربعاء 26 يناير، حالة من الهدوء تسود الشوارع، ألا يزال الوقت مبكرا؟ أم خشى الناس الشوارع فآثروا السكينة؟

الميكروباص المتجه يركب حسام ميكروباص متجه إلى السادس من أكتوبر ميدان الحصرى ومن هناك سوف يستقل توك توك حتى شقته في إسكان الشباب.

لماذا خرج؟ يسأل نفسه.. هل لأنه قُبض عليه ظلما؟ لا.. لا.. لقد كان الإفراج عن هذه المجموعة عشوائيًا.. ظل يبحث عن سبب حتى غفت عيناه. لم يستطع عقله التوصل إلى السبب الحقيقى والذي أصدره الضابط كأمر للعسكرى:



- خف الحجز يا مسعد.. اختار شوية رقيقين ويكونوا خلصانين عشان يروحوا يترموا في حجر أمهم أسبوع ولا اتنين وما يرجعوش يقرفونا تاني.

- أمرك يا باشا..

هـذا هـو الأمـر وبمنتهـي البسـاطة، يفـر حسـام مثـل كتكوت صغيـر تحت المطر يبحث عن مأوى، ينـزوى.. ينكمش في مقعد الميكروباص الخلفي ما بين النوم والتيه حتى ينهره السائق:

- خـلاص.. آخـر يـا أسـتاذ.. ولا تحـب أوصلـك حتـه تانيه مخصوص؟

لا يجيبه حسام، يجر جسده، ينزل من السيارة ليلقي بجسده في أول توك توك.

ربع سـاعة تقريبًا داخل تلك العلبة العجيبة الآتية من بلاد السند والهند، يتأرجح حسام بداخلها في الاتجاهات الأربعة، تصم آذانه أغاني مبهمة لا يميز فيها غير رزع يدق على طبلة أذنه مصمما على خرقها، سباب وخناقات لا تنتهي بين سائق التوك توك والمارة أو سائقوا السيارات التي يقطع عليها طريقها بلا سابق إنذار.

يصعد شـقته، يدق الباب فلا يمتلك قـدرة للبحث عن المفتاح بين مجموعة المفاتيح تفتح سماح الباب بسرعة كأنها واقفة خلف الباب، في الصالة يقف كل الحضور مذهولين وهم ينطقون باسم حسام في نفس اللحظة كأنهم كورال في فرقة الموسيقى العربية،



يطلع وجوههم: زوجته ووالديها وابنه وشقيقة الأصغر آخر من
وقعت عليه عيناه، ثم يسقط مغشيا عليه.

■ ■ ■

دهشة تغمر إيمان سمير، واقفة وقد لفت جسدها بفوطة كبيرة
بألوان زاهية يغلب عليها اللون الأحمر، شعرها المبلل ينسدل في
خصلات متلاصقة على كتفيها تاركا قطرات ماء تسيل من أكثر من
مكان لتتجمع في ذلك النهير الذي ينسحب بين تفاحتي صدرها
المكتنزتين يحملان طرف الفوطة الأعلى..

يجلس على مقعد في زاوية الحجرة ناجي عبداللطيف وقد
أشعل سيجارته.

متى دخل إلى هنا وكيف ولماذا؟

أسئلة تصارعت باحثة عن إجابة داخل رأس إيمان سمير، لم
يتركها كثيرًا في حيرتها، وقف مقتربا منها، ترتد إلى الخلف، آتية
من أحداث جسام ولا مجال أبدًا لما يرغب فيه مستر هاني، سوف
تواجهه، يقف أمامها وقد أمسك بيديها قائلًا:

- إيمان.. آسف لوجودي هنا.. لكن تليفوني متراقب ومشيت
في أكتر من طريق على ما قدرت أهرب من بتوع أمن الدولة وأجي
هنا..

- ممكن تنتظر في الصالة على ما ألبس هدومي..



- ما فيش وقت.. أنا هاخرج حالا..

- إنت دخلت هنا إزاي؟

- من يوم ما وافقتي تنضمي للمنظمة يا إيمان وإنتِ جزء منها ولو عاوزة الحقيقة.. إنتِ ملكها..

- أنا مش ملك حد ولو سمحت أنا عاوزة أفهم إنت دخلت هنا إزاي؟

- ما فيش وقت للكلام دا.. لازم أقولك أنا عاوزك في إيه وأمشي..

- حاضر.. ألبس هدومي ونتكلم.. انتظرني في الصالة..

- الصالة مزروع فيها كاميرات..

- أيه؟!

تقولها بدهشة ناظرة نحو باب الغرفة بخوف..

- ما تخافيش.. الأوضة هنا أمان.. يا ريت تسمعيني كويس بكرة هاتحصل حاجات كتير قوي..

- أكتر من اللي حصل في اليومين اللي فاتوا..

- أكتر بكتير يا إيمان.. اللي حصل دا كله كان هدفه استنزاف جهاز الشرطة واستهلاكه عشان ما يقدرشي يقاوم اللي هايحصل بكره، بالإضافة لإثارة الرأي العام ضد النظام أكتر وأكتر والناس تنزل بكثافة..



- وبكره الناس هاتنزل بكثافة؟

- المعلومات اللي عندي إن الأعداد بكرة هاتكون كبيرة جدًا يا إيمان.. المهم.. الورقة دي فيها خمس أماكن لازم مجموعاتك يتواجدوا فيها للتغطية..

تجلس إيمان على حافة السرير وقد نسيت تمامًا جسدها المحاط بفوطة، تتأمل الورقة والأماكن المحددة فيها، تدرس ما عليها القيام به لحشد المجموعات الشبابية في تلك الأماكن، لحظات وتهدأ، تتذكر كلمته «للتغطية» فتنظر نحوه متسائلة:

- تغطية على أي شيء يا مستر ناجي؟!

- على اللي هايحصل في أماكن تانيه يا إيمان.. شوفي.. زي ما قولت لك إنتِ ملك المنظمة ودا كلام منتهي.. نتكلم بصراحة بقى..

- يا ريت..

- بكرة.. جهاز الشرطة لازم ينتهي.. عارفه يعني أيه ينتهي؟

- أنا مؤمنة بدا.. جرائم الشرطة كتير ولا يمكن نغفرها لهم.. لكن الأماكن دي هاتتجمع فيها ليه وهي بعيده عن عيون الاعلام؟

- لو دققتي النظر.. كل مكان من دول بيقع في دايرة قسم من أقسام الشرطة وكل قسم مطلوب منه يخرج بقواته يواجه التجمعات دي خصوصا إنها كلها هاتبقى عند أماكن حيوية تهم الدولة، محاكم.. بنوك.. سفارات.. وزارات.



- هاتخرج قوات من القسم تواجه التجمعات؟

- طبيعي.. التجمعات تستنزفها من ناحية.. ودا أمر هايكو
سهل بعد اللي حصل لغاية دلوقتي.. ومن ناحية تانية هايكون ف
مجموعات تانية هاتهجم على أقسام الشرطة دي.. المجموعا
دي مكونة من أهالي المحجوزين في الأقسام على ذمة قضايا..

- أهالي المحبوسين على ذمة قضايا؟! ومين قال إنهم
هايخرجوا..؟

- إحنا مش بنلعب يا إيمان.. الناس دول معروفين بالاسم من
فترة وفيه مجموعات وصلت لهم وخلاص خارجين بكرة.. المهم
باقي المجموعات اللي هاتهاجم الأقسام هايكونوا مسلحين عشان
لو فيه أي مقاومة حصلت.

- وطبعا أدام الرأي العام كله إن دول أهالي المحجوزين في
القسم بيخرجوهم؟

- تمام.. دورك إنتِ وباقي الشباب والجماهير المتعاطفة اللي
هاتنزل معاكم إن المواجهة تستمر من بعد صلاة الجمعة لغاية
الساعة خمسة.. ما تسيبوش أماكنكم مهما حصل قبل الساعة
خمسة..

- حتى لو هجموا علينا واستخدموا القوة؟

- استخدموا انتوا كمان القوة.. وهايكون في وسطكم كام
واحد مجهز عشان يساعدوكم..



تندهش إيمان لحظة سماعها العبارة الأخيرة، دهشتها ليست نابعة من تواجد آخرين مجهزين يندسون بينهم، إنما نبعت دهشتها من أن ذلك تم بدون علمها واستشارتها، لكن الأيام القليلة المنصرمة حملت الكثير من المفاجآت على رأسها ذلك الجالس أمامها في حجرة نومها، تغلبت على تلك المشاعر المتضاربة بداخلها ثم سألت:

- ممكن أعرف ليه التوقيتات دي وليه التأكيدات دي كلها على إننا نفضل موجودين لغاية الساعة خمسة؟

- المنتظر إن الشرطة هاتخرج للمواجهة معاكم حوالى الساعة اتنين ونص.. المجموعات هاتهجم على أقسام الشرطة الساعة تلاتة.. المجموعات اللي في الأقسام هاتبقى ضعيفة وعددها قليل وحاجة من اتنين يا هايهربوا أو هايقاموا..

- ولو قاوموا؟

- ها يتم تصفيتهم..

■■■

الساعة الحرجة من اليوم..

مصطلح لم يظهر للوجود كثيرًا ولكن يعلمه جيدًا، كثير ممن يبحثون عن ساعة يمارسون فيها أعمالهم الغير مشروعة، تلك الساعة التي تسبق صلاة الفجر هي الساعة الحرجة التي تغرق فيها البلاد في ثباتها العميق..



صمت رهيب يعم الأرجاء في ذلك الوقت، ظلام دامس تخترقة أشعة شحيحة واهنة، نباح كلاب تستأنس ببعضها البعض لتهزم خوفا يكاد يستولى عليها، أنين مرضى في فرشهم يمتصون أنفاسهم الأخيرة في تلك الحياة الدنيا بعناء، ورديات الليل في المستشفيات خامدة إلا من همس ممرضات شابات في تليفوناتهم المحمولة يعشقون، يهتكون أغشية الحياء مع السهارى.

حتى الرياح الشتوية خمدت ولم تترك غير صفير ضعيف مع الشرفات والنوافذ كأنه استغاثة قطة مريضة تضع أطفالا لا تعلم لهم أبا.

الكل يتعامل خلسة وخفية كأن على رءوسهم أكثر من رقيب يسترقون منه لحظة شرود.

لكن هناك في شقة التجمع الخامس يجلس بيقظة تامة الشيخ إبراهيم السويفي ومرافقوه، يتحدث همسا في تليفونه المحمول:

- سيروا على بركة الله.. تقفوا في الأماكن اللي اتفقنا عليها وما تبدأوش الهجوم غير لما توصلكم الاشارة.. وخلى بالك يا شيخ كل شيء مباح.. المهم ترجعولنا برجالتنا كلهم..

ينصت قليلًا قبل أن ينهي المكالمة ثم يتوجه ليجلس بين المجموعة مجيبا عن سؤالهم الذي لم يخرج من أفواههم، فيقول:

- إن شاء المولى عز وجل، العربيات واللوادر اللي عليها والرجالة المسلحين، يوصلوا المكان المتفق عليه جنب السجن

الساعة أربعه بعد الضهر.. هاينتظروا مننا إشارة الهجوم..
المطلوب رجالتنا هنا ينهوا المهمة على الساعة أربعه.. خمسه
الكتير تكون الشرطة انتهت..

تباينت التعليقات والأمنيات، اضطربت النفوس وعلت
داخلها شحنات كهربية أشعلت ما بداخلها، يقتربون من تحقيق
الحلم الذي طالما انتظروه وأفنوا أعمارهم وأعمار ذويهم معهم
من أجله، اليوم هو اليوم الفاصل في تلك الأعمار إما سقوط
وزوال، أو انتصار واستقرار على الأرائك.

يتحدث الدكتور صالح بمخاوفه:

- كل أحلامنا متوقفه على حشد الجماهير بعد صلاة الجمعة..

يبتسم الشيخ إبراهيم مطمئنا:

- هايكون فيه حشد غير عادي يا دكتور صالح، ما تنساش إن
أغلبية أعضاء الجماعة لسه ما شاركوش في المظاهرات.

- مش قادر أتصور هزيمة الشرطة يا شيخ إبراهيم..

- الشرطة اتهزمت فعلا يا دكتور صالح.. أفعالها في الكام
يوم اللي فاتوا أسقطتها أدام العالم كله مش الشعب وبس، أمال
شبابنا على الانترنت وقناة الجزيرة بيعملوا أيه..؟ وبعدين رجل
الشرطة ما هو إلا مواطن عنده حياته وأسرته اللي يخاف عليها
وعنده أطماعه، ولحظة الجد هايمشوا، وخصوصا لما رجالتنا
اللي بينهم، ينشروا الشائعات بإن القادة هربوا..

- شائعة هروب القيادات ممكن يتم تكذيبها بظهور القيادات أدام الناس..

- لو دا حصل مجهزين كلام تاني يا دكتور حفظي..

ينظر صالح نحوه مستفهما دون أن ينطق بكلمة، فيكمل الشيخ إبراهيم فيقول:

- يتم نشر: ليه العساكر والظباط الصغيرين يتبهدلوا في الشوارع والكبار بتوعهم قاعدين في مكاتبهم وبياخدوا كل الامتيازات صدقني يا دكتور صالح.. الكلام دا يكسر الحديد، مش عساكر وظباط عايشين حياتهم في السنين اللي فاتت ومتدلعين ومرفهين ع الأخر..

- نصر الله قريب إن شاء الله يا شيخ إبراهيم..

- أذان الفجر خلاص قرب.. بينا نتوضأ ونصلى جماعة.. بسم الله الذي لا إله إلا هو.. توكلنا على مولانا..

■ ■ ■

بعدما يفيق حسام منصور من غيبوبته يطلب من زوجته ووالديها وشقيقه الأصغر ألا يسألوه عن أي شيء، فقط يتوجه إلى الحمام، يحصل على دش يعيد إليه بعضا من نشاطه، الماء قادر على بث الحياة بداخلنا، يخرج في صمت محاطا بأنظار الجميع، يجلس بينهم شاردا، يتناول لقيمات لا طعم لها، فقط لتملأ ذلك الخواء الداخلي، يحتسي كوبا من الشاي، يشعر بسريان الدماء في عروقه

نفس حتى يملأ رئتيه للمرة الأولى منذ ساعات طويلة مرت
كالدهر، يقف تاركهم بين طيات دهشتهم وثناياها، يدخل حجرة
نومه ويغلق خلفه بابها، يستقبل سريره، لأول مرة يشعر بقيمة هذا
السرير وهذه الغرفة وهذه الشقة وبابها حتى بلاطها نظر نحوه
بحب وحنين.

ينعزل هنا عن العالم كله، هو حسام منصور الإنسان، لا أحد
يقدر ذلك غيره هو، أهين ككلب أجرب، ضُرب وسُحل وسُب
أبويه بأقذر أنواع السباب، لم يتخيل يوما أن تُجرح كرامته، اليوم
ألقيت كرامته كعقب سيجارة ودهستها قدم وحشية، هل أخطأ؟
هل شطح بأدميته إلى درجة تفوق طبيعتها؟ هل ارتكب جرمًا
بتخيله أن له حقوقا يجب أن يدافع عنها؟

عشرات الأسئلة تكاثرت على فكره لتصنع دوامة تدور ببطء،
تزيد سرعتها مع تكاثرها، تنطلق الدوامة بشدة رهيبة، تسحقه..
تمتصه، يتلاشى بداخلها، لا يشعر بأي شيء في الوجود، أهو
الموت..؟ لا يدرى.. لم يجربه من قبل، ولم يخبره به أحد..

فجأة يتحطم باب غرفته، يدخل شرطى عريض الجبهة والصدر،
على وجهه لزوجة كطبقة معجون بطانة على جدار تستطيع كشطها
بسكينة معجون، يقترب منه، يحتويه من الخلف بين ذراعيه
بوحشية، يتأوه حسام حين يسمع تكسر أضلاعه، أنفاس الشرطى
الملتهبة نيران من زمن أسطورى تحرق مؤخرة رأسه، لا يدرى
حسام لماذا تذكر تنين النار في أفلام الخيال.

إنه الآن خلفه يعتصره، يصرخ محاولا الانفلات، تخور قوته، لا يمتلك غير الصراخ، يصرخ.. يصرخ، تقترب زوجته على وجهها علامات فزع وأسى، ضعيفة هي، كيف تجرؤ على حمايته، يحاول دفعها بعيدًا عن منطقة الخطر، حاول أن يخبرها بأن تنجو بطفلها من هذا الدمار، لا يخرج صوته، محبوس بين قضبان بشرية، صوته حبيس ضعفه.. تقترب سماح أكثر ولا تبالى بنظراته التحذيرية بمنتهي الجرأة تمسكه من يديه، يتركه الشرطى متراجعا، تهرع زوجته، تناديه بحنان ممزوج بالخوف، حسام.. حسام..

فجأة يستيقظ شاهقا بشدة.. ينظر في كل اتجاه باحثا عنه، لا يجده يدرك الأمر، يهدأ لحظة إبحاره في عينىّ زوجته، يستقى من ابتسامتها المشجعة الممزوجة بحزن ظاهر قوة، ينبغي أن يتماسك من أجل أسرته، كم كنتِ محقة في عدم مشاركتى في التظاهرات يا سماح ودلو قال لها تلك الكلمات، يرفض باستمرار أن يبكي على اللبن المسكوب، نظر عبر باب الغرفة المفتوح متسائلا عن البقية، نظرت نحو الباب ثم عادت نحوه ولا تزال ممسكة بيديه بين راحتيها قائلة:

– سافروا البلد بالليل بعد ما اطمنوا عليك..

لاحظت تموجات الدهشة البادية على وجهه، فأكملت:

– النهارده الخميس يا حسام.. قوم بقى.. إنت الحمد لله دلوقتي أحسن بكتير تاكل وترم عضمك.. عاملة لك بطة بلدي إنما أيه.. ولا مرقتها يا بطل.. قوم بقى..



انهت جملتها وهي تخرج من الحجرة تاركة حسام مصدوما بكلمتها «ولا مرقتها يا بطل».. يا بطل؟! أي بطل يا سماح.. لو لم يكن يعرفها جيدًا لقال أنها تسخر منه.

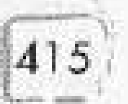
يتناول طعامه، يجلس حاملا طفله بحنان العائد من سنوات غربة عجاف، يسرد تفاصيل غيابه لزوجته، تخفف عنه بابتسامة تحلى خارجة من آتون ملتهب، تحتويه بكل ما تملكه من قدرات، تدفع عنه الهموم كجانية تتمنى غفرانه.

يمضون ليلتهم بابتسامات باهتة، يتجنبون الحديث عن تلك الليلة خوفا من استدعاء عذاباتها، تعود لحسام قوته الهاربة شيئًا فشيئًا، يتناسى الجسد كدماته أمام احتواءات سماح اللذيذة.

في اليوم التالي يستقيظ نشطا على غير عادته، كمن يود إثبات حيويته يتحدث بحب وابتسامات عريضة ليوقظ الكسالى وهو يعد لهم الفطور:

- طبق فول بالخلطة وزيت الزيتون.. مين هايلحق..

مناديا بتلك الكلمات فتستيقظ سماح وقد خارت قواها بالفعل، مجهود عظيم بذلته في اليوم الفائت، كظمت حزن وهم إن خرجا للوجود لسقط حسام، أعادته هي بابتسامتها القوية وحرصها على تصوير ما حدث بأمر عرضى يتحمل ذنبه الأغبياء الذين ألقوه في يم وهو الفتى العاشق الذي يجهل السباحة الحقيقية.



يرتدي جلبابه الأبيض متوجها إلى الجامع القريب ليؤدي صلاة الجمعة، شيخ معتدل يدعو للبلاد بالخير وأن تمر من تلك الأزمة، لم يتخيلها حسام بالأزمة الكاملة، إنها مجرد تظاهرات اشتعلت جذوتها وسريعا ما تنطفئ، ذاق قطرة من كئوس العذاب التي تمتلكها تلك الآلة الرهيبة، آلة الدولة الطاحنة.

تخرج الجموع من المسجد، على الوجوه مسحات حزن وترقب، لا يدرى أحدهم ماذا ينتظر..

لا يستطيع مقاومة رغبة المعرفة، يُخرج تليفونه المحمول باحثا عن رقم توفيق عبدالستار، يجرى اتصالا به، يود لو يسمع أخبارا مطمئنة، تمنى لو استجاب النظام ولو بمجرد إقالة وزير واحد كي يشعروا بأن تظاهراتهم قد أتت بنتيجة، سبب وجيه يعودون بعده إلى منازلهم وكأنهم منتصرون. غريبة.. الهاتف كتلة صماء، لقد سقطت الشبكة في هذا المكان..

نفس الجملة قالها أبناء القاهرة الكبرى ومدن أخرى في هذه الساعات ناظرين إلى تليفوناتهم وكأن بها مرض.

قنوات التليفزيون بها مرض هي الأخرى، لا أخبار مطمئنة، مجرد مسيرات بعد صلاة الجمعة.

جولات بين الفضائيات بينما يتناول حسام طعام الغذاء، تقترب الساعة من الخامسة، تعلو حدة المواجهات بين المتظاهرين

والشرطة، على غير المنتظر تظهر الدماء في أماكن متفرقة، تتراجع قوات الشرطة تاركة الشوارع.

حرائق في أماكن متفرقة أكبرها في مبني ضخم على النيل يضم مقر الحزب الحاكم ومؤسسات أخرى للدولة على رأسها المجلس الأعلى للصحافة الذي يعرفه حسام جيدًا، فقد قضى فيه ساعات عندما زار صديقا له واطلع على بعض الكتب في مكتبته الضخمة.

تتزايد الأعداد في الشوارع، جماهير تجوب الشوارع تنادي على الكسالى صارخين اللي هايهتف مش هايموت ويا أهالينا انضموا لينا.. ينضم إليهم الكثير والكثير ولكل أهدافه الخاصة. مظاهرات حقيقية في الكثير من الشوارع والميادين.

عمليات سرقة ونهب في كل مكان، ماكينات الصرف الآلى الخاصة بالبنوك تم تحطيمها وسرقة ما بداخلها، واجهات المحال تحطم وتنهب، يسيرون في الشوارع يحملون أجهزة كمبيوتر وتليفزيونات، قطعًا أثرية.. نعم.. قطعًا أثرية، فقد تم اقتحام المتحف وسُرقت منه تلك القطع الخفيفة.

شيخ وقور يظهر على قناة فضائية يطالب المصريين بوحدة الصف قبل ان تسقط البلاد وتتحول إلى غابة، يتبعه مخرج سينمائي يستغيث بالشباب لحماية المتحف من النهب وتلك الخطوة بالفعل أتت بنتيجة حسنة. يلى ذلك شاب في العشرينات يخبر المذيعة بأن والده المناضل السياسى مجدي سرور قد

أصيب في التظاهرات على يد الشرطة وتم نقله الآن للمستشفى
تعلو الدهشة وجه حسام، هل ما يشغل مجدي سرور وابنه الآن
وهو مصاب أن يُعلن خبر إصابته على الفضائيات؟!

أين الشرطة؟ أين الحكومة؟ أين الحزب الحاكم؟ أين الرئيس؟
أين النظام؟ أين الدولة؟!

لم تكن هذه الأسئلة التي تؤرق حسام منصور فحسب، إنما
كانت منتشرة بين ذرات الهواء التي يتنفسها العالم أجمع..

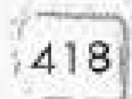
أخبار عن انسحاب كامل للشرطة وتفريغ الشوارع..

لحظة عبقرية يستغلها أصحاب المصالح بحرفية عالية، لقد
انسحبت الشرطة من الشوارع تاركة حالة الفوضى كي تعود
الجماهير إلى منازلها سريعًا، أيضًا كي تقارن الجماهير بين حالة
الفوضى الآن بعد نزولهم إلى الشوارع وبين حالة الاستقرار التي
كانوا يعيشون فيها منذ زمن مضى حتى ساعات قليلة.

لقد تركتكم الشرطة للنهب والسرقة، فأقل ما تستحقه منكم أيها
الشعب هو أن تدهسوها بالأقدام، فقد امتصت أموالكم وكرامتكم
وقت الهدوء والاستقرار، أما اليوم، في تلك اللحظات وأنتم في
أمس الحاجة لها كي تفرض قوتها لحمايتكم، ها هي تفر بمنتهى
الخسة والجبن.. أي مصير يجب أن تناله؟؟

الغضب..





بالفعل يصل مجدي سرور إلى المستشفي..

فقد قرر المشاركة في المظاهرات، يحمله عدد من رجال حزبه على أكتافهم. الخلاف بينه وبين زوجته هناء التونى حول سبب انفصالهم لم يعرقل نزوله، فقد أصر كل منهما على التمسك بنفس السبب وهو أن الطلاق نتج عن تأيد أحدهم للتظاهرات القادمة والآخر يرفضها، من يؤيد التظاهرات يحصل على ثقة جماهيرية، أما من يرفض خروج المظاهرات فسوف يسقط بطبيعة الحال، هذا ما كانت تهدف إليه هناء، تؤيد هي المظاهرات ومجدي يرفضها ترتفع هي درجات ومجدي يسقط، تنتقم منه وتحقق مكسبا.

يرفض مجدي صارخا:

- تاريخى السياسى ضد اللي بتقوليه يا هناء.

- تاريخك؟! تاريخك دا أنا اللي صنعته..

قالت جملتها الأخيرة بمنتهي الشدة، يتماسك مجدي لحظة، تلك كانت عادتة عند الاقتراب من الخسارة، التماسك، الابتسام، التراجع، تغيير الرؤية والفكرة والهدف والعقيدة وأي شيء حتى يتفق مع الوضع الجديد الذي يحقق مصلحته، الغريب أنه في كل الأوضاع التي يمر بها مرور الحرباء بالألوان المختلفة، تراه على يقين بصوابه وعلى يقين بأن يتقبله الآخر باستمرار.

يبتسم ويحاول أن يقترب منها:

- هناء.. خلينا مع بعض.. أزمة وعدت.. الفترة الجاية إحنا محتاجين بعض أكتر من أي فترة..

- أنا أخدت قرار الانفصال بلا رجعة، لعلمك جاني صور ليك في أوضاع مقرفه، وبعدين أزمة وعدت إزاي وإنت أخدت الموسم بتاعتك وسافرت الساحل الشمالي يا مجدي؟

- إنتِ.. إنتِ عرفتي؟ إنتِ بتراقبيني يا هناء..

- اللي بعت لي صورك الوسخة هو اللي بعتلي تحركاتك لعبة زكية إنك تتجوزها عرفي.. على العموم دا شيء ما يهمنيش حياتك وإنت حر فيها..

كانت تلك ورقة ضغط أخيرة تركتها هناء لتلقى بها في تلك اللحظة حتى لا يجد مجدي ما يفاوض به، قلمت كل أظافره كشفت عنه أرديته فظهرت عوراته كاملة، تراه كما ترى القرد في حديقة الحيوان، تمط شفتيها كمن لا يبالي:

- إنت مش في موقف تفاوض يا مجدي.. إنت لازم توافق..

- طب أيه رأيك نقول مثلا إننا اختلفنا على شغلك.. أو جايلك فرصة عمل للسفر للخارج وأنا رفضتها فاختلفنا و..

- نفس العقلية.. الراجل في البلد دي مش هايتغير أبدًا.. تحملني الخطأ بأي شكل.. لا يا محترم.. اللي هانقوله فعلا إنك رافض المظاهرات وأنا مصممة عليها.. عشان كدا تم الطلاق..



أمام إصرارها لا يجد مفرا من الموافقة، سوف يجد مخرجا آمنا إلا ذلك.

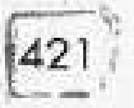
خلال الساعة التالية تمت إجراءات الطلاق أمام دهشة المأذون ومحاولاته المستميتة لرأب الصدع، دهشة تعلو كل الوجوه التي علمت بالخبر من خلال الاتصالات التليفونية التي أجرتها هناء خصوصا مع صديقاتها من المعدات في برامج التوك شو.

لم ينتهي اليوم إلا وكانت هناء ضيفة في كافة البرامج عن طريق التواجد أو التليفون تشرح فيه إصرارها على خروج المظاهرات وإن اضطرها ذلك لهدم عش الزوجية وللطلاق.

يختفي مجدي في ذلك اليوم رافضا المشاركة في أي برنامج للتعليق على الخبر، لم يكن قرر ما عليه فعله بالضبط.

حملت له الأيام ما يتمناه، سوف يشارك في المظاهرات وإن سُئل عن رفضه السابق الذي أعلنته هناء التونى زوجته السابقة سيكون رده حاسما: لم أرفض يوما خروج المظاهرات بل أنا من الداعين لها ومن المشاركين فيها، لكنى أرفض المظاهرات العشوائية التي لا قيادة لها ولا هدف محدد ولا هدفًا محددًا.

يشارك مجدي سرور بالفعل في عدة مسيرات سيما القريبة من مواقع التركيز الإعلامي، يحل ضيفا على بعض القنوات متحدثا باسم الجماهير والأغلبية والشعب والمقهورين والغلابة



والمرضى واليتامى والأرامل.. وقبل رحيلة من القناة لا يخ
من طلب الظرف المغلق على المبلغ المالى المحدد سلفا.

يعود ليرتمى في أحضان إلهام مدكور، التي تنتظره كقطة أد
الجنس، يفرغ طاقاته على صدرها وبين فخذيها، لم يستهل
المشى في المظاهرات والهتاف معهم إنما أعطاه قوه، كان يف
رياضة المشى وما تفعله بالجسد من تنشيط للدورة الد
فيمارس الجنس كمن تجرع حبوب الفياجرا.

أي بلادة تلك..

تلك الجملة ترنحت أمام ناظريه منطوقة بصوت هناء التو
شعر أنها تراقبه وتشاهد ما يفعله مع إلهام مدكور وما ير
أمام الناس من أقنعة، فتمط شفتيها وتقول تلك الجملة، يتوا
منكمشا جاذبا اللحاف ليختفيا هو وإلهام أسفله عراة كما ولد
أمهاتهم..

يقف مجدي في المسجد الذي يصلى فيه صلاة الجمعة ليخ
في الناس، يتحدث محركا المشاعر منتقدا أفعال الشرطة الو
ضد أناس كل جريمتهم أنهم يطلبون أساسيات الحياة مقارنا
شاب يتمنى الوظيفة والزوجة وشقة لها باب يُغلق عليهم، يقا
بين هؤلاء وبين سكان القصور وفيلات المنتجعات وأصح
السيارات الفارهة الممتلئة بها حدائقهم الغناءة وأرصدتهم
البنوك التي لا يعلمون كم هي من كثرتها.

كان ينهي عباراته بصرخات تلهب النفوس وتستخرج الآهات من القلوب، يهتف عدد من الشباب، حدد لهم هتافهم من قبل الشيخ إبراهيم السويفي، يهتفون بأن يسقط النظام ويردد خلفهم الجميع.. يخرج مجدي من المسجد محمولا على كتف أحدهم هاتفا بسقوط النظام..

تتجول المسيرة الشوراع، ككرة ثلج تتزايد كلما سارت ومر عليها الوقت يتصدرها مجدي متأبطا بذراعيه شباب يرغب في الظهور في تلك اللقطات التي تنقلها الشاشات وكاميرات المحمول لتنشر أو لتخلد اللحظة.

تقترب الساعة من الرابعة عصرا وتحتد المواجهات، ترتد المجموعة التي يتصدرها مجدي على أعقابها، في لحظة ما يلتفت مجدي ليفر هاربا من دخان يتصاعد من قنبلة مسيلة للدموع تتعثر قدمه في شيء ضخم فيسقط على الأرض، من بين الأرجل الهاربة يشاهد الشيء الذي تعثر فيه، جسد لشاب في العشرينات دمه ينزف بغزارة من ثقب في مؤخرة الرأس، يحاول مجدي الوقوف فيدفعه هارب فيسقط بيديه في بركة الدم التي تحيط رأس الصريع، فجأة يجد نفسه محمولا ويسمع أحدهم يصرخ:

- الأستاذ مجدي اتصاب يا رجاله..

بسرعة يضع مجدي يديه المغموسة بدماء الفتى على رأسه كأنه يسد بها جرحا.



ما مر به خلال الأيام السابقة من أحداث مع حالته الصـ
وعمره أيضًا الذي تخطى الشباب بمراحل، ولقاءاتة الجنسية
إلهام والتي ينزف فيها الكثير من ماءه، كل ذلك تجمع في تلك
اللحظة وألقى عليه أحمالًا شعر معها بضعف ووهن كاد يفقد
الوعى، فأشار على حامليه بأن يتوجهوا إلى أقرب مستشفى
فكانت مستشفي خاصة من تلك التي تقدم خدمات فندقية
يتركه الشباب ويعودون إلى شوارعهم، تلقى العلاج السريع
حيث الحبوب المهدئة وتم حقنة بالعديد من الفيتامينات و
قياس الضغط والسكر وعمل رسم للقلب، مع تضميد لعدد من
الخدوش التي نتجت عن سقوطه، وأصر الطبيب على أن يتم عمل
أشعة على المخ وعدد من أجزاء جسدة كي يتأكد من خلوها من
أي كسر أو إصابات داخلية.

يعلم مجدي أنه سيدفع فاتورة ضخمة للمستشفي، لكن أي
مبلغ تستحقه المستشفي مقابل أن يتم الاعلان عن أن مجدي
سرور قد أصيب في المظاهرات المناهضة للنظام وتم نقله إلى
المستشفي. خبر مثل ذلك يساوى الكثير.

يستجيب للطبيب ويستقر في المستشفي حتى يقرر ما سيفعله
يتابع ما يحدث عبر الشاشات.

تأتيه ممرضة لم يذهب عبوسها بجمالها وهي تخبره بما سمعـ
حالا:



- بيقولوا يا أستاذ مجدي الشرطة كلها انسحبت والجيش ما نزل.

■■■

تهتف إيمان سمير بكل ما أُوتيت من قوة وخلفها تهتف الجموع، يحملها توفيق عبد الستار على كتفيه وقد أمسك ساقيها بيديه وإلى جانبه أحمد عبد الهادي وهاني فؤاد يتناوبون حملها. تهبط لترتاح قليلًا فيكمل الهتاف توفيق عبدالستار.

يهتفون كما باقي المسيرات في هذا اليوم مطالبين بسقوط النظام بأكمله، يقتربون من الأماكن الحيوية القريبة من تجمعاتهم، تُستفز الشرطة فتهاجمهم بالقنابل المسيلة للدموع والطلقات المطاطية.

تلك المجموعة التي تتزعمها إيمان سمير كانت قريبة من إحدى السفارات وقد تمركزت الشرطة للحيولة دون وصول المتظاهرين إليها. بعد مرور ساعة من الهتاف وتطور الأمر حيث تبادل الحجارة والخرطوش والمولوتوف أحيانًا بين المتظاهرين والشرطة.

فجأة تُفتح البوابة الحديدية الضخمة للسفارة وتخرج منها سيارة دبلوماسية مسرعة يبدو أن السفير قد قرر الهرب، تطلق السيارة نفيرها بشكل مستمر كي تفسح لها الجموع طريقها، قبل أن يلحظها الكل ويتحرك ليخلي لها طريقها تكون السيارة قد انطلقت بشكل هيستيرى لتصدم عددًا من الشباب، يجذب توفيق



إيمان بشدة ليبتعدا عن المكان وسط صراخ وهتافات وملا
البعض للسيارة المجنونة، يسقط تحت عجلاتها أربعة من الشبا
تدهس ساق الأول وتمر من فوق ذراع الثاني وتقذف بالثالث بعيـ
وقد تحطم عدد من أعضاءه بينما تفرم الرابع فلا تترك في رأ
قطعة لتخبر من هو..

تفر السيارة.. حالة ذهول تعتري الجمع لحظة.. ثم صرا
وعويل.. تعود إيمان متفحصة المصابين.. دائرة بشرية حول جـ
بلا رأس، أو بالأدق رأس قد سوى بالأرض، الملابس واضـ
وداله لمن يعرفه، إنه هاني فؤاد.. جملة قالها توفيق عبد الستار إلى
إيمان سمير التي كانت تعلم ولكنها ترفض أن تصدق، فقد شاهد
واقفا مذهولا شاردا والسيارة تصدمه وتقذفه أمامها وتتبعه حتى
انقطعت علاقته بالحياة..

صرخة طويلة..

صرخة لم تصرخها إيمان سمير عندما علمت بأن ذلك الجسد
الممدد بلا رأس هو هاني فؤاد، إنما صرخة أطلقتها ماريان
أيوب.. أمه.. حينما وصلها خبر مقتل وليدها.. وحيدها.. متعتها
عشقها.. سبب بقاءها على هذه الأرض..

لا تعلم كم من الوقت مضى عليها، رفعت أجفانها الثقيلة
وكأنها مربوطة بحجر ضخم من أحجار هرم خوفو، ألفت نفسها



على سريرها في غرفة نومها وحولها عدد من السيدات في ثياب وأوشحة سوداء، تكسوهم أحزانهم.

وجه سيطرت عليه آيات الألم يحيط بعينين غائرتين، تدوران يمنة ويسرة بدهشة تود لو تسأل الجالسات:

- أين أنا ومن أنتم؟

حاولت التفوه فلم يسعفها لسانها، كان ثقيلا كأن حجرا آخر من طنا رُبط به، يبدو أنها تحلم، تعلم أن اللسان في الحلم يكون ثقيلا جدًّا، تقترب منها فتاة في العشرين من عمرها، وجه أبيض على كتلة جسد سوداء، تنحدر من عيونها الدموع بلا توقف، تجففها بمنديل أبيض، تضع يدها على وجه ماريان في حنين ملحوظ وبصعوبة تخرج منها الكلمات:

- شدي حيلك يا طانط ماريان.. عمرنا ما ها ننسى هاني. يرحمه الرب يسوع.

لقد أخبروها في الحلم أن هاني قتل في المظاهرات، والآن تقول تلك الفتاة ما تقول! أهو نفس الحلم؟

قررت أن تخرج من ذلك الكابوس، سوف تلطم هذه الفتاة بقوة على وجهها، سوف تقف وتهجم بكل ما أُوتيت من قوة لتقذف بتلك الأوشحة السوداء وما تحويه إلى الخارج..



ترفع يدها.. لا ترتفع.. تسحب قدميها.. لا تستجيب الأ
تقرر الصراخ لعل أحدا ينقذها.. لا يستجيب لها اللسان
أخرى..

عينان تتحركان في جسد ميت..

لقد شُلت ماريان أيوب.

■ ■ ■

نيلة طويلة لم ينم فيها الكثير رغم أنهم كانوا في حالة
الضعف والانكسار وفي أمس الحاجة لدقائق من الراحة، لكن
الذهن المشحون بآلاف الأحداث وصراعات لا نهاية لها لا يُفسح
للنوم مجالا على الاطلاق.

لكن في مكان ما من أرض مصر وبالتحديد أمام سجن
وادي النطرون كانت الأوضاع مختلفة تمامًا، فقد كانت هناك
مجموعات قتالية مدربة تقتحم سجن وادي النطرون، يتبعها و
بنفس أسلوبها مجموعات أخرى أقل عددًا وحرفية أمام عدد
من السجون المصرية لتنتقل الصورة إلى العالم أجمع أن أهالي
المساجين يحررونهم.

يتم إطلاق النار بشكل كثيف على جنود حراسة سجن وادي
النطرون، ووفقا لاتفاقات مسبقة يقوم أعضاء الجماعة المحبوسين
بإثارة الشغب والصياح المستمر والخبط على الأبواب، بل والتعاون
على كسرها أو كسر نوافذها إن استطاعوا ليخلقوا حالة من التوتر



يدس لدي الجنود لتشتيتهم بين داخل السجن وخارجه ويشعل بعضهم النيران في بعض الملابس والبطاطين داخل زنازينهم كي يضطروا قيادة السجن إلى فتح الأبواب وبالتالي تتحول ساحات السجن إلى حلبة قتال فتخف مقاومتهم الخارجية.

الموقف بالفعل كان صعبا على قائد السجن اللواء محمود الرمالى ذلك الرجل صاحب التاريخ الطويل داخل مصلحة السجون، مزيج من الحزم والانضباط، لديه القدرة على التعامل مع مختلف أنواع المساجين، استطاع خلال السنوات القليلة الماضية أن يحول سجون وادي النطرون إلى منطقة منتجة تكتفي ذاتيا بمعظم المنتجات الزراعية والحيوانية من لحوم وألبان وغيرها، بل في بعض الأحيان كان يرسل الفائض إلى القيادة في مصلحة السجون التي تقوم بتوزيعه على سجون أخرى كسجن القناطر والزقازيق وسجن بنها العمومى.

تشتعل الأحداث، تتوجه كافة قيادات منطقة سجن وادي النطرون إلى اللواء محمود الرمالى تنتظر أوامره. لم يكن الرجل يخلو من قدرة على قراءة الواقع سيما الأبعاد السياسية، يعلم جيدًا أن في سجونه عددًا من أعضاء الجماعة وعددًا آخر من منظمة حماس وأنهم محبوسون في تهم سياسية وتهديدات إرهابية ومحاولات قلب نظام الحكم وأن بعضهم قد أتى بالأمس فقط في تهم تخابر مع جهات أجنبية.



هؤلاء ليسـوا بأعضاء عاديين، إنهم بالفعـل يمثلون خطرا على المجتمع، يعلم أيضًا أن المهاجمين في الخارج مسلحون بأسلحة آليـة وقنابـل إن لزم الأمر وشـاهد بعينيه مـن أبـراج المراقبة لوادر عملاقـة لديها القدرة على هدم البوابات الحديدية الضخمة، أدرك إصرارهم من تلك الدروع المثبتة أعلى اللوادر والجرافات.

محاولات الاتصال بالقيادة العامة باءت كلها بالفشل، بعد فترة من المحاولة والبحث عن أحد المسئولين يجيبه اللواء عبدالعظيم النـادي صديقـه القديم بأن يتصرف وفقا لما يراه مناسبا وحسب رؤيته الخاصة. إذن تهاوت الصروح ولم يعد أحدهم متاحا ليملي علـى رجاله كيفية التصـرف؟ الأزمة الآن في أنـه ورجاله أصبحوا هـم المحبوسـين داخل السـجن ومهما كانت الذخيـرة الموجودة معهم فهي لن تصمد طويلًا أمام المسلحين بالخارج وهؤلاء متاح لهـم التمويـل بالعدد والعتـاد على مدار السـاعة، ناهيـك عن هذا الصداع المستمر من خبط ورزع وهتافات وإشـعال الحرائق التي يقـوم بها أعضـاء الجماعة بالداخل يعاونهـم الكثير من المجرمين الذين يودون استغلال الأحداث للهروب.

يقرر الرجل اتخاذ أقل الطرق خسائر سبيلا للخروج من الأزمة، يسـتدعى عددًا من أعضاء الجماعة للتفاهم معهم، فأن يساوم على خروج عدد من قيادتهم أفضل من أن ينهار السجن بأكمله.

قالوا عشرة من المساجين وهم من قيادات الجماعة، يشرح لهم اللواء محمود الرمالى الأمر بتفاصيلة وأنه لو استمر سيؤدي إلى هروب مجرمين خطيرين على المجتمع بأكمله.

يتنحى العشرة جانبا للتشاور، دقائق ويعودون برد واحد "إن كنت تريد السلامة، عليك فتح البوابات لخروج كل المساجين".

يقف اللواء محمود مذهولا أمام هذا التهديد الصريح وأمام تلك الرغبة المجنونة في إفساد الأمور أكثر مما وصلت إليه، يستفيق من ذهوله رافضا فتح بوابات السجون، الأمر الوحيد الذي يمكنه قبوله هو خروج بعضهم وليس جميعهم، يرفضون، يتساءل عن سبب إصرارهم على خروج جميع المساجين، ينظرون نحوه بسخرية ويتركون مكتبه متوجهين إلى عنابرهم في انتظار ما يستقر عليه.

يجلس اللواء محمود الرمالى مع خمسة من ضباطه لدراسة الموقف، واحد فقط هو من وافق على فتح البوابات بينما رفض الجميع ذلك، فوافق الضابط بنفس قوة زملائه على اقتراحهم، هذا أكثر ما يميز الكثير من رجال الشرطة والقوات المسلحة المصرية فلا يعني مطلقا أن هناك قرارا ضد رغبته أن يقف ضده أو يسقطه.

بعد بحثهم في الأمر يتوصل اللواء محمود إلى سبب إصرار أعضاء الجماعة على خروج كل المساجين، يرغبون في أن تبدو الصورة أنها حالة هروب جماعى وأن أهالى المساجين بوجه عام

هم من هاجموا السجن وليست فئة واحدة المهاجمة أو فئة واحد الهاربة.

تتزايد حدة الهجوم من الخارج وتعلو هتافات وصياحات من بالداخل، دقائق وتتحول منطقة سجون وادي النطرون إلى ساحة حرب حقيقية، يستمر الوضع ساعات ما بين هجوم ودفاع ويسقط عدد من القتلى. تحدث أول ثغرة ويبدو أنها كانت محددة سلفا، يتم تهريب البعض من فوق الأسوار التي قتل حراسها، بينما يستمر الصراع في مناطق مختلفة.

ينقل أحد أعضاء الجماعة الصورة إلى العالم أجمع من خلال اتصال هاتفي قامت به قناة الجزيرة الفضائية ولا أحد يعلم كيف استطاع هذا العضو الحصول على هذا الهاتف المحمول ولا كيف استطاعت قناة الجزيرة أن تعلم رقم هذا الهاتف وتتصل به.

الصورة التي نقلها أحدهم من خلال تلك القناة تؤكد أن هناك من هاجم السجن من الخارج وأن قيادة السجن تواجههم، بعدها يذكر أسماء بعينها ويصف مكان تواجدهم بمنتهي الدقة وكأن ما يقوله رسالة موجهة إلى جهات تسير على هدي تلك المعلومات.

تسقط البوابة الرئيسية للسجن أمام اللوادر والجرافات، تنقلب موازين المعركة بعدما تصل إحدى الجرافات لتهدم جدران بعض العنابر، تسود حالة رهيبة من الفوضى والذعر بين صفوف الجنود وعدد لا بأس به من المساجين اللذين لا يعلمون ماذا يحدث



حولهم، يهرولون في كل مكان، ضرب نار بشكل عشوائى، من يستطيع الوصول إلى سيارة يركبها ويفر هاربا من تلك المعركة معتقدا من بالخارج جنودا يصبون عليهم وابلا من الرصاص، على في كل مكان، يصل بعضهم إلى الداخل ويأمرون المساجين بالفرار فيفرون بينما يقف بعضهم مذهولا فيهددونه بمنتهى الحزم:

- بالله عليكم اهربوا.. وإلا قتلناكم..

تلك الجملة التي تحمل كل أنواع التناقضات في المعنى والأداء من التي احتلت ألسنة حاملي الأسلحة، أعينهم تطلق شررها قبل أسلحتهم، وألسنتهم تلوك عبارات مثل تلك وغيرها تقربا إلى الله وشكرا على هذا النصر المبين.

تتداخل العبارات، آلاف المعانى ترتسم على الوجوه، لكن النتيجة هي معنى واحد، الفرار أو القتل، ونفذوا ما قالوا بالفعل.. قتل من قُتل وهرب من هرب.

من بين من قُتل اللواء محمود الرمالى الذي وقف بين جنوده مدافعا عن سجن وادي النطرون ورفض من البداية تلك المفاوضات الدنيئة.

مقتله كان غريبا، ففي تلك اللحظات الأخيرة قبل الانهيار التام للسجن أتاه من يخبره بأن أحد رجال الجماعة الذين كانوا معه يريد مقابلته في مكتبه، يعتقد الرجل أن هناك جديدًا بشأن التفاوض، يوافق على مقابلته، بمجرد دخول الرجل مكتبه



يستخرج مسدسا من بين ثنايا ثيابه ويشهره في وجه اللواء الرمالي الذي يقف مشدوها أمام هذا الهجوم المباشر، مؤكدًا أنه حصل على ذلك السلاح ممن اقتحموا البوابة الرئيسية، لكن إن كان هدفهم الهروب فها هو الطريق أمامهم، لماذا يعود ذلك الرجل شاهرا سلاحه في وجه اللواء الرمالي؟

سؤال لم ينتظر كثيرًا ليعلم إجابته، فقد ابتسم السجين الواقف أمامه صاحب البشرة المائلة إلى الاسمرار من لفحة الشمس التي كثيرًا ما يقف تحتها خطيبا في أنصاره، فقد قال شامتا:

- قولنالك من الأول وعملت لي بطل.. على العموم إنت عملت الأفضل لنا ولازم موضوع المفاوضات اللي تمت يفضل سر للأبد. ورجالتنا إحنا واثقين منهم، باقي الطرف التاني.. إنت يا سيادة اللوا..

طلقة مباشرة في منتصف جبهة اللواء محمود الرمالي تدل على أن مصوبها قد تم تدريبه على استخدام السلاح من قبل، يسقط اللواء الرمالي، ومن بعده يسقط سجن وادي النطرون، تنتشر الأخبار لتصل كافة السجون على مستوى الجمهورية.

■■■

في صباح اليوم التالي يتوجه حسام منصور إلى محطة الأتوبيس، الأعداد قليلة في الشوارع، الأتوبيس الذي كان باستمرار يلفظ



مرا، الآن به عدد قليل جدًّا حتى إنهم تحدثوا فيما حدث الليلة الماضية وكأنهم صحبة.

الليلة الماضية.. لم تكن ليلة عادية أبدًا في تاريخ مصر تلك التي أطلق عليها فيما بعد جمعة الغضب.. والتي كانت وقودا لسقوط النظام الحاكم بالفعل.

لاحظوا جميعا عودة تليفوناتهم المحمولة إلى العمل، فكان ذلك الحدث أمرا استهلكوا به الوقت حتى يصل الأتوبيس إلى ميدان عبدالمنعم رياض. أخبرهم الكمسارى بأن تعليمات صدرت لهم الآن بأن عليهم الذهاب بالأتوبيس إلى الجراج للتخزين، فسوف يتوقف النقل العام لحين إشعار آخر. لا أحد يعلم لماذا؟

الاعتقاد الذي ساد في تلك اللحظات بعد أحداث الأمس وظهور رئيس الجمهورية المتأخر جدًّا في كلمة موجهة إلى الشعب وفي نهايتها يطالب فيها الحكومة تقديم استقالتها ولم يقلها هو حفاظا على سمعة رجالها وهو أمر اتخذ سلاحا ضده ونظامه بأكمله، والحقيقة أن الحق اتفق مع من شهر هذا السلاح، فلم تكن تلك الظروف تتحمل مثل ذلك التعامل الرخو والتقليل من شأن ما يحدث.

رغم كل ذلك كان يسود اعتقاد بأنها ليلة صعبة قد مرت وانتهي الأمر وسوف تمر البلاد كما مرت بعقبات مماثلة على مدي

تاريخها، أما أن يصدر قرار اليوم بإيقاف النقل العام فهذا نذير سو
أربك داخل حسام منصور.

يتلقى اتصالا من توفيق عبد الستار يخبره فيه بأن شبكا
المحمول قد عاد إلى العمل وشبكة الانترنت أيضًا بعد انقطا
حدث بأمر من الجهات المسئولة كي تعوق حركة التواصل بين
الشباب الثورى.

قطع الانترنت بأمر من السلطات العليا لعرقلة التواصل بين
الشباب على صفحات الفيس بوك !!

هل كان يعلم الشاب اليهودي مارك زوكربيرج الطالب في
السنة الثانية بجامعة هارفارد الذي ابتكر الفيس بوك في 28 أكتوبر
2003، أنه سيأتى يوما ويكون فيه الفيس بوك سلاحًا يقض
مضاجع أعتى الحكومات؟؟

لقد قال زوكربيرج نفسه بعد انتشار ابتكاره هذا:

- هناك أمر واحد مؤكد، وهو أنني ارتكبت حماقة عندما
أقدمت على إنشاء الفيس بوك، على أية حال إن أي شخص آخر
كان سيقوم بذلك الأمر في النهاية.

تدور تلك الكلمات في رأس حسام منصور، يستفيق بعد دقائق
على تغيير طريق الأتوبيس، فلم يأخذ طريق 26 يوليو كما هو معتاد
وإنما صعد كوبرى أكتوبر، يعلق السائق بأن ذلك الطريق أيسر له



لاحظ حسام الشوارع التي كانت قبل أيام كتلًا صماء من سيارات تطلق عادمها ولا تتحرك، اليوم خاوية إلا من القليل.

لن يهبط الأتوبيس إلى الميدان، سوف يستمر أعلى الكوبرى، عند سلم الهبوط إلى ميدان عبد المنعم رياض يطلب حسام النزول.

الساعة الحادية عشر صباحا، شمس شتوية تغرق بأشعتها الدافئة الأرجاء، ينساب النهر في وداعته الأزلية، علامات دهشة على الوجوه يصحبها شعور بلذة المرور بهذه الأحداث الجسام، في بعض الأحيان قد يخطر على بال أحدنا أن يجرب هذا الأمر أو ذاك رغم معرفته بضرره، وما حال الكثير من المدمنين ببعيد عن تلك الجزئية، فما أدمنوا إلا ببداية كانت نوعا من التجربة.

تتصاعد ألسنة اللهب والأدخنة السوداء الكثيفة من ذلك المبني الضخم على كورنيش النيل والذي يضم مقر الحزب الحاكم والمجلس الأعلى للصحافة، ذلك الذي أشعل ونهب بالأمس.

على بداية طريق الهبوط من أعلى الكوبرى تقف سيارة كبيرة للشرطة محترقة تعوق حركة السيارات الهابطة، يقترب ضابط تبع القوات المسلحة، شاب في مقتبل العمر، نحيف الجسد، في عينيه بريق ولمعان، يتوسط جمع المواطنين الذين يلتقطون الصور التذكارية بجوار السيارة المحترقة أو تكون خلفيتها المبني الذي تعلوه ألسنه اللهب، يهتف فيهم الضابط الشاب:



– يـا رجالـه.. دي بلدنـا كلنـا.. وأي شـيء يتحرق فيهـا ملكنا وملك أولادنا، لازم كلنا نقف ونحميها..

لحظة وطنية حقيقية استطاع الضابط الشـاب أن ينقل الحضور إلى قلبها فكانوا طوع أمره، أيده الجميع بكلمات متداخلة مؤكدين أنهم تحت أمره في أي شـيء يخص صالح بلدهم، يطلب منهم أن يتعاونوا معه لنقل هذه العربة الضخمة المحترقة إلى أحد الجوانب حتـى يخلـو الطريق للسـيارات، يتعانـون بالفعل وسـط صيحات التحفيز الشهيره «هيله.. هـــوب... هيله.. هـــوب..»

يتخذ حسـام دور رجل المرور، يقوم بتنظيم حركة المرور حتى يتيـح للجمع إخـلاء الطريق، ينظم السـيارات التي تريد استخدام طريـق النزول من أعلى الكوبرى لكنه يفاجئ ولأول مرة في حياته بعض السـيارات تسـتخدم مهبط الكوبرى هذا في الصعود لأعلى الكوبـرى، وكانـت تلـك أولى لحظـات العشـاوئية التـي تأكدت لحسـام فيمـا بعد أن البـلاد دخلتهـا بالفعل وسـوف تترك آثارها السلبية لأجيال قادمة.

سـاعة تقريبًـا مـارس فيها دور عسـكرى المرور حتـى انتصف النهار وقلت الحركة.

دعـوات بالنـزول إلى الشـوارع في هـذا اليوم والاسـتقرار في ميـدان التحرير قد انتشـرت. يصل حسـام إلى قلـب الميدان فيجد أشـخاصا يمثلـون أطيافـا مختلفـة، لا حديـث لهم غير ما حدث



الأمس وانسحاب الشرطة ونزول الجيش والقتل والعنف وكلمة الرئيس التي أشعلت الموقف ولم تهدئه.

يقابل توفيق عبدالستار على مقهى وادي النيل يتحدثون في نفس الأمور بينما يتناولون الشاي، يشعل سيجارته ويصمت، يلاحظ توفيق صمته واختفاء رنة الثقة من حديث حسام وأن لغته بها بعض الانكسار، يسرد حسام ما حدث له خلال الأيام الماضية، يذكرها بمرارة حتى إنه يشعر بغصة في حلقة تعوقه عن الكلام وتفر منه دمعة رغم إصراره على حبسها، يقف منسحبا مرة واحدة تاركا المكان غير عابئ بتوفيق ومحاولاته لتهدئته. يتركه توفيق يرحل مقررا في داخله بأنها حالة سوف تستغرق ساعات، يهدأ بعدها، سوف يتصل به ويحثه على العودة إلى الميدان.

حسام كان له رأي آخر، لقد قرر العودة إلى شقته واحتواء أسرته انتظارا لما تسفر عنه الأحداث، كان قد نزل لعله يرى انتهاء الأزمة إلا أنه شاهد شيئًا أقل ما يوصف به أنه لا دولة ولا أحد يعد مسئولا عما يحدث في الشارع ويقوم بتنظيمه.

في حوالى الخامسة مساء يجلس حسام في صالة شقته يتابع التليفزيون ويتناول طعام الغذاء، أخبار جديدة عن أحداث الأمس تظهر تباعا، أحداث لم يتابعها الإعلام في حينها لكثرتها، تجمعات رهيبة في أماكن مختلفة تصورها كاميرات المحمول وبثتها على شبكة الانترنت وتلقفتها القنوات لبثها، يظهر فيها عنف الشرطة في الرد على تلك التجمعات، قتلى في كل مكان.



أحدث الأخبار كان هروب المساجين من أكثر من قسم شرطة وسجن عمومي، أخبار تؤكد أن الشرطة تركت الأقسام والسجون وهربت وأخبار أخرى تؤكد أن أهالي المساجين هاجموا الأقسام والسجون بالأسلحة والمعدات الثقيلة كاللوادر لتحطيم الحوائط.

ستة وعشرون ألفا من المساجين هم من هربوا من السجون المصرية في تلك الأحداث، رقم يعلمه حسام فيما بعد فتنتابه حالة ذهول كتلك التي انتابته وقتها حينما شاهد بفم فاغر شابا فليسطينيا، هرب من سجن وادي النطرون في مصر والآن يجلس بين أسرته في منزله في فلسطين.. أين الدولة؟

يصرخ حسام متسائلا، تربت على كتفيه زوجته سماح بأن يهدأ، فهناك ألف علامة استفهام تبحث عن إجابات وليست واحدة..

كما تنتشر النار في الحطب الجاف، انتشرت شائعات تكفي ألف سنة، انتشرت في الساعات التالية. تتنافس القنوات الفضائية في استقبال الاتصالات الهاتفية من المواطنين الذين يستغيثون فيها من أعمال سرقة ونهب وتهديد بالسلاح من خارجين على القانون، فقد بدأت مرحلة جديدة من الفوضى في كل مكان وأصبح السائد أن المجرمين في كل مكان بعد ذلك الهروب الجماعي من السجون، ينهبون ويغتصبون ويقتلون..

الحقيقة أن هناك أكثر من أمر ساعد في نشر تلك الفوضى، فقد استكان النظام وضم أذرعته الأخطبوطية إلى جانبيه تاركا هذه



الشائعات في الانتشار، بل وساعد خدمه في نشرها رغبة منهم في الزود عنه، فألقوا بحجر ضخم ليدفعوا بها ذبابة من فوق جسد النظام، فعلوا ذلك رغبة منهم في زرع الخوف بين الجماهير حتى تستقر في بيوتها فلا تنزل مطالبة بالتغيير وإسقاط النظام كما كانوا يهتفون.

ساعد في ذلك أيضًا بالفعل أو بالنشر تلك التيارات المعادية للنظام القائم، كثير ممن يبثون مثل هذه الفوضى كان يعلم خط سيرهم جيدًا الشيخ إبراهيم السويفي ومستر ناجي عبداللطيف وإيمان سمير ونبيل فهيم الذي ظهر في وسائل الإعلام يبكي على التظاهرات مستدرا بدموعه عطف الملايين من أبناء الشعب الصامت.

ما شغل حسام منصور في تلك اللحظات هم مساجين وادي النطرون الفارون، المعلومات المنشورة أنهم استقلوا سيارات السجن أو سرقوا أي سيارات صادفتهم واتخذوا طريق اسكندرية القاهرة الصحراوي وأول الأماكن السكنية التي تقابلهم هي تلك المساكن التي تقع على أطراف مدينتى الشيخ زايد والسادس من أكتوبر حيث يسكن حسام.. وإن كانت شائعات وإفكا، إلا أنها تترك في النفوس أثرا وخشية، ما بالنا وحسام منصور بداخله إنكسار يحتاج إلى سنوات كي يعود إلى وضعه القديم، الآن شائعات في كل مكان تكسر ما تبقى بداخله وبداخل زوجته ابنه الذي يتابع ما يحدث حوله بعين مرتاعة متسائلا عما يحدث ولماذا فقد والديه

نور وجهيهما، خاصة عندما استمعوا لصراخ سيدة تسكن بالقر
منهم تستغيث عبر قناة فضائية وتؤكد أن مسلحين يطوفون الشوا
يسرقون ويدمرون ويغتصبون الفتيات في الشوارع نهارا جهارا

لم يمر وقت طويل والملايين في حالة يرثى لها، لا يدركون من
الواقع شيئًا، مسيرون لا يعلمون إلى أين، لا هم لأحد إلا انشغا
بنفسه وأسرته. لحظات ويسمع حسام صراخ استغاثه، هذه المر
يأتي من أسفل العمارة وليس من شاشات التليفزيون.

لقد اقترب الخطر وأصبح أمام باب العمارة، جملة قرأه
في عينيى زوجته لم تنطق بها، جملة استمع إليها في صراخ ابنه
وأطفال الجيران الذين استشعروا الرعب بدلا من الدفء والحنان

يحاول حسام البحث عن مخرج، المكان لم يعد آمنا، يهدئ
من روع زوجته التي ترتعد خوفا وتضم طفلها إلى جناحيها، لا
يجد ما يفعله، يسرع ليشاهد الطريق من فتحة صغيرة في شيش
البلكون، يعود ليطفئ نور الشقة بأكمله ويتحدث بهمس:

– ما فيش حاجه بره.. دول الجيران بيجمعوا بعض عشان
يحموا المنطقة.

– إحنا مش هانقعد هنا يا حسام، تعالى نسافر البلد..

– هانوصل الشرقية إزاي يا سماح في الظروف دي، وبعدين
الساعة سته دلوقتي وفيه حظر تجوال هايبدأ بعد شوية..



تتزايد رعدة سماح فيتزايد صراخ ابنهم سعيد، يرتبك حسام، يشل تفكيره، بقلق يسير بين شيش البلكون وزوجته، يفعل ذلك بلا توقف، حتى يستجيب لطلبها:

- ماشي.. تعالوا نسافر البلد..

بملابس المنزل تحمل سماح طفلها وتفتح الباب، تهبط الدرج على أطراف أصابعها، خلفها يحمل حسام مفاتيح سيارته 124 ويخرج، يغلق الباب محافظا على ألا يصدر صوتا، قبل مغادرة بوابة العمارة تتوقف سماح وقد جحظت عيناها رعبا مما تتخيله في الخارج، يهدأها حسام وبنفس الهمس يتحدث:

- خدي سعيد وقابليني من الشارع الخلفي، هاقول للجيران إني هاخد العربية وأركنها بعيد.. وأقابلكم هناك..

يتوجه حسام نحو جيرانه الذين يقفون كالمستعد لمعركة وشيكة، يحمل كل منهم شومة أو سكينًا أو ما ملكت يداه من أدوات الدفاع عن النفس، يشعر بينهم بطمأنينة تمنى لو استطاع نقلها لزوجته وابنه ليعدلا عن أمر السفر، يطلب منه أحدهم أن يأخذ سيارته ويركنها بين العماير في الداخل حتى لا تتعرض للأذى. طوق نجاة آتاه بلا عناء، يدير محرك السيارة بيد مرتعشة، يتحرك بها ببطء حتى يدور حول عدد من البنايات حيث تنتظره زوجته حاملة طفلها، تضمه بقوة، يدلفون بسرعه إلى السيارة، ينطلق حسام مخترقا الحي بأكمله حتى يصل إلى قلب المدينة،

تقابله سياره تقلب له الأنوار فيفزع وتصرخ زوجته، تتوقف السيارة الأخرى على مقربة منه فيظهر سائقها، رجل في الخمس والى جواره زوجته، يشير له قائلًا:

- ارجع.. الدنيا جوه متبهدله..

- طب هانروح فين؟

- ناخد الصحراوى ونروح في أي حته..

يقول الرجل تلك الجملة وينطلق بسيارته الحديثة، يستدير حسام ويتبعه في اتجاه الطريق الصحراوى:

- نوصل الصحراوى ومنه على المحور وبعدين الدائرى على بلبيس على الزقازيق..

- اللي تعمله يا حسام.. المهم نكون بعيد عن ولاد الحرام اللي بيعملوا في الناس كدا..

لم ينطلق حسام أكثر من عشر دقائق وقبل أن يصل إلى الطريق الصحراوى يجد السيارات وقد توقفت صفا طويلًا. ينتظرون بعض الوقت حتى يمر سائق عائد من رحلة استطلاع الأمر ويخبرهم بأن هناك نقطة تفتيش ودبابة جيش وقد أوقفوا الحركة لحلول موعد حظر التجوال:

- هانبات مكانا كدا للصبح يا رجاله.. عشان حظر التجوال..



قال الجملـه وكأنـه يزف بشـرى، نطـق كلمتى حظـر التجوال بسعادة، لم يمر بمثل هذا الحدث في حياته. استطالت السيارات خلف حسـام وعلى الجانب الأيسـر له طوابير، أما الجانب الأيمن فكان عبارة عن تـل رملى وصخرى مرتفع بطـول الطريق. عليهم الانتظار بين الجمع متخذين منهم قوة تهدئ من روعهم، دقائق تمر الليلة، يأتي عسـكرى جيش، شـاب لـم يتخطى العشرين من عمره، بذلته المموجة وكابه الصغير وسلاحه المعلق في كتفه كانوا كأنهم يد العناية الإلهية التي تمسـح على الوجوه لتنشر الطمأنينه. يتوقف العسكرى ناظرا نحو حسام وزوجته، ثم يقول:

- لـو عـاوز تعدي يا أسـتاذ أعديك.. صعب تباتـوا هنا للصبح إنت والجماعة.

يفكر حسـام لحظـة ناظرا نحو سـماح الصامته، ثـم ينظر نحوه محاولا أن يظهر له الود وهو يقول:

- ولو عدينا ومشينا.. هايكون فيه أمان عن هنا؟

- دي مـش مضمونه.. إنت ونصيبك بقى.. دا أنا لسـه واصلنى اخبار إن فيه أربعين حالة اغتصاب وعشـرة اتقتلوا في سـته أكتوبر لوحدها..

- يبقى نخلينا هنا معاكم والصبح ربنا يفرجها..



يبتسم لهم العسكري بسذاجة من لا يعلم إلى أي مدي قد بث في قلوبهم الرعب بعد حالة الطمأنينة الأولى، ثم يعلق وهو يترك المكان:

- لو احتاجتوا الحاجة تعالى لي أدام عند الدبابة..

- متشكر قوي..

الصمت يعم المكان، توقفت كل السيارات في أماكنها بلا صوت، ركابها في داخلها، البرودة تلقي بجحافلها على الجميع فينكمشون. ينظر حسام إلى السيارة الموجودة أمامه، عربة نصف نقل محملة بأقفاص الطماطم، السيارة الموجودة خلفة نصف نقل أيضًا محملة بعدد من الجاموس والأغنام أما الموجودة عن يساره فكانت ملاكي يجلس فيها رجل عجوز صامت وقد أغلق نوافذها كاملة.

تسيطر عليهم تلك الحالة التي تنتاب الفرد عندما يمر بحدث ما فجأة وللمرة الأولى في حياته ولا يدرك تفاصيله ولا يعلم إلى أي طريق تقوده الأقدار فيصل إلى حالة من الصمت، ترتسم على الوجوه بلاهة لها طعمها الخاص وانتظار يائس لأشياء مجهولة لكنها لا محال ستحدث، فلن يتوقف الكون.

مرت ساعة تقريبًا وهم تماثيل تتنفس حتى سرت بينهم حالة من الهدوء والشعور بالأمان، فإن أتى أي هجوم الآن يستطيعون التغلب عليه بكثرتهم، يضاف إلى ذلك أن الهجوم سيكون من

الأطراف وهي بعيدة عن تلك النقطة التي يقف فيها حسام بعدما [illegible] طابور السيارات إلى مرمى البصر.

يهبط راكبا السيارة الرابضة خلف سيارة حسام ويجلسان على أرض الطريق بجوارها مستندين بظهورهم على قطع صخرية ملقاة بإهمال في الجزيرة التي تفصل بين الطريقين، أحدهما يرتدي جاكت أسود وبنطلون جينز قديم مهترئ من أطرافه السفلى مقصوصا من الخلف، يلف رقبته بكوفية صوف رمادية اللون وقد [illegible] طاقية صوف أيضًا على رأسه مغطيا أذنيه اتقاء للبرد، يبدو أنه سائق السيارة أما الثاني فيبدو أنه صاحب المواشي الموجودة في صندوق السيارة، يرتدي جلبابًا ثقيلًا بني اللون وعلى كتفيه تلفيحة عريضة مزركشة بألوان بنية وحمراء، جانباه يبرزان بشكل ملحوظ بسبب الصديرى الذي يرتديه أسفل الجلباب، صديرى به العديد من الجيوب، خزينة تجار المواشي، يتفنن الترزية في صناعة الجيوب اتقاء للسرقة التي تكثر في أسواق المواشي.

تتلاقى عينا حسام مع المعلم صاحب المواشي فيشير الأخير بيده محييا حسام بأسلوب أولاد البلد، يبادله حسام التحية، لحظات صمت يشعر بعدها بالحرج، فقد تحول الطريق، بجوار السيارات، إلى جلسات تعارف وسمر، بينما هو لا يزال في سيارته كما النساء، يترك السيارة معلنا أنه لا يخشى أي هجوم، يعتدل صاحب المواشي وهو يمد يده مصافحا حسام وينفض الأرض بيده الأخرى كي ينظفها لحسام قبل أن يجلس عليها، لم يكن



حسام ينتوي الجلوس، لقد ترك السيارة، رغم تشبث سماح به للحظات ويعود. الآن هو مضطر للجلوس معهم، فليجلس دقائق ينظر نحو سماح معتذرا، يتبادلون أطراف الحديث والتعارف الذي لابد منه في مثل هذه اللحظات والذي غالبا ما ينتهي بالعبارة التقليدية «أحسن ناس».

صاحب المواشي كان في طريقه إلى الشرقية آتيا بمواشيه من الفيوم، صفقة رتب لها من أيام وألقت به الأحداث إلى هذا المكان، أكثر ما كان يؤلمه، رغم عدم مبالاته الواضحة، أن مواشيه قد تمرض بسبب البرد والجوع والعطش:

- ذنبها أيه البهايم..

يشير نحوها بأسى ثم يكمل قائلًا:

- هه.. ربنا موجود وما بينساش حد.. بتعرف تقرا وتكتب يا أستاذ.. صح؟

يندهش حسام من سؤاله ويكتم ضحكة حاولت كسر الجمود وهو يجيبه:

- أكيد يا معلم.. ليه؟

- رصيدي خلص وهايكلموني من البيت يدوني رقم كارت الشحن.. هما بعتوا يشتروه دلوقتي.. قولت لهم هاتوا كارت من أبو عشرة.. كفاية.. يقضينا الليلة دي وبعدين تفرج.. هو إنت ما مامعاكشي حاجة تغطي الجماعة؟



- لا والله يا معلم.. ما كناش عاملين حسابنا إن فيها بيات..

- إحنا معانا بطانيه.. فتحي.. فتحي إنت نمت ولا ايه؟

ينتفض السائق الذي كان قد أخذته سنة من نوم، ينظر نحوهم متأملا بدهشة الخارج من أحلام لذيذة إلى واقع مُر، يتسائل:

- نعم يا معلم.. خير؟

- قوم هات البطانية اللي في العربية للأستاذ عشان يغطى عياله من السقعه..

بلا أي نقاش يتحرك فتحي إلى سيارته ويأتي ببطانية رمادية اللون راق واحد خشنة جدًا في طرفها ثقوب من أثر حرائق السجائر، يحملها حسام، يغطى ابنه النائم في حجر أمه، يتبادل الحديث لحظات مع سماح التي تطلب منه البقاء إلى جوارها، يجيبها بأنه سيجلس معهم لحظات من باب الذوق، قبل أن يتماديا في حديثهما يناديه صاحب المواشي:

- تعالى يا أستاذ عشان بيتصلوا أهوه..

يذهب حسام وقد أخرج قلما والتقط ورقة من جانب الطريق ليكتب رقم كارت الشحن، يجلس إلى جواره قائلًا:

- مليني الرقم يا معلم..

- خد كلمهم إنت وخد الرقم.. معاك الأستاذ أهوه يا عليوه.. مليه الرقم بقى.. بس واحده واحده يا وله أحسن عارفك بتاكل في الكلام أكل.



لا يجد حسام مفرا، يتناول التليفون، يأتيه صوت عليوه:

- سلاموا عليكم يا أستاذ..

- وعليكم السلام..

- أبويا كويس بجد؟ خايف يكون بيكدب علينا وحاصل ا
حاجه؟

- لأ يا عليوه.. ما تخافش.. هو عشان حظر التجوال بس
والصبح هانتحرك كلنا إن شاء الله.. مليني الرقم بقى..

يكتب الرقم ثم يعطى التليفون إلى الرجل الذي يتحدث إلى ابـ

- خلاص يا عليوه.. سلام بقى..

- مش عاوز حاجه يا آبه؟

- والله يا ابني في السقعة دي عاوز حلة محشى ور
محمرة.. غور بقى جاتك داهيه فيك إنت وأمك..

- حاضر يا آبه..

- وله يا عليوه.. خلى بالك من أمك واخواتك يا وله.. مع
السلامة يا حبيبي.

ينهي الاتصال ثم يمد يده بالتليفون نحو حسام:

- خد بقى يا أستاذ اشحن التليفون.

يتناول التليفون كاتما دهشته من تلك البساطة التي يتعامل بها
الرجل، يسأله في هدوء:



- إنت موبينيل ولا فودافون يا معلم؟

- لا موبينيل ولا فودافون.. أنا رمضان عبدالتواب..

قالها ثم أطلق ضحكة طفوليه طويلة رافعا يده ليهبط بها بشدة على كتف فتحى السائق الذي كان يعانى من سكرات النوم والفزع.. يضحك حسام من قلبه، ليس على قفشة الرجل إنما عليه شخصيا، أي نموذج يلقيه القدر اليوم في طريق حسام منصور؟

يهدأ الرجل ثم يعقب:

- أنا فودافون يا أستاذ..

- ماشي.. رقم خدمة الشحن لفودافون كام.. أصل أنا موبينيل؟

- اللي تشوفه يا أستاذ..

هنا لا يتمالك حسام نفسه فينطلق ضاحكا ناسيا كل ما حدث في الأيام المنصرمة، ينظر نحو سماح كأنه يتمنى أن تشاركه اللحظة، يجد وجهها قد بدأ يسترخي وعلامات الهدوء تظهر على وجهها، يبدو أنها استقت منهم الهدوء فنفضت تذمرها، يعود حسام بنظراته نحو المعلم رمضان يسأله ثانية:

- لأ.. بجد رقم الخدمة كام؟

- والله اللي تشوفه يا أستاذ.. مش هاتفرق كتير.. أقولك بصراحة.. أنا ما اعرفشي حاجة.. هو الواد عليوه.. هو اسمه على بس إحنا بندلعه ونقوله يا عليوه، عليوه ياخد التليفون يشحنه وأنا الكلم، بالك.. مش أنا لا يا أعرف أقرا ولا أكتب، بس أشوف

الاسم على التليفون واحفظ شكله ولو بعد سنه اتصل بيه يطلع اللي أنا عاوزه..

– دا أنت حكايه يا معلم رمضان.. وإنت يا فتحى فودافون ولا موبينيل؟

– موبينيل يا أستاذ..

يقف حسام، يسير نحو الأمام ليسأل الجالسين على حافة الطريق يتسامرون عن رقم خدمة فودافون، يحصل عليه، يعود ويجلس إلى جوار المعلم رمضان ويتمم عملية شحن الكارت بسلام، يتناول الرجل تليفونه وهو يقول:

– شكرا يا أستاذ.. آهو زي تليفونك برضه.. ما تقوم يا فتحى تشوف لنا شوية خشب نولعهم وهات العده لما نعمل شاى..

أشياء بسيطة لا غنى عنها على الطرقات لسائقى السيارات النقل، أساسيات تقيهم السؤال. يشعلون النار ويصنعون الشاي، تتزايد حلقتهم حول النار، يتناوبون الشرب في الكوب الوحيد الموجود، لم ينسى المعلم رمضان أن يكافئ حسام بكوب كامل من الشاي مشيرا بطرف عينه نحو سيارته، يحمل حسام الكوب ويذهب إلى سماح، تشعر وللمرة الأولى في حياتها بقيمة كوب الشاي هذا..

يقترب الليل من انتصافه، يهبط النوم بأذرعته الطويلة على المكان فينام بعضهم مكانه ويغلق الكثير سيارته وينام، يجلس حسام داخل السيارة يتبادل الحديث مع سماح بينما تمدد ابنهم



[..]ما في المقعد الخلفي، دقائق وتنقبض عضلات وجه سماح [..]سألها حسام عما بها، تجيبه بأنها في أمس الحاجة لقضاء حاجتها، [..] ثلاث ساعات وهي تعاني، ماءها يكاد يسيل منها رغما عنها.

يتذكر حسام ما هم فيه، مأساة حقيقية تلاشى بعضها أمام ظرف المعلم رمضان، يتذكر كافة التفاصيل فجأة، ما وصلوا إليه الآن، [..]صاعد بداخلة نيران الغضب، تمنى لو كان المتسبب في كل ما يمرون به موجودا أمامه الآن، كان لينتقم منه ألف مرة. إن أراد أن يقضي حاجته أو ابنه سيفعلون ذلك بجانب الطريق، لكن ماذا عن سماح، أيبحث لها عن مكان بعيد؟ خشى ذلك، فلا أمان إن ابتعدا عن هذا المكان، لا أحد يعلم ما تخفيه هذه الصحراء المترامية.

يهبط حسام ليستطلع المكان الذي يسوده الصمت، يختلس البقية انشغال البيقة اليقظة في أمورها، يدور حول سيارته ناحية اليمين الذي يحده تل رملى مرتفع قليلا، يفتح الباب المجاور لسماح، صانعا من جسده ومن الباب ومن السيارة مثلث صغير، [..]سحب سماح بهدوء وتكاد دماء الخجل تنضح بدلا من ذلك العرق الذي سال على وجهها من شدة الانفعال وحبس الماء لفترات طويلة، تتساقط دموعها غزيرة من أجفان كأجفان السحب الشتوية السوداء، لم تتخيل يوما أن تمر بمثل هذه اللحظات، تجلس على قدميها كصريع مشدوهٍ تلقى سهامًا مسمومة..

ترفع ثيابها، تفرغ ماءها...



أحداث كثيرة تمر بها البلاد خلال الأيام التالية، عاشها أبناء الشعب وكأن على رؤوسهم الطير، أحداث تشهدها الأجيال الحالية للمرة الأولى، وهي المرة الثانية لمن تبقى على قيد الحياة من أجيال عاشت نكسة 67 حتى انتصار 73، هي اليوم أجيال في خريف العمر، تتساقط وريقاتها الجافة الباقية فتذروها رياح الشباب المتحمس الرافض لكل قديم.

لم يكن إنسحاب الشرطة من الشوارع في المدن فقط إنما انعكس بدورة على يد الشرطة في الأرياف، فقد انسحب عمد القرى وخفرائهم وأغلقوا عليهم أبوابهم، تركوا خلفهم فراغا حقيقيًا وإن كانوا من الأصل غير ذى قيمة فعلية، كانوا كخيال مآته تخشاه الطيور إذا هزته الرياح، سقط خيال المآته فهبطت أسراب الطيور تنال من ثمارها.

يقرر حسن عبدالحميد أن يُشكل هو وعدد من شباب القرية مجموعات لحماية قريتهم بعدما انتشرت شائعات كثيرة عن انتشار اللصوص في كل مكان وهروب الأشقياء المحجوزين في أقسام الشرطة في المدن المجاورة وأنهم يعيثون في الأرض فسادا.

بإعجاب تنظر لمياء نحو حسن الذي أتى لزيارتهم ليلا ليطمئنهم بما يفعله هو وشباب القرية. يخبرهم أنهم شكلوا ثماني فرق على مداخل القرية الأربعة، كل فرقة من خمس أفراد تقوم بالحراسة لمدة ست ساعات ثم تترك مكانها للفرقة البديلة لتكمل حتى صباح اليوم التالي.



لتحمس لمياء للحدث فتشارك بكثير من التوجيهات التي يحملها حسن إلى مجموعات الشباب وينفذونها مباشرة، من ذلك أن يكون هناك ربط بين المجموعات عن طريق الاتصالات التليفونية، فإذا هجم أشقياء كُثر على مجموعة من الشباب استطاعوا عن طريق التليفون الاستعانة بباقى المجموعات، أو إذا قامت مجموعة بتفتيش من يمر فعلى المجموعة التالية ألا تقوم بالتفتيش مرة أخرى حتى لا تحدث مشكلات مع أهالى المنطقة السلميين، فتخبر المجموعة البقية بأنها أتمت المهمة، تنصحهم لمياء أيضًا بالتجهيزات، ففي الأرياف كثيرًا ما يقطع التيار الكهربائى ويسود الظلام لذا عليهم أن يحملوا بطاريات الإضاءة، ولا مانع من تسليح قليل فيخبرها حسن بأنهم يحملون الشوم والعصى وأسلحة بيضاء، تؤكد لمياء على ضرورة أن يحمل تلك الأسلحة البيضاء شباب يتميزون بالحكمة ويكونون على قدر من الوعى كيلا يستخدموها بشكل عشوائى لأسباب تافهة.

يتدبرون مع والدها وخالها الحال إذا تم القبض بالفعل على أحد اللصوص، فما هو التصرف المنتظر لحظتها ولا توجد جهة يتم تسليمها إليه؟ بعد لحظات من التفكير يقرر الخال أنه في حالة حدوث ذلك فسوف يقومون بحجزه في مكان محكم الغلق انتظارا لما تسفر عنه الأحداث.

على هذه الشاكلة انطلقت الأمور في المدن والقرى، أغلقت المصالح الحكومية أبوابها، تم تأجيل الدراسة، تقدمت الوزارة



باستقالتها وحلت محلها وزارة جديدة، بدأت تقدم الوعود للجماهير وتتحدث معهم بطريقة أكثر حداثة في الوقت الذي تعهد فيه رأس النظام بالكثير من التعهدات ضامنا فيها للجماهير أنها مجرد شهور متبقية ويترك السلطة لرئيس جديد تختاره الجماهير عن طريق انتخابات نزيهة وأنه يخشى إن هو ترك السلطة الآن حدوث حالة من الفوضى في البلاد، كرر تلك الجملة في أكثر من خطاب حالة من الهدوء بدأت تعم البلاد بعد تلك التعهدات خاصة بعد ما شاهدوه من فوضى خلال الأيام الماضية، يترك الكثير الميدان.

■ ■ ■

في تلك اللحظات يجلس الدكتور صالح فاغرا فاهه أمام الشيخ إبراهيم السويفي منتظرا إجابته عن السؤال الذي ألقاه عليه:

- هانتصرف إزاي يا مولانا؟

مغادرة الشباب للميدان وعودة الكثير إلى منازلهم، بل وتعاطف الملايين مع كلمة رأس النظام أمر لم يكن في الحسبان على الاطلاق، كل الجهود الماضية تضيع في لحظات، تعبئة وشحن الجماهير لسنوات كاملة يتلاشى أمام أعينهم ولا قدرة على التصرف، ماذا يفعلون لقلب الشارع مرة أخرى ضد النظام ورأسه؟؟ كيف يقنعون الجماهير بالاستمرار حتى إسقاط النظام الذي تعهد بالتغيير الحقيقى خلال الأيام القادمة وترك أريكة الحكم خلال شهور؟؟



- الناس في بلدنا بيتعاملوا بعواطفهم يا دكتور صالح، وصاحبك قدر يلعب عليهم..

- والحل؟

- الحل من عند ربنا.. لكن دلوقتي لازم كل شبابنا على الإنترنت وفي كل مكان في مصر يقولوا حاجه واحده..

- أيه؟

- يقولوا إن الكلام دا مجرد مسكنات لغاية النظام ما ياخد نفاسه ويقبض على كل النشطاء ويرمى كل اللي نزل الشارع في السجون.

وكأن الدكتور صالح يتلقى مثل تلك المعلومات بلا وعى، فقد هز رأسه بعنف وتوجه ناحية منضدة قريبة، يلتقط تليفونه، يتصل بأحد الأرقام، يهمس بما سمعه بالحرف الواحد، حتى لحظات الصمت التي صمتها الشيخ إبراهيم بين الكلمات كان يصمتها هو الآخر ولا نبالغ إذا قلنا إنه رسم على وجهه نفس الملامح. يعود ليواجه الشيخ إبراهيم ناظرا نحوه متفحصا علامات وجهه منتظرا ما سيلقيه عليه بعد طول تفكير.

فجأة تتغير ملامح الشيخ إبراهيم منبسطة، يتراقص شبح ابتسامه على وجهه وهو يتذكر فجأة ذلك اللقاء في مؤسسة الحرية الكبرى، كيف نسيه؟ يبدو أنه زحام الأحداث. حديث طويل لأحد رجال العلوم السياسية الحديثة، الدكتور جونس تاسيان من جامعة



كامبردج وعضو فعال في المنظمة، يتذكر إبراهيم الآن كل كلما قالها، تمر لحظات كان وجهه فيها كمرآة تعكس تفاصيل كاملة لذلك اللقاء، يتابعه الدكتور صالح صامتا في انتظار أي كلمة، تمر تلك اللحظات ثقيلة حتى يتحدث الشيخ إبراهيم بكلمات هادئة تفصلها لحظات صمت:

- ولادنا اللي في الميدان يفضلوا هناك.. ما يخرجوش مهما حصل.. كلم الأخ عبدالسلام يبعت عربيات شرطة وفيها عساكر تهجم على المعتصمين في الميدان..

يعلم الدكتور صالح جيدًا أن هناك عددًا من سيارات الشرطة تم احتطافها خلال الأيام السابقة عند اقتحام السجون وأقسام الشرطة بالاضافة إلى أسلحة وذخيرة وملابس شرطية، كل ذلك تم التحفظ عليه في أماكن محددة وموزعة على أماكن تساعد في تواجدها في أي مكان بسرعة.

■ ■ ■

اتصال تليفونى من ناجي عبداللطيف يستدعى إيمان سمير لمقابلته فورا في مقر المركز الثقافي البريطاني، لا تمر غير دقائق قليلة تصل خلالها إيمان بسيارتها إلى المركز، يساعدها حالة الشوارع الخالية تقريبًا من المارة في ذلك الصباح.

للمرة الأولى تشاهد إيمان سمير مستر ناجي في مثل هذه الحالة من الهياج. صمتت وجلست بين مجموعة الحضور، نبيل

فهيم، شادي رشـاد، سميرة فؤاد، شكرى فريد وآخرين لم تقابلهم من قبل..

يتحدث مستر ناجي بانفعال يحاول كبحه فلا يستطيع قائلًا:

- واضح جدًّا إنكم استسـلمتم وكلكم نايميين في بيوتكم وكل اللي حلمنا بيه في سنين بيضيع في ثوانى..

- الموجـه كبيـرة والكلام اللـي الراجل قاله إمبـارح في كلمته هزت مشـاعر الشـعب كله، خصوصـا بعد ما كتير مـن الاعلاميين تعاطف معاه بالدموع.

تحدثت إيمان بذلك وعقب بعدها نبيل فهيم قائلًا:

- كتير من اللي نعرفهم سـابونا وقالوا ننتظر الكام شـهر ولو ما حصلشى تغيير ننزل تاني..

- غلـط.. غلط يا شـباب.. دا كله كلام لغاية مـا يقبضوا عليكم ويرموكم في السـجون بأي تهمه.. فلوس النظام هاتظهر في لحظة والشـرطة ورجالتها وأمن الدولة هايمسكوا البلد بايد حديدية ولو حصـل وانتهينا على كدا عمرنا ما هانقدر ننطـق بكلمة واحده بعد كدا.. دا إذا فضلنا عايشيين..

ينطلـق الحديث في عدة اتجاهـات، يتبادلون الرأي، يختلفون، لكـن الاطار العام هو أنهم لا يجـب أن يتركوا الميادين، يجب أن يتحركوا في طريق مواجهة النظام بأي شكل.



تتساءل إيمان عن الخطوة التالية في ظل هذه الظروف وانسحاب الجماهير من الشوارع، لا يجيبها ناجي بخطوات محددة إنما يؤكد لهم أنها ساعات قليلة وسيكون لهم دور مهم، لكنه وبمنتهى الصدق لا يعلمه، كل ما يعلمه الآن أنه يجب أن يجتمع بهم وألا يتركهم كي لا يفقدوا حماسهم.. كان في انتظار حركة ذلك الخيط الذي يتعلق به ليتحرك وفقا لحركته.

■■■

يتصل الدكتور صالح حفظى بالأخ عبدالسلام مسئول الجماعة عن قطاع وسط القاهرة، يتبادل معه بعض عبارات، ينهي المكالمة ويعود إلى الشيخ إبراهيم ليخبره:

– تمام يا مولانا.. إن شاء الله تعالى كلها ساعة زمن ويكون فيه هجوم على الميدان..

– نبهت عليه إن يكون هجوم من غير دم؟

– من غير ما أقول يا مولانا، الأخ عبدالسلام عارف شغله كويس.. هايكون هجوم سريع وضرب في أماكن ظاهره ومعاهم كمان طلقات خرطوش وفوارغ رصاص حى دا غير أكياس الدم..

يتثاءب الشيخ إبراهيم، يقف بصعوبة من شدة الارهاق، يتوجه إلى الحمام ليتوضأ ويصلى ركعات لا يعلم عددها، يطيل السجود داعيا الله عز وجل بأن يقضى على ذلك الحاكم الظالم وزبانيته الذين يحاربون دين الله. يتبعه الدكتور صالح فيتوضأ ويصلى هو



الأمر داعيا المولى عز وجل بالكثير من الدعاء الذي يحفظه عن ظهر قلب، بينما كان بعض الاخوه لا يزالون نائمين لا يعلم كثير منهم ما عزم عليه الشيخ إبراهيم وتابعه الدكتور صالح وينفذ حاليا على أرض مصر.

ينهي الشيخ إبراهيم صلاته مناديا الدكتور صالح الذي لم يكن قد انتهي من صلاته بعد، لكنه ما أن يسمع النداء حتى يُعجل صلاته وينهيها سريعًا ثم يتوجه ناحية شيخه برأس مطأطأة كأنها مربوطة بثقل:

- أمرك يا مولانا..

- بعد الهجوم على الميدان لازم يكون فيه ناس كتير لمؤازرة المعتصمين، لازم نعمل حسابنا وأعضاء الجماعة يكونوا جاهزين.. ينزلوا بكثافة كإنهم من الجماهير الرافضة لتعامل الشرطة الهمجى ودي هاتكون الفرصة المناسبة، الاعلام ينقل للعالم كله حقيقة النظام القمعي، النظام اللي هايقضى على كل اللي نزل الشارع وقال كلمة حق في وجه سلطان جائر.

- حاضر يا مولانا.. هاتصل بيهم وأرتب كل شيء..

■ ■ ■

تستقى لمياء سعيد معلوماتها من القنوات الفضائية التي تنقل في هذا الصباح صورا للميدان يكاد يكون خاليا بعد أن تركه الكثير منذ ليلة أمس، تلاحظ علامات الرضا على والديها وكأن غمة ثقيلة



قد أزيحت فجأة، فشلت محاولاتها العديدة للحصول على شري
تليفونها من والدها كي تتصل بأصدقائها في القاهرة، أخبر
والدها وبمنتهي الصراحة أن الفترة الحالية لا تصلح أبدًا لتلك
الحرية الماضية التي تركها تعيشها فيما مضى، وأنه سيكون أشد
حزما لو صممت على رأيها، شاهدت إصرارا لم تشاهده من قبل
على ملامح شخصية جديدة استقت قوتها من تواجدها في تلك
الأرض التي ترعرعت فيها، أرض قريتهم الأم، حزنت في البداية
قليلًا ثم استكانت وتركت الأمور تسير كيفما يُقدر لها أن تسير.

زاد من هدوءها ما شاهدته على حسن عبدالحميد الذي كان
يأتيها كل فترة لينقل لها أخبار قريتهم وما فعلته مجموعاته الشبابية
في حراسة القرية، أتاها في ذلك الصباح مشرقا ليخبرها أن البلد
ستعود إلى عهدها السابق وسيعود الأمن، فقد خرجت الناس إلى
أعمالها.

رغم كل ذلك لم تشعر لمياء براحة حقيقية، حتى إنها رفضت
دعوة حسن للخروج في نزهة بالقارب في النيل متعللة بشعورها
بالارهاق وأنها تفضل البقاء في حجرتها للقراءة بعض الوقت. لم
تعلم لمخاوفها هذه مصدرا فآثرت الصمت والانتظار.

■■■

دوى كأصوات خلية نحل يعم المكان في شقة الشيخ إبراهيم،
بعضهم يتحدث في همس وآخرون يقرأون القرآن الكريم وبعضهم

...امت، فجأة يشق ذلك الدوى رنين هاتف الدكتور صالح، يتناوله ويرد التحية:

- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته

يصمت لحظات، فجأة تظهر على وجهه علامات دهشة، يحول ناحية الشيخ إبراهيم ولا يزال تليفونه في يده، يتحدث ...الحا لحظة ثم يتماسك ويتحدث همسا:

- الأخ عبدالسلام يا فضيلة الشيخ بيقول إن فيه مسيرة مؤيده النظام الفاسد جايه من شارع الهرم نازله وسط البلد...

يتناول الشيخ إبراهيم الهاتف، ينصت لحظات، يتساءل بهدوء:

- ما أعتقدشي إنهم هايكملوا ناحية وسط البلد.. والله فكره.. ...لد يا أخ عبدالسلام..

ينهي المكالمة ويناول التليفون إلى الدكتور صالح الذي يتساءل عما سينفذه الأخ عبدالسلام؟؟

يبتسم الشيخ إبراهيم وهو يجيبه:

- غيرنا الخطة يا دكتور صالح وبدل ما نبعت عربيات شرطة وشباب لابس ملابس شرطة، هانبعتهم عادي مع المسيرة المؤيده، يمشوا معاهم ويهتفوا زيهم، بيقولك فرقة مزمار بلدي وجمال واحصنه..

- وبعدين؟



- رجالتنا يحمسوهم وياخدوا المسيرة للميدان والباقي إنت عارفه.

■ ■ ■

يهتز هاتف ناجي عبداللطيف في جيب سترته الداخلي يستخرجه في هدوء، يشاهد اسم المتصل، يبدو أنه كان في انتظاره، يفتح الخط «ألو..» يظل صامتا لحظات تعلو ملامحه علامات حماسيه بدلا من تلك الانكسارية التي لازمته منذ بداية لقاءه مع مجموعة الشباب الذين يلاحظون انبساطه فيهدأ داخلهم ينهي المكالمة بكلمة واحدة «ok» لكنه حملها الكثير من المعاني

يقف مواجها الشباب بمنتهي القوة قابضا كفه اليمنى وهو يتحدث، تنفر عروق وجهه فيحمر أكثر وهو يقول:

- جت اللحظة اللي كنا بندور عليها يا شباب.. الحزب الوطني باعت مجرمينه للمتظاهرين في التحرير، المعركة هاتبدأ بعد دقايق.. لازم كلكم والشباب اللي معاكم تكونوا في الميدان قبل ما يطردونا منه.. الميدان هو محط أنظار العالم.. وبعد المعركة دي مصر كلها هاتبقى معاكم.. الأجهزة معاكم وانتوا في الميدان صوروا كل حركه، عاوزين صفحات النت تتملى بجرائم النظام.

- هايبقى صعب في ظل المعركة اللي بتقول عليها يا مستر ناجي؟

يسأل نبيل فهيم. فيجيبه ناجي بدهشة:



- ومـن إمتى انتوا بتكونوا في المواجهة يـا نبيل !! إنتوا دوركم يا إحنا متفقين تجهيز الشباب وتصديرهـم للمقدمة، دوركم في تحميسـهم وتصوير المشـهد ونقله للعالم هـو المهم.. وطبعا انتوا متدربين كويس قوي على عبارات الإثارة والحشد..

■ ■ ■

تخرج لمياء سـعيد من غرفتها على صيحات اسـتهجان خالها، لما يشاهده على شاشات التلفزيون لا يصدقه عقل، حرب حقيقية بين المواطنين في ميدان التحرير، الأيام الماضية كانت المواجهات بين النظام والمتظاهرين، اليوم لا شـرطة ولا جيش وإنما مواطنون يواجهـون بعضهم البعض، هـذا طرف يؤيد النظـام وطرف ضده، لقد استطاع النظام أن يلقي بالمواطنين في المواجهة بعد أن فشلت أياديه، هكذا تحدثت وسائل الاعلام عن المشهد.

تجلس لمياء لتتابع المشـهد.. في اللحظة الأولى تم الاشـتباك بين الوافدين إلـى الميدان والمعتصمين فيه بشـكل تلقائى، فهناك من يقوم بالهجوم مستخدما قوته وهناك من يدافع عن نفسه بغريزة حب البقاء، لحظـات وتنتهي المواجهة المتداخلة وتبدأ المواجهة المباشـرة المنظمة التي يصطف فيها الطرفـان، جانب المعتصمين في الميـدان وجانب القادمين مـن خارجه وقد اتخـذوا من ميدان عبدالمنعم رياض مقرا لهم، تشهد تلك الأمتار التي تجاور متحف القاهـرة وتربـط بين التحريـر وعبدالمنعم ريـاض، تلك الأحداث التي عرفت إعلاميا باسم موقعة الجمل.



تمر الدقائق الأولى وتنتهي توترات عنصر المفاجأة وتهدأ الأذهان وتعمل الآلة الجهنمية على أكثر من محور، لتزيد من اشتعال الأحداث. يتعاون الطرفان وذلك حينما لم تتدخل القوات المسلحة للفصل بين الطرفين طوال تلك المدة وحينما يرسل رجال الحزب الوطني رجالهم ويدعمونهم دعما لوجستيا للانتصار والقضاء على تلك التظاهرات التي اربكت المشهد وعكرت صفو استقرارهم.

يعلق والد لمياء بأن هناك أمر مريب يحدث، فليست هذه طبيعة المصريين وأن مثل هذا الصراع الدائر وعدم تدخل القوات المسلحة للفصل يعني رغبة في استمرار المشهد، فيجيبه شقيق زوجته مدرس التاريخ الذي يعلم الكثير عن جماعة الاخوان المسلمين قائلا:

– اللي بيحصل دا جاى على الطبطاب للاخوان.. يعشقوا دور المقهور المظلوم.. وبكره تشوفوا..

– نشوف أيه يا خال؟

تتساءل لمياء، ينظر نحوها الخال مليا كأنه يرتب أفكاره، تلك كانت عادته عندما يريد أن يسيطر على دفة الحديث، ثم يقول:

– بكره تشوفي يا لمياء إنهم عمرهم ما هيسيبوا الميدان، لأن كل الموجودين دول بمجرد ما هايسيبوا الميدان هاتكون السجون في انتظارهم، المسألة حياة أو موت.. والنظام بيقع يا بنتى وبقى أضعف من إنه يواجههم ويواجه أفكارهم الجهنمية.



- بس كل اللي في الميدان مش إخوان يا خالي؟

- السيطرة دايمًا بتبقى للجهة الأقوى في التنظيم والعدد يا لمياء.

- وإزاي النظام بقى ضعيف لدرجة إنه مش هايقدر يقاوم والجيش في كل مكان؟

يجيبها والدها بهدوء:

- لو الجيش كان عنده رغبة في مساعدة النظام يا لمياء ما كانشي ساب اللي بيحصل دا يحصل، لأن المشهد دا يوقع النظام..

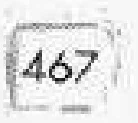
تعتلي الدهشة ملامح لمياء وهي تتساءل:

- القوات المسلحة عاوزة النظام يقع؟!

- المؤكد إنها عاوزة رأس النظام هو اللي يقع.. والأيام هاتثبت.

في مساء هذا اليوم يظهر القتل ليضيف مشهدا جديدًا من الدماء إلى مشاهد القتل الدموية العشوائية التي تمت يوم الجمعة 28 يناير.

في الأيام التالية يتزايد عدد المعتصمين في الميدان وتتواجد لجان لتأمينه بكثافة مما يشعر الكثير بالأمان فتتزايد الأعداد أكثر وأكثر، تتواجد العديد من القنوات الفضائية وعلى رأسها قناة الجزيرة بين المعتصمين تنقل آمالهم وطموحاتهم إلى العالم أجمع، تشاهد لمياء صديقتها إيمان سمير على الشاشات وهي



تهتف بـأن النظام سـقط وانتهي أمره ومـا هي إلا أيـام حتى يزول نهائيا، تنهي كلامها بمنتهي الثقة قائلة: خلاص جيم أوفر.

للمـرة الأولـى تشـاهد إيمـان في صـورة أخرى غير تلـك التي عهدتهـا عليهـا خاصـة وأن من يجلس إلـى جوارها، وهـم بطبيعة الحـال لا يعلمون علاقتها بها، كانوا يعلقون بعبارات اشمئزاز من تلـك الفتاة واللهجة المتعالية التي تتحدث بها. زاد من تلك النظرة نحو إيمان سـمير ما شـاهدته لمياء في الريف من بسـاطة وتلقائية فلم تشاهد بين هؤلاء أي أطماع، إنما رغبة في الاستقرار والأمان، أقصـى أحلام هؤلاء في أن توفر الدولة لهم شـبكة صرف صحي أو تصلهـم مواسير المياه بدلا مـن الطلمبات أو تستقر الكهرباء، إنهـا آمال لم تحققها لهم الدولة لـذا تفاعل بعضهم مع التظاهرات المنـددة بالنظـام، هـذه هـي حقوقهـم التي يجـب أن تكون سببا لخروجهم من سنوات ولكنهم لم يخرجوا ناعمين بالأمن.

اليوم تشاهد إيمان سمير تقرر أن اللعبة انتهت وأن النظام انتهى، من أي مصدر استقت إيمان هذه القوة وتلك الثقة؟

يقطع حبل شرودها خالها وهو يقول:

- أقطع دراعي إن ما كانت البنت دي واخده فلوس تقلها.

■ ■ ■

تتلقـى إيمان سـمير الخبـر بعين صماء وشـفاة مـدلاة من فرط الذهول، لا تجد ما تعلق به، حتى دموعها تحجرت في مآقيها..



- توفيق عبدالستار اتقتل.. القناصة من فوق أسطح العماير..

تلك هي الجملة التي أتتها عبر الهاتف من لحظات. كانت قد عادت من الميدان مع الساعات الأولى من الليل، لديها حصيلة عبارة عن مئات الصور ومقاطع الفيديو عليها أن تختار أكثرها إثارة للرأي العام وأكثرها دموية وتعبيرا عن وحشية النظام لتنشرها على صفحات الفيس والمواقع.

أتاها خبر مقتل توفيق عبدالستار ليزيد نيران غضبها اشتعالا، كانت مشحونة كإناء مضغوط يكاد ينفجر من الغليان بداخله وقد أتاها الخبر فانفجرت بالفعل، انفجرت على صفحات الفيس والمواقع الاخبارية التي تراسلها.

تكتب للمرة الأولى عبارات ناريه ناقمة على النظام الاجرامى القاتل الذي يسعى للقبض بيد حديدية مصنوعة من رصاص الغدر على وطن يمتص دماءه منذ عشرات السنين، ألم يكفهم ما سرقوه طوال هذه السنين؟! اليوم يقتلون الشباب الحالم البرئ الذي لم يطلب غير حقه في الحياة، يقتنصون حياته كاملة !!

ألهبت الصفحات والمواقع، انتشرت تلك الصور ومقاطع الفيديو التي التقطتها انتشار النار في الهشيم في يوم حار، الملايين شاهدت وعلقت، الملايين توعدت النظام وأقسمت أن تجنب عواطفها التي أثيرت منذ ساعات، فقد مضى عصر المشاعر وآن



عهد الحقيقة.. من هم أصحاب هذا الوطن ومن أحق بقيادته؟ هم أبناء الشعب وليست قلة تسرقه وتذله في آن واحد.

لـم يكن توفيق عبدالستار الوحيد الذي تـم قنصه، فقد ظهر للمرة الأولى القناصة من فوق أسطح العمارات وسقط القتيل تلو الآخـر وتحولـت الدفة مرة أخرى ضـد النظام الحاكـم، تأكد أمام الجميع أن خطابه لم يكن إلا للتسكين واستغفال المواطنين بينما يده تبطش ضربا وقتلا في أبناء هذا الوطن المسـالمين المعتصمين في الميدان.

في الأيام التالية عادت الجموع تحتشد في الميدان وبدأت الدعوات إلـى مليونيـات كل يوم جمعـة وثلاثاء، اعتصمت إيمـان وآخرون في الميدان، لقاءات على كل القنوات يهتفون فيها ضد النظام.

تسـارعت الأحـداث وتوالت ردود الأفعـال المحلية والعالمية وتـم التصعيـد والحشـد والتهديـد باقتحـام القصـر الجمهوري وارتبكت القيادة السياسية خاصة مع ثبات موقف القوات المسلحة منذ اليوم الأول بأنها لن تكون يدًا للنظام ضد الشـعب.. و.. سقط النظام..

سـقط في يـوم الجمعة الحادي عشـر مـن فبراير عـام 2011 م وانسـحب مباشـرة مـن المشـهد النظـام ورجالـه وظهـرت القيادة الجديدة المتمثلة في المجلس العسكرى الذي سيدير شئون البلاد





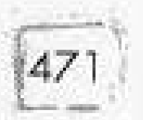
(38)

الصـــــراع

بعـد تلك الفترة التي قضاها حسـام منصور وأسـرته في بلدهم في محافظة الشـرقية يعود إلى شـقته في مدينة السـادس من أكتوبر ليمارسـوا حياتهـم بشـكل طبيعـى كمـا باقـى الجماهير بعـد بيان التنحى.

تشـهد الأيام التالية عودة للحيـاة الطبيعية، فمن كان ضد النظام عاد ليؤكد للعالم أنه على حق وأنه يبدأ الآن عصرا جديدًا تستحقه مصـر وأهلهـا، ومن كان في جانب النظام عاد إلـى عمله ليؤكد أنه ليس مـع نظام فاشـل وأنه سـعيد بهذا الميـلاد الجديد. انتشـرت دعوات في كل مكان بأننا منذ اليوم مصر جديدة لا سـرقة لا رشوة لا فساد لا مخالفة للقوانين.

الجمعـة 18 فبراير كان هناك احتفالية كبيـرة في ميدان التحرير تحت عنـوان جمعة النصر، يصطحب حسـام أسـرته ليحتفلوا مع الجماهير فـي ميـدان التحرير، خطيـب الجمعـة وإمامها الشـيخ



إبراهيم السويفي، خطبة عن نهاية عصر الظلم وانتصار الحق وا
الله مع عباده الصالحين يؤيدهم بجنود من عنده وينصرهم إ
شاء.

بعد انتهاء الصلاة انطلقت التكبيرات:

- الله أكبر الله أكبر ولله الحمد..

يرددها الآلاف في الميدان خلف الإمام لحظات، فجأة يهتف
أحد الحضور بصوت مرتفع:

- تحيا مصر.

تجيبه الآلاف: تحيا مصر. يتطوع أحدهم ليحمله فوق أعناقه
ليعلو هتافه، فيشاهده الجميع وتركز عليه الكاميرات، إنه حسام
منصور.. يهتف من أعماقه أن تحيا مصر.. تحيا مصر.. حتى
حبست دموعه صوته، فطلب من حامله أن يهبط به إلى أرض
الميدان، فهتف بدلا منه الكثير..

رغب الشيخ إبراهيم الذي يعتلي المنصة الكبرى في الميدان
بهذه التكبيرات بعد الصلاة مباشرة أن يبعث رسالة إلى العالم
أجمع عن وصولهم إلى المنصة الأولى، هذا ما فهمه حسام
منصور جيدًا الذي لم ينضم يوما لتنظيم أو جماعة وإنما شارك من
أجل مصر فهتف باسمها، وخلفه ردد الآلاف في الميدان بنفس
المشاعر.



السبب الرئيسي فيما فعله حسام هو ما علمه عن طريق الصدفة عن مقتل صديقه توفيق عبدالستار، تلك التفاصيل الرهيبة التي علمها وأخفاها بداخله حتى تقابل في ذلك اليوم مع لمياء سعيد ليخبرها بالحقيقة كاملة.

لمياء التي عادت إلى القاهرة في اليوم التالي للتنحي بصحبة والديها، مودعة أسرة خالها وحسن عبد الحميد على وعد بتكرار الزيارة.

في طريقها تستأذن والدها في شريحة تليفونها المحمول، يعطيها لها بنظرة تحمل الكثير من التحذير المغلف بخوف وحب لا حدود لهما.

ما إن تضع شريحتها في هاتفها حتى تاتيها عدة رسائل لتخبرها بأرقام من اتصلوا بها خلال الفترة الماضية، على رأس المتصلين إيمان سمير، لم تجد بداخلها أي رغبة في محادثتها، لا تعلم لأي سبب ذاب ذلك الخط الرابط بينهما، لا تعلم أيضًا لماذا تذكرت حسن عبدالحميد في تلك اللحظة. الحقيقة أن إيمان سمير كانت بالنسبة لها كما لحظة ضعف يمر بها إنسان ويتمنى ألا يتذكرها أو يرى ما يذكره بها.

كل منا يمر بمثل تلك اللحظة التي يود فيها أن يلقى سره في بئر ويردم عليه للأبد وإن حدث وقابل شيئًا يذكره بذلك السر ود لو حفر ذلك البئر وألقى ذلك الشيء إلى جوار سره أيضًا.



لم تعد تتذكر لحظات الرغبة والشبق التي كانت تقضيها مع إيمان في شقتها بابتسامتها الساخرة، إنما ينقبض داخلها فتشغل نفسها بأي شيء آخر، الآن وقد أتتها رسائل تفيد اتصال إيمان بها لا تود أن تحدثها. لحظات ويرن هاتفها، إنها إيمان سمير، لقد وصلتها رسالة الآن بأن تليفون لمياء متاح، يتبادل والديها النظرات لكنهما لا يعلقان، تجيب لمياء على الهاتف بجمل مقتضبة:

- أنا كويسة.. الحمد لله يا إيمان.. كنا مسافرين عند خالي من قبل 25 وراجعين دلوقتي.. لأ مش هاقدر النهاردة.. هابقى أكلمك أنا.. باى.

على الجانب الآخر تعلو الدهشة وجه إيمان سمير لحظات لكنها لم تولى الأمر عناية، فقد تحقق ما تريد، لمياء وغيرها من الشباب مرحلة وإن لم تنتهي كما أخبرها مستر ناجي عبداللطيف الذي أكد لهم في آخر اجتماع بعد التنحي بأن تظل علاقاتهم حميدة بكل مجموعاتهم وبكل الأصدقاء الجدد الذين توطدت صلاتهم بهم في الميدان. كان ذلك سبب اتصالها بها، أما ما كان سبب نسيانها لمياء وغيرها الآن هو انتظارها لتلك السيارة التي ستقلها من شقتها إلى مدينة الانتاج الإعلامي لتحل ضيفة على برامج التوك شو، فقد أصبحت ضيفة دائمة في البرامج تحت مسمى ناشطة سياسية.

تتوقف سيارة والد لمياء أمام العمارة الشاهقة في المعادي حيث يقطنون، تخبر لمياء والديها بعدم رغبتها في الصعود الآن،



ترغب في التجول بين الناس في شوارع وسط البلد، والداها يعلمان عشقها لتلك الجولة فلم يمانعا وإن انفردت بها أمها وأخبرتها بكم تُفتهم فيها وأنهما بالفعل يرغبان ألا تجتمع بمن كانت تجتمع معهم من قبل على الأقل حتى تتضح الرؤية في ذلك الجو المشحون والمحمل بغيوم سميكة ذات ألوان قاتمة.

على الوجوه ابتسامات وآمال لا حدود لها، الكثير لا يزال يخالف ويفعل ما يريد ولكن الآخر يتقبل ذلك كمرحلة سوف تنتهي سريعا، لم تدرك لمياء ولا كثير غيرها أنها أصبحت طبيعة لدى هؤلاء وأنهم جبلوا على ذلك من أجيال ولت وتحقيق تلك الآمال والانتقال بالبلاد لن يتم أبدًا بتغيير القشور إنما بتغيير الجوهر.

سعدت بملاحظة تلك الابتسامات خلال الأيام التالية، فقد تغيرت طباع الجماهير كثيرًا، يتحملون بعضهم، يبحث الشاب عن مسن ليعبر به الطريق أو ليجلسه مكانه في وسائل المواصلات، ينتظر شاب رؤية متحرش كي يردعه، أو مخالفا لقواعد المرور فيوبخه مبتسما معلقا بأن أيام الفوضى قد ولت.

تلح لمياء على والديها للمشاركة في فعاليات جمعة النصر التالية للتنحي لمشاركة الجماهير فرحتهم، خوفا عليها وافقا على النزول معها، صلوا الجمعة ولاحظوا الهتاف بالعبارات الاسلامية ثم فتى يهتف تحيا مصر محمولا على الأعناق، كان بالقرب منهم، هتف قليلًا ثم دمعت عيناه تأثرا فنزل ليتوه في الزحام لكنه لم



يختفي عن عين لمياء سعيد التي اقتربت منه، تحدثت إليه كشا
وطني ذو حس طيب:

– أنا لمياء سعيد..

– وأنا حسام منصور..

– بتهتف بصوت عالي والسبب كلنا هنا عشانه وهو حبنا لمصر
وفرحتنا برجوعها لينا.. لكن ليه بتبكي؟

– لسببين، الأول حبي لمصر. والتاني على صاحبي اللي اتقتل
غدر من ناس موجودين هنا بيحتفلوا.. قتلوا صاحبي توفيق عبد
الستار هنا في الميدان دا يا أنسة لمياء يوم موقعة الجمل.

تشهق لمياء حال سماعها اسم توفيق وتفاصيل مقتله، يخبرها
حسام بالكثير من المعلومات التي حصل عليها من أكثر من مصدر
خلال الأيام القليلة الماضية، فقد كان توفيق من ضمن المجموعات
الشبابية التي ذهبت إلى الميدان لتزيد المعتصمين قوة أمام ذلك
الهجوم لاحتلال الميدان واستمر في جانب المعتصمين ساعات
طويلة يمدهم أحيانًا بالحجارة المطلوبة وبزجاجات الماء وأحيانا
يلقي هو نفسه بالطوب حتى أوشك النهار على الانتهاء، وبينما
يقف توفيق عبدالستار بين عدد من الشباب يصدون الهجوم على
الميدان إذ يلاحظ توفيق شابا على الطرف الآخر يلقي بزجاجة
مولوتوف عليهم، كان عليه الاقتراب كثيرًا كي تحقق الزجاجة
هدفها المرجو، في لحظة قذفه للزجاجة سقطت عن وجهه الكوفية

التي تخفي معظم ملامحه، فشاهده توفيق بوضوح، إنه بهجت فريد زميل الجامعة، صُعق توفيق وهو يصرخ: بهجت فريد. فانتبه الفتى الذي كان قد ألقى زجاجة المولوتوف ويعود إلى صفوف المهاجمين، ينظر نحو الخلف ليشاهد الناطق باسمه، يراه بوضوح أيضا إنه توفيق عبدالستار.

في تلك اللحظة يجذب شاب توفيق جانبا ليتفادي قذيفة من الحجارة متوجهة نحو رأسه بشكل مباشر، يلاحظ الفتى نظرات الدهشة والاستغراب على وجه توفيق، يعودان خلف الصفوف ويسأله عما به، يخبره توفيق وهو يشير بيد ذاهلة نحو صفوف المهاجمين، وهو يقول:

- اللي حذف المولوتوف علينا دا بهجت فريد، كان زميل دراسة وهو من أنشط شباب جماعة الاخوان في الجامعة.

يقف الشابان مذهولان، شاب من جماعة الاخوان المنضمة لصفوف المتظاهرين وإن تأخرت أياما، يقف الآن مهاجما الثوار؟!! أم أنه قد تغير بعد انتهاء الدراسة الجامعية وانضم إلى صفوف الحزب الوطني؟

يخبرها حسام منصور بأن شابا ثالثا قد انضم إليهم في الحوار يستمع لحظات ثم يتركهم، ولم تمر ساعة زمن حتى كان توفيق قد قتل برصاصة قناص من فوق سطح العمارة المجاورة، وقد أخبره الشاب بأنه كان قريبا منه ولاحظ متابعة الشاب الثالث لهم وأنه

اقترب ليداوى جروح توفيق الـذي كان قد فارق الحياة بالفعل تلك الشكوك التي حامت حول مقتل توفيق عبد الستار واسم الشاب الاخواني بهجت فريد الذي لن ينساه حسام بسهولة جعله يقطع هتاف الجماعة في الميدان ليهتف تحيا مصر.

لا تجد لمياء ما تعلق بـه فقد اختلطت مشاعرها، بينما يتابعها والداها وكأنهما يؤكدان لها أن خشيتهم في محلها، جلسوا في جانب مقهي وادي النيل المزدحم جدًا في ذلك الوقت وأكملوا حديثهم وهم يحتسون الشاي، أكثر ما كان يؤرقهم في تلك اللحظات المنصة الرئيسية في الميدان والتي كانت مقرا للشيخ إبراهيم السويفي ومن حوله رجال جماعته، إنها بمثابة قمرة القيادة في السفينة. لم تفهم لمياء أو حسام وغيرهم الكثير من التفاصيل، فقد اختلطت الأمور بشكل يجعل العقول تتوقف، لكن ذلك كان يعد بذورا حقيقية لاتجاهات فكرية سوف تنبت وتثمر خلال السنوات التالية.

تشهد الساحة في الأيام التالية حالة من الحراك السريع الغريب، ظهر حزب الوسط بشكل رسمي ومن خلفه عشرات الأحزاب على رأسها حزب الحرية والعدالة الذي يمثل الذراع السياسي للجماعة، وحزب النور الذي يمثل السلفيين.

أكثر ما كان يُدهش له حسام منصور وكان محور حديثه مع زوجته خلال الأيام التالية، فلم يعد يفضل النزول كثيرًا، ذلك الاعتراف بجماعة الاخوان ولم يعد يطلق عليها إعلاميا الجماعة



المحظورة وأصبح رجالها يتبارون للظهور على الشاشات وفي الإذاعات وبما أننا في مجتمعنا نعاني من الجهل الاعلامي وخاصة في تلك القنوات الخاصة التي تسعى إلى تحقيق الشو سياسية أي مبادئ أو قيم، فقد تم عمل لقاءات لقيادات خرجت من السجون، ما بين هاربة أو بانتهاء مدة عقوبتها لكنها ظلت في السجون لخطورتها على المجتمع من وجهة نظر النظام المتهاوى ثم خرجت بعد سقوطه، هذه الشخصيات التي كانت معتقلة لقتلها أو مشاركتها في مقتل الرئيس محمد أنور السادات، وغيرهم ممن اتهموا من قبل بالارهاب وتهديدهم للأمن العام، تجرى معهم الفضائيات لقاءات حصرية.

أن تقوم قنوات فضائية بعمل هذه اللقاءات مع هؤلاء، ليس الهدف منه مواجهة مباشرة وتوضيح مدي جرمهم وتطرف فكرهم أمام الرأي العام وإنما قابلوهم كأبطال، صنعوا منهم رموزا، جعلوا منهم قادة يُنتظر منهم أفعال لقيادة هذه الأمة، سألوهم وبمنتهي «العبط» عن رؤيتهم للمستقبل وما يحملونه من آمال وطموحات..!!

أيام قليلة ويعود حسام إلى ممارسة عمله هو وزوجته رافضا المشاركة في أي نشاطات يشعر بعدم جدواها، فما كان يحدث من أمور لم يكن ليتفق مع أفكاره وآماله، شاهد صراعات رهيبة تحدث، شاهد ظهور إمعات وجهلاء يتحدثون في شأن مصر، ينزوى أصحاب الرأي والفكر بعد الهجمات الشرسة عليهم

في وسائل الإعلام أو على الانترنت، يكفي فقط أن يخرج رأي يقول بأن هناك مؤامرة تتعرض لها البلاد مستغلة حالة الضعف والانكسار التي نعيشها الآن، لحظات ويكون صاحب هذا الرأي عدو وعميل وخائن وهو أحد كبار النظام السابق وما يقول ذلك إلا لرغبته في عودة هذا النظام المنحل.

التهم كثيرة وجاهزة، ومن السهل أن تصلك ديليفري في لحظات.

(39)

أمـــن الدولـــة

لم تسيطر على الشيخ إبراهيم السويفي والدكتور صالح حفظى وباقي مجموعتهم سعادة بقدر ما كانت تسيطر عليهم في هذه الأيام التي تلت جمعة النصر وتصدرهم المشهد كاملا، حتى تلك اللقاءات التي نظمها المجلس العسكري، الذي يقود البلاد في تلك الفترة، من أجل مناقشة مستقبل البلاد كانوا يحتلون المقاعد القريبة من رئيس المجلس والقائد الأعلى للقوات المسلحة، يناقشون معه من نفس المستوى ويملون قرارات كانت بالأمس أحلاما، فالجماهير معهم الآن وبإشارة منهم يجعلون قائد المرحلة يلحق بمن سبقوه.

أحاديث مغلفة بابتسامات صفراء دالة على عداء دفين سوف يطفو إلى السطح مرة أخرى بمجرد مرور الأزمة.

إشارة الشيخ إبراهيم وتابعه الدكتور صالح إلى أن الجماهير أصبحت رهن إشارتهم، جعلت الطرف الآخر يشير بطرف خفي

إلى تاريخ أعضاء الجماعة الذي لا يزال تحت أيديهم وقد أ
أحدهم لحظة لم يتمالك فيها أعصابه، فهؤلاء القوم الذين يتلا
بهم الآن كانت أقصى أمانيهم أن ينالوا رضاهم ولو بنظرة عط
تتضارب بداخله المشاعر فيقول:

- مش للدرجة دي يا شيخ إبراهيم، الجماهير اللي بتستقوى
هايكون لها رأي تاني لو عرفت أي معلومة عن زياراتك لم
الحرية الكبرى.

يرتجف داخل إبراهيم السويفي من المفاجأة، لكنه يستفيق في
لحظات، لو كانوا يمتلكون شيئًا ضده لأظهروه، لمَ سيحافظو
عليه ويبقوه سرا؟ عبثت يده في جيب سترته بتلك القطعة المعد
التي تحمل على وجهيها الرسوم الفرعونية بينما ترتسم على
ملامحه الهدوء ويستغفر الله عز وجل من أن تكون مثل تلك
الترهات قد حدثت. يعود بعدبضع جمل بالحوار إلى مجراه تاركا
عصا القيادة إلى رجال المجلس العسكرى، لكنه في داخله يضمر
كراهية لا حدود لها، وسوف يكون له معهم شأن آخر.

يعود الشيخ إبراهيم بصحبة الدكتور صالح إلى الشقة في ذلك
اليوم مهموما، وعندما يسأله الدكتور صالح عن أمر منظمة الحرية
الكبرى يجيبه بأنها منظمة تعمل في مجال حقوق الإنسان وأنه
زارها منذ عدة سنوات ليلقى في إحدى ندواتها كلمة عن الحرية
في الإسلام. لن يعمل ذهن الدكتور صالح بحثا عن نوعية التهديد



[...]ان مثل ذلك، ولم يترك له الشيخ إبراهيم الوقت ليفكر في أي [...]اصيل إنما باغته سريعا:

- اسمعني كويس يا دكتور صالح..

- خير يا مولانا..

- إنت عارف إن كتير من الاخوة لهم ملفات في أمن الدولة، والملفات دي فيها قضايا جاهزة ضد الاخوة..

- دا معروف يا مولانا..

- إحنا وبحمد الله قدرنا نقضى على جبروت الشرطة لكن واضح إنهم لسه بيستقوا بأمن الدولة..

- وجهاز زي أمن الدولة هايعمل أيه يا مولانا؟

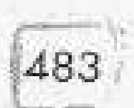
- يعمل كتير يا دكتور صالح.. عنده المعلومات اللي تخلي الناس تبعد عننا في أي وقت..

- بس الناس..

يقاطعه الشيخ إبراهيم، فيصمت الدكتور صالح منصتا في [...]شوع للشيخ إبراهيم وهو يقول:

- الناس عندنا عاطفيين يا دكتور صالح، ولو قنواتهم الفاسدة اشتغلت شوية على معلومات أمن الدولة هايعملولنا مشاكل كتير إحنا في غنى عنها دلوقتي. وبعدين إرجع للتاريخ..

- التاريخ؟!



- لما فتح المسلمون الأندلس سابوا بلد صغيره قوى في حضن الجبل كانت هي النواة اللي طلعت منها الدولة اللي هزمت المسلمين وقضوا على دولتنا هناك.

- اللي تؤمرني بيه يا شيخ إبراهيم.

- لازم نتحرك وبسرعة على محورين يا دكتور صالح، المحور الأول ودا لازم نبدأ فيه من بكرة القضاء على جهاز أمن الدولة والمحور التاني قنوات فضائية إسلامية مع الموجودة دلوقتي يتكلموا باسمنا..

في الأيام التالية تنطلق شائعات غير محددة المصدر عن قضايا فساد لكبار رجال النظام المتهاوى وكل ملفات هذه القضايا وملفات أخرى لأمور غاية في الخطورة موجود في مقار أمن الدولة، وشائعات أخرى تؤكد أن رجال النظام سوف يتخلصون من هذه الملفات التي تدينهم، وذيلت تلك الأقوال بأن الأموال المهربة إلى خارج البلاد والتي تقدر بمليارات الدولارات لن تعود إلى مصر بدون هذه الملفات، ولا يغيب عن أحد أن تلك الأموال المهربة للخارج في حال عودتها سوف تنعش أحوال الجميع.

تسيطر الشائعات على الجميع خلال الأيام القليلة التي مرت منذ التنحى، فقد كانت البلاد غارقة في بحار بلا شطئان.. في دقائق معدودة تم الهجوم على مقار جهاز أمن الدولة على مستوى الجمهورية، كان هجوما منظما وإن حاول البعض تصويره على أنه



والي وأنه حدث عن طريق رجال أمن الدولة أنفسهم ليقضوا
على قضايا فسادهم التي تتحدث عنها الجموع من أيام.

كانت ابتسامة النصر التي تعلو وجه إبراهيم السويفي، وهو
يتابع مشاهد اقتحام مقار أمن الدولة على شاشات الفضائيات، لا
توصف، سيما عندما آتاه أحد رجاله بملفه الخاص.

هناك وفي مكان آخر تجلس إيمان سمير بصحبة مجموعة من
الأصدقاء وبعد حديث طويل ينتحى بها أحد الشباب مكانًا قصيًا
ليخرج من حقيبة يده ملفًا أوراق وصور، تتصفحه إيمان سريعًا
ثم تطويه لتضعه في حقيبة يدها وعلى وجهها علامات سعادة لا
توصف.

لكن الذي لم يكن يعلمه الشيخ إبراهيم ورجاله وإيمان سمير،
أن رجال أمن الدولة كانوا يتوقعون هذه الخطوة، فحفظوا نسخا
من ملفاتهم على اسطوانات إلكترونية وفلاشات، وما كان يمثل
خطرا مثل ملفات الأمن القومى احتفظوا بصور منها ثم أدخلوها
المفرمة قبل تركهم للمقار التي سوف تهاجم بعد قليل.

يلاحظ الدكتور صالح علامات السعادة على وجه شيخه
فيبتسم أيضًا، ثم يتحدث بهدوء:

– حصلنا على ترخيص لقناتين يا مولانا وبنجهز فريق إعلامى
من شباب الجماعة.



- عظيم يا دكتور صالح.. لكن فيه خطوة مهمة في المرة الجاية.

- خير يا مولانا؟

- باقتحام أمن الدولة تكون الشرطة كلها سقطت.. ما باقي غير قوتين اتنين يا دكتور صالح.

- مين يا مولانا؟

- الحزب الوطني المتهالك والقوات المسلحة.

■■■

(40)

وائــل طلعــت

يتحرك وائل طلعت بسيارته، يلقى نظرة سريعة على الحقيبة الملقاة على المقعد المجاور له، يُشعل سيجارة ينفث دخانها في هدوء، الوقت لا يزال مبكرا، الثامنة والنصف صباحا، أخبر نبيلة عبدالفتاح على بأنه سوف يتأخر ساعة، يذهب فيها إلى شركة الصرافة التي تفتح أبوابها في التاسعة صباحا، تقريبًا نصف ساعة ينهي فيها استبدال المبلغ الموجود معه، من المرات القليلة التي يقوم فيها بتجميع هذا المبلغ، عملات مختلفة بين الريال السعودي والدينار الكويتى والدولار الأمريكي، ما يحمله يعادل بالجنيه المصري مليون ونصف.

دقائق يصل إلى الشركة، لا تزال أبوابها الرئيسية مغلقة، باب جانبي صغير يدلف منه العاملون، عامل نظافة يجول في المكان، الهدوء يخيم على المكان بوجه عام، فضل أن يأتي مبكرا ليكون أول عميل، ينهون له عملية التغيير سريعا ثم يتوجه ليترك حقيبة



المال في منزله، بعدها يقود يارته سريعا إلى عمله، قد يتأخر أكثر
من ساعة على عمله، يبتسم حالما يتخيل عبدالفتاح زميله في العمل
وهو يصرخ في المواطنين الذين ينادونه: أستاذ عبده.. عبده بيه..
عبده باشا.. خصوصا أنه يقوم بعمله وعمل وائل في نفس الوقت،
قد تأتي عليه لحظة ينفجر فيها صارخا في طابور المواطنين، فعلها
كثيرًا من قبل، ينظر إليهم وقد اعتلت ملامحه غضب لا حدود له،
يلقي ما في يده من أوراق في الهواء فتتناثر في المكان، يصرخ:

- الله يحرق عبده وسنين عبده.. هو فيه أيه يا جدعان..؟ ما كل
واحد يحترم دوره ويخلي لسانه جوه بقه..

ثم يرتد إلى الخلف، يسحب مقعدًا يجلس عليه في هدوء ويشعل
سيجارته السوبر، الغريب أن الطابور أمامه يعتدل وتعم حالة من
الصمت والاستكانة، كل منهم يحمل أوراقه وينتظر في هدوء، يقف
عبدالفتاح بعدما يغمز له وائل بطرف عينه أن: يكفي هذا يا عبده،
دقائق يعمل فيها عبدالفتاح لمن يلتزم الهدوء ويدفع أكثر، يلاحظ
بعض الحضور ذلك فيستفسر عن شيء فلا يجد إجابه فيرتفع
صوته بالسؤال ومناداة الأستاذ عبده، يتبعه آخر، دقائق معدودة
ويعود الطابور إلى سيرته الأولى كتلة بشرية أمام الشباك تخرج منها
عشرات الأيدي حاملة أوراقًا متداخلة، لكل منها مطلبها الخاص.

يبتسم وائل، تهب على المكان رائحة الفول المدمس من عربة
قريبة تقف على ناصية الشارع وحولها نفر يتناولون وجبة الإفطار،
يترجل من سيارته، يغلقها بالريموت، يقرأ لافتة معلقة بعرض
الشارع مكتوب عليها باللون الأحمر العريض «نعم للتعديلات

الدستورية» ثم باللون الأزرق وبخط أقل قليلًا من السابق كتبوا التصويت على التعديلات الدستورية والموافقة عليها واجب شرعي» وعلى يسار اللافته وفي مربع أصفر اللون يقرأ وائل موعدنا للاستفتاء السبت القادم 19/ 3» وأسفل اللافتة باللون الأحمر كُتب: فتوى الشيخ المحلاوى. ثم في النهاية وداخل مستطيل أصفر توقيع: الاخوان المسلمون.

لا يهتم كثيرًا، فلم تكن السياسة لتشغله بأحداثها في أحد الأيام لهنا بالنا وقد أصبحت اليوم بحرًا هائجًا تتلاطم أمواجه السوداء، حركة تغيير العملة الصعبة قد تأثرت في الأيام الماضية ولكن ها هي تعود، نعم ليس بنفس القوة ولكنها تعود، يمط شفتيه بلا تعبير محدد، يتوجه نحو عربة الفول، يطلب ساندوتشين بالزيت الحار، يعدهما صاحب العربة بحركات آلية كعازف يؤدي لحنا يحفظه عن ظهر قلب، بالهنا والشفا يا باشا مطرح ما يسرى يمرى وآدي حتتين مخلل لأغلى باشا، كلمات تتساقط من صاحب العربة، تأدبا، معاملة حسنة، استعطافًا لنيل بقشيش، سَمها ما تشاء، يعطيه وائل الثمن بلا زياده، يحمل سندوتشاته ويعود نحو سيارته، يفتحها بالريموت ثم يمد يده يفتح بابها، يلقى نظره على شركة الصرافة، لم تفتح أبوابها بعد، يدلف إلى السيارة، يضع كيس السندوتشات على يمينه، يمد يده اليسرى يجذب باب سيارته ليغلقه، فجأة يجد يدًا تجذب الباب بقوة رهيبه جعلته يرتد للخلف شاهقًا.

■■■



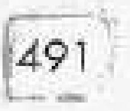
(41)

الحـــادثـــة

حادثة مدوية سيطرت على عناويـن الأخبار لفتـرة تلك التي كشفها مجدي سـرور وأضافت إلى تاريخه تاريخا وإلى ظهوره الإعلامي بُعدًا جديدًا، فلم يناقش أحد غيابه أثناء اشتعال الأحداث ولامناقشة ظهورة بمجرد تأكد سقوط النظام.

فقـد ظهر في حالة نشاط غير عاديه لا تفارقـه عبارات تؤكد أنه كان فاعلا في إسـقاط النظام، مؤكدا على أن الفترة القادمة ستشهد مصرا جديدة وأنه لن يدخر جهدا لتحقيق ذلك.

الحقيقـة أن الصدفـة لعبـت دورا كبيرًا لصالح مجدي سـرور، فعندما صعد نجمه بعد أن غطت السـحب تلك النجوم السـاطعة، أراد أن يطفـو بحزبـه فـوق السـطح طامعا فـي أن يحتـل الصدارة على مائدة السياسـة المصرية، كل ما أراده هـو أن يضم عددًا كبيرًا من الأعضـاء للحزب، طبع آلاف الاستمارات وحملها الشباب وهبطوا بها إلى الميدان بين المحتفلين في جمعة النصر بعد سقوط



النظام، العقول أبكار كما قلوب الأطفال، ابتسامات على الو... التي تحمل استمارات الانضمام إلى الحزب وآمال عريضة ... مصر المستقبل لنا، كل ما عليك هو أن تملأ هذه الاستمارة وتو... عليها، ما أكد عليه مجدي في اجتماعه بهم أنه يريد عددًا، فكل... زاد عدد الأعضاء زادت قوة الحزب، جمعوا توقيعات كثيرة ... أناس حالمين بذلك المستقبل المشرق.

المرحلة التالية والتي يجب أن ينجزها بأسرع ما يمكن، ... أن يضم إلى حزبه عددًا من الشخصيات العامة ذات الشه... والجماهيرية وفي نفس الوقت يخضعوا له ويدينوا له بالولا... الطاعة أو على الأقل لا يطمعوا يوما في رئاسة الحزب ومنافس... في الساحة السياسية، إنه يريدهم كعناصر لاستكمال الصورة.

يهبط في الأسانسير من شقته وبدلا من أن يضغط زر الدور الأرضي يضغط زر الدور الثالث، حيث تسكن السيدة آمال ... الدين، تلك السيدة ذات التاريخ الفني والمعروفة بين الكثير من الأوساط.

يخرج من الأسانسير ويقترب من شقتها، يبحث عن جرس الباب الذي بهت لونه مع مرور الأيام واختفي في تلك الإضاءة الخافتة التي تضفي على المكان رهبة، يضغط زر الجرس ويقف منتظرا من يفتح له الباب. لم يكن يتخيل يوما أن هناك خلف الباب ينتظره ذلك المشهد المروع.

سنوات طويلة مرت على السيدة أمال عز الدين لم يخطر على بالها أو حتى في أحلامها أنها سوف تعيش لتشاهد تلك الأحداث التي مرت بها البلاد مؤخرا، في أيام مجدها كانت القاهرة صاحبة البنايات العريقة والشوارع الواسعة والسيارات القليلة جدًّا، إنها مدينة رائعة ،تتميز بالهواء النقى والهدوء اللذيذ، يجلسون في النوادي أو الكازينوهات على شاطئ النهر، رحلات نيلية أو ركوب خيل حول الأهرامات، كأس أيس كريم في جروبى، قطعة شيكولاته مع فنجان قهوة في استراحات الفنادق المطلة على النيل أيضًا، لم تكن حياة صاخبة على الإطلاق، اليوم عادت تعاني زحام الشوارع وتعامل العامة، لم يعد هناك حفظ للمراكز ومستويات البشر، تعاملها الحسن مع الطبقة الدنيا فهمه هؤلاء على أنه تعامل الند للند.

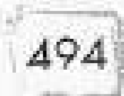
لم تنسى الفتاة «حفيظة» ابنة العشرين ربيعا، التي أتى بها البواب لتنظف لها شقتها مرة كل شهر فتاة تتعثر في ثوبها الأسود الطويل الذي لم يخفي عينيها اللامعتين ونظراتها غير المستقرة، عملية التنظيف لم تكن تستغرق منها ساعتين على أقصى تقدير، تنال مقابلا يعادل مرتب مدير عام لشهر كامل فيما مضى، مع تكرار الزيارات تغيرت معاملة حفيظة، تتأخر كثيرًا عن موعدها فلديها زبائن آخرون، شقق أخرى بها رجال يقدرونها، كانت حفيظة تحمل المبلغ الذي تنفحه إياها السيدة أمال دون إظهار أي استحسان، تكوره في يدها باستهانه وأحيانا تنظر إليه باحتقار وتلقيه في حقيبة

يدهـا بلا أدنى اهتمام بينما تلوك علكتها في فمها بصوت مسموع وهي تطلب أشياء عينية كملابس أو أطعمة وغيرها.

بعد المظاهرات الأخيرة تجرأت حفيظة وطلبت ضعف المبلغ فرفضت السيدة أمال الخضوع لذلك الاستغلال واستغنت عن حفيظة، فشلت في العثور على بديل لها، ذات يوم استوقفتها فتاة متسولة في الشارع تسألها الصدقة، بمنتهى الصدق طلبت منها السيدة أمال أن تأتيها لتنظف لها شقتها وسوف تعطيها في الساعة خمسين جنيهًا ومتوقع أن تنهي عملها في ساعتين، ترفض الفتاة ممتعضة ملقية وابلا من السباب على السيدة التي أضاعت لها وقتها دون أن تعطيها أي شيء غير الكلام الحمضان على قولها.

تلك الحال وما كانت تبثه وسائل الإعلام من أعمال عنف في الشوارع جعل السيدة أمال عز الدين لا تترك شقتها إلا نادرا جدًا.

صدقت حفيظة عندما أتتها من فترة تسأل عنها وعن صحتها، فقد كانت تمر بالجوار وقالت في نفسها أنه يجب عليها أن تسأل عن الست أمال هانم فالعشرة لا تهون إلا على أولاد الحرام، تشمر حفيظة عن ساعديها وتعمل بهمة ونشاط في تنظيف الشقة ثم ترحل وترفض أن تتقاضى أي أجر فهي ما فعلت ذلك إلا محبة للسيدة أمال ابنة الأصول، وكل ما تطلبه منها أن تغفر لها غلطتها السابقه وتقبل أن تمر عليها كل فترة وتدفع ما تريده، صدقتها أمال وطلبت منها أن تمر عليها مرتان في الشهر.



منذ ثلاثة أيام مرت على تلك اللحظة التي يقف فيها مجدي سرور أمام شقتها وبالضبط في الساعة الواحدة بعد منتصف الليل، كانت السيدة أمال عز الدين ثوب نومها الأزرق، تصنع لنفسها كوبا من الشاي الأخضر، بصعوبة تتحرك إلى غرفة نومها بعد جولة سخافة بين برامج التوك شو. تحتسى الشاي في السرير، تسحب غطاءها لتنام، لحظات تمر هادئة، تسمع حركة خفيفة في الصالة، تكذب أذنيها في المرة الأولى، عندما تكررت الحركة توجست خيفة وتحركت على أطراف أصابعها تستطلع الأمر، ما أن تصل إلى باب غرفتها حتى تفاجئ برجل ضخم الجثة يرتدي ثيابا سوداء، كف يده عريضه جدًا، بمنتهى العنف غطت هذه اليد وجهها تمامًا، في اللحظة الأخيرة استطاعت أن تشاهد حفيظة تقف خلف هذا الشاب تُحرك بعصبية سلسلة المفاتيح في يدها وعلى وجهها ابتسامة انتصار لم ولن تستطيع السيدة أمال تذكرها أبدًا.

ينتظر مجدي سرور أمام الباب بعدما يضغط الجرس ليجيبه أحد، لكن الصمت الذي قابل نداءه كان صمتا له رائحة كريهة، أعاد ضغط الجرس مرة ثانية وثالثة بينما الرائحة المنبعثة من أسفل باب الشقة تكاد تخنقة، توجس خيفة مجدي سرور فأخرج تليفونه المحمول، يتصل بضابط شرطة قسم المنيل فقد كان على معرفة شخصية به.

هناك، في منطقة كرداسة التابعة لمحافظة الجيزة تتأوه حفيظة وهي تمارس الجنس مع رجلها الرفاعى سرحان بكفه الغليظة



يعتصر ثدييها تارة ويضم فخذيها بقوة تارة أخرى، تلك الأيدي العريضة التي أنهت حياة آمال عز الدين منذ أيام قليلة.

يستلقيان عاريان يلهثان وعلى وجهيهما نشوة وقطرات عرق، تعتدل حفيظة بتلك الخطوط الحمراء المتناثرة على جسدها الأبيض العارى لتأكل ثمرة موز مستورد وتلقى ثمرة أخرى إلى الرفاعى الذي يعتدل ليلتهمها في قضمتين ويتحدث بينما يمضغ فتخرج الكلمات متعثرة والحروف متناثرة وهو يقول:

- حتتين دهب وألفين جنيه يا حفيظة وتقوليلى هانم كبيرة قوى؟

- بتفتح الموضوع دا تاني ليه يا رفاعى؟

- يا بت.. إن سرقت إسرق جمل..

- يعني أيه يا رفاعى؟

- يعني تشوفي لنا واحدة تكون متريشة، عندها خميرة حلوة تريحنا طول العمر مش واحدة زي الممثلة العدمانة بتاعتك اللي طلعنا به من شقتها ما يكفناش أسبوعين تلاته..!!

- وهما كل الستات بيدونى مفاتيح شققهم يا رفاعى؟ طب دي واحده على نياتها وعيانه وكانت بتديني المفتاح وأنا نازله أشترى لها طلبات..

- بس أنا عفارم عليا قولت لك إعملى نسخه من المفتاح.. شوفتى المفتاح الأبيض ينفع في اليوم الاسود..



يطلق ضحكة طويلة بعدها وهو يسحب من أسفل المخدة سيجارة طويلة يبدو أنها صناعة يدوية، يشعلها فتلتهمها النار لتقذف حممها إلى صدره ثم يخرج دخانها كثيفا ليملأ المكان. تعلم حفيظة أن تلك السيجارة يدخرها الرفاعى كي يخلق حالة جنسية جديدة فتعتلي ركبتيه لتساعده فتمتص شفتيه مرة وسيجارته مرة، ثم تقول:

- أشوف واحدة تانيه نموتها برضه يا رفاعى؟! لو اتمسكنا هانروح في داهية.

- اتمسكنا..؟! ومين بقى اللي هايمسكنا يا بت يا هبله.. هي البلد بقى فيها حد يمسك؟ الكلام دا كان زمان يا بت، النهاردة البلد بقت بلدنا نعمل اللي إحنا عاوزينه وماحدش له عندنا حاجة.. هما عاشوا العمر كله في الجنة وإحنا واكلين المر، يسيبونا نعيش يومين بقى.

يسحب النفس الأخير في سيجارته ثم يلقيها في جانب الغرفة، بعدها يلقى حفيظة من فوق ركبتيه إلى جانبه ثم يعتليها بقوة، يعتصرها مرة ثانية، كان يحمل أحقادا لا نهاية لها، الانتقام من الكل هدفه، أخرج بركان غضبه الكامن حممه فجأة فخرجت ضربات متتالية تتلقاها حفيظة بمنتهي السعادة قائلة في ذهول:

- يخرب بيتك يا رفاعى.. أيه الحلاوة دي.

تسعده كلماتها فيزداد قوة، يسحب بأصابعه الغليظة ظهرها من الجانبين تاركا خطوطا دامية تصرخ حفيظة على إثرها فتضمه أكثر، وتصرخ أكثر.



هنا.. في شقة السيدة أمال عز الدين تنطلق صرخة أخرى من سيدة من جيرانها، طرق مجدي سرور الثلاث شقق المجاورة للسيدة آمال يسألهم عنها وبعدما لا يجد إجابة يخبرهم بأنه يشك في الأمر وقد اتصل بضابط صديقة وهو في الطريق إلى هنا. دقائق وتصل قوة شرطة، تتعامل مع الباب، يدخلون الشقة، تصرخ هذه السيدة مما تشاهده، السيدة أمال عز الدين جثة على الأرض في ثوب نومها الأزرق وقد تغير لونها وتصدر عنها رائحة كريهة جعلت الكل يرفع يده على أنفه وكأنه لن يتنفس، يذهب مجدي نحو النافذة فيفتحها كي يدخل إلى الشقة هواء جديد.

في اليوم التالي يحتل خبر مقتل الفنانة العظيمة صاحبة التاريخ الفنى الطويل أمال عز الدين مساحات في برامج التوك شو وكان ضيفهم على الهواء مكتشف الجريمة مجدي سرور الذي أفاض في شرح تفاصيل عمق صداقته بالراحلة التي كانت تعتبره صديقا عزيزا، كانت أختا عزيزة قبل أن تكون عضوة ناشطة في حزبه وإن آثرت الابتعاد عن الأضواء التي تزهدها، في النهاية يناشد المسئولين في الدولة سرعة القبض على الجناة. ويؤكد السياسى الكبير مجدي سرور أن تلك العادات غريبة على الشعب المصري المسالم وأن هناك أيدي خارجية تعبث بالأمن الداخلى ويجب أن نتصدي جميعا لأي خارج عن القانون.

■■■



(42)

وائل طلعت

يمر يوم العمل كاملا ولم يأت وائل طلعت، غضب عبدالفتاح زميله في العمل غضبا شديدا، حاول الاتصال به مرتين أثناء العمل عندما تأخر عن موعده لكنه وجد محموله مغلقًا أو خارج الخدمة حاول الاتصال في وقت لاحق، يحاول الاتصال مرة ثالثة، سوف يوبخه توبيخا شديدا، سيطلب منه أن يتحمل عمله يومًا كاملاً.

تخطت الساعة الثالثة عصرا ولم يعد وائل إلى منزله، يتأخر أحيانًا، لكنه كان يتصل بزوجته يخبرها بأنه سوف يتأخر قليلاً، اليوم لم يتصل، تعلم مريم أنه يحمل عملات ليغيرها اليوم، من المفترض أن يعود بها قبل ذهابه إلى العمل، لم يأت بها، قد تكون ظروف جدت جعلته يذهب إلى عمله ومعه الأموال، قلق وإن كان بسيطا تسرب إلى داخل مريم، لا داعي أن يستمر القلق، تتصل به للاطمئنان والاستفسار عن الغذاء الذي يرغبه، تحمل تليفونها، تتصل بزوجها، لحظات ويأتيها الصوت: حاول الاتصال في وقت



آخر. وضعت التليفون إلى جوارها، تناولت ريموت التليفزيون تنقلت بين قنواته، الفيلم الأجنبى على التو، لم تكمله في سهرة الأمس، يُعاد الآن، تمددت على الأريكة، طفلاها في غرفتهما بين نائم ولاعب، زوجها في عمله، لتستمتع الآن بمتابعة الفيلم بهدوء، رومانسى، قصة حب تنشأ بين مصممة حفلات الزفاف وبين العريس صاحب الحفل، يستدعى الفتاة لتصمم حفل الزفاف يقع في حبها، أحداث هادئة، نظرات معبرة، آهات مكبوتة، تنتفض على جرس محمولها، هو وائل بلا شك، مدت يدها متعمدة التكاسل، سوف تخبره أنها كانت مع الأولاد تنجز لهم بعض المهام، فهي منذ الصباح في عمل بلا انقطاع، تضفي على تواجدها في المنزل أهمية قصوى، فوجئت بأن المتصل لم يكن زوجها، رقم بلا اسم، رقم غريب لم تشاهده من قبل، بتردد فتحت الخط واستمعت:

- مدام مريم.. صح؟

- أيوه.. مين حضـ..

- جوزك.. وائل.. معانا.. سلام.

تعتلي مريم الدهشة لحظات وهي تتأمل تليفونها الصامت، هل هذه دعابه؟ استفاقت وأجرت اتصالا بزوجها، تليفونه خارج الخدمة أيضًا، اتصلت بالرقم الأخير الذي اتصل بها، سوف تعنفه، الهزار لا يكون هكذا.. إف.. مغلق أيضًا، سيطر عليها القلق، تحركت في الصالة بعصبية، ماذا تفعل؟ شُل تفكيرها تمامًا،



تسارعت دقات قلبها، ثقل في دماغها يزن أطنانا، أيكون ذلك حقيقيا؟

أخيرا.. هدأت لحظة، حملت تليفونها، اتصلت بوالدها، أخبرته بما حدث بانفعال ملحوظ، لم يفهم معظم كلماتها، استشعر الخطر من اللحظة الأولى، يتابع مثل تلك الأحداث منذ الانفلات الأمني في البلاد، حاول تهدأتها وسوف يأتيها خلال دقائق.

آخر ما يتذكره وائل عندما هم بغلق باب سيارته خلفه ليتناول سندوتشات الفول هي يد عنيفه تجذب الباب لتفتحه، قبل أن يرفع رأسه ليشاهد صاحب تلك اليد، كانت هناك يد من الجانب الأخر، خُلق صاحبها فجأة على المقعد المجاور له، قطعة قماش عريضة وضعت على وجهه بشدة تكتم نفسه وتحجب الرؤية عن عينيه، هذا آخر ما يتذكره، يعود إلى الوجود ليجد نفسه ملقى على أرض في غرفه، حاول الاعتدال لكنه فشل، يكتشف أنه مقيد، يداه خلف ظهره وقدماه مع بعضها، استكان لحظة ليدرك الأمر، شعر بثقل رهيب في رأسه وصداع يكاد يحطم طبلتي أذنه، بلاط قديم متسخ، عليه بقايا زيوت وشحم، أرضية مخزن تقريبًا، السقف مرتفع، أصوات متداخلة تأتيه من بعيد، أحاديث مختلفة، سيارات تدخل المكان وأخرى تبتعد، أصوات السيارات تدل على أنها سيارات نقل كبيرة، إنه في مخزن أو مخازن، لكن أين يوجد هذا المكان؟ لا يدرى !! لم يكن لوائل ذات يوم عدو يود الانتقام منه، إذن هي عملية سرقة، سرقة الأموال التي كانت معه، إذا أرادوا

سرقة أمواله، فلماذا قيدوه وتركوه في هذا المكان؟ فقد أخذوا المال و.. والسيارة أيضًا..

- أنا هنا ليه؟ ليه؟؟

وكأن جملته كانت المفتاح الذي فتح باب الغرفة الموضوع فيها، يدلف من الباب شخص ملثم، لا يظهر منه سوى عينيه، ينظر إليه لحظات ثم يتحدث:

- إنت فوقت..؟

- أنا فين وانتوا مين وعاوزين مني أيه؟

- شوف يا ابن الناس.. عاوز تحافظ على عمرك.. ما تسألش.. أنا ما عنديش أي تعليمات إني أتكلم معاك..

- ما أنا لازم..

انفعل الملثم وأخرج مسدسًا ووجهه نحو وائل صارخا بصوت أجش:

- قولت لك ما تسألش.. التعليمات اللي عندي إنك تفضل مرمي هنا، أي حركة.. فاهم.. أي حركة.. أخلص عليك وأدفنك.. بس..

- طب ممكن تهدا.. أنا ممكن أدفع..

قاطعه الملثم بشدة:

- التعليمات: هاسيب لك الباب دا من غير ما أقفله بالمفتاح.. بيا تقربش منه أبدًا.. هاتسمع خبطتين عليه.. بعدها تعد لغاية خمسين، تقوم تفتح الباب، هاتلاقى صنية أكل وجردل وإزازة ميه.. تاخدهم وتدخل هنا وتقفل الباب وراك.. الحكاية دي هاتحصل مرة واحده في اليوم.. تسمع الخبط تعد لغاية خمسين.. تخرج ومعاك الجردل والصينية والإزازة.. وتاخد اللي برة وتدخل.. مفهوم؟

- دا كله ليه؟ ماهو لازم يكون..

يضع الملثم المسدس على فم وائل ليخرسه، يمد يده إلى جيب بنطلونه الخلفي يُخرج مطواة قرن غزال يفتحها بحرفية تدل على أنه يحتل مرتبة مرموقة في عالم الإجرام، يستعرض أمام وائل في رسالة موجهة مؤداها أن الأمر ليس تهريجا، يقترب بالمطواة نحو وائل الذي يفزع ويحاول أن يستعطفه، يدور الملثم خلف وائل وبحركة واحدة يقطع قيد يده ليحررها، قبل أن يستفيق وائل من هول اللحظة يكون الملثم قد ترك الغرفة وأغلق بابها خلفه بلا مفتاح، يخطو بعدها أربع خطوات ثم يغلق بابا آخر له صرير مكتوم يوضح ثِقله، يسمع وائل صوت سلاسل وأقفال على هذا الباب تتوه بعدها صوت أقدام الملثم مع أصوات السيارات.

يحاول وائل ترتيب أفكارة، إنه مختطف، لا يدرى لماذا؟ في مكان ما.. مخزن داخل منطقة مخازن كتلك الموجودة في الموانئ البحرية، البحرية.. نعم.. الموانئ البحرية تكون على البحر.. هو



في مدينة ما من تلك المدن الواقعة على البحر، كيف غاب عنه ذلك، رائحة اليود تملأ المكان، إنه قد يكون في الاسكندرية أو بورسعيد.. استبعد الاسكندرية، لهجة الشاب فيها إطالة ومد أهالي بورسعيد في الكلمات، رغم محاولته تغيير تلك اللهجة ورغم تغيير نبرة صوته، هو تقريبًا في بورسعيد، ولا يعلم لماذا؟

■■■



(43)

لمياء سعيد

تتقابل إيمان سمير مع لمياء سعيد مصادفة في مقهى وادي النيل، تعتلي علامات سعادة غامرة وجه إيمان بينما ترتبك لمياء قليلًا، فلم تعد تشعر معها بتلك الراحة التي كانت تستشعرها معها من قبل.

تتبادلان الأحاديث العامة حول غياب دور الشرطة وانتشار البلطجة في الشارع المصري ولم يعد الأمان موجودًا كما كان في الماضي، تؤكد إيمان ان ذلك أمر وارد بعد الثورات وأننا قمنا بثورة عظيمة والناس جوعى من عقود فطبيعي أن تحدث مثل تلك الحالات لسد فجوات صنعها ذلك النظام الجائر.

لم تظهر علامات الاقتناع على وجه لمياء فتسحب سيجارة من حقيبة يدها، تشعلها وتنفث دخانها بهدوء.



تنتهي إيمان من أحاديث جانبية مع عدد من الشباب ورواد المقهي ثم ترنو نحو لمياء وقد علتها ابتسامة وتفتحت خلاياها بشكل لم يحدث منذ شهور، شغلتها نزوات عن نزوات أخرى. تضع يدها، برقة تعمدتها، على يد لمياء، لم تسحب لمياء يدها، تذكرت لحظات المتعة في أيامهم السابقة، تذكرتها على استحياء، تشجعها إيمان بابتسامتها العريضة، تأخذها من يدها في هدوء، تتركان المقهي لتتوجها إلى شقة إيمان.

تستشعر لمياء رغبة إيمان ولم تمانعها، تحركت معها بلا رغبة. تصلان إلى الشقة وما أن تغلق إيمان الباب خلفهما حتى تحتضن لمياء في شوق، سرعان ما تكتشف برودة لمياء، تتركها لحظات وتتوجه إلى المطبخ لتعد شيئًا للشراب. تقف لمياء وتخرج من الشقة دون أن تخبرها بأي شيء.

بينما تسير لمياء في الشارع تبحث في داخلها عن سبب ما فعلته اليوم وما كانت تفعله في الماضي، لم تجد إجابة شافيه، كل ما في الأمر أنها تغيرت ولم تعد لديها رغبة في فعل ذلك، تلك الفترة التي قضتها في الريف بين أناس آخرين وموقفها السياسى الذي طرأ عليه الكثير من التغيير جعلها تنظر إلى الأمور بشكل جديد، أصبح لديها الآن بالفعل ما يشغلها، تتذكر يوم أن تحدث معها حسن عبدالحميد بفطرته الريفية عن أن الله خلقنا أصحاب عقول حرة لنتختار بين الخير والشر، وبمنتهي البساطة نظرتنا للخير هي ما تراه أنفسنا أنه أمر جيد ونظرتنا للشر هي استشعارنا بكراهية



هذا الفعل، فلسنا في حاجه لمن يملي علينا كيف تكون علاقتنا بالحدث ما دمنا نمتلك عقلا وقلبا وحرية الاختيار.

هذا ما ألفت نفسها عليه اليوم، تبغض هذا الفعل ولا تريده، فرحلت تاركة المكان ولن ترد على اتصالات إيمان المستمرة على تليفونها المحمول.

كم هي سعيدة الآن بهذا التغيير في حياتها، كمن تخلص من إدمان شيء ما وشفي منه تمامًا.

منذ تلك اللحظة تقرر قطع علاقتها بإيمان سمير وتمتنع تمامًا عن الانخراط في تلك الأحداث السياسية، لكن الحقيقة أن تلك كانت أمنيتها الخاصة ولم تكن تعلم بما يخبئه لها القدر.

■■■

(44)

أم مصعب

تنتشر حالات البلطجة في البلاد والتي اعتبرها البعض امتدادا للانفلات الأمني وسوف تنحسر مع الوقت، إلا أنها استمرت وذلك لأسباب كثيرة كان على رأسها أن تلك الحالة من الفوضى قد قابلت هوى لدي المنحرفين والخارجين عن القانون وسبب آخر لم يكن ظاهرًا وهو رغبة فصيل في بث الرعب في نفوس الجماهير.

كان لبث الرعب في نفوس الجماهير أكثر من نتيجة منتظرة، أولها إلقاء اللوم بل والغضب الجماهيرى على فلول النظام السابق وإسقاطهم بلا رجعه من فوق خشبة المسرح والقضاء نهائيا على هيكلهم التنظيمي وهو الحزب الوطني.

ثانيا أن تتعجل هذه الجماهير الاستقرار وذلك يفتح المجال أمام الفصيل الوحيد المنظم على خشبة المسرح لتولى زمام الأمور في البلاد. توالت الخطوات التصعيدية حتى تم بالفعل



تحقيق الخطوة الأولى بحل الحزب الوطني في السادس عشر من إبريل أي بعد التنحي بشهرين وخمسة أيام تقريبًا.

الحقيقة أن هذه الخطوة كانت من أسهل الخطوات نظرا لتداعي الحزب فعليا، فمن يمتلك كارنيه عضوية الحزب الوطني كان يتبرأ منه ويخفيه عن الجميع ويتمنى حرق جميع المقار ليخفي أدلة هذا الانتساب، فكان الحزب متداعيا من الأصل ولم يجد من يدافع عنه، فصدر قرار المحكمة ليؤكد هذا الانهيار وينتهي أمر الحزب. إن كان الحزب ككيان انتهي فعلًا فإن أشخاصه ظلوا موجودين على الساحة ويمتلكوا المال والرجال، ولكنهم استكانوا فترة ليعيدوا تنظيم أنفسهم، ولم تكن جماعة الاخوان في حاجة إلا لمثل هذه الفترة، لتنفذ فيها ما تريده.

بسقوط الحزب الوطني تمامًا لم يعد هناك أي قوة منظمة تقف في طريق أطماع الشيخ إبراهيم السويفي وحاشيته غير القوات المسلحة، لكن الدكتور صالح يذكر له ذات يوم تخوفه من القوى الثورية الليبرالية، فيضحك الشيخ إبراهيم كثيرًا حتى يهتز جسده، فيحمر وجه الدكتور صالح خجلا، خشى أن يكون هناك أمر واضح لا يفهمه هو، لكن الشيخ إبراهيم يقول له بعدما يهدأ:

- إنت عندك حق يا دكتور صالح.. كتير من الناس مفكرين إن الثوريين الليبراليين لهم تقل وسط الناس.. لكن أحب أطمنك.. هما ولا حاجة، دول أضعف مما تتصور وإحنا بنحركهم من زمان في الطريق اللي إحنا عاوزينه ووقت ما نحب نقضى عليهم، هانقضى عليهم في ثوانى.. كفاية بس إننا نقول إن الليبرالى علمانى كافر..

يهز الدكتور صالح رأسه موافقا دون أن ينبس بكلمة فيكمل الشيخ إبراهيم قائلا:

- المهم دلوقتي يا دكتور صالح المرحلة الجاية هي مرحلة الحشد لانتخابات مجلس الشعب ومن بعده مجلس الشورى، إحنا عاوزين مقاعدنا تتعدي السبعين في الميه من المجلس.. وعشرين في الميه سلفيين وعشره في الميه باقى التيارات..

- لكن فضيلتك قولت في لقاء قريب في التلفزيون إن هدفنا أربعين في الميه من مقاعد المجلس، وكمان قولت إننا مش هانرشح حد في انتخابات الرئاسة !!

ينظر الشيخ إبراهيم نحوه مليا متفرسا قسمات وجهه، يفكر سريعا في تلك العقلية التي تحتاج إلى شرح واف لكل أبعاد الأمور، يزفر بهدوء مغلفا حالة الضيق التي انتابته بابتسامة صفراء شعر الدكتور صالح بسخونتها مع كلماته التي قالها ضاغطا على حروفها:

- اللي بنقوله على القنوات للجماهير شيء واللي بتحتاجة الدعوة شيء تاني خالص يا دكتور صالح، والمؤمن لازم يكون كيس فطن، والسياسة حرب والحرب خدعة يا دكتور.

يبتسم الدكتور صالح معبرا عن مدي سعادته بفهمه لتلك القضية، لقد كان في داخلة يتمنى حصد كافة مقاعد البرلمان وأن يكون لهم مرشحا للرئاسة، وعندما أكد الشيخ إبراهيم في لقائه على شاشة التليفزيون المصري بأنهم يطمحون في أربعين في



المائة فقط من مقاعد البرلمان وأنهم لن ينافسوا على مقعد الرئيس انتابته حالة من القلق والتوتر، فإن لم تمسك جماعتهم بزمام الأمور في المرحلة القادمة سيكونون هم أول كبش فداء يضحي به الليبراليون.

الشيخ إبراهيم كان يتأمل الدكتور صالح ويدرك جيدًا ما يفكر فيه، فهو كتاب مفتوح أمامه، فباغته مبتسما ليخرجه من شروده:

- معقولة تتخيل لحظة يا صالح إننا نعمل كل دا وفي الآخر نسيبها لشوية صِيع.

تصدم الكلمة الأخيرة أذن الدكتور صالح، يلاحظ الشيخ إبراهيم ذلك فيؤكد ما قاله مرة أخرى بقوله:

- أيوه.. صِيع وشواذ كمان.. مستحيل يا صالح.. إحنا هدفنا دولة إسلامية كبرى.. لكن صبرا.. نصر الله قريب.. ولن يخذل الله عباده الصالحين.

ينهي عبارته ويقف ليرتدي عباءته ويأخذ عصاه التي يتوكأ عليها ليخرج، قبل أن يغلق خلفه الباب يتوجه كلية نحو الدكتور صالح الذي يتابعه بنظراته ولم يجرؤ على سؤاله إلى أين، ليقول له:

- اعمل اجتماع مع كل الاخوة يا دكتور صالح وناقش معاهم الكلام اللي أنا قولته وشوفوا يتنفذ إزاي على أرض الواقع.. الفلوس موجودة ولله الحمد، وعندكم قنواتنا الفضائية ورجالتنا في كل مكان. عاوزين خطة عمل كاملة.

لا ينتظر إجابه، فقد كان يأمر لا يتناقش، يغلق الباب ثم يستقل الأسانسير الذي كان قد استدعاه حارسه الخاص متولى سالم عندما شاهده يرتدي عباءته ويستعد للخروج، هو حارسه الخاص وسائقه وخادمه الأمين لا يفارقه ويسير في ركابه كظله، يحركه الشيخ إبراهيم بنظراته، طقوس معينه حفظها المهندس متولى سالم الذي يمارس هذا العمل منذ سنوات تطوعا وحبا في البداية، ثم كوظيفة كاملة بعد ذلك.

المهندس متولى سالم كان من محبى الشيخ إبراهيم السويفي ومريدًا من مريديه، لا يترك ندوة أو درسًا أو خطبة جمعة إلا كان أول من يحضرها مهما كانت بعيده عن محل إقامته في أبو كبير شرقية، بذل الكثير جدًّا حتى نال هذه الدرجة وحظى برضاء الشيخ إبراهيم، فكان يحمل له حقيبته من جوار المنبر في المسجد حتى باب سيارته ليضعها في سيارته ويغلق بابها بهدوء مودعا الشيخ، والمرحلة التالية كان يسبق فيها الشيخ بخطوات ليحمل له الحذاء من حاملة الأحذية بالمسجد ليضعه أمامه بالخارج متمتما بعبارات هامسة توحى باحترام بالغ وأن ذلك شرفا له أن يخدم فضيلته.

على الجانب الأخر كان يدرسه الشيخ إبراهيم جيدًا ويشك فيه كثيرًا، خشية أن يكون أحد رجال أمن الدولة، استمر الوضع ثلاث سنوات تقريبًا وهو يتعامل معه بالحذر الكامل، اختبره كثيرًا وراقبه جيدًا عن طريق بعض شباب الجماعة وسلط عليه من يستطيع الغوص في أعماقه، حتى اطمئن له، يفسح له المجال لينال شرف

خدمته وجعله سائقه الخاص وتقريبا مدير أعماله ينظم له مواعيد دروسه وخطبه، يقوم بتوصيله إلى زوجاته ويعود ليأخذه في صباح اليوم التالي، يذهب بالعطايا والهدايا لزوجات كن على ذمة الشيخ إبراهيم من قبل ولكنه طلقهن ليحل محلهن زوجات أخريات.

إبراهيم السويفي إن أراد زوجة جديدة طلق الأقدم من الأربع الحاليات وأحيانا كان لا يلتزم بتلك القاعدة فيطلق من لم يعد يشعر برغبة فيها، لعيب اتضح له، ككثرة السؤال، طلب المزيد من الزيارات، التدلل، الضعيفة الأداء في السرير وغيرها من الأسباب التي تجعل علاقته تفتر بها فيطلقها وإن لم تكن الأقدم، وهذا ما فعله بعد أشهر قليلة من زواجه من سحر عبدالكريم فتاة الإسدال الأحمر القانى التي طلبت منه الزواج في أحد المساجد، في بداية الأمر أذهلته برشاقتها وعنفوانها، مع الوقت أرهقته، فكانت تمتصه في يومها أكثر من مرة كأنها تعوض حرمان أسبوع كامل في ليلة واحدة، بعد عدة شهور كان يتناول حبة من المنشطات الجنسية وهو في طريقة إليها مع الكثير من مأكولات البحر والجمبرى الجامبو حتى أرهقته ذات ليلة بعدما اعتلته للمرة الثالثة على التوالى فبدا ككتلة صماء بلا حراك أو مشاعر كان ضعيفا لدرجة جعلته يكرهها، لم يتمنى يوما أن يصل إلى تلك اللحظة من الانكسار، لم يعاود زيارتها بعد تلك الليلة إنما أرسل إليها خادمه الأمين المهندس متولى سالم بورقة طلاقها ومظروف يحتوى على المال مع تأكيد على أن تظل بهذه الشقة وسوف يأتيها بما

يلزمها من مال مع أول كل شهر فإن كان قد طلقها الشيخ إبراهيم فهي ستظل مسئولة منه كما باقي زوجاته السابقات وهو ما فعل فعلته إلا لأمر آراده المولى عز وجل وهو أن يستر سيدة أخرى ولن يستطيع إلا بتطليق واحدة من الأربعة.

السيدة الأخرى التي أشار إلى أن الله عز وجل كلفه بأن يسترها عن طريق الزواج كانت أم مصعب زوجة الشيخ الراحل وتلميذه شريف جلال. في اللقاء الأخير عندما ذهب ليعزيها في مقتل زوجها شريف في مقر أمن الدولة أخبرها بأن زواجها مؤكد من أحد الاخوة ولكن بعد مرور العدة، ينشغل بعدها بالأحداث الجسام التي مرت حتى يسقط النظام وتستقر لهم الأمور وتمر شهور عدتها، يذهب إليها سعيدا ويخبرها بأن زوجها المرحوم الشيخ شريف يسعد في علياء الجنان مع الشهداء بهذا النصر المبين، فقد سقط قاتلوه وأخذنا بثأرنا منهم جميعا، يستطيع أن ينقل سعادته إليها وهي جالسة وعلى حجرها طفلها مصعب، لم تكن لترتدي النقاب في حضرة الشيخ إبراهيم إنما الاسدال وشال تلف به شعرها.

الحقيقة أنها كانت جميلة وزاد جمالها انكسارها وحزنها، كثيرًا ما تعتقد المرأة أن قوتها تزيدها جمالا، بالعكس تمامًا، القوة مقرونة بالرجل والرجل لا يريد منافسا إنما يريد مكملا، تجذبه المرأة الضعيفة، ولكن ليس الضعف المقيت، إنه ضعف الرقة والأنوثة، ضعف يتميز بنعومة حادة تكاد تكون سيفا قاطعا.



كانت أم مصعب تخشى أن يختار لها الشيخ إبراهيم أخا فظا غليظ القلب وهي الرقيقة، لن تستطع أن ترفض أمره بالزواج فدعت الله أن يكون رجلها القادم رحيما رقيقا معها كما كان زوجها الراحل، يستشعر الشيخ إبراهيم انتظارها ليستكمل حديثه معها حول الزوج القادم، يتفحصها مليا، يلقى إليها بالخبر:

- الحمد لله رب العالمين على نعمة الانتصار على أعدائنا وعلى من قتل أحب رجالنا إلينا يا أم مصعب، وإن كان الشيخ شريف رحمه الله أحب رجالنا إلينا فأنت أيضًا لكِ نفس المنزلة، ولن أثق في أي أحد ليحل محل الشيخ شريف لذا اخترتك لنفسى، أتزوجك على سنة الله ورسوله يا أم مصعب.. هل توافقين؟

ذهلت أم مصعب من تلك المفاجأة التي لم تتوقعها يوما وتجيبه على الفور بموافقتها، دقائق يتم فيها عقد القران بحضور الشهود.

تأتي الأخت سهيلة لتحمل الطفل مصعب ليقضى معها اليوم، تظل معها دقائق في حجرتها لتزيل لها شعيرات وجهها بالفتلة وتعطرها لزوجها ثم تحمل الطفل وتخرج، بينما كان الشيخ إبراهيم في الحجرة الثانية يتناول وجبة الحمام المحشى بالفريك التي أتاه بها خادمه المهندس متولى سالم من أحد المطاعم الشهيرة القريبة من شقة أم مصعب.

■ ■ ■

(45)

عشاء الرب

«وفيما هم يأكلون، أخذ يسوع الخبز وبارك وكسر وأعطى التلاميذ، وقال خذوا كلوا، هذا هو جسدي الذي يبذل عنكم، اصنعوا هذا لذكري. وهذه الكأس هي العهد الجديد بدمي الذي يسفك عنكم»..

يقف الأب في كنيسة العذراء مريم متوجها ناحية الحضور الذي لم يتعد عشرين فردًا منهم ثمانية جاءوا بماريان أيوب والدة هاني فؤاد قتيل أحداث جمعة الغضب، شهور طويلة كئيبة مرت عليها منذ سقوطها، ها هي تجلس فوق كرسي متحرك وقد شُلت وثقل لسانها فلا تكاد تفهم إلا القليل مما تنطق به، أتوا بها اليوم كي يباركها الأب ويدعو لها بالشفاء.

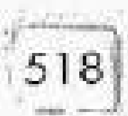
يستكمل الأب كلماته فيقول:



- هذه الآيات تعلمنا أيها الأخوة أولًا أن العشاء الرباني فرض إلهي يجب ممارسته على الدوام. ثانيًا نفهم منها أن العناصر التي تتمثل في عشاء الرب هي الخبز والخمر، ونتعلم أيضًا أن عشاء الرب لن يكون إلا باكتمال عناصره الثلاثة وهي تكريس الخبز والخمر، أي كسر الخبز، وصب الخمر وتوزيعها، وثالثا قبول المشتركين لذلك.

فتاة برونزية البشرة يتدلى شعرها المصبوغ معظم خصلاته باللون الأصفر وتجلس في المقعد المجاور لتلك الطرقة التي تقسم المقاعد إلى صفين وعلى يمينها تجلس ماريان فوق كرسيها المتحرك، وقد وضعت الفتاة يدها اليمنى بعفوية فوق مقبض الكرسي من الخلف لئلا يتحرك، إنها تريزة ابنة خالة هاني فؤاد، حزنت كثيرًا ولولا حالة خالتها ماريان لسقطت هي وبحثوا عمن يجلس بها ليمرضها، لكنها تماسكت كي ترعى خالتها، ذبلت كثيرًا خلال الشهور المنصرمة وجف وجهها الذي كان يتميز بطراوة تحسد عليها، بذلت كثيرًا من الجهد حتى أقنعت خالتها ماريان للذهاب يوم الأحد إلى الكنيسة ودعت هؤلاء الثمانية من العائلة لصحبتها والآن تنظر نحو القسيس متسائلة فيشير بيده نحوها علامة أن تسأل بما تريد، فتقول:

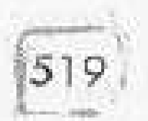
- دي تفاصيل عشاء الرب، لكن أيه السر من عشاء الرب يا أبونا؟



تلك التفاصيل قالها كثيرًا في أيام الآحاد وفي الأعياد، لكن لا يمتنع أبدًا عن تكرار الإجابة، يعلم أن تريزة متدينة بطبعها وتقرأ كثيرًا ومؤكد أن ما سألت عنه لا يخفي عنها ولكنها فيما يبدو تود أن تطيل فترة بقاء خالتها ماريان في ذلك الجو الروحاني لتخرج بها من عزلتها وتحارب مرضها، يبتسم القسيس في هدوء ليضفي روحانية على كلامه وهو يقول:

- السر من عشاء الرب يا تريزه هو تذكر موت المسيح وعندما نشارك في هذا العشاء فإننا نعبر عن اشتراكنا بالإيمان في جسد المسيح ودمه وأن نجتمع كلنا كمؤمنين مع المسيح في حياة روحية واحدة وأننا نقرر بقبولنا بالعهد الجديد المثبت بدم المسيح ولا يخفي عليكم أنه سمى عشاء الرب لأن المسيح وضعه عند العشاء ولقد قيل عن الكأس بأنها كأس البركة لأن يسوع بارك تلك الكأس وبارك الخبز أيضًا، وعشاء الرب يا إخواني بالنسبة لنا هو عهد بين يسوع والمؤمنين به في كل جيل وفي كل عصر، إنه عهد المحبة العجيبة الغنية بالصفح والغفران الذي كتب بدم المسيح على الصليب.

ينتهي الأب من عظته الأسبوعية، يقف مادا يده ليمر الحضور عليه واحدا واحدا ليباركهم، ثم يعطى لكل منهم كسرة خبز وكأس ماء يرتشفون منه سريعا، حتى يأتي الدور على تريزه ولكنها ترنو نحو خالتها ماريان، يشير الأب نحوهما أن تظلا في مكانيهما وسوف يأتيهما، يهبط الدرجات القليلة إليهن، يبارك تريزه سريعا



ثـم يضع يده على رأس ماريان ويستغرق وقتـا طويلًا وقد أغمض عينيه وبيده الأخرى يرسم علامة الصليب في الهواء وعلى صدره، ينتهي برسم الصليب على رأس ماريان، قائلًا لها:

– تشـجعي يـا ابنتـي، لقـد قتـل ابنـك غـدرا وهـو الآن بجوار المسـيح في الجنة ويؤلمـه كثيرًا أن يراكِ هكذا، إن أردتي إسـعاده فعليكـي العـودة إلى حياتـك ولن يأتي العـلاج الدنيوى بمـا تأتيه قوة عزيمتك، تشـجعي يا ماريان وأطيعى يسوع الذي تقبل ولدك، هديتك له، في جنته.. وعليكِ المحافظة على هديته لكِ وهي منحة الحياة التي منحكِ إياها..

بعدهـا يرحل في هـدوء نحو غرفته، يقـودون المقعد المتحرك بماريـان التي نحف جسـدها كثيرها وتحولت إلى عينـان غائرتان حولهما بقايا جسد.

تطلب ماريان من تريزة أن تتمشـى بها قليلًا على كورنيش النيل قبل الذهاب إلى شقتها.

زحـام غير عادي علـى رصيـف كورنيش النيل، نصبات شـاى ومقاعـد متناثرة في كل مكان، أسـلاك طويلة يسـرقون من خلالها تيـار الكهربـاء مـن الأعمدة المجـاورة، دراجـات بخاريـة تنطلق بسـرعة جنونيـة فـوق الأرصفـة، تتـرك ماريـان كل هـذا الصخب وتنفـرد بحـوار بلا كلمات مع النهر الذي ينسـحب مـن أمامها في رفـق متهاديـا علـى الجانبيـن، فـوق صفحته تشـاهد صـورة هاني

تتماوج مبتسمة في إشراق لم تشاهده عليه من قبل، يتخللها بابتسامته، يحتويها، تشعر به وكأنه يسير في خلاياها، مع دمها.. تستشعر قوة لم تستشعرها منذ شهور، لم تلحظ نفسها وهي ترفع يدها لتمسح دمعة تنحدر على وجنتها اليمنى، تلحظها تريزة، تكتم آهة السعادة التي انطلقت، خالتها ماريان تحرك يدها. ومع حركة يدها الثانية لم تستطع تريزة أن تتمالك نفسها، تواجه خالتها فرحة جزلة، تصيح في سعادة:

- خالتي ماريان.. إنتِ بتحركي إيدك..

تنظر ماريان في دهشة نحو يديها وهي ترفعهما أمام عينيها كأنها تراهما للمرة الأولى، تتلاحق دموعها تسابق تلاحق ماء النهر أمامها، من بين دموعها تتحدث:

- أيوه يا تريزة.. أنا باحرك إيدي..

تندهش تريزة من هول المفاجأة، ماريان تنطق بكلمات مفهومة، تتعثر الكلمات لتصارعها على لسان تريزة، فتشير نحو وجه خالتها ثم إلى لسانها، فتنتقل دهشة تريزة إلى ماريان التي قالت:

- أنا باتكلم يا تريزة.. !!

■ ■ ■



(46)

وائل طلعت

تمر عدة شهور، فشلت فيها أجهزة الشرطة عن تحديد مكان وائل طلعت أو خاطفيه. تذهب مريم، زوجته، إلى محل عمله حاملة صورة من محضر الشرطة الذي يفيد أنه متغيب ولا أحد يعلم مكانه، فقد رفضوا في قسم الشرطة أن يكتبوا في البلاغ أن هناك عصابة قد اختطفته وأبلغت أهله عن طلب فدية، فقط هو متغيب عن منزله. خلال الأيام التالية وفي محاولة يائسة تبرر أمام النفس أنهم يفعلون ما بوسعهم عمله وأنهم لا يقفون مكتوفي الأيدي يتوجه والد مريم إلى مبني جريدة الأهرام وينشر صورة وائل طلعت أسفل عبارة «ابحث مع الشرطة» واسفل الصورة مكتوب: على من يتعرف على صاحب هذه الصورة الاتصال بالأرقام التالية......

لا تتحرك الشرطة بحثا عنه، والحقيقة أن حادث اختفاء وائل طلعت قد نُسي تمامًا في قسم الشرطة، الأمر الذي جعل مريم

بمعونة والدها ترضخ لطلبات مختطف زوجها وتدبر مبلغ الفدية المطلوب. مليون جنيه.

في اليوم التالي يدخل أحدهم على وائل طلعت في مخبأه، يضع على عينيه عصابة تحجب الرؤية، يحقنه بمادة لا يعلمها، ما أن يستفيق من تأثيرها إلا ويجد نفسه عاريا إلا من سروال قصير وملقى في الصحراء على مقربة من الطريق الصحراوى.

يعود إلى منزله وقد فقد كل ما ادخره في حياته، صب جام غضبه على كل من حوله وحملهم جريمة اختطافه، يقبع في حجرته عدة أيام، يود العودة إلى الحياة، يفكر كثيرًا، يغوص في بحار الألم، يعتصر ذاته. بعد عشرة أيام تقريبًا يقرر الخروج والعودة إلى العمل.

يستقبله الزملاء بعبارات المواساة والتشجيع وكلها تدور في فلك واحد «في ستين داهية الفلوس.. المهم صحتك» يستاء كثيرًا من تلك العبارات، لقد أفنى عمره في جمع ذلك المال مضافا إليه ما ورثه عن والده.

تمر عليه الأيام ثقيلة، ينظر فيها نحو كل من حوله نظرات شك، ينصت إلى كل الأصوات ويقارنها بذلك الصوت الذي حُفر في ذاكرته فترة اختطافه، اخترع في عقلة جهاز مطابقة بصمة الصوت، ينظر نحو الأقدام التي تتحرك على الأرض ليسمع دبيبها..

قرار نهائى يصل إليه فيشعر براحة، سوف يستعيد ماله، من أي مصدر. المهم هو استعادة ماله. لم يشعر لحظة أنه قد بدأ يخرج



من إطار الأسوياء، كل الأسوياء ساهموا في القضاء عليه، من قام باختطافه، الشرطة التي تقاعست، الدولة كلها، التي يهرول كل من فيها الآن خلف صالحه الشخصي وينبذون الفضيلة ويتمسكون بالرذيلة. هكذا يشاهد الصورة.. وبهذا يصل إلى بداية الطريق الذي اختاره عن طيب خاطر.

تشهد أيامه التالية، في كافتريا أحد فنادق الدرجة الثانية، عدة لقاءات تجمع بينه وبين زميلته في العمل الأستاذة نجية سالم الموظفة المدنية المسئولة عن الأرشيف وأربعة من الرجال.

في الأسبوع التالي تدس نجية سالم ملفا يحمل بيانات جديدة لسيارة مسروقة بدلا من ملفها الأصلي في الأرشيف، الملف يحمل اسم مالك آخر دفع مبلغا من المال إلى صانع الملف وائل طلعت.

تتزايد حوادث سرقة سيارات بشكل غير مسبوق، يقابلها عودة الابتسامة الأولى إلى وجه وائل طلعت. يغطي عودة المال الذي يجنيه بعمليات تغيير العملة التي اشتهر بها من قبل.

مع الأيام يلاحظ جاره زكريا البيومي الذي ظهرت عليه آيات الثراء فجأة وإن بررها الكثير أن ذلك نتيجة انضمامه إلى الجماعة الحاكمة، لكن ذلك الثراء كان فاحشا، تفاصيل خروج وائل بالأموال قبل اختطافه معروفه لمثل هذا الجار. لن ينسى أن زكريا طالما رغب في أن يتزوج مريم، زوجته، وأن نظراته نحوها لم تتغير

حتى بعد زواجه بها، الجديد مما يقال عن انضمامه لتلك الجماعة وأن ثراءه ينبع من تلك العلاقة جعل وائل يقرر أن يكون هو صيده القادم، يوجه رجال مجموعته نحوه بحثا في كل أوراقه وأعماله.

بعد سرقة سيارة زكريا البيومى وسحله على الطريق الدائرى يستعين بمن تقرب إليهم من قبل من ذوى الحظوة لدي الجماعة الحاكمة، يعوضونه بصفقة تهريب أسلحة عبر الحدود الغربية للبلاد وتخزينها لديه إلى أن تصدر الأوامر باستخدامها، ينفذ العملية، يتلقى الأموال، يعود إلى بذخه، يشترى سيارة أكثر حداثة، يخطط وائل ورجاله لسرقتها..

■■■



(47)

البـــدايـــة

بعد ذلـك اللقاء الـذي جمع بين حسـام منصور ولمياء سـعيد ووالديها في جمعة النصر في ميدان التحرير استمر بينهما الاتصال واللقـاءات علـى فتـرات في وسـط البلـد للتناقش فـي العديد من الأمور على الساحة.

تلتقـى لمياء مع إيمان سـمير مرة واحدة، فـي وقت كانت لمياء قد تأكدت فيه مما كانت تخشاه، هناك أمور غير واضحة وتفاصيل غير مفهومة تحدث فـي الكواليس، أهمها صعود جماعة الإخوان إلـى صدارة المشـهد تمامًا وأنها القوى التي تقـود البلاد فعليا بعد سقوط النظام، واضح تمامًا أن تلك الجماعة تمارس ضغوطا على المجلـس العسـكرى مسـتقوية بالجماهيـر التي أصبحت تمسـك بقيادها في سلاسة.

ترفض إيمان هذا التحليل بحدة، أضافت أنها ورفاقها لا ينتمون مطلقـا إلى جماعة الاخـوان ولكنهم الآن يتفقـون معهم لأن ذلك

هو الصالح العام، المجلس العسكرى إن لم يشاهد اتحاد جميع القوى الثورية فلن يترك السلطة مهما حدث، وخلال الأيام التالية التي سوف تشهد فيها البلاد انتخابات مجلس الشعب سنقف مع القوى الثورية لنكون يدا واحدة ومن هذه القوى جماعة الاخوان بالطبع. تعتلي الدهشة وجه لمياء، لا تجادل إيمان، ترحل في صمت عن المكان، تلقي بحقيبة يدها على ظهرها ممسكة بها في يمناها.

تتذكر حسام منصور فتطلبه على الفور لتحدد معه لقاءً يكون بداية سلسلة لقاءات تستمر خلال السنوات التالية.

اتفقوا على خبايا الظل تقريبًا، من يدير الحركة في هذا الخباء هم جماعة الاخوان، لكنهم حتى اللحظة لم يفهموا لماذا يوافقهم المجلس العسكرى؟ ولماذا لا يفضح شباب الثورة تلك الأفعال؟

تقترح لمياء على حسام محاولة نشر أفكارهم هذه بين عدد من الأصدقاء وشباب الثورة، يوافق سعيدا، يبدأون بالفعل في الانتشار الهادئ خلال بعض الندوات واللقاءات في مقاهي وسط البلد.

في البداية يكون حديثهم مقنعا لمن أمامهم، يتفقون على ضرورة نشر الفكرة لكن دائمًا ما كان يحدث شيء غريب، فمن يجتمع معهم متفقا اليوم يرفض الجلوس معهم في الغد معللا ذلك بانشغاله في أمور أخرى أكثر أهمية.



حتى أحمد عبد الهادي ناشط الانترنت الذي تحتمد عليه إيمان سمير كثيرًا، تتصل بـه لميـاء ويأتيهم فعـلا، ينصت كثيـرًا، يقتنع بضرورة تفعيـل دور شباب الثورة فـي التيارات الأخـرى ليكون لها قـوة على الأرض تقابل تلك القوة الصاعـدة لجماعة الاخوان والسلفيين الذين يسيرون في ظلهم بلا حياد.

في اليـوم التالي لا يجيـب أحمد عبـد الهادي علـى اتصالات لميـاء، طبيعى أن تسـتنتج لمياء تأثير إيمان سـمير عليه، فقد كانت شاهدة عليه ذات يوم وهو يتقاضى منها المبالغ المالية.

الأسـوأ في الأمر أن حسـام منصور حاول أن يدلي بوجهة نظره على الفيس بوك علها تنتشـر بين الشـباب، لكنه فوجـئ بكثير من التعليقـات التـي تسـفه هذا الأمـر وتؤكد أنـه لا وجـود لمثل هذه الشـكوك وأن جماعة الاخوان لا تمتلك هذا القدر في الشارع وما هـي إلا مخـاوف لا صحـة لها، كانوا كمن يشـعل النار في عشـب مستخرج من الماء.

تجلـس لميـاء مع حسـام فـي مقهـي نجمـة التحرير يحتسـون المشروبات السـاخنة ويدخنون السجائر، رغم فشلهما في تصدير وجهة نظرهما إلى أوساط الشباب إلا أن راحة نفسية كانت تسيطر عليهما، منبعها بداية الفهم الحقيقي لتفاصيل الصورة.

■■■

(48)

إبراهيم السويفي

على الجانب الآخر لم تكن الأمور على هذه الشاكلة من الاتفاق بين الإخوان وأتباعهم وبين المجلس العسكرى الذي يقود البلاد في تلك الفترة، فقد أصدر نائب رئيس الوزراء للشؤون السياسية والتحول الديمقراطي، وثيقة إعلان المبادئ الأساسية للدستور، وهذه الوثيقة التي صدرت بعيدًا عنهم لم تكن ليوافقوا عليها أبدًا، يجب أولا أن يكونوا في صدارة المشهد، ثانيا حملت المادة التاسعة في الوثيقة ما يهدد طموحاتهم من أن يأتي يوم يكون لهم رجالهم المسلحون والذين يطلقون عليه الجناح العسكرى للجماعة، فقد ذكرت المادة التاسعة بالنص ما يلى:

- الدولة وحدها هي التي تنشيء القوات المسلحة، وهي ملك للشعب، مهمتها حماية البلاد وسلامة أراضيها وأمنها والحفاظ على وحدتها وحماية الشرعية الدستورية ولا يجوز لأية هيئة أو جماعة أو حزب إنشاء تشكيلات عسكرية أو شبه عسكرية.

ويختص المجلس الأعلى للقوات المسلحة دون غيره بالنظر في كل ما يتعلق بالشئون الخاصة بالقوات المسلحة ومناقشة بنود ميزانيتها على أن يتم إدراجها رقمًا واحدًا في موازنة الدولة، كما يختص دون غيره بالموافقة على أي تشريع يتعلق بالقوات المسلحة قبل إصداره. ورئيس الجمهورية هو القائد الأعلى للقوات المسلحة ووزير الدفاع هو القائد العام للقوات المسلحة، ويعلن رئيس الجمهورية الحرب بعد موافقة المجلس الأعلى للقوات المسلحة ومجلس الشعب.

لم تكن تفاصيل المادة أو الوثيقة بأكملها ما تقف أمامه الجماعة، هذا ما أكده الشيخ إبراهيم السويفي في حديثه للدكتور صالح، حينما قال له:

- الوثيقة دي مرفوضة يا دكتور صالح شكلًا وموضوعًا..

- نبلغ رأينا دا لمجلس الوزراء يا مولانا، يغيروا جزئية مناقشة الميزانية و..

يقاطعه الشيخ إبراهيم بإشارة من يده تعني كفي ترهات يا صالح، فيلتزم صالح بالصمت متسائلا بتعبيرات وجهه، فيقول إبراهيم:

- لا يا دكتور.. المسألة مش كدا.. الأمر محتاج ضربة قاضية عشان يعرفوا حجمهم كويس قوي.

- مين؟

- مجلس الوزرا والمجلس العسكرى.. ومجموعات التيارات إياها..

يتساءل الدكتور صالح مندهشا:

- إزاي؟!

لا يجيبه الشيخ إبراهيم على الفور، يتامله مليا ثم يحمل كوب النعناع الموضوع أمامه الذي لا تزال أبخرته تتصاعد في هدوء، وهو يتذكر تلك المكالمة الهاتفية الأخيرة التي تلقاها على تليفونه المحمول المرتبط بالأقمار الصناعية تخبره فيها بأن تلك الوثيقة يجب أن يتم رفضها فورا، فميزانية المؤسسة العسكرية يجب أن تكون متاحة والتعرف على تفاصيلها وفيما تصرف. باقى المكالمة كان يدور حول القوى الثورية سيما الشبابية ستقف معهم لدعمهم في إلغاء مثل هذه الوثيقة.

بعد انتهاء تلك المكالمة الواردة من مدير منظمة الحرية الكبرى، يقلب الشيخ إبراهيم الأمر على كافة وجوهه ويجتمع مع كبار رجال جماعته ليحصل منهم على دعم يعضد به رأيه الذي سوف ينفذه في كل الأحوال، يجتمعون تحت مسميات الشورى ولكنهم في نهاية الأمر يوافقون على تحقيق المطلوب منهم، ما يرغبه القابض على أطراف الخيوط العلوية.

يصل بعد تشاوره مع الجمع إلى ما يتحدث به الآن إلى الدكتور صالح الذي لم يحضر تلك الجلسة لانشغاله في أمر آخر كلفه به الشيخ إبراهيم، يطول صمته مرتشفا النعناع قبل ان يقول للدكتور صالح:

- شوف يا دكتور صالح.. الصياد الماهر اللي يقدر يصطاد أكثر من عصفور بحجر واحد..

- طبعًا يا مولانا..

- إحنا في أمر الوثيقة دي وفقنا الله على خطة هاتحقق لنا مكاسب كتيره على كافة الاتجاهات..

- مكاسب أيه يا مولانا؟

- هاقولك على التفاصيل كاملة.. لكن لازم تفهم إن أي ثغرة في الخطة أو تكاسل هايكون الفشل مصيرنا.

- معنا الله عز وجل يا مولانا ومن يكون الله معه فالنجاح في الدنيا والآخرة سبيله..

يبتسم الشيخ إبراهيم سعيدا بتلك العقيدة المترسخة في قلب الدكتور صالح والإيمان بقضيتهم الذي لا حدود له، يضع كوب النعناع من يده وهو يقول:

- في البداية أولادنا على الانترنت يهاجموا الوثيقة ويركزوا على جزئية ميزانية القوات المسلحة، موضوع الدولة وحدها هي التي تنشيء القوات المسلحة ماحدش يتكلم فيه خالص.

- تمام..

- المهم بقى إن النزول للشارع يكون من أجل إلغاء الوثيقة وكمان نقل السلطة من العسكر لرئيس مدنى..

يبتسم الدكتور صالح معجبا باستغلال الأمر في تحقيق الأهداف بهذا الشكل وعلى هذا المنوال، يكمل الشيخ إبراهيم قائلًا:

- الأهم يا دكتور صالح إن اللي ينزل الشارع يكون شباب التيارات التانية، إحنا ما نظهرشي في الصورة خالص إلا وقت ما تكون الأعداد قليلة نشارك لزيادتها..

- هانعلن عدم مشاركتنا؟

- لأ طبعا.. هانعلن إننا هانشارك.. لكن الإعلان شيء والفعل شيء تاني.. المصادمات الجاية لازم تكون بين شباب الثورة وبين المجلس العسكري وبكدا نضربهم ببعض، نلغي الوثيقة، وفي نفس الوقت نقضى على آمال المجلس العسكري من الاستمرار في السلطة وتنتقل لرئيس مدنى.

- وإحنا يا مولانا.. هانعمل أيه؟

- لا تنسى يا دكتور إننا داخلين على انتخابات مجلس الشعب ومحتاجين كل عضو في الجماعة ولكل جهودنا.. وهو دا العصفور الرابع يا صالح.

- أي عصفور يا مولانا؟

- ضرب المرشحين لعضوية مجلس الشعب من التيارات التانيه، هاينشغلوا مع الشرطة والقوات المسلحة في موضوع الوثيقة.. وبكدا لازم الأحداث المنتظرة تستمر لأطول فترة ممكنة يا دكتور صالح لغاية ما نحصد مقاعد المجلس.

■ ■ ■

(49)

لمياء سعيد

حالة فزع تلك التي تعترى لمياء سعيد، تنهمر منها الكلمات كسيل شتوى هادر فتنتقل تلك الحالة الفزعة إلى حسام منصور الذي يشعر بما تشعر به بعد تلك الأحداث الرهيبة التي مرت على البلاد في الأيام الأخيرة والتي أطلق عليها إعلاميًا أحداث محمد محمود والتي انتهت بمقتل العشرات وإصابة المئات وكانت في مجملها تطالب بتسليم السلطة إلى برلمان ورئيس مدنى.

يخرج رئيس المجلس العسكرى في كلمة له يؤكد أن المجلس سوف يسلم السلطة في الموعد المحدد آنفا وأنه على استعداد لتسليمها اليوم إذا رغب الشعب في ذلك عن طريق استفتاء رسمى، ترفع القوى المتظاهرة الأحذيه ردا على كلمته وتهتف الشعب يريد إسقاط المشير، الجدع جدع والجبان جبان وإحنا ياجدع هنموت في الميدان.

يشاهدون، حسام ولمياء، البيان الصادر من شباب الثورة والتي ألقته إيمان سمير يؤكدون فيه على أن يتنحى المجلس العسكرى ويسلم البلاد إلى حكومة مدنية تمثل الثورة.

للخروج من الأزمة تستقيل الوزارة ويتم تكليف شخصية اقتصادية شهيرة لتشكيل الوزارة الجديدة، لكنها لا تحظى بقبول القوى الثورية فينتقل الاعتصام من ميدان التحرير إلى مجلس الوزراء لمنع الوزارة من الدخول وتتجدد الاشتباكات فيما يُعرف باسم أحداث مجلس الوزراء

يكمل حسام حديثه بينما ينفث دخان سيجارته:

- الغريب يا لمياء هو عدم مشاركة الجماعة في الأحداث دي!!

- مش غريب ولا حاجة يا حسام.. إحنا متفقين على إنهم على وفاق مع المجلس العسكرى.. وطبعا إنت عارف القوات المسلحة عند الجماهير بتمثل أيه بالظبط..

- عندك حق..

لم يكد يتحدث بهذه الكلمة حتى يلاحظوا حركة غير عادية في الشارع أمام المقهي وحالة من الكر والفر وحجارة ومولوتوف، تصرخ لمياء حينما تشاهد تلك الفتاة التي تعرى نصف جسدها الأعلى على أرض الميدان.

يتزايد صراخ لمياء محاولة اختراق الجموع كي تصل إليها لسترها، تدهش لحظة مشاهدتها لتلك العباية السوداء التي ترتديها



على اللحم في هذا الوقت من العام بينما ترتدي بنطلون جينز لاحكام نصفها السفلي.

لم تستطع لمياء تحديد أي شيء في تلك الأحداث المتضاربة، آلاف الأفكار تتداخل في رأسها، تشعر بطنين حركتها في رأسها، الصداع يسيطر عليها، تمسك رأسها بكفيها ضاغطة بشدة، تكاد تسقط أرضا، يأخذها حسام بعيدًا، كافتريا في منطقة المهندسين، بصعوبة تتناول كأس ليمون مع حبة للصداع أتى بها حسام من الصيدلية القريبة، يتحدث ليهدأ من روعها:

- لمياء.. إحنا متأكدين إن فيه حاجه غير طبيعية بتحصل.. لكن إحنا لوحدنا مش هانقدر نقف ضد التيار، وإلا كان وقف نظام كامل وقع في 18 يوم.

- طب والعمل يا حسام؟

- العمل عند ربنا.. لكن اللي أنا متأكد منه إن مصر دي ربنا حاميها يا لمياء، حاميها عشان ناسها الطيبين، عشان الغلابة يا لمياء اللي في الشوارع، عشان اللي بيحبوها.. اللي نزلوا في 25 يناير عشان يرجعوها من اللي سارقينها.. اللي خرجوا وشالوا أرواحهم على كفوفهم من غير ما يطمعوا فيها..

تهدأ لمياء مع الوقت وتنزل عليها كلمات حسام كبلسم مرطب في ذلك الجو الملتهب الخانق الذي تمر به البلاد.



يخرجان، تشاهد لمياء الناس في الشارع كأنها تشاهد لقطات بطيئة بلا صوت على شاشة سينما عملاقة، ملامح الطيبة مختلطة بتجاعيد الوجوه المبتسمة، رغم كل شيء راضية.

■ ■ ■



(50)

القتـــل

- نجاح خرافي في مجلس الشعب يا شيخ إبراهيم..

خرجت تلك الجملة من الدكتور صالح، الذي يقترب تغمره السعادة ليحتضن الشيخ إبراهيم السويفي، بهدوءه المعتاد يبادله الشيخ إبراهيم المباركة ثم يجلس على مقعده مادا ساقيه على المقعد المقابل، يلتقط كوب عصير يرتشف منه رشفات متتاليه وهو يقول:

- دا متوقع يا صالح.. أهم شيء تكون كل حاجه مدروسة.

- فعلا يا شيخ إبراهيم.. أحداث ستاد بورسعيد اللي الصدفة جابتها في التوقيت دا بالذات.. خلت الناس كلها تقف معانا ضد القيادة اللي ماسكه البلد.

تتغير ملامح الشيخ إبراهيم لحظة ثم تعود إلى سيرتها الأولى عند تذكره أحداث ستاد بورسعيد وعشرات الضحايا الذين قتلوا



في هذا اليوم. لقد اشتعلت الأمور بين الجماهير المتناحرة قبل الحدث بعدة أيام، تم الترويج للحدث إعلاميا قبل حدوثه وخلق صراع بين الطرفين، زاد الشحن وزاد التوتر بينهم، يتم خلق الجو الملائم لرجال يعلمهم جيدًا الشيخ إبراهيم لتنفيذ مهمة القتل في لحظات.

كثيرة هي الأحداث المماثلة التي ما فُعلت إلا لتشويه صورة من بيده أمر البلاد لخلق تلك الفجوة بينه وبين الجماهير ومحاولة استبداله بالآخر، تلك كانت خطة الشيخ إبراهيم وجماعته والتي تدرب عليها جيدًا في منظمة Greater Freedom وحمل بعض تفاصيلها معه في كتيب بلا عنوان عند عودته إلى مصر.

■■■

(51)

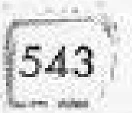
30 يونيو 2013

تجلس لمياء سعيد مع حسام منصور وعدد غير قليل من الشباب الواعى المثقف يتناقشون فيما آلت إليه الأمور.

شهد العام المنصرم حالة من الحراك الغير طبيعى وكأن الجميع مُسير وفقا لسيناريو مكتوب من قبل، كل فرد من أبطالة يمتلك نسخة يحفظ دورة فيها بعناية، عرائس ماريونت تقدم عرضا مسرحيا، ترغب الجماهير في مشاهدة مَن يُمسك بطرف الخيط الأعلى، لكن ستائر كثيفة، قاتمة اللون، تحجبه.

تستشعر لمياء ذلك الممسك بأطراف الخيط، لا تمتلك دليلا واضحا، حسام وآخرون صدقوها دون طلب إثبات. ينتقل حدسها هذا إلى الملايين مع كل حدث تمر به البلاد خلال تلك الشهور.

بعد صراع طويل يصل الدكتور صالح حفظى إلى كرسى الرئاسة، آخر من كان يُعتقد أن يترشح من الأساس لهذا المنصب، يترشح بديلا عن إبراهيم السويفي، فما حدث أن إبراهيم السويفي



قدم أوراقه إلى لجنة الانتخابات الرئاسية. عن طريق أحد رجالهم تصلهم معلومات تفيد بأنه قد يحدث استبعاد إبراهيم من سباق الرئاسة لأي أسباب يتم تفنيدها مستقبلا.

في شقة التجمع الخامس يلتقون، بعد حوار طويل وحسابات دقيقة يتفقون على تقديم أوراق الدكتور صالح إلى اللجنة العليا للانتخابات كي يكون مرشحا بديلا إذا ما جد في الأمر شيء، وهذا ما حدث، يخرج إبراهيم السويفي ويبقى الدكتور صالح حفظي مرشحا يخوض السباق.

أيام تمر على البلاد هي الأولى من نوعها في تاريخها، بين أحلام حقيقية بمستقبل مشرق مستقر وشائعات ومؤامرات واتفاقيات وحملات تشويه وتسفيه تنتهي الجولة الأولى، يظل الدكتور صالح لينافس مرشحا آخر محسوبًا على النظام القديم.

الحقيقة أن الكتائب الالكترونية والانتشار في الشوارع بين الجماهير كان في أقوى حالاته في تلك الفترة، تصور ذلك المستقبل المشرق الذي ينتظر البلاد إن هي حُكمت برجال هدفهم الوحيد هو كلمة الله في الأرض، يزهدون في الدنيا وما يبتغون إلا مرضاة الله وإن هم فشلوا فلن ينهبوا هذا الشعب المسكين، وهم لن يفشلوا فقد أعدوا مشروعا ضخما شاملا تطوير كافة مناحي الحياة. ذلك في مقابل أن يعود الظلم والطغيان وتضيع سنوات العمر كما ضاعت أرواح الشهداء وسيكون مستقبلا أسودا

مظلما، فمن لم يستطع أن يقدم شيئًا بالأمس لن يقدم شيئًا أيضًا في المستقبل.

تجرى جولة الإعادة بينهما.. في الأيام التالية وقبيل إعلان النتيجة الرسمية يجتمع الشيخ إبراهيم في غرفة العمليات في التجمع الخامس، بعد مقدمة طويلة وعن يمينه يقبع الدكتور صالح مستكينا، يقول إبراهيم:

- إحنا موقفنا قوى.. وناجح بإذن الله تعالى يا دكتور صالح.. لكن يا جماعه فيه احتمال وارد وإن كان ضعيف إن الأصوات تكون لصالح الخصم بفارق بسيط جدًا..

- معقولة؟

يعلق أحدهم مستغربا، ثم يكمل:

- كل النتائج اللي وصلتنا من المندوبين بتوعنا في اللجان الفرعية والعامة بتقول إن الأصوات لصالحنا يا شيخ إبراهيم..

بضيق يعلق الشيخ إبراهيم:

- أنا عارف يا شيخ.. لكن وارد إن بعض اللجان اللي لسه ما ظهرتشي نتيجتها تقلب الموازين.. عشان كدا فيه تعليمات جديدة لازم تتنفذ حالا..

بصعوبة يبتلع الدكتور حافظ لعابة القليل جدًا، ويقول متعجلا الخطوة التالية:



- تعليمات أيه يا فضيلة الشيخ؟

- لازم الجماهير كلها تعرف إن إنت الفائز وإنت رئيس مصر الجديد..

وقع الجملة على الدكتور صالح له مذاق لم يتخيله من قبل، ينتقل الى عوالم أخرى في لحظة واحدة، أحلام متداخلة يغوص بين حناياها.. يكرر الجملة في نفسه بألف لحن «رئيس مصر الجديد».. يتمنى أن تكون زوجته بجواره في هذه اللحظة لتستمع إلى تلك الجملة الساحرة.. «رئيس مصر الجديد» يكررها.. ينتهي بعد التكرار بلا إرادية مرددا:

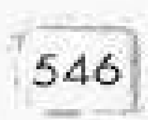
- رئيس مصر الجديد؟

- أيوه يا دكتور.. دا أمر منتهي وهايتم تحقيقه بأي طريقه.. المهم الجماهير لازم تعرف.

يصمت الشيخ إبراهيم لحظة، يتوجه بعدها بحديثه إلى الجميع قائلًا:

- دا هايكون عن طريق رصد كل النتائج اللي وصلتنا لغاية دلوقتي واللي بتأكد نجاحنا.. شبابنا بتوع الكمبيوتر والنت يقوموا بالمهمة دي في خلال خمس ساعات بحد أقصى.. وفروا لهم كل الامكانيات..

- والناس اللي ما لهاش في النت؟



يفكـر لحظـة واحده ثم ينطلق كأن الإجابـة كانت موضوعة من قبل، فيقول:

- يجمعـوا نتائـج اللجـان اللـي وصلتنا في شـكل كتـاب، تتم طباعتـه فـي مطابـع رجالتنـا علـى مسـتوى الجمهوريـة.. يوصل المطابع عن طريق الانترنت وكل مطبعة تطبعه وتوزعه في منطقتها وبكدا نضمن انتشار أسرع.. دا الأمر الأول..

- والتاني يا مولانا؟.. يسأل أحدهم..

- التانـي.. تنتشـر مجموعات فـي كل مكان تقـول إن الدكتور صالـح ناجح فعلا وحاليا بيتم تزوير النتيجة لصالح المنافس.. في نفس التوقيت تخرج جماهيـر وتعتصم في الميـدان وتقول: إحنا ضد التزوير.. ما تقولشي أكتر من كدا..

- لو حصل أي تزوير البلد هاتولع..

- هو دا اللي الكل لازم يعرفه..

بعـد هذه الأحـداث يتم تنصيـب الدكتور صالـح حفظي رئيسـا للبلاد..

يلتف حوله جماعته وأتباعهم ودعاة الاسـتقرار وكارهو النظام القديـم، الأغلبية تلتـف حولة راغبـة بالانتقال بالبـلاد إلى مرحلة جديدة..

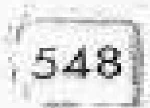


شهور قليلة على هذا الوضع حتى تتكشف الحقائق تباعا.. لم يكن الدكتور صالح حفظى إلا بوقا يكرر ما يعلنه الشيخ إبراهيم ورجاله في كل مكان.

الحق أن نيران الغيرة قد تأججت داخل الشيخ إبراهيم السويفي ورفاقه وهم يشاهدون الدكتور صالح متربعا فوق أريكة حكم البلاد. وكأنهم يؤكدون تبعيته لهم تعمدوا كثيرًا إحراجه بإصدار تصريحات بأنهم سيفعلون وأنهم يرغبون وأنهم يقررون وأنهم يحلمون وأنهم عازمون... الأمر كله بصيغة الجمع المؤكدة أن شقة التجمع الخامس هي التي تدير البلاد وليس قصر الرئاسة. كانوا هم أول من يكذبون ذلك حال طرحه للنقاش مؤكدين أن صالح حفظى رئيسا للجميع. لكن إشكالية مثل هذه ليست بالأقوال أبدًا.. انتظرت الجماهير الأفعال..

تمط لمياء شفتيها تعبيرا عن سخطها بهذا الوضع الجديد، يعقب حسام بأنه ليس في الإمكان أبدع مما كان، فقد وُضعت الجماهير بين خيارين كلاهما مُر، في الوقت الذي تكاسلت فيه كافة القوى عن التصدي لذلك رغم استشعارها ما نستشعره، رافضة التوحد باحثة عن تحقيق أطماعها. كيف نستطيع التصدي لما يحدث وحدنا؟!

تمر الشهور الأولى من حكم الدكتور صالح حفظى والجماهير تترقب الاستقرار والرخاء، لكن ما حدث هو أن شهدت البلاد تغيرات كثيرة في الأوضاع على المستويين المحلى والدولى



شكل يثير العامة التي تُصدم بالرجل الذي علقت عليه آمالها
بداية عهد جديد.

تلتف مجموعات بشرية حول النظام الجديد، لم يتصور أحد يوما أن مثل هؤلاء سوف يتفقون مع هذا النظام.. منهم مجدي سرور وعدد من الصحفيين منهم إلهام مدكور ومن الشباب الثورى أمثال إيمان سمير ونبيل فهيم وغيرهم، التصقوا بالنظام في كل اللقاءات والحوارات وتظاهرات التأييد، تعاونوا معه ليعطوه تلك الصبغة الجماهيرية وإن أعلنوا أحيانًا أنهم على خلاف معه في بعض القرارات التي سوف يتم تعديلها مستقبلا عندما تستقر الأوضاع.

ذلك التعاون لم يكن محض صدفه وإنما كان توجيها ممن يُمسك بأطراف الخيط المعلقة به قيادهم، وهذا ما سوف يظهر جليا عندما يتبارون في الدفاع عن ذلك النظام ضد مختلف طوائف الشعب.

أحداث كثيرة ومتداخلة وسريعة تهدف جميعها إلى القبض على السلطة بيد حديدية فقد تمت عمليات إحلال كاملة في التشكيل الوزارى الجديد، لم يكن ثمة وزير إلا وكان خارجا من تحت عباءة إبراهيم السويفي ورفاقه، تلى ذلك الكثير من المناصب القيادية الأخرى في البلاد بشكل أزعج أصحاب الرأي في البداية ثم الجماهير بعد ذلك.

تنامى الشعور العام ضد تلك المجموعة التي تصارعت على مناصب حُرمت منها عقودا طويلة، بشكل جعلها لا تهتم بشأن البلاد، الأولوية لديها كانت مكافأة أعضاءها نظيرا لولائهم، لم يبحثوا يوما عن الكفاءة، مما جعل الكفاءات الحقيقية في البلاد تستشعر الخطر الحقيقي خصوصا مع رفض النظام الحاكم الاستماع لأي ناصح، فكل من أظهر نقاط ضعفهم كان إما طامعًا وإما حاقدًا.

المؤسسة العسكرية التي تعرضت للكثير من التشويه، لم تنج من ذلك حتى بعد انتقال السلطة منهم إلى رئيس مدني. تحدث مذبحة رفح الأولى، نعم الأولى فسوف تكون هناك مذبحة ثانية في المستقبل تؤكد أن الفاعل واحد في المذبحتين. يتم تقويض المؤسسة العسكرية بإقالة أهم عنصرين فيها من مناصبهم وتعيين آخرين.

تأتي الذكرى الأولى لأحداث محمد محمود والتي صنعها الشيخ إبراهيم من قبل للمطالبة بنقل السلطة إلى رئيس مدني منتخب ولم يشارك هو أو أحد أعضاء جماعته في أحداثها.

في الذكرى الأولى والبلاد تحت رئاسة الدكتور صالح حفظي يقف أعضاء جماعته في مواجهة شباب الثورة يدافعون عن مبني وزارة الداخلية وباقي مؤسسات الدولة تلك التي ساعدوا على الهجوم عليها منذ عام، هنا وللمرة الأولى تهتف الجماهير مطالبة بسقوط حكم المرشد.

يرتعد الشيخ إبراهيم من ذلك التطور في الأحداث، يجتمع بالدكتور صالح وعدد غير قليل من أعضاء الجماعة ليدرسوا الأمر، يخرجون بتوصيات تؤكد على ضرورة الإسراع في إحكام السيطرة على كافة مؤسسات الدولة.

يصدر الرئيس صالح حفظي إعلانًا دستوريًا ديكتاتوريًا، مما يخلق حالة شديدة من الاستنكار تتحرك على إثرها القوى الشبابية الثورية للاعتصام أمام قصر الرئاسة، ذلك الاعتصام الذي ينهيه الشيخ إبراهيم السويفي بإشارة منه لرجاله فينقضون على المعتصمين، أحداث سيُطلق عليها فيما بعد أحداث الاتحادية، يهجمون عليهم بمنتهي الشراسة يصيبونهم بإصابات بالغة ويقتلون بعضهم ويعتقلون العشرات، يعذبونهم لنزع الاعترافات منهم، يقدمونهم إلى القضاء لاتخاذ اللازم، لكن القضاء يبرأهم. هنا تظهر جبهة جديدة أمام الشيخ إبراهيم ورجاله يخططون للتخلص ممن لا يعلن الولاء لهم، تحت شعار: الشعب يريد تطهير القضاء، نعم.. فقد كانت هذه الجبهة هي القضاء المصري.

في ظل تلك الحالة من الهرولة خلف تحقيق الأطماع الشخصية، يتزايد نشاط الكثير ممن كانوا يتوارون في جحورهم خوفا. البيئة الجديدة أتاحت لهم الخروج، يظهر وائل طلعت في مجالات جديدة كان على رأسها تهريب المواد البترولية المدعمة عبر الأنفاق حاصلا على مقابل مادي مضاعف بالعملة الصعبة، بدأ الأمر معه حينما كان يتفق على تهريب عدد خمس سيارات

مسروقة عبر الأنفاق وتطرق الحديث للمواد البترولية المدعمة. يقدم الرشاوى لمجموعة من أصحاب محطات المواد البترولية، يتم تغيير خطوط سير ناقلاتهم إلى الحدود وتفريغ حمولتها في خزانات تحت الأرض. لكن هذا الوضع لن يستمر طويلًا، فسريعا ما سيأتي اليوم الذي سيسقط فيه وائل طلعت وعصابته التي شكلها لسرقة السيارات وتهريب المواد البترولية.

عشرات.. مئات.. آلاف مثل وائل طلعت وجدوا في ذلك النظام أرضا خصبة، علموا جيدًا أنهم أمام أناس تلهيهم أموالهم وتجارتهم وأطماعهم عن صالح البلاد، فلسفتهم الجديدة: افعل ما شئت لكن غلف أفعالك بذكر الله وصالح أمة الإسلام تشملك يد الرعاية وتطلق يدك فيما تريد. تهريب المواد البترولية عبر الأنفاق لم ينظروا إليه على أنه سرقة وتهريب إنما كان لإنقاذ الأشقاء خلف الحدود وهو عمل قومي بطولي يستحق من يفعله التكريم..

يعلو الوجوه وجوم كان قد تلاشى بعد الثورة، يأس ينشر خيوطه فوق الآمال والطموحات، عادت حالة الصمت المقيت مرة أخرى إلى الجماهير.

يرفض الشباب ذلك اليأس، تتلاقى أحلامهم وعلى رأسهم لمياء سعيد وحسام منصور وباقي أعضاء حركتهم التي أطلقوا عليها اسم حركة تمرد، تقوم الحركة بجمع توقيعات من الشعب على استمارات سحب الثقة من الرئيس صالح حفظي، تتلاقى



أحلامهم مع معتقدات راسخة لأناس يدركون حقيقة الأوضاع في البلاد والطريق التي تسير عليه الجماعة الحاكمة التي تعاملت مع البلاد كإمارة إسلامية في الدولة الإسلامية الكبرى التي تحدث عنها الشيخ إبراهيم قديما مع القوى الخارجية.

الواقع أن تلك الجهات السيادية قد رصدت اتصالات حقيقية بين الدكتور صالح حفظى رئيس البلاد مع جهات أجنبية في قضايا حساسة تمس الأمن القومى للبلاد.

يزداد الغضب الجماهيرى، تنشغل لمياء سعيد وحسام منصور وغيرهم الكثير في تجميع استمارات سحب الثقة من الرئيس. بدون أي ترتيب مسبق كانت الجماهير في كل مكان تقوم بطبع الاستمارات على نفقتها الخاصة ثم تجمع التوقيعات.

تتزايد مكانة لمياء وحركتها بين كافة الأوساط بشكل يسحب البساط تمامًا من إيمان سمير ونبيل فهيم وتجمعاتهم الثورية، مما جعل مستر ناجي عبداللطيف يجتمع فورا بإيمان، يفيض في شرح خطورة ظهور حركة تتلاقى مع أحلام الجماهير العريضة في الوقت الراهن، ذلك من شأنه كشف عورات باقى الحركات، يطلب منها تطويع حركة لمياء لتخدم مصالحهم التي يسعون لتحقيقها من سنوات.

تسعى إيمان بكافة السبل لمقابلة لمياء، ترغب في إعادة إحكام سيطرتها على لمياء ومن ثم حركتها، لكن لمياء لم تكن لتترك لها



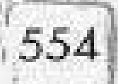
الفرصة من الأساس بالاضافة إلى أن حركة تمرد لم تعد حركة أفراد بعينهم إنما أصبحت حركة تعبر عن نبض الشارع، هذا ما أعطاها هذه الشعبية الجارفة، ففي مجتمعنا ما يتفق وتلك الموجة الجماهيرية، يُحمل فوقها تكريما، ومن يخالفها تلتهمه بين طياتها لا تبقى له أثرا.

الآن اتفقت حركة لمياء مع تلك الموجة الجماهيرية.. فكنت ترى المتطوعين في كل مكان يقومون بجمع التوقيعات على الاستمارات دون أي توجيه من أحد، يحملوا الاستمارات، يسافرون بها إلى مقر الحركة في القاهرة.

كانت مفاجأة لذيذة عندما شاهدت لمياء حسن عبدالحميد حاملا طردا ضخما به آلاف الاستمارات جمعها من قريته ومن القرى المجاورة آتيا بها إلى مقر الحركة في القاهرة.

تجمع الحركة ما يزيد عن اثنين وعشرين مليون استمارة لسحب الثقة من الرئيس صالح حفظي وتحدد يوم الثلاثين من يونيو للنزول إلى الشوارع والميادين وهو يوم ذكرى تولية الرئيس لمهام منصبة، فقد مر عام كامل على تلك الجماعة وهي تتخبط، ظهر جميع أعضاءها وكأنهم يرتدون ثيابا أوسع درجات مما يجب أن يرتدوه، تراهم يسيرون متعثرين في ثيابهم تلك.

أكثر ما كان يدمي الجماهير هي أن أفعالهم لم تكن تمر دون خسائر بشرية، فقد أصبحت أخبار القتل والبلطجة في تزايد،



السرقة والنهب أصبح أصبحا مَشاعًا تحت أنظارهم وكثيرًا برعايتهم لنقل خيرات البلاد إلى خارجها وكانت ردود أفعالهم نمطية مكررة لا تأتي بجديد:

- الفلول وأعداء مصر هما اللي ورا كل التخريب اللي بيحصل.. وفيه أصابع خارجيه بتلعب في البلد..

ذات يوم قال حسن عبد الحميد لأصدقاء له يجلسون في الظلام بعد انقطاع التيار الكهربائي:

- إن كان بمزاجهم فدي مصيبه يا رجاله، وإن كان دا بيحصل وهما مش قادرين يوقفوه فدي مصيبه أكبر.

تعم حالة غضب عارمة في الشارع وتكتئب الجماهير الباحثة عن مخرج من تلك الأزمات الطاحنة التي استحكمت في كل شيء بينما يخرج السادة المسئولون يؤكدون وبمنتهى الفظاظة أنه لا توجد مشكلات وأنها أزمات مفتعلة. إن كانت فعلا تلك الأزمات مفتعلة، فيكون فاعلها أقوى من القوى الحاكمة، الجماهير تريد الأقوى الذي يوفر لها أساسيات حياتها، لا تريد ندابين يتاجرون بضعفهم.

يجن جنون تلك الجماهير المطحونة، تقرر الخروج والرفض، مهما كان ما سيحدث في المستقبل فلن يكون أسوأ مما هم فيه الآن.



في 30 يونيو 2013 تخرج المظاهرات المطالبة باسقاط نظام الجماعة، في المقابل يستدعى الشيخ إبراهيم رجاله ومن تبعهم للتظاهر والاعتصام في عدد من الميادين ،ينقسم الشارع بين أغلبية تطالب بتنحى تلك الفئة بعد أن انكشفت أطماعهم ومن يؤيدهم.

تشارك في المظاهرات مختلف الفئات والطبقات، منهم الكثير ممن أنف من تلك الأحكام التي تصدرها القيادة الجديدة والتي وصف أعضائها أبناء الشعب بأنهم تارة أغبياء وتارة أخرى كفرة لا يريدون السير في طريق الله عز وجل، فكل من يختلف سياسيا مع الدكتور صالح حفظى وجماعته هو مارق كافر.

إن بحثت خلف كل شخصية من تلك الملايين التي خرجت سوف تجد سببا مختلفا لخروجهم في هذه التظاهرات، روح جديدة وعدم خوف من أعمال بلطجة وقنص كما كان في السابق، فقد فهموا تفاصيل المؤامرة، قرروا ألا ينخدعوا مرة أخرى بدموع التماسيح.

الأمر اليوم لم يعد صراعا من أجل مقعد إنما كان صراعا من أجل وطن نعيش فيه ويعيش فينا. يخرج بيان للقوات المسلحة يعطى الجميع مهلة 48 ساعة للاتفاق والوصول بالبلاد فعليا إلى بر الأمان.



ينمو الأمل على وجه الجماهير، تهتف لمياء لحظة إذاعة البيان وإن كانت تعلم مضمونه من قبل، تأتيها عدة مكالمات مشجعة وأخرى من إيمان مسفهة من الأمر مؤكدة أنهم، لمياء ومجموعتها، أطفال في بحر السياسة وسوف يندمون على ما يفعلونه الآن، فالأمر أكبر مما تتخيلي يا لمياء. ببساطة شديدة تغلق لمياء الخط في وجه إيمان، تشعر بما وصلت إليه من ضعف وإلا ما اتصلت بها الآن.

يُقابل ذلك البيان باستهجان الجماعة وسخريتهم، تظهر على وجوههم تلك الحالة التي قد تشاهدها على ملياردير أفلس فجأة ويرفض تصديق الخبر.

تتذكر لمياء محمد صبحي في على بيه مظهر.

التظاهرات تستمر بل وتتزايد الأعداد خلال الأيام التالية حتى يوم الأربعاء 3 يوليو 2013 بينما تتوافد الجماهير على الميادين والشوارع في مختلف أنحاء الجمهورية، تتلاحق الأخبار عن تحديد إقامة أسماء شهيرة في البلاد، منع آخرين من السفر على رأسهم الشيخ إبراهيم السويفي وعدد من أعضاء جماعته ومن تعاونوا معهم، يبدو أن هناك حركة غير عادية تحدث في الأوساط العليا حتى ينتهي نهار ذلك اليوم، وتنتهي مهلة الـ 48 ساعة، بينما الملايين في الشوارع تكاد تغلى على جمر الانتظار والترقب، حتى يظهر وزير الدفاع الجديد، الذي عينه الدكتور صالح حفظي، على الشاشات ليلقى أخطر وأهم بيان في تاريخ مصر المعاصر ليقطع



الطريق على تلك الخطة التي تم حياكتها خارج البلاد منذ عشرات السنين.

يقف وزير الدفاع وإلى جواره مجموعة تمثل جميع طوائف الشعب المصري، شيخ الأزهر، بابا الكنيسة، ممثل التيارات السياسية المعارضة، حسام منصور عن حركة تمرد وعدد غير قليل من المثقفين وأصحاب الرأي والفكر في البلاد، يلقى البيان بمنتهي الحزم ليحصد آهات وصراخ الفرحة من الجماهير فيقول:

بسم الله الرحمن الرحيم

شعب مصر العظيم:

إن القوات المسلحة لم يكن في مقدورها أن تصم آذانها أو تغض بصرها عن حركة ونداء جماهير الشعب، التي استدعت دورها الوطني وليس دورها السياسي، على أن القوات المسلحة كانت هي بنفسها أول من أعلن ولا تزال وسوف تظل بعيدة عن العمل السياسي.

ولقد استشعرت القوات المسلحة - انطلاقًا من رؤيتها الثاقبة - أن الشعب الذي يدعوها لنصرته لا يدعوها لسلطة أو حكم، وإنما يدعوها للخدمة العامة والحماية الضرورية لمطالب ثورته، وتلك هي الرسالة التي تلقتها القوات المسلحة من كل حواضر مصر ومدنها وقراها، وقد استوعبت بدورها هذه الدعوة وفهمت

مقصدهـا وقدرت ضرورتها واقتربت من المشـهد السياسـي آمله وراغبة وملتزمة بكل حدود الواجب والمسئولية والأمانة.

لقـد بذلت القوات المسـلحة خلال الأشـهر الماضيـة جهودًا مضنيـه بصـوره مباشـره وغير مباشـره لاحتواء الموقـف الداخلي وإجراء مصالحة وطنية بين كافة القوى السياسـية بما فيها مؤسسة الرئاسـة منـذ شـهر نوفمبر 2012، بـدأت بالدعوة لحـوار وطنى استجابت لـه كل القـوى السياسـية الوطنيـة وقوبـل بالرفض من مؤسسـة الرئاسـة فـي اللحظـات الأخيـرة.. ثـم تتابعـت وتوالت الدعوات والمبادرات من ذلك الوقت وحتى تاريخه.

كمـا تقدمـت القـوات المسـلحة أكثـر من مـره بعـرض تقدير موقف استراتيجي على المستوى الداخلى والخارجى تضمن أهم التحديات والمخاطـر التي تواجه الوطن على المسـتوى: الأمنى، الاقتصـادي، السياسـى، الاجتماعـى، ورؤيـة القـوات المسـلحة كمؤسسـة وطنيـة لاحتـواء أسـباب الانقسـام المجتمعـى وإزالـة أسـباب الاحتقـان، ومجابهة التحديـات والمخاطـر للخروج من الأزمة الراهنة.

فـي إطـار متابعـة الأزمـة الحاليـة اجتمعـت القيـادة العامـة للقوات المسـلحة بالسيد رئيـس الجمهوريـة في قصـر القبة يوم 22/ 6/ 2013 حيث عرضت رأي القيادة العامة ورفضها للإساءة لمؤسسـات الدولـة الوطنيـة والدينيـة، كما أكدت رفضهـا لترويع وتهديد جموع الشعب المصري.



ولقد كان الأمل معقودًا على وفاق وطني يضع خارطة مستقبل ويوفر أسباب الثقة والطمأنينة والاستقرار لهذا الشعب بما يحقق طموحه ورجاءه، إلا أن خطاب السيد الرئيس ليلة أمس وقبل انتهاء مهلة الـ 48 ساعة جاء بما لا يلبي ويتوافق مع مطالب جموع الشعب...

الأمر الذي استوجب من القوات المسلحة، استنادًا على مسئوليتها الوطنية والتاريخية التشاور مع بعض رموز القوى الوطنية والسياسية والشباب ودون استبعاد أو إقصاء لأحد... حيث اتفق المجتمعون على خارطة مستقبل تتضمن خطوات أولية تحقق بناء مجتمع مصري قوي ومتماسك لا يقصي أحدًا من أبنائه وتياراته وينهي حالة الصراع والانقسام... وتشتمل هذه الخارطة على الآتي:

- تعطيل العمل بالدستور بشكل مؤقت.

- يؤدي رئيس المحكمة الدستورية العليا اليمين أمام الجمعية العامة للمحكمة.

- إجراء انتخابات رئاسية مبكرة على أن يتولى رئيس المحكمة الدستورية العليا إدارة شئون البلاد خلال المرحلة الانتقالية لحين انتخاب رئيس جديد.

- لرئيس المحكمة الدستورية العليا سلطة إصدار إعلانات دستورية خلال المرحلة الانتقالية.



- تشكيل حكومة كفاءات وطنية قوية وقادرة تتمتع بجميع الصلاحيات لإدارة المرحلة الحالية.

- تشكيل لجنة تضم كافة الأطياف والخبرات لمراجعة التعديلات الدستورية المقترحة على الدستور الذي تم تعطيله مؤقتًا.

- مناشدة المحكمة الدستورية العليا لسرعة إقرار مشروع قانون انتخابات مجلس النواب والبدء في إجراءات الإعداد للانتخابات البرلمانية.

- وضع ميثاق شرف إعلامي يكفل حرية الإعلام ويحقق القواعد المهنية والمصداقية والحيدة وإعلاء المصلحة العليا للوطن.

- اتخاذ الإجراءات التنفيذية لتمكين ودمج الشباب في مؤسسات الدولة ليكون شريكًا في القرار كمساعدين للوزراء والمحافظين ومواقع السلطة التنفيذية المختلفة.

- تشكيل لجنة عليا للمصالحة الوطنية من شخصيات تتمتع بمصداقية وقبول لدي جميع النخب الوطنية وتمثل مختلف التوجهات.

تهيب القوات المسلحة بالشعب المصري العظيم بكافة أطيافه الالتزام بالتظاهر السلمي وتجنب العنف الذي يؤدي إلى مزيد من الاحتقان وإراقة دم الأبرياء... وتحذر من أنها ستتصدي بالتعاون مع

رجال وزارة الداخلية بكل قوة وحسم ضد أي خروج عن السلمية طبقًا للقانون وذلك من منطلق مسئوليتها الوطنية والتاريخية.

كما توجه القوات المسلحة التحية والتقدير لرجال القوات المسلحة ورجال الشرطة والقضاء الشرفاء المخلصين على دورهم الوطني العظيم وتضحياتهم المستمرة للحفاظ على سلامة وأمن مصر وشعبها العظيم.

حفظ الله مصر وشعبها الأبي العظيم... والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

■■■

في تلك اللحظات التي تعود فيها الابتسامة إلى الوجوه وتتعانق زهور الأمل مع أرواح الشهداء مكونة صورة رائعة لغد مشرق، تأخذ لمياء سعيد وحسام منصور موقعا متميزا بجوار صانع القرار الجديد الذي قام بالعديد من الخطوات لتوحيد الصف وتجميع الوطنيين الذين يعملون لصالح البلاد بالفعل ولا يبحثون عن صالح خاص.

على الجانب الآخر يهرب مجدي سرور خارج البلاد بصحبة إلهام مدكور التي كانت قد وصلت بمعاونتة إلى منصب رئيس تحرير إحدى المجلات النسائية التي تصدر عن دار التحرير للطباعة والنشر. يترك أولاده وزوجته الأولى هناء التونى التي بذل



مجهودا خلال الفترة الماضية للقضاء عليها سياسيا وقد نجح في ذلك بالفعل فتوارت هناء تمامًا عن الساحة، إلا أنها قد تظهر ثانية بعد هروب زوجها بعد أن أصبح ورقة محروقة، تظهر لتتعلق في نفس الخيط المدلى الذي كان يتعلق فيه مجدي من قبل.

يهرب آخرون منهم إيمان سمير التي تلحق بمستر ناجي عبداللطيف في دولة قطر، حيث تستقر مع والديها هناك عدة أيام يستدعيها بعدها ناجي حيث يتم إعداد خطة عمل جديدة تعتمد على تشوية صورة مصر دوليا وسوف تكون إيمان إحدى العضوات الفاعلات فيها، توافق إيمان بعد انهيار كافة أحلامها التي ما كادت تقترب من تحقيقها إلا ويتهاوى البناء عليها، وافقت نكاية في لمياء سعيد، تود الانتقام منها بأي شكل، لم تتخيلها يوما غير تابعة أليفة، أما أن يأتي اليوم الذي تتحول فيه لمياء إلى قائدة حقيقية تعبر عن الجماهير ومحبوبة منهم.. فهذا ما لم تتحمله إيمان. لذا قررت الانتقام منها وممن عاونها ومن محبيها.

يختفي نبيل فهيم عن الأنظار بتعليمات من مستر ناجي على ألا يغادر البلاد في انتظار تعليمات جديدة.

يجلس إبراهيم السويفي في أحد المقار التابعة للقوات المسلحة بصحبة الدكتور صالح حفظي يفكر في كيفية الخروج من الأزمة وكيف يستنجد بالأصدقاء الذين ساعدوهم للوصول إلى الحكم سابقا، لكن القبضة كانت شديدة بالفعل.



يستخرج إبراهيم تلك القطعة المعدنية من جيب سترته التي تحمل على وجهيها نقوشا فرعونية لأوزير وست، متذكرا كل ما قيل حول ما تحمله من تعويذة تقي صاحبها الشرور، يلقي بها بعيدًا مستنكرا تلك الخرافات بعدما وصل إليه هو ورجاله، يتابعه صالح في استكانة، تتجول عيناه بين شيخه وتعويذته، لحظات ويتحرك إبراهيم نحو القطعة المعدنية يلتقطها مرة أخرى، تظهر على ملامحه شبح ابتسامة، يتحدث إلى صالح قائلًا:

- أوعى تصدق إننا انتهينا يا صالح.. لأ.. إحنا راجعين للكرسى وبقوة.. دي مجرد أزمة.. زوبعة في فنجان. عمرنا كله ضاع عشان نوصل للى وصلنا له، قوم في الأخر نسيبها ببساطة كدا.. لأ..

يخبط بيده بشدة على المنضدة أمامه ثم يكمل:

- دونها الرقاب يا دكتور صالح. دونها الرقاب.

■ ■ ■

خلف الستائر الثقيلة القاتمة يجلس الممسك بأطراف الخيوط في حالة ذهول، كيف تحركت تلك الجموع دون رغبته؟! إنه يمسك الخيوط جيدًا.

يدرك في تلك اللحظة، إدراكا متأخرا، أنه إن أراد التحكم الحقيقي وتوجيه الجموع حيث يريد، فعليه أن يُمسك بأطراف



ملايين الخيوط. يشهق فزعا، تتراخى قبضته عما يمسكه من خيوط، تتساقط عرائس الماريونت الواحدة تلو الأخرى.

■ ■ ■

هناك وبابتسامة عريضة يجلس المواطن المصري سعيد عبدالرحمن، والد لمياء، في منزله متحدثا بإشراق مع زوجته، تقترب لمياء في رشاقة، تستمع إلى عبارته التي يقول فيها:

- زمان قالوا مصر مقبرة الغزاة، وأنا باقول أرض مصر مقبرة لكل من آراد بها السوء، مهما كان هو.. ومهما كانت أفكاره أو مخططاته.

تعلق لمياء في سعادة:

- أرض مصر يا بابا، بتحس زي أولادها، مين معاها ومين ضدها.. ياه.. أخيرا الكهنة سقطوا.. وفشلت تعاويذهم..





شكر خاص

زوجتي.. وصبرها عليّ..

محمد عبدالمنعم.. صاحب ومدير دار سما للنشر وابتسامته الجميلة ورؤيته الأجمل..

الفنان القدير محمود الحديني.. وتشجيعه الدائم..

الفنان القدير همام عبدالمطلب.. ورؤيته الفنية واللغوية.





ماريونت

تُعامله أُسرتُها كمُدرس و لا تزال تُعاملُها كطفلة . الأبناءُ يظلون أطفالاً فى عيون آبائهم مهما كبروا . تلتصق به يوما فى أثناء الشرح . تعلمُ أن أباها فى الخارج و أمها تستغل ساعة الدرس لإعداد طعام الغذاء . لا تستمعُ إلى شرحه . مالها هى و المضارع البسيط و الماضى البعيد و الأبوستروف إس . تُتابعُ شفتيه . تتلاحقُ أنفاسُها . تمسُ وجنتيه و تداعبُ سخونتها أذنه . ينظرُ نحوها فإذا بها كتلةٌ من الجمر . يُلقى نظرةً حائرةً نحو الباب المفتوح . تُجيبه فى همس أن يطمئن . يُمرزُ يده برفق و شوق على رقبتها و أذنها . تحتوى كفهُ بين كتفها و وجهها . يقتربُ منها فى هدوء مضطرب . تُشجعه مُقتربة منه أكثر . القبلة الأولى فى حياتها . . ذابتْ فى صدره . . عجيبةٌ هى خلايا الجسد . كيف يتأتى للشفاة أنْ تنقل كُل هذا الكم من المشاعر و الأحاسيس و اللذة و الذوبان و العشق و التلاشى و التحليق فى فضاء الكون الرحب.



تصميم الغلاف: إيمان صلاح